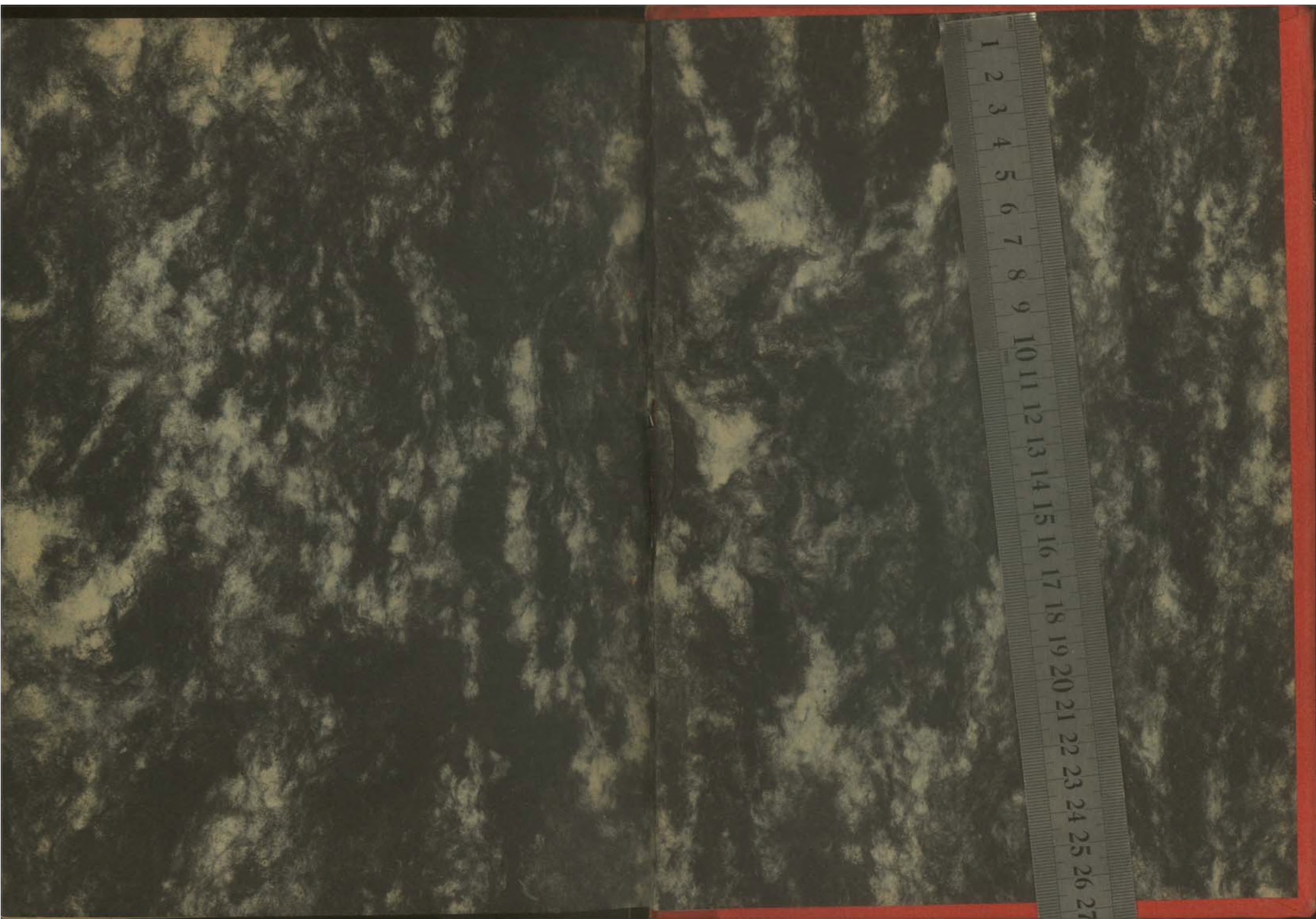


1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39







٤٢٥٨



# تفسير السجدة

السمي

XXII-A-1B

أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لجائمة المحققين وامام المدققين قاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد المعادي

ولد رحمه الله تعالى سنة ٨٩٦ هجرية وتوفي سنة ٩٥١

## الجزء الخامس

صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء وقوبلت على عدة نسخ  
وقرئت في المرة الأخيرة على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي بالأزهر

السلام

محمد محمد عبد اللطيف

صاحب المكتبة الحسنية بالقاهرة

بالأزهر الشريف بمصر

الطبعة الأولى

سنة ١٣٤٧ هجرية - سنة ١٩٢٨ ميلادية

المطبعة النصرية  
إدارة محمد يحيى بن محمد بن الحسين





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة المؤمن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بأماله الالف وباخرجه بين بين وفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار أقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قاييل وهاييل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى (من الله العزيز العليم) كافي مطلع سورة الزمر في الوجه كلها ووجه التعرض لتعني العزة والعلم ما ذكر هناك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) أما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقة على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بخذف اللام للادواج وأمن الالتباس أو أريد الوجه وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين نحو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يقب فان التائب من الذنب كن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها (لأله الا هو) فيجب الاقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (إليه المصير) بحسب لالتي غيره لاستقلاله ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بالظن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شبهة منها فضلا عن الظن فيها وأما الجدل فيها حل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الافهام ومزالق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فن أعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر بالتكثير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى (فلا يغزرك قلبهم في البلاد) لترتيب النهي أو وجوب الالتفات على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبا ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أي الذين تحزبوا على الرسل ونابوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم (وهت كل أمة) من تلك الامم العاتية (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيصيدوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلا (ليدحضوا به الحق) الذي لا يحميد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولاخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم في الطريقة

٥٥  
٥٤  
٥٣  
٥٢  
٥١  
٥٠  
٤٩  
٤٨  
٤٧  
٤٦  
٤٥  
٤٤  
٤٣  
٤٢  
٤١  
٤٠  
٣٩  
٣٨  
٣٧  
٣٦  
٣٥  
٣٤  
٣٣  
٣٢  
٣١  
٣٠  
٢٩  
٢٨  
٢٧  
٢٦  
٢٥  
٢٤  
٢٣  
٢٢  
٢١  
٢٠  
١٩  
١٨  
١٧  
١٦  
١٥  
١٤  
١٣  
١٢  
١١  
١٠  
٩  
٨  
٧  
٦  
٥  
٤  
٣  
٢  
١

## سورة المؤمن

٣

واشتراكهم في الجريرة كما ينفي عنه قوله تعالى (وكذلك حقن كلمة ربك) أي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينفي عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التي من جعلتها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى (أنهم أصحاب النار) في حيز النصب بخذف لام التعليل أي لانهم مستحقو أشد العقوبات وأفضلها التي هي عذاب النار وملأزموها أبدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استجابة وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أي كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم إياه وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم وتديرهم له وكناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكاتبهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره (يسبحون بحمدهم) واجلة استئناف مسوق لتسليط رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان أن أشرف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعائهم يسعدهم في الدارين أي يزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تنهاى (ويؤمنون به) أي ما نأمن حقيقا بحكمه والتصرح به مع الغنى عن ذكره رأسا لظاهر فضيلة الايمان وازرار شرف أهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبا ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا) فان المشاركة في الايمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعي الى النصح والشفقة ونظم استغفارهم لهم في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسيبهم وتحميدهم وإيمانهم ايدان بكامل اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى في موقع القبول. روى أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقدمه في رأسه من سبع سموات وأنه ليتصل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائم خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيديهم على الشمايل ما منهم أحد الا هو يسبح بما لا يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه اما يان لاستغفارهم أو حال (وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي وسعت رحمتك وعلما فأزى بل أصله للاغراق في صفة تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة في عومهما وتقديم الرحمة لانهما المقصود بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصرع بعد اشعار للتاكيد (ربنا وأدخلهم) عطف على قم وتوسط النداء بينهما للبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم)



أى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ﴿ومن صالح من آياتهم وأزواجهم وذرياتهم﴾ أى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أى وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل أدلا يبقى حيثئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقناهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى وأين ولدى أين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالدخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعد بلا توسط شفاعاة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاول لأن الدعاء بالدخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد ﴿انك أنت العزيز﴾ أى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور ﴿الحكيم﴾ أى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد فاجلة لتعليل لما قبلها ﴿وقهم السيئات﴾ أى العقوبات لأن جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصى فى الدنيا فعنى قوله تعالى ﴿ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته﴾ ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد مأسألو المسبب ﴿وذلك﴾ إشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار بعد درجة المشار اليه ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذى لا مطمع وراءه لطامع ﴿ان الذين كفروا﴾ شروع فى بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار ﴿ينادون﴾ أى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا فيها ووقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا أى أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الانكار وأظروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أى لمقت الله أنفسكم الامارة بالسوء أو مقتها اياكم فى الدنيا ﴿اذ تدعون﴾ من جهة الانبياء ﴿الى الايمان﴾ فتأبون قبوله ﴿فكفرون﴾ اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها أو اقتداء بأخلاصكم المضلين واستجابا لأرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الامارة أو من مقت بعضهم بعضا اليوم فاذا ظرف للمقت الاول وإن توسط بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر أى مقتها اياكم اذ تدعون وقيل لمفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون لتعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة الزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضراهم بما لا داعى اليه ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتان وأحييتنا اثنتان﴾ صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى اماتين واحياتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضا بحذف الزوائد أو لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الامانة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كما أنه قيل أمتنا فمتنا موتتين اثنتين وأحييتنا فحياتين اثنتين على طريقة قول من قال وعصية دهر يابن مروان لم تدع من المال الامسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الامسحت الخ قيل أرادوا بالامانة الاولى خلقهم أمواتا والثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الامانة جعل الشئ عادما للحياة أعم من أن يكون بانثائه كذلك كما فى قولهم سبجان من صغر البعوض وكبر الفيل أو يجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياء الاول والاحياء البعث وقيل أرادوا بالامانة الاولى ما بعد حياة الدنيا والثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياء من مافى القبر وما عند البعث وهو الانسب بجملهم وأما حديث لزوم الزيادة على

النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتداهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم أحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ والزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به أطلعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا لعمل صالحا انا موقنون وهو الذى أرادوه بقولهم ﴿فهل الى خروج من سبيل﴾ مع نوع استبعاد له واستشعار بأس منه لأنهم قالوه بطريق القنوط البحث كما قيل ولا ريب فى أن الذى كان ينكرونه ويفرغون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما عترفوا به وزعموا أن الاعتراف بجهنم نفعا وإنما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معتزفين بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصل هو الاعتراف بالاحياء وإنما ذكروا الاماتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتيبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفا كان وقوله تعالى ﴿ذلك﴾ الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة أى ذلك الذى آثم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل ﴿بأنه﴾ أى بسبب أن الشأن ﴿اذا دعى الله﴾ فى الدنيا أى عبد ﴿وحده﴾ أى منفردا ﴿كفرتم﴾ أى بتوحيده ﴿وان يشرك به تؤمنوا﴾ أى بالاشراك به وتساوعوا فيه وفى ايراد اذ وصيغة المسامحة فى الشرطية الاولى وإن وصيغة المضارع فى الثانية مالا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك ﴿فالحكم لله﴾ الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة ﴿العللى الكبير﴾ الذى ليس كمثل شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة للشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج أبدا ﴿هو الذى يريكم آياته﴾ الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفردة بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحده تعالى وتخصوه بالعبادة ﴿ويزل﴾ بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال ﴿لكم من السماء رزقا﴾ أى سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على جلال قدرته تعالى لتفردة بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الارادة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة ﴿وما يتذكر﴾ بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها ﴿الا من ينيب﴾ الى الله تعالى ويتفكر فيما أودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ أى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابكم اليه تعالى وإيمانكم به ﴿ولو كره الكافرون﴾ ذلك وغلظهم اخلاصكم ﴿رفع الدرجات﴾ نحو توديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرفع ليكون من إضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال أى رفع درجات ملائكته أى معارجهم ومساعدتهم الى العرش ﴿ذو العرش﴾ أى مالكه ومهاجره ان آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما بالذنا بعلمه شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به وإخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراهما واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمييدا لما يعقبهما من قوله تعالى ﴿يلقى الروح من أمره﴾ فانه خبر آخر لما ذكر



منى عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسدي الذي هو المطر أي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من أمره بيان للروح الذي أريد به الوحي فانه أمر بالخير أو حاله منه أي حال كونه ناشئا ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أي الروح الكائن من أمره أو متعلق يلقى ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خبطياتهم أي يلقى الوحي بسبب أمره (على من يشاء من عباده) وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبلغ أحكامه اليهم (لينذر) أي الله تعالى أو الملقى عليه أو الروح وقرئ لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح لانها قد توثت (يوم التلاق) اما ظرف للفعول الثاني أي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يرم القیامة لانه يتلاق فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني اتساعا أو أصالة فانه من شدة هول وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم (يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق أي خارجون من قبورهم وظاهرون لا يستترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صافيا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لاحتجيجهم غواشي الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شيء) استئناف لبيان برزخهم وتقرير له وإزاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهمها باطلا أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أي لا يخفى عليه تعالى شيء مامن أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجليلة والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم الله الواحد القهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فاذا يكون حينئذ قليل يقال الخ أي نادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المحجب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلاق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن نادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الالهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ اما من تمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء الحق أو حكاية لما سبقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب أي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (أن الله سريع الحساب) أي سريع حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه تعالى اذا أخذ في حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز بما يوم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار (وأأنذهم يوم الآزفة) أي القيامة سميت بها لازومها وهو القرب غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخلطة الآزفة وهي مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلو لا اذا بلغت الخلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقي وقوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر) بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع من أماكنها فتلتصق بخلقومهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت (كافظمين) على النعم حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها في الطرف وجمع السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أي أنذرهم

مقدرا كظلمهم أو مشارفين الكظم (ما للظالمين من حميم) أي قريب مشفق (ولاشفع يطاع) أي لاشفع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خائنة الأعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الأعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفى الصدور) من الضمائر والأسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على أنه مامن خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضي الحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل (والذين يدعون) يعبدونهم (من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لان الجمل لا يقال في حقه يقضي أو لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا أو على الضمير (أن الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق وعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعرض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جئ بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أقبل من للبركة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ أشد منكم بالكاف (وأنارا في الارض) مثل القلاع الحصينة والمدائن المثينة وقيل المعنى وأكثر أنارا كقوله متقلدا سيفا ورعا (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذوا يلا (وما كان لهم من الله من واق) أي من واق يقيمهم عذاب الله (ذلك) أي ما ذكر من الأخذ (بأنهم) بسبب أنهم (كانت تأتيتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله انهوى) متمكن عما يريد غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهي معجزاته (وسلطان مبين) أي وحجة قاهرة وهي اماعين الآيات والعطف لتغاير العناوين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانها أفراد جبريل وميكائيل مع دخولها في الملائكة عليهم السلام (الفرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) أي فيما أظهرهم من المعجزات وفيما ادعاهم من رسالة القرب العالمين (فلما جاسم الحق من عندنا) وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم أي أعيادوا عليهم ما كنتم تفعلونه أو لا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما ثبت عليه الصلوة والسلام وأحسن بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وخنقا وزعما منه أنه يصدم بذلك عن مظاهر تغطا منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئا وينقذهم من حاله القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام مالم يعد والظاهر في موقع الاضمار لزمهم بالكفر والاشعار ببلعة الحكم أو للجنس وهم داخون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جئ به في تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للسرعة الى بيان بطلان ما أظروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرّة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كان ملؤه اذاهم بقتله عليه الصلاة والسلام كقوله يقولهم ليس هذا بالذي تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ويقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شيئا واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دعاء اللعين وتكراره أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم يقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويهيا على قومه وايها ما أنهم هم الكافرون له عن قتله ولولا لم يقتله وما كان الذي يكفه الا ما في نفسه من الفرع المائل وقوله (وليدع ربه) تجلده منه واطهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه



أخوف ما يخافه (أني أخاف) أن لم أقله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقريبهم اليه (وأن يظهر في الأرض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهاجر ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرى بالواو الجامعة وقرى بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرى يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون (وقال موسى) أى لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام (أني عدت برى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بأن تأكيده له وأظهارا لمزيد الاعتناء بهضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المني عن الحفظ والتربية لأنهما اللذين يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثا لم على موافقته في العباد به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعانة والاشعار بعملة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرى عدت بالادغام (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرا تيليا أو غريبا موحدا (يكنتم إيمانه) أى من فرعون ومثله (أقتلون رجلا) أقتصدون قتله (أن يقول) لأن يقول أو كراهة أن يقول (ربى الله) أى وحده من غير روية وتأمل في أمره (وقد جاءكم بالبينات) والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزاهم عن رتبة المكابرة ثم أخدم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (فإن يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله (وإن يك صادقا يصبك بعض الذين يعدكم) أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابه بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شق التزديد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدكم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد

ترأى أممكة اذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما أن مراده بالبعض نفسه (أن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أبدته تلك المعجزات وثانيتها ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله أراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالين عالين على بنى اسرائيل (في الأرض) أى أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت (فمن ينصرنا من بأس الله) من أخذه وعذابه (ان جاءنا) أى فلا تقصدوا أمركم ولا تعرضوا لئلا بأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمتنعنا منه أحد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من محبي بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايدانا بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرددهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه (قال فرعون) بعد ما سمع نصحه (ما أرىكم) أى ما أشير عليكم (الا ما أرى) واستصوبه من قتله (وما أهدىكم) بهذا الرأي (الاسبيل الرشاد) أى الصواب أولا اعلمكم الا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرى بتشديد الشين للبالغة من رشد كلام أو من رشد كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لانه مقصور على السماع أول للنسبة الى الرشاد كمواج وتبات غير منظور فيه الى فعل (وقال الذى آمن) يا قوم انى أخاف

عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء (مثل يوم الأحزاب) مثل أيام الأمم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايداء الرسل (والذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلما للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخل الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لما أن المنفى فيه ارادة ظلم ما يفتنى الظلم بطريق الاولوية (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بالعذاب الآخروى بعد تخوفهم بالعذاب الدنيوى ويوم التناد يوم القيامة لانه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار حسبما حكى في سورة الاعراف وقرى بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يتأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوا فيناهم موج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (يوم تولون مدبرين) بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف الى النار أو فارين منها حسبما نقل آتفا (مالك من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه وبالجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله فانه من هاد) يهديه الى طريق النجاة (ولقد جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليها السلام على أن فرعونته فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء الى الأولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم ابن يوسف الصديق (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات الواضحة (فازلت في شك مما جاءكم به) من الدين (حتى اذا هلك) بالموت (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرى أن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال الفطيع (يضل الله من هو مسرف) في عصيانه (مرتاب) في دينه شك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد (الذين يجادلون في آيات الله) بدل من الموصول الاول أو يبان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان) متعلق بجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجلبة (أتأثم) صفة سلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الفطيع (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرى بتوین قلب وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعمها (وقال فرعون يا هامان ابنى لي صرحا) أى بناء مكشوفاعاليا من صرح الشئ اذا ظهر (لعلى أبلغ الاسباب) أى الطرق (اسباب السموات) بيان لما وفي ايهما ثم ايضا حاشا تنخيم لشأنها وتشويق السامع الى معرفتها (فأطلع الى اله موسى) بالنصب على جواب الترتي وقرى بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبنى له رسدا في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التي هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياها وأن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو ما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجله بالله سبحانه وكيفية استنباطه (وأنى لأظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أى ومثل ذلك التزيين البالغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهما كالارعوى عنه بحال (وصد عن السبيل) أى سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح والتوسط الشيطان وقرى وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التوبيخات والشبهات



ويؤيده قوله تعالى ﴿وما يكذب عن الافي تاب﴾ أي خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أي أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ: وصد على سوء عمله وقرئ: وصدوا أي هو وقومه ﴿وقال الذي آمن﴾ أي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام ﴿يا قوم اتبعوني﴾ فياثلثكم عليه ﴿أهدكم سبيلا﴾ أي سبيلا يصل سالكة إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الفضي والضلال ﴿يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ أي تمتع يسير لسرعة زوالها أجل لهم أو لا ثم فسر فافتح بضم الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص إليها رأس كل شر ومنه تشعب فنون ما يؤدي إلى سخط الله تعالى ثم ثني بتعظيم الآخرة فقال ﴿وان الآخرة هي دار القرار﴾ لخلاصها ودوام ما فيها ﴿من عمل﴾ في الدنيا ﴿سيئة فلا يجزي﴾ في الآخرة ﴿الا مثله﴾ عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنائيات تغرم بأمثالها ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك﴾ الذين عملوا ذلك ﴿يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ أي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمن حالا للإيمان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك ﴿ويا قوم مالي أدعوك إلى النجاة وتدعوني إلى النار﴾ كررنداهم إيقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمتادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار ودعوتهم إياه إلى النجاة كما نهى قبل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعوني إلى الشر وقد جعله بعضهم من قيل مالي أراك حزينا أي مالك تكون حزينا وقوله تعالى ﴿تدعوني لا كفر بالله﴾ بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهدي في التعدي بالي واللام ﴿وأشرك به ما ليس لي به﴾ بشر كته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته ﴿علم﴾ والمرادني المعلوم والاشعار بأن الاوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها ﴿وانا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ الجامع لجميع صفات الاوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتحكم من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران ﴿لا جرم﴾ لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى ﴿أن ما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي حق ووجب عدم دعوة المهتكم إلى عبادتها أصلا أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا من لا بد فعل من التبيد أي التفريق والمعنى لا قطع لطلان الوهية الاصنام أي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قوله لم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء فعل وفعل اخوان كرشد ورشد ﴿وان مردنا إلى الله﴾ أي بالموت عطف على أن ما تدعوني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى ﴿وان المسرفين﴾ أي في الضلال والطفيلان كالاشراك وسفك الدماء ﴿هم أصحاب النار﴾ أي ملازموها ﴿فستذكرون﴾ وقرئ: فستذكرون أي فسيذكر بعضكم بعضا عند معاناة العذاب ﴿ما أقول لكم﴾ من النصائح ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ قاله لما أنهم كانوا توعدوه ﴿ان الله بصير بالعباد﴾ فيحرس من يلذ به من المكافاة ﴿فوق الله سيئات ما مكروا﴾ شدائد مكروها وما هموا به من الخلق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل تجامع موسى عليه السلام ﴿وحاق بال فرعون﴾ أي بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولي منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر إلى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رجا فقتلهم ﴿سوء العذاب﴾ الفرق والقتل والنار ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا﴾ جملة مستأنفة منوكة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار

خير مبتدا محذوف كأن قائلا قال ماسوء العذاب فليل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط في الحقيق أن يكون الحائق ذلك سوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهوا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك أن يكون ما يطلق عليه اسم سوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار باحرارهم بها من قوتهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن ارواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا إلى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما بينهما فأنه تعالى أعلم بحالهم وأما للتأييد هذا ما دامت الدنيا ﴿ويوم تقوم الساعة﴾ يقال لللائكة ﴿ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ أي عذاب جهنم فأنه أشد عما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فأن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ: ادخلوا من الدخول أي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب ﴿واذ يحتاجون في النار﴾ أي واذا ذكر لقولكم وقت تخاصمهم فيها ﴿فيقول الضعفاء﴾ منهم ﴿للذين استكبروا﴾ وهم رؤسؤهم ﴿انا كنا لكم تبعا﴾ أتباعا كخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أي اتباع على اضمار المضاف أو تبعا على الوصف بالمصدر بمبالغة ﴿فهل أنتم معنون عنا نصيبا من النار﴾ بالدفع أو بالخل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه معنوت أي دافعون عنا نصيبا الخ أو بمعنوت على تضمينه معنى الحمل أي معنون عنا حاملين نصيبا الخ أو نصب على المصدرية كشيء في قوله تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا فأنه في موقع غنا فكذلك نصيبا ﴿قال الذين استكبروا انا ناكل فيها﴾ أي نحن وأنتم فكيف تغني عنكم ولوقدرنا لا غنيانا عن أنفسنا وقرئ: كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كتمان وتوحيته عرض عن المضاف اليه ولا مساع لجعله حالا من المستكن في الظرف فأنه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فأنك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديد لك ثوب ﴿ان الله قد حكم بين العباد﴾ وقضى قضاه متقنا لامرله ولا معقب لحكمه ﴿وقال الذين في النار﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حللهم وعيت بهم علمهم ﴿الحزنة جهنم﴾ أي للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتحويل والتفتيح أو لبيان محلهم فيها بأن تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها أعنى الكفرة وأطفاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ﴿ادعوا ربكم بخف عنيوما﴾ أي مقدار يوم أو في يوم ما من الايام على أنه ظرف لامعيار شيئا ﴿من العذاب﴾ واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم بما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت أمانيهم ﴿قالوا﴾ أي الحزنة ﴿اولم تلك تأتكم رسلكم بالبينات﴾ أي ألم تنبهوا على هذا ولم تلك تأتكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى ألم تأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعه أوقات الدعاء وتعليل أسباب الاجابة ﴿قالوا بلى﴾ أي أنونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى ﴿قالوا فادعوا﴾ فصيحة كما في قول من قال فقد جئت خرا سائنا أي اذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان أن سبه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يومهم أن الاذن في حيز الامكان وأنهم لو أذن لهم



فيه لفعلا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطاعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واطار خبيثهم حسب اصحابه في قولهم ﴿ومادعا الكافرين الا في ضلال﴾ أي ضياع و بطلان وقوله تعالى ﴿انا لننصر رسلا والذين آمنوا﴾ الخ كلام مستأنف مسوق من جهة تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي تقتضيه الحكمة وهو أن شأنا المستمر أنا ننصر رسلا وأتباعهم ﴿في الحياة الدنيا﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ﴿ويوم يقوم الاشهداء﴾ أي يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الاشهداء للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالكذب ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرى لا تنفع بالثنا ﴿ولم اللعنة﴾ أي البعد عن الرحمة ﴿ولم سوء الدار﴾ أي جهنم ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ ما يتبدى به من المعجزات والصحف والشرائع ﴿وأورثنا نبي اسراييل الكتاب﴾ وتركنا عليهم من بعده التوراة ﴿هدى وذكرى﴾ هداية وتذكيرة أو هاديا ومذكرا ﴿لأولي الالباب﴾ لذوي العقول السليمة العاملين بما في تصانيفه ﴿فاصبر﴾ على ما نالك من أذية المشركين ﴿ان وعد الله﴾ أي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التي من جعلتها ذلك ﴿حق﴾ لا يحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون ﴿واستغفر لذنبك﴾ تداركا لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحيان فانه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله ﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار﴾ أي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهدن الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر ﴿ان الذين يجادلون في آيات الله﴾ ويحسدون بها ﴿بغير سلطان أتهم﴾ في ذلك من جهة تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة آياته للايدان بأن التكلم في أمر الدين لا بد من استناده الى سلطان مبين البينة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى ﴿ان في صدورهم الاكبر﴾ خير لان أي مافي قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكير والتعلم أو الا ارادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الا ارادة أن تكون النبوة لهم دونك حشدا أو بغيا حسبما قالوا ولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قالوا لو كان خيرا ما سبقوا اليه ولذلك يجادلون فيها لأن فيها موقع جدالها وأن لم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم في الجلة وقوله تعالى ﴿ما هم ببالغيه﴾ صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود كانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع بنا الملك فسمى الله تعالى تخمين ذلك كبروا في أن يبلغوا متمناهم ﴿فاستمد بالله﴾ أي فالتجى اليه من كيد من يحسدك ويغيب عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين ﴿انه هو السميع البصير﴾ لاقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى ﴿لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس﴾ لتحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أوليس الذي خالق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ أي الغافل والمستبصر ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسى﴾ أي والمحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين القريتين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسى

لنا كيد النبي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته للبحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصرحة والتمثيل ﴿قليل ما تذكرون﴾ على الخطاب بطريق الالتفات أي تذكرا قليلا تذكرون وقرى على الغيبة والضمير للناس أو الكفار ﴿ان الساعة آتية لا ريب فيها﴾ أي في مجيئها لوضوح شواهدا واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به ﴿وقال ربكم ادعوني﴾ أي اعبدوني ﴿أستجب لكم﴾ أي أتيكم لقوله تعالى ﴿ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ أي صاغرين أذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فانه من أفضل أبوابها وقرى سيدخلون على صيغة المبنى للفعول من الادخال ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ بأن خلقه باردا مظلا ليؤدي الى ضعف الحركات وهذه الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سهرا مرارا ﴿والنهار مصرا﴾ أي مبصرا فيه أوبه ﴿ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا ياديه فضل﴾ على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴿لجهنم بالنعم و اغفالم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم﴾ ذلكم المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية ﴿الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو﴾ أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرى خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالتيجة للأوصاف المذكورة ﴿فأني تؤفكون﴾ فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره ﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يصدون﴾ أي مثل ذلك الافك العجب الذي لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجلة ﴿الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء﴾ بيان فضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في أحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القائمة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متبها لمزاولة الصنائع واكتساب الكالات ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ أي اللذائذ ﴿ذلكم﴾ الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة ﴿الله ربكم﴾ خبر ان لذلكم ﴿فبارك الله﴾ أي تعالى بذاته ﴿رب العالمين﴾ أي مالكم ومربهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية ﴿هو الحي﴾ المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ﴿لا اله الا هو﴾ اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله ﴿فادعوه﴾ فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجه به تعالى ﴿مخلصين له الدين﴾ أي الطاعة من الشرك الجلي والخيي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أي قائلين ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله قليل على أثرها الحمد لله رب العالمين ﴿قل اني نهي أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي﴾ من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات التبريلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية ﴿وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ أي بأن اتقاه له وأخلص له ديني ﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ أي في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا ﴿ثم من نطفة﴾ أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني ﴿ثم من علقه ثم يخرجكم طفلا﴾ أي أطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفرادهم ﴿ثم تبلغوا أشدكم﴾ علة ليخرجكم معطوفة على علة



أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ﴿ثم لتكونوا شيوخا﴾ ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ﴿ومم من يتوفى من قبل﴾ أي من قبل الشيوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضا ﴿ولتبلغوا﴾ متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا ﴿أجلا مسمى﴾ هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ﴿ولكم تمقلون﴾ ولكن تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر ﴿هو الذي يحيي﴾ الأموات ﴿ويحيي﴾ الأحياء أو الذي يفعل الأحياء والامانة ﴿فاذا قضى أمرا﴾ أي أراد أمرا من الأمور ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شيء من الأشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصور لسرعة ترتيب المكونات على تكوينا من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الأحياء والامانة به سبحانه ﴿لم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون﴾ تعجب من أحوالهم الشنيعة وآثارهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى أن الذين يجادلون في آيات الله الخ يبان لا بقاء جدالهم على منى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الواجزة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنهم عتاد الدواعي إلى الإقبال عليها وانتهاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾ أي بكل القرآن أو يحسن الكتب السبوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجبر على أنه بدل من الموصول الأول أو في حيز النصب أو الرفع على الذم وإنما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المتبادر وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها ﴿وبما أرسلناه رسلا﴾ من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع ﴿فصوف يعلمون﴾ كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته ﴿إذا اغلغلا في أعناقهم﴾ ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لثبوت ثبوتهم على الاستمرار في الغلغل والجلال عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى ﴿يسحبون﴾ بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فإذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون ﴿في الخيم﴾ وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الباء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لأن قوله تعالى الاغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الاغلال أو اضمار الباء ويدل عليه القراءات ﴿ثم في النار يسجرون﴾ أي يحرقون من سجر التور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصدق كأنه سجر بالحب أي ملي والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب ﴿ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عتانا﴾ أي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ومعنى ضلوا عتانا غابوا عنه وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضلوا عتانا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ﴿بل لم تكن تدعون من قبل شيئا﴾ أي بل تبين لنا أنكم تكن تعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتدي به كفولك حسبته شيئا فلم يكن ﴿كنلك﴾ أي مثل ذلك الضلال القطيع ﴿يضل الله الكافرين﴾ حيث لا يبتدون إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم ينضمهم عن آلهتهم حتى لو طالبوا لم يصادفوا ﴿ذلكم﴾ الاضلال ﴿بما كنتم تفرحون في الأرض﴾ أي تطهرون وتكبرون ﴿بغير الحق﴾ وهو الشرك والطينان ﴿وبما كنتم ترمحون﴾ توسعون في البطر والاشتر والالتفات للبالغة في التوسيع

﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ أي أبواب السبعة المقسومة لكم ﴿غالدين فيها﴾ مقدر اخذوكم فيها ﴿فيس موى المتكبرين﴾ أي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالموى ليكون دخولهم بطريق الخلود ﴿فاصبر﴾ إلى أن يلاقوا ما أعلمهم من العذاب ﴿أن وعد الله﴾ بتعذيبهم ﴿حق﴾ كائن لاحالة ﴿فأما نريك﴾ أي فإن نرك وما مودة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع أن وحدها ﴿بعض الذي نعدهم﴾ وهو القتل والامر ﴿أو توفيك﴾ قبل ذلك ﴿فأيا يرجعون﴾ يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم وهو جواب توفيك وجواب نريك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لما معني أن نعدهم في حياتك ولم نعدهم فانا نعدهم في الآخرة أشد العذاب وأفظه كما يلي عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾ اذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وما كان لرسول﴾ أي وما صرح وما استقام لرسول منهم ﴿أن يأتي بآية إلا بأذن الله﴾ فإن المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسب اقتضته مشيئته المبينة على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لم اختيار في إثارة بعضها والاستبداد بآيات المقترح منها ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة ﴿قضى بالحق﴾ بأجاء الحق وإثباته وأهلاك المبطل وتعذيبه ﴿وخسر هناك﴾ أي وقت يحيى أمر الله اسم مكان استعير للزمان ﴿المطلون﴾ أي المستسكون بالباطل على الإطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أوليا ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام﴾ قيل هي الأبل خاصة أي خلقها لأجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لا يتدأ الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها أي تعلقها بها وقيل للبعيض أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كل من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منها وتغير الظلم الكريم في الجلة الثانية لمرعاة القواصل مع الاشعار بأصالة الركوب ﴿ولكم فيها منافع﴾ أخر غير الركوب والأكل كالبها وأوبارها وجلودها ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ بحمل أفعالكم من الله إلى بلد ﴿وعليها وعلى الفلك تعملون﴾ لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السرف فصله عن الركوب واجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية فمن الركوب والأكل منها تعلقها بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تتم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ﴿ويريكم آياته﴾ دلالة الدالة على كمال قدرته وفور رحمته ﴿فأى آيات الله﴾ أي فأى آية من تلك الآيات الباهرة ﴿تكررون﴾ فإن كلا منهما من الظهور بحيث لا يكاد يتحصى على أنكارها من له عقل في الجلة وهو ناصب لأي وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لقرينة المبالغة وتحويل انكارها وتذكير أي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين الذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحماره غريب وهي في أي أغرب لابهامه ﴿أفلم يسروا﴾ أي أقعدوا فلم يسروا ﴿في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ من الأمم المهلكة وقوله تعالى ﴿كانوا أكثر منهم وأشد قوة﴾ الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ أحوالهم وعواقبها ﴿وأنارا في الأرض﴾ باقية بعدهم من الآنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم ﴿فأغنى عنهم ما كانوا يكرهون﴾ ما الأولى نافية واستفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية بفرقة



أى لمن عنهم أو أى شئ أغنى عنهم مكسبهم أو كسبهم ﴿فلما جاءهم وسلمهم بالبينات﴾ بالمعجزات أو بالآيات الواضحة ﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ أى أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائفة والشبه الداحضة وتسميها علماء التلهم بهم أو علم الطبايع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره وسلمهم على أن معنى فرحهم به تحكيمهم واستبصارهم به ويؤيده قوله تعالى ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ وقيل الفرح أيضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمجداً جليلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ﴿فلما رأوا بأسنا﴾ شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعداذب يس ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كان به مشركين﴾ يعنون الأصنام ﴿فلما يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ أى عند رؤية عذابنا لا تمتنع قبوله حيثئذ ولذلك قيل فلم يك معنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك ربحاً منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يرتب عليه الا عدم الاغناء فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض وتقيض المطلوب كما في قولك وعظمت فلم يتطو والذاتية تفسير وتقصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثرت في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال والثالثة لجورد التقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعا عقبه لأن مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختيارى ﴿سنة الله التى قد خلت في عباده﴾ أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة ﴿وخسر هؤلاء الكافرون﴾ أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

## سورة السجدة

(مكية . وآياتها ثلاث أو أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(رحم) ان جعل اسم السورة فهو ما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر سره مراراً أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسروداً على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق بمؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصيصه بالصفة خبره (كتاب) وهو على الوجه الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر محذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسب ما يفي عنه قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعد وقرئ فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصلاً (قرأنا عربياً) نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصيصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون) أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كانتا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم

ليست بصفة له أو بفصلت (بشراء نداء) صفتان آخرى بأن لقرآنا أى بشراء لأهل الطاعة وتذيراً لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرنا بالرفع على الوصيفة لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تديره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته أيام الى الإيمان والعمل بما في القرآن ﴿قلوبنا فى أكنة﴾ أى أغطية متكاثفة ﴿فما تدعوننا به﴾ وفى آذاننا ﴿وقر﴾ أى صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلاً وهذه تمثيلات لبقولهم عن إدراك الحق وقبوله ومع امتناعهم له كأن بها ضمها وامتناع مواصلتهم وموافقتهم الرسول عليه الصلاة والسلام (فاعمل) أى على دينك وقيل فى إبطال أمرنا (أنا عاملون) أى على ديننا وقيل فى إبطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الى أمما المهكم اله واحد﴾ تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما يفي عنه قولكم فاعمل أنا عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم ما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب فى الحكم يحكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوك الى ما تنبؤ عنه العقول والاسماع وإنما أدعوك الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى الى دونكم فصحت بالوحي الى وأنا بشر نبوق وإذا صحت نبوق وجب عليكم اتباعى فأملاً والفاء فى قوله تعالى (فاستقيموا اليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إحياء الوحدة أى فأن ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص فى الاعمال (واستغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للشركين) ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم فى التوحيد وصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إتيانها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وماسواها وقال الضحاك ومقاتل لا يتفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل ولا يقطع من منت الحبل قطعه وقيل نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملونه (قل أنكم لتكفرون) انكار وتنبؤ لكفرهم وان واللام مالتا كيد الانكار وتقدم الميزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد وأما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقل وقوعه فيحتاج الى التأكيد وإنما علق كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذى خلق الارض فى يومين) لتضخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون والا فالوهم الحقيقى إنما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيرانها وترتيب حركاتها (وتحملون له أنداداً) عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بأن يكون مدار



الانكار هو التعدد أى وتجعلونه أنشادا والحال أنه لا يمكن أن يكون له بدواحد (ذلك) إشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للابتناء بعد منزلته في العظمة واغراض الكفاف لما مر مرارا من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ما ذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربيا دون الارض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداه وقوله تعالى (وجعل فيها رواسي) عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل ابدعى وحديث لزوم الفصل بينهما بمحلتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيذ فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربو بيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجملة للجمل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسي أى كائنه من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعا معرضة لاهلها ويظهر للتفان ما فيها من مراد الاعتبار وطرح الافكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جعلها الانسان وأصناف النبات التى منها معاشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيها ما يأتى لاهلها من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرى قسم فيها أقواتها (في أربعة أيام) متعلق بمحصل الامور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها في يومين وانما قيل في أربعة أيام أى تمتد أربعة تصريحا بالفلكة (سواء) مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما يبنى عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في أقواتها أو في فيها وقرى بالرفع أى هي سواء (الساكنين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للساكنين عن مدة خلق الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لاجل الساكنين أى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى الى السماء) شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض وأهلها لما أن بيان اعتناؤه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادئ معاشهم قبل خلقهم بما يحملهم على الايمان ويخرجهم عن الكفر والغفلان أى ثم قصد نحوها قصد اسوئ لا يولى على غيره (وهي دخان) أى أمر غلابى عري عن مادتها أو عن الاجزاء المتضخرة التى ركبت هي منها أو دخان مرتفع من الماء كإساق وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليها مما حسبا ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللارض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللارض التى قدر وجودها وجود ما فيها (انثيا) أى كونا واحدا تعالى وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فليا بطريق التنبيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوا أو كرها) تمثيل لتحت تأثير قدرته تعالى فيها واستحالة امتناعها من ذلك لا اثبات الطوع والكراهية وهما مصدران وقما موقع الحال أى طائفتين أو كاهنتين وقوله تعالى (فالتا انثيا طائفتين) أى متفادين تمثيل لثبات تأثيرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولها كأمرا تبه وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع مني عن ذلك والكراهية موم بخلافه وانما قيل طائعتين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقتضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء الجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لأنه فصل مترتب على تكوين أى خلقهن خلقا ابداعيا وأتقن أمرهن حسبا تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثاني (في

يومين) في وقت مقدر يومين وقد بين مقدار زمان خلق الارض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة أيام حسبا نص عليه في مواقع من التنزيل (وأوحى في كل سماء أمورها) عطف على قضاها أى خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنبات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة بالسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالامر مفيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت وأوحى الى أهل كل منها أمره وكلهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بعناؤه ومطلق عن القيد المذكور وأياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخالق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم أنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه البيضة فجعله أرضا واحدة ثم ففها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما بين يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل أن خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله أن أنه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهية الفهر عليه دخان ملتقى بها ثم أصد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رققتان السماء والارض وبسطها مع السماء في سلك الامر بالانثاء انشائها واحدا ثم ابل انشاء دحها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل اتقيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه اثنى بالارض مدحرة قرارا ومهادا لاهلك واثى باسماء مقبلة سقاهم ومعنى الاثاء الحصول على ذلك الوجه كما تنفي عنه قراءة آتيا وآتينا عن المواناة وهي الموافقة وأنت خير بأن المذكور قبل الامر بالانثاء ليس بمجرد خلق جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها أيضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الاولين ويجعل الامر بالانثاء على تكوينها متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شرطية التفسير ويجعل ذلك إشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها وتحمل البعدي اما على أنه قاصر عن الأول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على أنه أدخل في اللازم لما أن المنافع المنوطة بما في الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيلها أكثر وليس ما روى عن الحسن رضى الله عنه نصا في تأخر دحوا الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر باتيانها حينئذ أيضا على ما ذكر من التوافق والمواناة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للترانخي الزامى وأما على تقدير كونها للترانخي



الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك في الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا الآية وانما لم يجعل الخلق هناك على معنى التقدير كما حل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حققة (وزينا الدنيا بمصاييح) من الكواكب فاشيا كلها ترى مثلا ثلثة عليها كأنها في والافات الى نون العظمة لابرار مزيد العناية بالامر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أي وحفظناها من الآفات أو من المسترفة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصاييح زينة وحفظا (ذلك) الذي ذكر بتفصيله (تقدير العزيز العليم) البالغ في القدرة والعلم (فان عرضوا) متصل بقوله تعالى قل أنتم الخ أي فان عرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظام الامور الداعية الى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذركم) أي أنذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المبني عن تحقق المنذر به (صاعقة) أي عذابا عابثا شديدا وقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقت الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (انذاجتكم الرسل) حال من صاعقة عاد ولاسداد لعله ظرا لا أنذركم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جملة صفة لصاعقة عاد أي الكائنات اذ جاتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاتهم أي من جميع جواربهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيمضي الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحقق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجي كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجي أنفسهم فان هردا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل من جاء من بين أيديهم أي من قبلهم ومن مجي من خلفهم أي من بعدهم فكان الرسل قديما وهم وخاطبهم بقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) أي بأن لا تعبدوا على أن أن مصدرية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لو شاء ربنا) أي ارسال الرسل لا انزال الملائكة قال قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيا سلف (لا نزل ملائكة) أي لا رسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لا نزل (فانا بما أرسلتم به) أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم (كافرون) لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روي أن أبا جهل قال في ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو انقسم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسكر فكلهم ثم أنانا بيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسكر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأنما فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فم تفتم آلتنا وتضلنا فان كنت تريد الرئاسة عقدا لك اللوا فكنت رئيسا وان لك بك الباطن ووجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وان كان بك المال جملنا لك ما تبتغي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صابت فغضب ثم قال والله لقد كاتبه فأجابني بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسك بفيه وناشده بالرحم أن يكف وقد علمت أن محمدا اذا قال شيا لم يكذب خفت أن ينزل بك العذاب (فأما عاد فاستكبروا في الارض) شروع في حكاية ما ينقص بكل واحدة من الطائفتين من الجنات والعذاب اثر حكاية ما يعم السكل من العكفر المطلق أي قطعوا فيها على أهلها أو استملوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أي بغير استحقاق التعظيم

والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوي أجسام طرا والخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان يترع الصخرة من الجبل فيقتلعها يده (أولم يروا) أي اغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شعبيا بالمشاهدة والعيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوياً على ما لا يقدر عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادروا إنما أورد في حين الصلة خلقهم دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم (وكانوا يا أيها الناس المنزلة على الرسل) أي يتكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلبهم الشعاء (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي باردة تهلك وتحرق بشدة يردها من الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض أو عاصفة تصورت في هبوبها من الصرير (في أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحسا نقض سعد سدا وقرئ بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر بالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا) وقرئ لنذيقهم على استناد الاذقة الى الريح أو الى الأيام وأضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه (لعذاب الآخرة خزي) وهو في الحقيقة وصف للعذاب وقد وصف به العذاب للبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم يوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فلما نام على الحق نصب الآيات التكوينية وارسل الرسل وانزال الآيات التشريعية وأزجنا عليهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمودا لنصب بفعل يفسر ما بعده ومنافى الخالين وضم ثاء (فاستجوا العبي على الهدى) أي اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب بالغة وأبدلته (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونحن الذين أنتموا وكانوا يتقنون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله) شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم المعجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لنهم والايذان بيلة ما يحجبهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ماسياتي من قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظيمة وضم الضمين وكسرها (الى النار) أي الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها واما لأن حسابهم يكون على شفيعها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمحضر مؤخر قد حذف ايها المقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفون الى النار وقوله تعالى (حتى اذا ما طأها) أي جميعا غاية ليجسر أو ليوزعون أي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم معهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة القروح وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدت على ما كنا نعبد به من الزنا أعظم جناية وقبحا وأجلب الخزي والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح أي سألوها سؤال توبيخ لما روي أنهم قالوا لها فعنك كنا ناضل وفي رواية يبدأ لكن وسحقا عنك



كنت أجدل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود وفي قوله تعالى ﴿قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لوقوعها في موقع السؤال والجواب المخصص بالعقلاء أي أنطقنا الله الذي أنطق كل ناطق وأقودنا على بيان الواقع ففهدنا عليكم بما علمتم بواسطتنا من القبايح وما كتمانها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وليس بذلك لما فيه من إيهام الاضطراب في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حيث لا يسألوننا عن قدرته الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإلى ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشاءكم أولا وعلى اعادة تكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاعه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التغاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوْنَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهة تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشر تكم القواش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الاقتضاح عندهم بل كنتم ساجدين بالبعث والجزاء رأسا ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من القبايح الخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح باعلامه تعالى حيث لا بأنها كانت علما بما شهدت به عند صدورهم عنهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستقرا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيان وقرشيان فقال أحدهم أترى أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان أخفنا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأقول الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حيث لا يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الإنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يجب أن ماله أخذه ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فندبر ﴿وَذَلِكُمْ﴾ إشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان بفاية بعد منزله في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ خبر ان له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأردكم خيرا ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اذ صار ما صنعوا ليل سعادة الدارين سببا لشقا التشاين ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ أي محل ثواب واقامة أبدية لهم بحيث لا يروح لهم منها والانتفات الى الغيبة للإيذان باقتضاه حالهم أن يعرض عنهم ويحكي سوء حالهم لنيرهم أو للاشعار باهدامهم عن حيز الخطاب والقائم في غاية دركات النار ﴿وَأَنْ يَسْتَعْبُوا﴾ أي يسألوا العتي وهو الرجوع الى ما يجونه جزاء ما هم فيه ﴿فَسَأَلَ مِنَ الْمُتَكِبِينَ﴾ المجابين اليها ونظيره قوله تعالى ساء عليا أجر عنا أم صبرا ما لنا من محض وقرى ﴿وَأَنْ يَسْتَعْبُوا﴾ أي ان يسألوا أن يرضوا ربهم فاهم فاعلون لقوات الممكنة ﴿وَقِيضَتْ لَهُمْ﴾ أي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا ﴿قَرْنًا﴾ جمع قرين أي أخذنا من الشياطين يستولون عليهم استيلا القبيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القبيض البدل ومثله المقايضة للعاوضة ﴿فَرِيضًا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قتل ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق مرجعها ومصداقها وهو قوله تعالى لا بليس فالحق والحق أقول لا ملأنا جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملأنا جهم منكم أجمعين كما مر مرارا ﴿فِي أُمَمٍ﴾ حال من الضمير المجزوء أي كاثنين في جملة أمة وقيل في معنى مع وهذا كما ترى صريح في أن

المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد ونمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل ﴿فدخلت﴾ صفة لأسم أي مضت ﴿مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي لا تستصواله ﴿وَالْعَوَا فِيهِ﴾ وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصديق والمكافاة أو أرفعوا أصواتكم بها لتشوشه على القاري وقرى بضم الغين والمعنى واحد يقال لشيء يلقي ثقي يلقي ولما يلغو اذا هذى ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي تغلبونه على قراءته ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي قوا الله لنذيقن هؤلاء القاتنين واللاعين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لا يقادر قدره ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاء سيئات أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ وقيل انه لا يحازهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم يدروا أسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ وقوله تعالى ﴿جزاء أعداء الله﴾ خبره أي ما ذكر من الجزاء جزاء أعداءه تعالى وقوله تعالى ﴿النار﴾ عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ عذوب أي الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها وقوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلَدِ﴾ جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هي خبره أي هي بعينها دار أقامتهم على أن في التجريد وهو أن ينزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكاله فيها كما يقال في البيضة عشرون مناجيد وقيل هي على معناها والمراد أن لهم في النار المشتعلة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون ﴿جزاء بما كانوا ياتون بمحذون﴾ منصوب بفعل مقدر أي يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في قوله تعالى فالت جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وبإياه الأولى متعلقة بجزاء والثانية يجحدون قدمت عليه لمرعاة الفواصل أي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحق أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ يعنون فريق شياطين النوعين المقيضين لهم الحمايين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فأنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرى ﴿أَرْنَا تَخْفِيفًا كَفْخًا فِي نَفْسٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَعْطَاهُمَا وقرى باختلاس كسرة الراء ﴿نَجْمَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ أي ندسهما انتقاما منهما وقيل نجملهما في الدرك الأسفل ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي ذلا ومهانة أو مكانا ﴿أَنْ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيها أي قالوه اعترافا بربوبية الله تعالى وإقرارا بوحدهانيته ﴿ثُمَّ اسْتَغَامُوا﴾ أي ثبتوا على الإقرار ومقتضياته على أن ثم للترافى في الزمان أو في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم في معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء القرائن بيان لجزئياتها ﴿تَتَزَلَّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ من جهة تعالى يمدونهم فيها بما هم من الأمور الدنية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة بغيرهم ما يفيض لهم من قرناء السوء بزيين القبايح وقيل تنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قتلوا من قبورهم وقيل بالبشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والظاهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيمهم عن القنوم على الإطلاق والمعنى أن



الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فمن تذوقه أبدا وأن امامفسرة أو عنيفة من الثقل والاضلال بأنه لا تخافوا ولا  
ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا على أن سال من الملائكة أو استأف (وأبشروا) أي سروا (بالجنة التي  
كنتم توعدون) في الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم في أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم  
في الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم في الدنيا أي أعوانكم في أموركم لم يسلك الحق وشرهكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم  
ولعل ذلك عبارة عما يحيط به من المؤمنين المستعزين على الطاعات من أن ذلك يتوفيق الله تعالى وتأيدته لهم بواسطة  
الملائكة عليهم السلام (وفي الآخرة) تمدكم بالشعاعة وتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرانهم ما يقع  
من التعادى والخصام (ولكم فيها) أي في الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها  
ما تدعون) ما تدعون أفعال من الدعاة بحق الطلب أي تدعون لأنفسكم وهو أنهم من الأول ولستم في الموضوعين  
خير وما مبتدأ فيها حال من ضربه في الخبر وعدم الاكتفاء بطلب ما تدعون على ما تشتهى للأشباع في البشارة  
والإيدان باستقلال كل منهما (ولا من غفور رحيم) حال ما تدعون مفيدة لكون ما تشتهونه بالنسبة إلى ما يعطون  
من عظام الأجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولاً من دعا إلى الله) أي إلى توحيدته تعالى وطاعته . عن ابن  
عباس رضي الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام وعنه أنهم أحببوا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقيل نزلت في المؤذنين والحق أن حكما عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحيدة وإن نزلت فيمن ذكر (وعمل  
صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال أنى من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للإسلام ديناً ونحلة من قولهم هذا  
قول فلان أي منهجه لا أنه تكلم بذلك وقرئ أنى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة  
سقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد أي محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة أسأتهم بالأحسان أي لا تستوى الحسنة  
والسيئة في الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد الثاني وقوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) الخ استئناف  
مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به  
من الحسنات كالأحسان إلى من أساء فانه أحسن من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع  
للبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) بيان  
لتيجة الدفع المأمور به أي فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاك مثل الولي الشقيق (وما يلقاها) أي ما يلقى هذه  
الحسنة والسيئة التي هي مقابلة الإساءة بالأحسان (الذين صبروا) أي شأنهم الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ  
عظيم) من الخير وكال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت في أبي سفيان ابن حرب وكان  
مؤذبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافيا (وأما يترغنا من الشيطان نزغ) النزغ والتسبب بمعنى  
وهو شبه النفس شبه به وسوسة الشيطان لأنها بعث على الشر وجعل نازعا على طريقة جدجده وأريد وأما يترغنا  
نازع وصفا للشيطان بالمصدر أي وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستبد بالله)  
من شره ولا تطلع (أنه هو السميع) باستأذانك (العليم) بنبئك أو بصلاحتك وفي جعل ترك الدفع بالأحسن  
من آثار نزغات الشيطان مز يد تحذير وتغيير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار  
والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مستخر لأمره (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنهما من جملة  
مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذي خلقهن) الضمير للاربعة لأن حكم جماعة مالا يعقل حكم

الانثى أو الاناث أو لانها عبارة عن الآيات وتعلق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للإيدان  
بكل سقوطها عن رتبة المسجودية تغلظها في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم  
الكل في سلك آياته تعالى (إن كنتم إياه تعبدون) فإن السجود أقصى مراتب العباد فلا بد من تخصيصه به  
سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى (فإن استكبروا)  
عن الامتثال (فالذين عند ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أي دائماً (وهم لا يسأمون)  
لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون بكسر الهمزة (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) بآية متطامنة  
مستعارة من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا أنزلنا عليها الماء) أي المطر (اهتزت وربت) أي تحركت بالنبات  
واضفحت لأن النبات إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانفتحت ثم تصدعت عن النبات وقيل ترعرت بالنبات  
وقرئ ربات أي ارتفعت (إن الذي أحياها) بماء كريمة موتها (نحي الموتى) بالبعث (أنه على كل شيء)  
من الأشياء التي من جملتها الأحياء (قدير) مبالغ في القدرة (إن الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرئ  
يلحدون (في آياتنا) بالطن فيها ونحوها يحملها على المحامل الباطلة (لا يخفون علينا) فجاز بهم بالمخادهم  
وقوله تعالى (أفمن ينفي في النار خير أم من يأتي أمسا يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ما شئتم)  
من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الألفاء في النار والأتان آمنا وفيه تهديد شديد (أنه بما تعملون بصير)  
فيجاز بكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بلك من قوله تعالى إن الذين يلحدون  
الخ وخبر أن هو الخبر السابق وقيل عتأف وخبرها محذوف وقال الكسائي سد مسده الخبر السابق والذكر  
القرآن وقوله تعالى (وأنه لكتاب عزيز) أي كثير المنافع عديم النظر أو منيع لا تتأق معارضته جملة حالبة  
مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يتطرق إليه الباطل  
من جهتين الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب  
مفيدة لفخامته الإضافية كأن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز  
تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تنبيه  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أي ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة  
كفار قومك (الا ما قد قيل للرسول من قبلك) أي الا مثل ما قد قيل في حقهم بما لا خفيه (إن ربك  
لدومغفرة) لأنبيائه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل واتهم من أعدائهم وسيفعل  
مثل ذلك بك وبأعدائك أيضا (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر  
(أفأولوا فصلت آياته) أي بينت بلسان نطقه وقوله تعالى (أعجمي وعربي) انكار مقر للتحضيض والأعجمي  
بقال لكلام لا يفهم وللتكلم به والياء للبالغة في الوصف كآخري والمعنى أكلام أعجمي ورسول أو مرسل إليه عرق  
على أن الأفراد مع كون المرسل إليهم أمة جملة لمسان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا يان كون  
المخاطب واحداً وجمعاً وقرئ أعجمي أي أكلام منسوبة إلى أمة العجم وقرئ أعجمي على الاخبار بأن القرآن أعجمي والمتكلم  
والمخاطب عربي ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لفهام العجم وبعضها عربياً لفهام العرب وأما  
كان فالقصد بيان أن آيات الله تعالى على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها معتنياً يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى)  
يهدىهم إلى الحق (وشفا) لما في الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (في آذانهم وقر)



على أن التقدير هو أى القرآن في آذانهم وقر على أن وقر خبر الضمير المقدرو في آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى ﴿وهو عليهم عسى﴾ وقيل خبر الموصول في آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن يجوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر في آذانهم ﴿أولئك﴾ إشارة إلى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حين صلته وملاحظته ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للإيدان ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التمام عن الحق الذى يسمعون به والتمسك عن الآيات الظاهر فالتى يشاهدونها ﴿ينادون من مكان بعيد﴾ تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للام غير مختص بقوسك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أى والله لقد آتينا التوراة فاختلف فيها فمن صدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في حق أمك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة معدهم بقوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ﴿لتقتل بينهم﴾ باستئصال المكذبين كما فعل بكذبى الأمم السالفة ﴿وانهم﴾ أى كفار قومك ﴿لننشق من ربك﴾ أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثاني للتوراة مما لا وجه له ﴿من عمل صالحا﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها ﴿فلنفسه﴾ أى فلنفسه يعمل أو ففعله لنفسه لا لغيره ﴿ومن أساء فعلها﴾ ضرره لا على غيره ﴿ومار بك بظلام للعبيد﴾ اعتراض بتدليل مقرر لمضمون ما قبله معنى على تنزيل ترك آتية الحسن بعمله أو آتية الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير أسامة أو بأسامة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الأنفال ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ أى إذا سئل عنها يقال الله يعلم أو لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿وماتخرج من ثمرات من أكمامها﴾ أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كحشف الطلمة وقرئ من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرئ بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتال أن تكون ما ووصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد ﴿وماتحمل من أثني ولا تضع﴾ أى حملها وقوله تعالى ﴿الا يعلم﴾ استثناء مفرغ من أهم الأحوال أى وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملايس شيء من الأشياء إلا ملايسا بجله المحيط ﴿ويوم يناديهم أين شركائى﴾ أى برحمتكم كائن على قوله تعالى نادوا شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقرير لهم ويوم منصوب بأذكر أو ظرف لمضمير مؤخر قد ترك إذا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ﴿قالوا أدناك﴾ أى أخبرناك ﴿عاشنا من شيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما لنا أحد إلا وهو موحداك أو ما لنا من أحد يشهد لهم لأنهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى ما لنا من شهد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم أدناك أما لأن هذا التوبيخ مسوق بتوبيخ آخر يجاب بهذا الجواب أو لأن معناه أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا ننشد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكانهم أعلنوه أو لأن معناه الإنشاء لا الأخبار بإيدان قد كان قبل ذلك ﴿وضل عنهم ما كانوا يمدعون﴾ أى يعبدون ﴿من قبل﴾ أى غابوا عنهم وأظهر عدم تفهمهم فكان حضورهم كغيبتهم ﴿وظنوا﴾ أى أيقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب والظن معلق عنه بحرف التثنية ﴿لا يسأم الإنسان﴾

أى لا يمل ولا يفتقر ﴿من دعا الخير﴾ من طلب السعة في النعمة وأسباب المعيشة وقرئ من دعا بالخير ﴿وان منه الشر﴾ أى العسر والعنيفة ﴿فوقوس قوط﴾ فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرد يظهر أثره في الشخص فيضال ويتكسر أى مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفرادها لما أن اليأس من رحمة تعالى لا يتأق إلا من الكافر وسيصرح به ﴿ولئن أذنا رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ بغير مجها عنه ﴿ليقولن هذا لى﴾ أى حتى استحقه لما لى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى فلا يزال على أبدا ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أى تقوم فيها سائى ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ على تقدير قيامها ﴿ان لى عندة الحسنى﴾ أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لا اعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لا يستحقاقه وأن نعم الآخرة كذلك ﴿فلندين الذين كفروا بما عملوا﴾ أى لنعلمهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناهم بصورها الحقيقية وقدر تحقيقه في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما نبيكم على أنفسكم من سورة يونس ﴿ولندينهم من عذاب غليظ﴾ لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه ﴿واذا أنصنا على الإنسان أعرض﴾ أى عن الشكر ﴿ونأى بجانبه﴾ أى ذهب بنفسه وتباعد بكنيته تكبرا وتعظا والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار إذا قالوا لى عطفه وتولى ركنه ﴿واذا منه الشر فندعوا عريض﴾ أى كثير مستعرا بما له عرض متسع للاشعار بكثرة واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذا الطول أطول لا متدادين فإذا كان عرضه كذلك فساظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل في بعض الأوقات ﴿قل أرأيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كان﴾ أى القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾ مع تعاضد موجبات الإيمان به ﴿من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليل لما يرد ضلالهم ﴿سرىهم آياتنا﴾ الدالة على حقيقته وكونه من عند الله ﴿فى الآفاق﴾ هو ما أخبرهم به التى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشار والمغارب على وجه غارق العادة ﴿وفى أنفسهم﴾ هو ما ظهر في أبن أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم بدر وقال بجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يرتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والانهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الاجته فى خلقات الارحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن إرادة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلمعهم على تلك الآيات زما نافر مانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما ﴿حتى يدين لهم﴾ بذلك ﴿أنه الحق﴾ أى القرآن أو الاسلام والتوحيد ﴿أولم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتريخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المخرج إلى إرادة الآيات وعدم كفافهم بأخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدور يقتضيه المقام أى ألم يغنى ولم يكف ربك والبيا مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزداد الا مع كفى وقوله تعالى ﴿أنه على كل شيء شهيد﴾ بدل منه أى ألم يغنىهم عن إرادة الآيات الموعودة المينة لحقبة القرآن ولم يكشفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيروته ويشاهدونه فيقبنون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم



الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فكيفهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولولم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حامد هذه النصرة فقامل وأما ما قيل من أن المعنى أو لم يكنك أنه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يلىق بحللة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود به قوله تعالى ﴿ألا انهم في مريضة لقامرهم﴾ أى فى شك عظيم من ذلك بالبحث والجزاء فانه صريح فى أن عدم الكفالية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرة بالضم وهو لغة فيها ﴿ألا انه بكل شئ محيط﴾ عالم بجميع الأشياء جملها وتفصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو يجازيهم على كفرهم ومريتهم بالاعتلاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنة والله أعلم

سورة حم عسق وتسمى الشورى  
(مكية وهي ثلاث وخمسون آية)  
(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿حم عسق﴾ اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الجوامع وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران مبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى ﴿كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ كلام مستأنف واردة لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق أو أن إيجامها مثل إيجائها بعد تنويعها بذكر اسمها والتنبية على غماسة شأنها والكافى فى حين النصب على أنه مفعول يوحى على الاول وعلى أنه نعمت لمصدر مؤكده على الثانى وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثانى الى إيجائها وما فيها من معنى البعد للايدان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما يشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل إيجائها أوحى اليك عند إيجاء سائر السور والى سائر الرسل عند إيجاء كتبهم اليهم لا إيجاء مغاير له كما فى قوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايدان باستمرار الوحي وأن إيجاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو إيجائها مشبها من تفخيمها بالانقي وكذا فى وصفه تعالى بوصف العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة القواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المستند الى ضميره أو مصدر ويوحى مستند الى اليك والله قد رفع بمبادل عليه يوحى كأنه قبل من يوحى فيقبل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم﴾ خبران له وعلى الوجه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته ﴿تكاد السموات﴾ وقرئ بالياء ﴿يتفطرن﴾ يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعا الولد كما فى سورة مريم وقرئ يتفطرن والاول ابلغ لأنه مجاوع فطر وهذا مجاوع فطر وقرئ تفطرن بالياء لتأكيد التأنيث وهو نادر ﴿من فوقهن﴾ أى يبتدأ التفطر من جهتهن فوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدلىها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى

للدلالة على التفطر من تحتين بالطريق الاول لأن تلك الكلمة الشعاء الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة القوق فلا توتر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ يزهونه تعالى عمالا يلقى به ملتزمين بحمده ﴿ويستغفرون لمن فى الارض﴾ بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والاطعام وترتيب الأسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا فى إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمنين والكافرين بل لوفسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجساد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فامرأته الشفاعة ﴿ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ انما من مخلوق الاول حفظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بأن لكل تقديسه عما نسب اليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففهم ربه الى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويريدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ شركاء وأندادا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بموكل بهم أو بموكل اليه أمرهم وانما وظيفتك الانذار ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾ ذلك اشارة الى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرأنا عربيا مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الإيجاء البديع البين المقهم أوحينا اليك قرآنا عربيا لا ليس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحافظ عليهم وانما أنت نذير لحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرأنا عربيا حال من المفعول به أى أوحينا اليك وهو قرآن عربى بين ﴿لنتذم القرى﴾ أى أهلها وهى مكة ﴿ومن حولها﴾ من العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلاق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار بتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالياء وقد حذف هنا ثانى مفعولى الاول وأول مفعولى الثانى للتحويل وإيها التعميم وقرئ لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن ﴿لاريب فيه﴾ اعتراض مقرر لما قبله ﴿فريق فى الجنة وفريق فى السور﴾ أى يمد جمعهم فى الموقف فانهم يجمعون فيه أو لا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير لدمجوعين لدلالة الجمع عليه وقرئنا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾ أى فى الدنيا ﴿أمة واحدة﴾ قبل مبتدئين أو ضاين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فعنى قوله تعالى ﴿ولكن يدخل من يشاء﴾ أى الله تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئة تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيها فلهما فم يشأ جعل الكل أمة واحدة قبل جعلهم فريقين وانما قيل ﴿والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير﴾ للايدان بأن الادخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهة تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شاءنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة تقسم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خير بأن فرض جعل الكل مؤمنين بأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذا كل حيث قد ادخلوا فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه



سابق النظم الكريم وسابقه أن يراد الاتحاد في الكفر كما في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجين بأن يراد بهم الذين هم في فترة ادريس أو في فترة نوح عليهما السلام فلهي ولو شاء الله لجمعهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته أي شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوقتهم الله للإيمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتأدون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنبا على ما هم عليه من الكفر ويصرفون في الآخرة إلى السعير من غير أن يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولي أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للاتصال بين ما قبلها إلى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أبغ وجه وأكده لانكار الواقع واستقباحه كما قيل إذا المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر المستعانت أي بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيئات وقوله تعالى (فإنه هو الولي) جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء أن أرادوا وليا في الحقيقة فإنه هو الولي لا ولي سواه (وهو يحيي الموتى) أي ومن شأنه ذلك (وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية أقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي وما اختلفتم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (لعلكم) راجع (إلى الله) وهو أئابة المحققين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربى) مالك (عليه توكلت) في جماع أمور خاصة لأعلى غيره (والله أئيب) أرجع في كل ما بين لي من فضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا استمرر والالابة متعددة متجددة حسب تجديد مواعدا أو في الأول صيغة الماضي وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتصاحوا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومته غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فأرجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمرارة الروح ولا مسامح لعل هذا على الاجتهاد لعدم جواز محضرة الرسول عليه الصلاة والسلام (فاطر السموات والأرض) خير آخر لذلك أو خير لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خيره (جعل لكم) وقرى بالجاء على أنه يدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجاً) نساء وتقديم الجاء والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة (ومن الأنعام) أي وجعل للأنعام من جنسها (أزواجاً) أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً أو ذكورا وإناثاً (ينذروكم) بكثرهم من الذر وهو البث وفي معناه الذر والذر (فيه) أي فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثل شيء) أي ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جعلها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عن نفسه كان نفيه عنه أولى ثم سلك هذه الطريقة في شأن من لا مثله له وقيل مثله صفة أي ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويصير (له مقاليد السموات والأرض) أي خزانتهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مصلحته المؤسسة على الحكم البالغة (أنه بكل شيء عليم) مبالغ في

الاحاطة به فيفعل كل ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتحميد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وإيدان بأن ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل والخطاب لأئمة عليه الصلاة والسلام أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من آرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولأئمة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى في حق عيسى عليه السلام والأما من نبى الأوهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لا يخالف باختلاف الأسماء وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبغي عنه التوضيح فإنها معرفة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحاؤه إليه عليه الصلاة والسلام إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو ما يعينها وغيرهما ما وقع في سائر المواقع التي من جعلها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما الحكم الله واحد وغير ذلك والتعبر عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيفية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوضيح لرعاة ما وقع في الآيات المذكورة وما في الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة والاتفات إلى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بإيحاؤه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً وتقدم توصية نوح عليه السلام للسرعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح للتشريف والتبني على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (أن أقيموا الدين) أي دين الاسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد بأقامته تعديل أركانها وحفظه من أن يقع فيه زيف أو المواجهة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا إنما نصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إيهام المشروع كونه قيل وما ذلك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضميره وليس بذلك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى التي عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى (ولا تفرقوا فيه) للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي إلى أنهم يحمل ظاهر مع أن أظهر أنه متوجه إلى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المنفردون كما استحيط به خبراً أي لا تفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأسماء باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أي عظم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبدعوه حيث قالوا أجعل الآلهة الها واحداً إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله ينجي إليه من يشاء) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشاراً بأن منهم من يجب إلى الدعوة أي الله يجلب إلى ماتدعوهم إليه من يشاء أن يجتهد إليه وهو من صرف اختياره إلى ما دعى إليه كما ينبغي عنه قوله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) أي يقبل إليه حيث يمه بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى (وماتفرقوا) شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة أي وماتفرقوا في الدين الذي دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (الامن بعد



ما جاءهم العلم بحقيقته بما شاهدوا فرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقيقة حسبا وجدوى في كتابهم أو العلم ببعثته عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الاوقات أي وما تفرقوا في حال من الأحوال أو في وقت من الاوقات الاحال محي العلم أو الا وقت محي العلم **﴿بينا بينهم﴾** وحمة وطلبا للرياسة لا لأن لهم في ذلك شبهة **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾** وهي العدة بتأخير العقوبة **﴿إلى أجل مسمى﴾** هو يوم القيامة **﴿لقضى بينهم﴾** لا وقع القضاء بينهم باستصلحهم لاستيجاب جناباتهم لذلك قطعا وقوله تعالى **﴿وان الذين أورتوا الكتاب من بعدهم﴾** الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرى ورتوا وورثوا أي وان المشركين الذين أورتوا القرآن من بعد ما ورث أهل الكتاب كتابهم **﴿لني شك منه﴾** من القرآن **﴿مريب﴾** موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لحض البنى والمكابر بعد ما علموا بحقيقته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لأسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيا مع علمهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فبرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما هلك الله تعالى أهل الأرض بالظلم فان فاما مات الآباء اختلف الابناء فيا بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم فان مشاهير الامم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار واما حال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع هؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيذا لوجوب اقامته وتشديدا للوجز عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوم الاحلال بذلك المرام **﴿فلذلك﴾** أي فلا جل ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلا جل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيقي بأن يتنافس فيه المتنافسون **﴿فادع﴾** أي الناس كافة الى اتامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ما ذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهي عن التفرق حتى تروهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما في قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي فالى ذلك الدين فادع **﴿واستمع﴾** عليه وعلى الدعوة اليه **﴿كما أمرت﴾** وأوحى اليك **﴿ولا تتبع أهوامهم﴾** الباطلة **﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾** أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها في عامة سورة البقرة **﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾** في تبليغ الشرائع والاحكام وفضل التقاضيا عند المحاكاة والخصام وقيل معناه لا سوى بيني وبينكم ولا آمركم بما لا أعلمه ولا أخالفكم الى ما أنكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أي أمرت أن أعدل والباء محذوفة **﴿الله ربنا وربكم﴾** أي خالفنا جميعا ومثولى أمورنا **﴿لنا أعمالك﴾** لا نتخطا نجزاؤها ثوبا كان أو عقابا **﴿ولكن أعمالك﴾** لا نجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم وتضررو بسيئاتكم **﴿لا حاجة بيننا وبينكم﴾** أي لا حاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق الحاجة حاجة ولا للخافاة محل سوى المكابرة **﴿الله يجمع بيننا﴾** يوم القيامة **﴿والله المصير﴾** فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كاترى محاجة في مواقف المجاورة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال **﴿والذين يحاجون في الله﴾**

أي في دينه **﴿من بعد ما استجيب له﴾** من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقرؤا بنبوته عليه الصلاة والسلام واستفتحوا به قبل بعثته عليه الصلاة والسلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونفتا قبل نفيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق **﴿حجبتهم داخضة عند ربهم﴾** زائلة زائلة باطلة بل لا حاجة لهم أصلا وانما غير عن أباطيلهم بالحجة مجازاة معهم على زعمهم الباطل **﴿وعليهم غضب﴾** عظيم لمساكرتهم الحق بعد ظهوره **﴿ولهم عذاب شديد﴾** لا يقادر قدره **﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾** أي جنس الكتاب **﴿بالحق﴾** ملتصبا به في أحكامه وأخباره أو بما عبق انزاله من العقائد والاحكام **﴿والميزان﴾** والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن **﴿وما يدريك﴾** أي أي شيء يملك عالما **﴿لعل الساعة﴾** التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق **﴿قريب﴾** أي شيء قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الاتيان فأنع الكتاب واعمل به واطلب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال ويوزن جزاؤها **﴿يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها﴾** استعمال انكار واستنراء كانوا يقولون حتى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه **﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾** خائفون منها مع اعتنا بها لتوقع الثواب **﴿ويعلمون أنها الحق﴾** أي الكائن لا محالة **﴿ألان الذين يسارعون في الساعة﴾** يجادلون فيها من المرة أو من مررت الناقة اذا مسحت خرعها بشدة للحبل لأن كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة **﴿لني ضلال بعيد﴾** عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمخسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراه أبعد وأبعد **﴿الله لطيف بعباده﴾** أي بر بليغ البر بهم فيفيض عليهم من غنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون **﴿يرزق من يشاء﴾** أن يرزقه كيف يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبذبة على الحكم البالغة **﴿وهو القوى﴾** الباهر القدرة الغالب على كل شيء **﴿العزيز﴾** المنيع الذي لا يغلب **﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾** الحرث في الاصل القاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبذبة على تشبيهها بالغلل الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذر رأى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة **﴿تزدله في حرثه﴾** تضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فافوقها **﴿ومن كان يريد﴾** بأعماله **﴿حرث الدنيا﴾** وهو متاعها وطيباتها **﴿تؤنه منها﴾** أي شأ منها حبا قسما له لا ما يريد به ويتغنى **﴿وبالله في الآخرة من نصيب﴾** اذ كانت همه مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الاسراء **﴿أم لهم شرطا﴾** أي بل ألم شركا من الشياطين والهمزة للقرير والتقرير **﴿شرعوا لهم﴾** بالتسويل **﴿من الدين ما لم يأذن به الله﴾** كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركا وهم أو ثائهم واضافتها اليهم لأنهم الذين جعلوها شركا لله تعالى واسناد الشرع اليها لأنها سبب ضلالتهم واقتنائهم كقوله تعالى انهم أضلن كثيرا أو تمايل من سن الضلالة لهم **﴿ولولا كلمة الفصل﴾** أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة **﴿لقضى بينهم﴾** أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم **﴿وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾** وقرى بالفصح عطفنا على كلمة الفصل أي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضى بينهم في الدنيا فان العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة **﴿ترى الظالمين﴾** يوم القيامة والمحطاب لكل أحد من يصلح له للتصديق أن سوء حالهم غير مختص برقية را دون را **﴿مشفقين﴾**



خائفين ﴿مما كسبوا﴾ من السيئات ﴿وهو واقع بهم﴾ أى وواقع بهم لاجل ما شفقوا أو لم يشفقوا واجلته حال من ضمير مشفقين أو اعتراض ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات﴾ مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها ﴿لم يمشوا عند ربهم﴾ أى ما يشتهونه من فزون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل ظرف ليشاؤون ﴿ذلك﴾ إشارة الى ما ذكره من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للإيدان بعد منزلة المشار اليه ﴿هو الفضل الكبير﴾ الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿ذلك﴾ الفضل الكبير هو ﴿الذى يبشر الله عباده﴾ أى يبشرهم به لحذف الجارثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهكذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقرئ يبشر من أبشر ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ روى أنه اجتمع المشركون في مجمع لم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أى لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ والبشارة ﴿أجرا﴾ فنعما ﴿الا المودة في القربى﴾ أى الا أن تودوني لقرباى منكم أو تودوا أهل قرايى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة في القربى حال منها أى الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة والقربى صدر كالزنى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيته وآذاني في عترتي ومن أخطع صنعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يحمازه فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وقيل القربى التقرب الى الله أى الا أن تودوا الله ورسوله في تقر بكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الامودة في القربى ﴿ومن يقرف حسنة﴾ أى يكتسب أى حسنة كانت فتناول مودة في القربى تناول اوليا وعن السدى أنها المودة وقيل نزلت في الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم ﴿تزد له فيها﴾ أى في الحسنة ﴿حسنة﴾ بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أى يزد الله وقرئ حسنى ﴿ان الله غفور﴾ لمن أذنب ﴿شكور﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذبا﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الحسنة للانكار التوبيخ كما أنه قيل أيتناكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو الى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو أعظم القربى وأغنىها وقوله تعالى ﴿فان يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهد على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لثمنه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضروره منه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنه وان يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تتعلق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حينما لحظنا تبين أنه من عند الله تعالى وهذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المخترم على قلوبهم فانه لا يختم على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول في جملة المخترم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذامه ﴿ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾ استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينفي عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يحمو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه فكقوله تعالى بل نقذف بالحق

على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يحمو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرتة عليهم ﴿انه علم بذات الصدور﴾ فيجرى عليها أحكامها اللاتقة بها من الحو والالابات ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده﴾ التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالتندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبدا وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلوة المعصية والكل بدل كل تخلك تخلكته ﴿وبغفر عن السيئات﴾ صغرها وكبرها لمن يشاء ﴿ويعلم ما يفعلون﴾ كائننا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبا تقتضيه مشيئته المينة على الحكم والمصالح وقرئ ما يفعلون بالثاء ﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى يستجيب الله لهم لحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فاما كدعا وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن آدم أنه قيل له ما بالندعو فلا يجاب قال لأنه دعاءكم ولم يجبهو ثم قرأ الله يدعو الى دار السلام ﴿ويزيدهم من فضله﴾ على ما سألو واستحقوا بموجب الوعد ﴿والكافرون لهم عذاب شديد﴾ بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض﴾ لتكبروا وأفسدوا فيها بنظرا أو لعل بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجلة البشرية وأصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيها يتجرى من حيث السكية أو الكيفية ﴿ولكن ينزل بقدر﴾ أى بتقدير ﴿ما يشاء﴾ أن ينزله بما تقتضيه مشيئته ﴿انه يعاده خير بصير﴾ محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقتض حسبنا تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم جميعا لحكروا وروى أن أهل الصفة تنموا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجذبوا اتجمعوا ﴿وهو الذى ينزل الغيث﴾ أى المطر الذى ينهمش من الجذب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال ﴿من بعد ما قطروا﴾ ينسوا منه وتقيده تنزله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون ﴿وينشر رحمته﴾ أى بركات الغيث ومنافعه في كل شئ من السهل والجليل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا ﴿وهو الولي﴾ الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة ﴿الحديد﴾ المستحق للحمد على ذلك لاغيره ﴿ومن آياته خلق السموات والارض﴾ على ما هما عليه من تعاجيب الصانع فاتها بذاتها وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة ﴿وما بث فيها﴾ عطف على السموات أو الخلق ﴿من دابة﴾ من حى على اطلاق اسم المسبب على السبب أو ما دب على الارض فان ما يختص بأحد الشئين المتجاوزين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام معنى مع الطيران فيوصفوا باليدبين وأن يخلق الله في السما حيوانا يمشون فيها معنى الاناسى على الارض كما ينفي عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السما السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية أروال بين ركين وأخلافين كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم ﴿وهو



على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للحساب وقوله تعالى (إذا يشاء) متعلق بما قبله لا يقوله تعالى (قد رآه) فان التقيد بالحيثية جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فيا كسيت أيديكم) أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها اكتفا بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما أصاب غيرهم لاسباب أخرى منها تعرضه للثواب بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الارض) فأتين ما قضى عليكم من المصائب وان هربتم من أخطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولى) بحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوارى) السفن الجارية (فى البحر) وقرئ الجوارى (كأعلام) أى كالجبال على الإطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة (ان يشأ يسكن الريح) التى تحركها وقرئ الرياح (فيظللن رواكد على ظهروه) فيضين ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلاً (ان فى ذلك) الذى ذكر من السفن اللاتى يهجرن تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (الآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شؤنه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي وكل همت بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فاته الايمان تصفه صبراً وتصفه شكر (أو يفتنن ما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرق بعضها ويقطع الايباق عليها مع أنه حال أهلن للبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى (ويعفو عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوق ناساً وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل ليتنقم منهم ويعلم الخ كما فى قوله تعالى ولجعلناه آية للناس وقوله ولجعلناه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف والجزم عطفاً على يعفو فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم (ما لهم من محص) أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتهم من شئ) مما غفروا وتناقصون فيه (فتنازع الحياة الدنيا) أى فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتاً خالوص نفعه (وأبقي) زماناً حيث لا يزول ولا يفتى (الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لاعلى غيره أحسلاً والموصول الاول لما كان متضمناً لمعنى الشرط من حيث ان آيات ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصديق أبو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فزلت وقوله تعالى (والذين يمتنون بكابر الأثم) أى الكبار من هذا الجنس (والفواحش) واذا ما غصروهم يغفرون) مع ما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبراً له للدلالة على أنهم الاخفاء بالمغفرة حال الغضب لعمدة مناهلهم وقرئ كبر الأثم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبر الأثم الشرك (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة) نزل فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يشاوروا ويحتملوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزمهم أمر اجتمعوا وتشاوروا (وما رزقناهم نفاقون) أى فى سبيل الخير ولعل فضله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أى ينتقمون من بغي عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بإثامهم الفاضلات وهذا لا ينافى وصفهم بالفنار فان كلا منهما

فضيلة محمود فى موقع نفسه ورذيلة مذمومة فى موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعورا الكرام محمود وعن المتغلب ولغوا الثام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال  
اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا  
فوضع اللئيم فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع اللئيم  
وقوله تعالى (وجزا ميسرة مثلاً) بيان لوجه كون الانتصار من الخصم لا الخيد مع كونه فى نفسه اسامة الى الغير بالاشارة الى أن البادى هو الذى فعله نفسه فان الافعال مستتعة لأجرها حتى ان خيرها غير وان شرها غير وفيه تنبيه على حرمة التعدى واطلاق السيرة على الثانية لانها تسو من زلت به (فمن عفا) عن المسى اليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والاعضاء كما فى قوله تعالى فاذا الذى يبتك ويته عداوة كأنه ولى جميع (فأجره على الله) عطفه منته عن عظم شأن الموعود ووجه من الحد المعهود (انه لا يحب الظالمين) البادئين بالسيرة والمتعدين فى الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ما ظلم وقد قرئ به (فأولئك) اشارة الى من باختيار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ما عليهم من سبيل) بالمعاقبة أو المعاقبة (أما السبيل على الذين يظلمون الناس) يتدنونهم بالاضرار أو يعدون فى الانتقام (ويجرون فى الارض غير الحق) أى يتكبرون فيها تجبر اوفساداً (وأولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي غير الحق (لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وعف) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه خفف ثقة بعبادة طهوره كما فى قوله السمن من انهم وهدا فى المواد التى لا يؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه (ومن يظلل الله فساله من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانته تعالى ياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل الى مرد) أى الى رجعة الى الدنيا (من سبيل) حتى يؤمن ونعمل صالحاً (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار المداول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضوعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين متضائلين مدهام (ينظرون من طرف خفي) أى يبتدى نظره الى السار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا ان الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعرض للعذاب الخالد (يوم القيامة) اما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقول فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى (الان الظالمين فى عذاب مقيم) اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كانت لهم من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسباً كانوا يرجون ذلك فى الدنيا (ومن يظلل الله فساله من سبيل) يؤدى سلوكه الى النجاة (استجيبوا الربكم) اذا دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى لا يرد الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده (مالك من ملجأ يومئذ) أى من تلجئون اليه (ومالك من تكبر) أى انكار لما اقترضوه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفلاً) تلون للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوه اليه فما أرسلناك رقباً ومحاسبا عليهم (أعذبك الا البلاغ) وقد فعلت (وانا اذا أنذنا الانسان منارحة) أى نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها) أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى (وان تصبهم سيئة) أى بلا



من مرضى وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) يبلغ الكفر ينفي النعمة رأساً ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واستناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيها بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى إذا ما استناد الإضافة إلى نون العظمة للثنية على أن اتصال النعمة بحقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن واستناد الإضافة إلى السببية وتعليلها بأعمالهم اللاذن بندرة وقوعها وأنها معمول عن الانتظام في سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لأنه ملك السموات والأرض) فمن قضيت أنه ملك التصرف فيها وفي كل ما فيها كيف يشاء ومن جعلته أن يقسم النعمة والبلية حسب ربه (خلق ما يشاء) مما تعلمه وما لا تعلمه (حب لمن يشاء أنانا) من الأولاد (وحب لمن يشاء الذكور) منهم من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد (أو يزوجه) أي يقرن بين الصنفين فبهما جميعاً (ذكرنا وإنا أنانا) قالوا معنى يزوجه أن تلد غلاماً ثم جارية أو جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً أو أنثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيلاً) والمعنى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فمن فيهم لبعضها صنف واحد من ذكر أو أنثى وأما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الانثى لأنها أكثر لكثير النسل أو لأن مآق الآلة للدلالة على أن الواقع ما تتعاقب به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والآنثى كذلك أو لأن الكلام في البلا والعب والعرب تمدن أعظم البلايا أو لتطبيب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرّف الذكور أو لجبر التأخير وتفسير العاطف في الثالث لأنه قسم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه في الرابع لأصاحبه بأنه قسم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعب ولوط إناثاً ولأبراهيم ذكوراً ولنبي صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً وجعل يحيى وعيسى عقيمين (أنه علم قدير) مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) أي وما صح لفرد من أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الواحي) أي إلا بأن يوحى إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عليه السلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يصر السامع من بكلمته وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فإنه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولا) أي ملكاً (في رحي) ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري (بإذنه) أي بأمره تعالى وتوسيره (ما يشاء) أن يوحى إليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الأوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعاً والتقدير وما صح أن يكلم إلا موحياً أو مسماً من وراء حجاب أو مرسلاً وقرئ أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروى أن اليهود قالت للتي عليه الصلاة والسلام ألا تكلم الله ونظر إليه أن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فأنان توأمين حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام إلى الله تعالى فزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضي الله عنها أو لم تسمعوا ربكم يقول فقلت هذه الآية (أنه على) معمال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفارقة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجود المذكورة (حكيم) يجري أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة

وأخرى بدونها أما الخطاب (وكذلك) أي ومثل ذلك الإيماء البديع (أو حينئذ يك روحاً من أمرنا) هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى إيماءه إليه عليهما السلام إرساله إليه بالرحي (ما كنت تدري) قبل الوحي (ما الكتاب) أي أي شيء هو (ولا الإيمان) أي الإيمان بتفاصيل ما في تخفيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدى إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درابته عليه الصلاة والسلام له محال لا ريب فيه قطعاً (ولكن جعلناه) أي الروح الذي أوحيناه إليك (نورا نهدى بمن نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذي يصرف اختياره نحو الاعتقاد به وقوله تعالى (وانك لنهتدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفية ما فعل لهدى عذوق ثقة بغاية الظهور رأى وانك لنهتدى بذلك النور من نشاء هدايته (إلى صراط مستقيم) هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ لنهتدى أي ليهتدك الله وقرئ لنندع (صراط الله) بدل من الأول وإضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى (الذي له ما في السموات وما في الأرض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيده وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيها من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً مما يوجب ذلك أتم إيجاب (ألا إلى الله تصير الأمور) أي أمور ما فيها فاعلمة لا لغيره ففيه من الوعد للبهدين إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون

## سورة الزخرف

(مكية وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا وآنهاتع وشانوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سم) الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسماً للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك محل بجزالة نظم الكريم (والكتاب) بالجر على أنه مقسم به أما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجزوراً بأضرباً القسم على أن مدار العطف المتأخر في العنوان ونباط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أي البين لمن أنزل عليهم كونه بلغتهم وعلى أساليبهم والمبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة (اناجعلناهم آناً عربياً) جواب القسم لكن لا على أن مرجع التأكيده جعله كذلك كما قيل بل ما هو غاية التي يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فأن الحاجة إلى التحقيق والتأكد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعذارهم أي جعلنا ذلك الكتاب قرأنا عربياً لكي يفهموه ويحيطوا بما فيه من النظم الرائع والمعنى الفائق وتفقهوا على ما تضمنته من الشواهد الناطقة بخبر وجهه عن طرق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتقطع أعذاركم بالكلفة (وانه في أم الكتاب) أي في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السبوية وقرئ أم الكتاب بالكسر (لدينا) أي عندنا (لعل) رفع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أعظم حكم ومها خبران لأن وما بينهما بيان لحل الحكم كانه قيل بعد بيان اقتضاه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب ولدينا والجملة ما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها في الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيدان بأنه من علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه إلى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث الاقسام به كما أنه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز إلى أنه لا يخطر بالبال عدد ذكركم شيء آخر أولى منه بالاقسام به وأما استأنفة



مقررة لعل شأنه الذي أنبأ عنه الإقسام به على مناجاة الاعتراض في قوله تعالى وأنه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بوجبه عقب ذلك بانكار أن يكون الأمر بخلافه فقول **﴿أفغضب عنكم الذكر﴾** أي تنجيه وبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغراب عن الخوض وفيه إشعار باقتضا الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهاقت عليهم والفاء للمطف على محذوف يقتضيه المقام أي أنه لم يكن فنعى الذكر عنكم **﴿صفحة﴾** أي اعراضا عنكم على أنه مفعول له للذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فإن النجاة منبئة عن الصفح والاعراض قطعاً كأنه قيل أنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينصب على الظرفية أي أفنتجيه عنكم جانبا **﴿أن كنتم فوما مسرفين﴾** أي لأن كنتم منهمكين في الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وإن اقتضى تخليصكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب الخالد لكن السعة رحمتنا لا تفعل ذلك بل نهديك إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وانزال الكتاب المبين وقرئ **﴿أن بالكسر على أن الجلة** شريطة مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجبالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى **﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾** تقرر لما قبله ببيان أن اسراف الأمم السالفة لم ينعمه تعالى من إرسال الأنبياء إليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى **﴿فأهلكتنا أشد منهم بطشا﴾** أي من هؤلاء القوم المسرفين عدله عليه الصلاة والسلام وعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لآيات حكمهم هؤلاء بطريق الأولوية **﴿ومعنى مثل الأولين﴾** أي سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها أن تسير مسير المثل **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾** أي ليستند خلقها إلى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الأمر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للإشعار بأن انصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والأفعال وما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحججة قائمة عليهم شافوا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى **﴿الذي جعل لكم الأرض مهدا﴾** استئناف من جهة تعالى أي بسطها لكم تستقرون فيها **﴿وجعل لكم فيها سبلا﴾** تسلكونها في أسفاركم **﴿العلمك تهتدون﴾** أي لكي تهتدوا بسلكها إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذي هو المقصد الأصلي **﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾** بمقدار تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم والمصالح **﴿فأنشأنا به﴾** أي أحيينا بذلك الماء **﴿بلدة ميثا﴾** غالبا عن الغناء والنبات بالكلية وقرئ **﴿ميثا بالتشديد وفتح كرهه لأن البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات إلى نون المظنة لإظهار كمال العناية بأمر الأحياء والأشعار بعظم خطره﴾** كذلك أي مثل ذلك الأحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض **﴿تخرجون﴾** أي تبعثون من قبوركم أحياء وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشاء الذي هو أحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لقابلية النبات وتكوين لأمر البعث لتقوم سنن الاستدلال وتوضيح مناجاة القياس **﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾** أي أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما الأزواج الضرب والأنواع فالخلق والحامض والابيض والأسود والذكر والأنثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالنوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك **﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تكونون﴾** أي ما تتركبونه تغليا للأنعام على الفلك فإن الركوب بمتعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في الرمز إلى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما في سورة هود عند قوله تعالى وقال أركبوا فيها **﴿لنستوعب على ظهورهم﴾** أي لنستعوا على ظهور ما تتركبونه من الفلك والأنعام والجمع باعتبار المعنى **﴿ثم تذكروا نعمتكم﴾** أي تذكروا

بقلوبكم معترفين بما مستعطفين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم **﴿وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا﴾** متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا إلى قوله تعالى لمقلوبون وكبر ثلاثا وهل ثلاثا **﴿وما كنا لهم مقرنين﴾** أي مطيقين من أقرن الشيء إذا أطاقه وأصله وجد مقرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ **﴿بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ يدون اعتراف المنعم عليه بالمعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها﴾** **﴿وانا إلى ربنا لمقلوبون﴾** أي راجعون وفيه إيذان بأن حق المراكب أن يتأمل فيها بلاسه من المسير ويتذكر منه المسافة العظيمة التي هي الانقلاب إلى الله تعالى فينبى أمورده في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذكر أمرا ينافيها ومن ضروره أن يكون ركوبه لأمر مشروع **﴿وجعلوا له من عباده جزءا﴾** متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم لخالج أي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولما وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحسانه في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ **﴿جزوا بضمهم﴾** **﴿أن الإنسان لكفور مبين﴾** ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون **﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾** أم مقطوعة وما فيها من معنى بل الانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولما على الإطلاق إلى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أحسن صفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله تعالى **﴿وأصفاكم بالبنين﴾** أما عطف على اتخاذ داخل في حكم الانكار والتعجب أو حال من فاعله باضارفة أو بدونه على الخلاف المشهور والالتفات إلى خطائهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ أي بل اتخذ من خلقه أحسن الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجتريتم على إضافة اتخاذ جنس الولد إليه سبحانه مع ظهور استحسانه وامتناعه عما كان لكم شيء من العقل ونزد من الحياة حتى اجتريتم على التفوه بالعظيمة المخافة للعقول من ادعاء أنه تعالى أقركم على نفسه بخير الصنفين وأعلامها **﴿لكن له شرهما وأدانهما وتكبر بنات وتعرف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحفارة والفتخامة﴾** وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا **﴿الخالج استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ما ذكر ومن حالهم أن أحدهم إذا بشر به اغتم والالتفات للأيذان باقتضا ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكي لغريهم تعجيبا منها أي إذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه إذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ومما أنه **﴿ظل وجهه مسودا﴾** أي صار أسود في النهاية من سوء ما بشر به **﴿وهو كظيم﴾** ملو من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ **﴿مسود ومسودا على أن ظل ضمير المبشر ووجه مسود جملة وقصد خبره﴾** **﴿أو من ينشأ في الحلية﴾** تكرر للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمير معطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يرى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه فاهمة لانكار الواقع واستحقاقه وقد جوز انصافا بمضمير معطوف على اتخذ فاهمة حيث لا انكار الوقوع واستعباده وأقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في أم المنقطعة من الانكار وتأكيد العطف للتخفيف عن أني أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته **﴿وهو﴾** مع ما ذكر من القصور **﴿في الخصام﴾** أي الجدال الذي لا يكاد يغلو عنه الإنسان في العادة **﴿غير مبين﴾** غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه وإضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لأنه بمعنى النقي وقرئ **﴿ينشأ وينشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغلاه﴾** **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا﴾** بيان لتضمن كفرهم المذكور لسكفر آخر وتقرير لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفا وقرئ **﴿عيد الرحمن****



وقرى عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرى أنا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضرنا خلق الله تعالى أيام فشاهدوهم أنا نحن حتى يحكموا بأنوثهم فإن ذلك مما يعلم بالشاهدة وهو تجهيل لهم وتبهم بهم وقرى أشهدوا بهم تين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بألف بينهما (سكتب شهادتهم) هذه في ديوان أعمالهم (ويسألون) عنها يوم القيامة وقرى سكتب وسكتب بالياء والتون وقرى شهادتهم وهى قولهم الله جزءا وأن له بنات وانها الملائكة وقرى يسألون من المسألة للبالغة (وقالوا لولاه الرحمن ما عبدناهم) بيان لقن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضا ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم إنما يفعلونه بمشيئة تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبهوا بأنه بمشيئة تعالى إياهم منهم مع اعترافهم ببقية حتى ينفض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين أحدهما أن عبادتهم لم بمشيئة تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا في الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شئ من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (ما لهم بذلك) أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضا لا بمطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) يستند الى سند ما (إنهم لا يخفون) يتحلمون تحملا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك الى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفي أن يكون لهم بها علم عن طريق العقل ثم أضر به الى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقبل (أم أتيناكم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستسكون) وعليه معولون (بل قالوا) أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آتارهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعتزفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آباؤهم الجبلية مثلهم والأمة الدين والطريقة التى قام أى تقصد كالرحلة لما يرسل اليه وقرى أمة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد وقوله تعالى على آتارهم مهتدون خير إن الظرف صلة لمهتدون (وكذلك) أى والأمر كما ذكر من مجزئهم عن الحجة وتشبههم بذي التقليد وقوله تعالى (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها أنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آتارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للإيدان بأن التمتع وحج البطالة هو الذى صرفهم عن النظر الى التقليد (قال) حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أمهم عند تعاليمهم بتقليد آباؤهم أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأهمهم (أولو جتكم) أى أتقدون بأبائكم وأوجتكم (بأهدى) بدلين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) من الضلالة التى ليست من الهداية فى شئ وإنما عبر عنها بذلك مجازاة معمم على مسلك الانصاف وقرى قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ الى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى (قالوا انما أرسلتم به كافر ون) فانه حكاية عن الأمم قطعا أى قال كل أمة لنذيرها انما أرسلت به الخ وقد أجل عند الحكاية للإيجاز كما مر فى قوله تعالى يابأياها الرسل كلوا من الطيبات وجعلها حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تقليده على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجه كفرهم الى ما أرسل به السك من التوحيد لا جماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تحمل بعيد يرد بالكلية قوله تعالى (فاتقوا منكم) أى بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) من الأمم المذكورين فلا تكثر بتكذيب قومك (واذا قال إبراهيم) أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لا يه وقومه) المكبين على التقليد كيف

تبرأ منهم فيه بقوله (إني برأ عما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكا فى الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آياتهم وبرأ مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرى برى وبرا بضم الباء ككريم وكرام وما اءا مصدرية أو وصدولة حذف عاندها أى انى برى من عبادتكم أو معبودكم (الا الذى فطرني) استثناء منقطع أو متصل على أن ما قدم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما هو صفة أى انى برا من الهة تعبدونها غير الذى فطرني (فانه سيدين) أى سيثبتي على الهداية أو سيدين الى ما وراء الذى هداني اليه الى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أى جعل إبراهيم كلمة التوحيد التى ماتكم به عبارة عنها (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته حيث وصاهم بها كفاى به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيدهم وقرى كلمة وفى عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) غلة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعا الموحدة (بل تمتع هؤلاء) أضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعا الموحدة فلم يحصل ما رجاه بل تمتع منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباؤهم) بالمدنى العمر والعمة فاعتزوا بالمهله وانهم مكوا فى الشهور وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحا بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرى متنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والامتنان فجعله سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبهم عما هم فيه من الغفلة ويرشداهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضمو الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) فسوا القرآن سحرا وكفروا به واستحققوا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من إحدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أى الجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل جيب بن عمر بن عمر بن عبد الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكثانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العقيلة حدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنته بل استدلالا على عدمها معنى أنه لو كان قرآنا نزل الى أحد هؤلاء بنسأ على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا هم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحليين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالخرافة الدنيوية المتمسكون بالحفظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى (أهم يقسمون رحمت ربك) انكار فيه تجهيل لهم وتعجب من تحمكهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسباب معيشتهم (فى الحياة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبينة على الحكم والمصالح ولم نفرض أمرها اليهم علما منا بمجزئهم عن تدبيرها بالكلية (ورفنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق وسائر مبادئ الماش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فنضعفهم وفقيرهم وغنى وخادمهم وعظومهم وحكمهم (ليخضع بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويتخضعهم



في منهم ويستخروهم في أشغالهم حتى يتعاضدوا ويتراقدوا و يصلوا الى مراتبهم لا ليكال في الموسع ولا لنقص في المقتدر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم اضاعوا و هلكوا فاذا كانوا في تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدينية وهو في طرف الغمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم في تدبير أمر الدين وهو أبعد من منافع العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والخير لها من يصالح لها ويقوم بأمرها (و رحمت ربك) أي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدينية الفانية وقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمسي أسف حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا في الصكفر اذا رأوا أهله في سعة وتنعيم فيجتمعوا عليه لأعطيتاه بخلافه من هو شر الخلاق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلناهم ليوتهم سفقا من فضة) أي متخذة منها وليوتهم بدل الشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كان أفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسقيفة وقرى سقفا يسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة في سقف وسقوفا (ومعارج) أي جعلنا لهم معارج من فضة أي مساعد جمع معرج وقرى معارج جمع معراج (عليها يظهرون) أي يملكون السطوح والعلال (وليوتهم) أي وجعلنا ليوتهم (أبوابا وممرات) من فضة (عليها) أي على السرر (يتكئون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لإفادة التقرير (وزخرفا) أي زينة عطف على سقفا أو ذهب عطف على محل من فضة (وأن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا) أي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الأثني يتمتع به في الحياة الدنيا وفي منافعها قرى وما كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا وقرى بتخفيف ما على أن أن هي الخفيفة واللام هي الفارقة وقرى بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف قائدها أي للذي هو متاع الخ كما في قوله تعالى تماما على الذي أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون التعم التي يقصر عنها البيان (عند ربك للثقلين) أي عن الكفر والمعاصي وبهذا بين أن العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا (ومن يعيش) أي يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن وإضافته الى اسم الرحمن للإيذان بنزوله رحمة للعالمين وقرى يعيش بالفتح أي يتم يقال عشي يعيش اذا كان في بصره آفة وعشا يعيش اذا تمشى بلا آفة كعرج وعرج وقرى يعيش على أن من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفطر اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانها كذا في حظوظها الفانية والشهوات (تقيض له شيطانا فهو له قرين) لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرى يقيض بالياء على استاده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشوقه أن يرفع يقيض (وانهم) أي الشياطين الذين يقيض كل واحد منهم لكل واحد من يعشو (ليصدونهم) أي قرانهم فقدر جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار أفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل) المستبين الذي يدعو اليه القرآن (ويحسبون) أي العاشقون (أنهم) أي الشياطين (مهدتون) أي الى السبيل المستقيم والاسما اتبعوه أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستازم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاستئصالها على ضميرهما أي وانهم يصدونهم عن طريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع في الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجديدي لقوله تعالى (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتى أن تكون غاية الامر بتدكيا مرارا وأفراد الضمير في جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشقين لقربته لتحويل الأمر وتفضيخ الحال والمعنى

يستم العاشقون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدو والحسان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) عظامه (يا ليت بيني وبينك) في الدنيا (بعد المشركين) أي بعد المشرك والمغرب أي تباعد كل منهما عن الآخر فقلب المشرك وثني وأخفيف البعد اليهما (فليس القرين) أي أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية لما يقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريرا أي لن ينفعكم (اليوم) أي يوم القيامة تنبيها لمباعدتهم (اذ ظلمتم) أي لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أي اذ تبتين عنكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا وعليه قول من قال اذا ما اتينا لم تلدني لثيمة أي تبين أني لم تلدني لثيمة بل كريمة وقوله تعالى (أنكم في العذاب مشتركون) تعليل لتبني النفع أي لأن حكمكم أن تشتتوا أتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز أن يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الوافعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل أعبائها وتقسيم لعبائنها لأن لكل منهم ما لا يتبعه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم تنبيه بل بمعنى لن يحصل لكم التفتي بكون قرانكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم يقول لكم ربنا أنهم ضعفين من العذاب والعنيم لنا كبيرا وقولكم فأنهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتشفيروا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاؤه وهم لا يزيدون الاغيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتعاميا عما يسمعون من بينات القرآن فنزل (أفأنت تسمع العصم أو تهدي العمى) وهو انكار تعجب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمروا في الكفر واستمروا في الضلال بحيث صار ما بهم من العمى عمى مقرونا بالصمم (ومن كان في ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغير الوصفين ومدار الانكار هو التحسن والاستقرار في الضلال المحرط بحيث لا ارفع الله منه لا توهم التصور من قبل الهادي فيه ومن أن لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقصر والالجاه (فاما الذين بك) أي فان قبضناك قبل أن نصرك عذابهم ونشني بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فانا منهم منقمون) لاعتالة في الدنيا والآخرة فمزيدة للتأكيد بمزلة لام القسم في أنها لا تفارق النون المؤكدة (أو ربك الذي وعدناهم) أي أو أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم (فانا عليهم مقتدرون) بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذي أوحى اليك) من الآيات والشرائع سواء تجلت لك الموعود أو أخرناه الى يوم الآخرة وقرى أوحى على البناء الفاعل وهو الله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل للاستمسك أوللا مربه (وانه لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أي واسأل أممهم وعلما دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا الحجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطق به السنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانت سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملقن ملهم والمراد به الاستشهاد باجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس بيدع حتى يكذب ويعدى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ملتصبا بها (الى فرعون وعامته فقال اني رسول رب العالمين) أريد باقتصاصه تسليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما يشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا اذهم منها يضحكون) أي فاجروا وقت محكمهم منها أي استهزأوا بها أول ما رآوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية) من



الآيات (الاهي أكبر من أختها) الا وهي بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة تصور في شيء منها أو الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسجين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لكي يرجعوا عنهم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك في مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستظهارهم علم السحر وقرئ: أيه الساحر بضم السا (ادع لنا ربك) يكشف عنا العذاب (بمعاهد عندك) بمعده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عن امتدنى أو بمعاهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة (أنا لمهدون) أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا دعوتك كقولهم لن كشف عنا الرجاء لمنك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوتهم (إذا هم يتكئون) فاجؤا وقت نكت عتدهم بالاهتداء وقدر تفصله في الاعراف (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناذره (في قومه) في جميعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومغاطيا أربعة أنهر الملك ونهر طبولون ونهر دمياط ونهر تيس) تجري من تحتي أي من تحت قصرى أو أمرى وقيل من تحت سررى لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجري حال منها أو لاجل هذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبر للابتداء (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذي هو مبين) ضعيف حقير من الهبة وهي القلة (ولا يكذب بين) أي الكلام قاله اقترأ عليه عليه السلام وتنقيصه عليه السلام في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عليه السلام من نوع ربة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم ما منقطعة والهمزة للتركيز كما قال اثر ما عدا أسباب فضله ومبادئ خيرته أثبت عندك واستقر لديك أي أنا خير وهذه حالي من هذا الخ وأما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلأته وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يحمل من تنزيل السبب منزلة السبب فلما ابصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على رجمه لحكمهم بخيرته (قلوا لا ألقى عليه أسورة من ذهب) أي فلما ألقى إليه عقاب الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سودوه ووطقوه بطق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرئ: أساور جمع أسورة وقرئ: أساوره جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساور وقد قرئ: كذلك وقرئ: التي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أوجه معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعنيونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو مقترنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فاستفروهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (أنهم كانوا أقوما فاسقين) فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق القوي (فلما استغفونا) أي أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه (انقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) في اليم (فلجناهم سلفا) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو اما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ: بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق قد سلف كرفع أو سالف كصبر أو سلف كأشد وقرئ: سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أي ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أي عظة لهم أو قصة عجيبه تسير مسير الامثال لهم فيقال مثلهم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي ضربه ابن الزبيرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون

الله حصص جهنم حيث قال أهدنا لهذا ولأهلنا أو بجمع الامم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولأهلنكم وجميع الامم فقال لعين خصصتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزرا وبنو ميثع الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وأهلنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قهرتك منه) أي من ذلك المثل (يصدون) أي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ: يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون على ما كانوا عليه من الاعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لثتان فيه نحو يكفك ويكفك وهو الانسب بمعنى المفاجأة (وقالوا آلأهتنا خير أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قاله تمجيدا لما بنوا عليه من الباطل الموهوم بما يغتر به السفا أي ظاهرا أن عيسى خير من آلأهتنا حيث كان هو في النار فلا بأس بكوننا مع آلأهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى ان الذين سمعتكم منا الحسن الآيات فان ذلك مع إيمانهم لما يجب تنزيهه عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الاخلاص من أول الامر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبيرى خصصتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الامر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لا يعقل وإنما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بأهلهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعوم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهل لخصه في عبادته في الجلة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بما جماع الاشتراك في العبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدة الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعدل من أن يكونوا معبودهم كما نطق به قوله تعالى سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآيات وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسن الآيات بل إنما كان ما أظهره من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم ونهالكهم على المكابرة والعتاد كما نطق به قوله تعالى (ما ضربوه لك الا جدلا) أي ماضيا لك ذلك المثل الا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذنبوا له عند ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أي لشداد الخصومة يجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت بقوله آلأهتنا خير أم هو حينئذ فضيل لأهلهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ماضيا بوجه الخ ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبد وأنه يستأهل أن يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير في أم هو محمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلأهتهم الاستنابة به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصّل عما أنكروا عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعائهم القول ولا قلنا منكر من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فحقن أنف منهم قولا وفعلنا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسي فقله تعالى (ان أهدى الا عبد أنعمنا عليه) أي بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي أمرا عجيبا حقيقا بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب الى الأصنام بطريق الرمزا نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقتم لهم منا الحسن الآيات وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعرّض بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان أنه قياس باطل يبطل أو



بأبطال على زعمهم وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه من أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض  
الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه فأن هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة  
مذهب عبده حتى يفخر عبدة الملائكة بكونهم أهلى منهم أو يعتدروا بأن حالهم أشرف أو أخف من حالهم وأما  
على الوجه الثالث فهو لردم وتكذيبهم في اقترانهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى في الحقيقة وفيها  
أوحى إلى الرسول عليها الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الدلام بمعبوديته أو  
كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى ﴿ولو نشاء﴾ الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس يدع  
من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبداع من ذلك وأبرع مع التنبه على سقوط الملائكة أيضا من درجة المعبودية أى  
قدرتنا بحيث لو نشاء ﴿لجعلنا﴾ أى لخلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾ وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة ﴿ملائكة﴾  
كما خلقناهم بطريق الابداع ﴿فى الارض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء ﴿مخلفون﴾ أى خلفونكم  
مثل أولادكم فيها تأتون وما تدرون ويأثرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسييح والتقديس فى السماء  
فن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو اتصايبهم إليه تعالى عن ذلك علوا  
كبرا ﴿وانه﴾ وان عيسى ﴿لعلم الساعة﴾ أى أنه يتزوله شرط من أشرطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه  
بغير أب أو باحيائه المورث دليل على صحة البحث الذى هو معظم ما يذكروه ذكر اكتمية ما يعلم به علما وفى الحديث أن عيسى عليه  
لعلم أى علامة وقرىء ﴿لعلم وقرىء﴾ لذكر على تسمية ما يذكروه ذكر اكتمية ما يعلم به علما وفى الحديث أن عيسى عليه  
السلام ينزل على نثية بالارض المقدسة يقال لها أفق وعليه عصرتان ويده حرتان وبها يقتل الدجال فيأت بيت المقدس  
والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم  
يقتل الخوارج ويكسر الصليب ويحرق السبع والكائنات ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن  
فيه الاعلام بالساعة ﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن فى وقوعها ﴿واتبعون﴾ أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى  
وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهة تعالى ﴿هنا﴾ أى الذى أدعركم إليه أو القرآن على أن الضمير فى أنه له  
﴿صراط مستقيم﴾ هو صل إلى الحق ﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾ عن اتباعي ﴿انه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة  
حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم بالبليّة ﴿ولما جاء عيسى بالبينات﴾ أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع  
الواضحات ﴿قال﴾ لبنى اسرائيل ﴿قد جئتكم بالحكمة﴾ أى الانجيل أو الشريعة ﴿ولأبين لكم﴾ عطف  
على مقدريه عهدهم بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لأعلمكم إياها ولأبين لكم ﴿بعض الذى تخلفون  
فيه﴾ وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بأمور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال  
عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم ﴿فاتقوا الله﴾ فى مخالفتي ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى ﴿ان الله هو ربي  
وربكم فاعبدوه﴾ بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿هنا﴾ أى التوحيد والتعبد بالشرائع  
﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه وهو أما من تممة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهة تعالى مقرر لمقالة  
عيسى عليه السلام ﴿فاختلف الأحزاب﴾ الفرق المتحزبة ﴿من بينهم﴾ أى من بين من بعث اليهم من اليهود  
والنصارى ﴿وقيل للذين ظلموا﴾ من المخلفين ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة ﴿هل ينظرون﴾  
أى ما ينظر الناس ﴿إلا الساعة أن تأتيهم﴾ أى الا اذات الساعة ﴿بغتة﴾ أى فجأة لكن لا عند  
كونهم مرتقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا منكبين لها وذلك قوله تعالى ﴿وم لا يشعرون الا خلا﴾

المتحايرون فى الدنيا على الاطلاق أو فى الامور الدنيوية ﴿يومئذ﴾ يوم اذ تأتيهم الساعة ﴿بعضهم لبعض عدو﴾  
لا تقطاع ما بينهم من علاقات الخلقة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب ﴿الامتنين﴾ فان خلتهم فى الدنيا لما  
كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول  
متصل وعلى الثانى منقطع ﴿بإعجاب لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون﴾ حكاية لما ينادى به المتقون المتحايرون  
فى الله يومئذ تشريفهم وتطيبيا لقلوبهم ﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ صفة للنادى أو نصب على المدح ﴿وكانوا  
مسلمين﴾ أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذ بعث الله الناس  
فزع كل أحد فينادى مناد يا عبادى فرفع الخلاق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الاديان  
الباطلة رؤسهم ﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ نساؤكم المؤمنات ﴿تجبرون﴾ تسرون سرورا يظهر جواره أى  
أثره على وجوهكم أو تزينون من الحيرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بلغنا والخيبة المبالغة فيها وصف بحميل  
﴿يطاف عليهم﴾ بعد دخولهم الجنة حسبأ أمرؤابه ﴿بصحاف من ذهب وأكواب﴾ لذلك والصحاف جمع صحيفة  
قيل هي كالفصحة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحيفة ثم المكحلة والاكواب جمع كواب وهو كوز لا عروة  
له ﴿وفيها﴾ أى فى الجنة ﴿ما تشبه الأنفس﴾ من قنون الملاذ وقرىء ما تشبهى ﴿وتلذ الأعين﴾ أى تستلذه  
وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذذ ﴿وأنتم فيها خالدون﴾ اتمام للنعمة وإكمال للسرو فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن  
لخوفه لاجالة والالتفات للشرىف ﴿تولت الجنة﴾ مبتدأ وخبر ﴿التي أورتهموها﴾ وقرىء ورثتموها ﴿بما  
كنتم تعملون﴾ فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ  
وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بما كنتم تعملون فتعلق الباء بمحذوف  
لأبأ ورثتموها كافى الأولين ﴿لكم فيها ما كفى كثيرة﴾ بحسب الانواع والاصناف لاجسب الافراد فقط ﴿منها  
تاكلون﴾ أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لآرى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة  
فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاما مكانها  
﴿ان الحجر مين﴾ أى الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبأ بنى عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات ﴿فى عذاب  
جهنم خالدون﴾ خبر ان أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به ﴿لا يفتر عنهم﴾ أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم  
فترت عنه الحى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف ﴿وهم فيه﴾ أى فى العذاب وقرىء فيها أى فى النار ﴿مجلسون﴾  
آيسون من النجاة ﴿وما ظنناهم﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا الظالمين﴾ لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ﴿ونادوا﴾  
خازن النار ﴿يا مالك﴾ وقرىء يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ  
بتأمله ﴿ليقض علينا ربك﴾ أى ليتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا  
لا ينافى ما ذكر من إبلاسم لانه جوارى وعن الموت لفرط الشدة ﴿قال انكم ما كنون﴾ أى فى العذاب أبدا لاختصاص  
لكم منه بموت ولا يغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يجيبهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد ألفين  
سنة ﴿لقد جئناكم بالحق﴾ فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقرع من جهة الله تعالى  
مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى ﴿ولكن أكثركم للحق﴾ أى حق كانت  
﴿كادون﴾ لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلمهم كادون له مشتمون ومنه  
﴿أم أومأ أمرا﴾ كلام مبتدأ ناع على المشركين مافعلوا عن الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة



وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان أريد بالامر الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان أريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستباحة أي أريم مشرك مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فأنا مبرمون﴾ كيدنا حقيقة لأم أو فأننا مبرمون كيدنا بهم حقيقة فأن أرموا كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في أنفسهم يتشاورون في أمور دينهم عليه الصلاة والسلام ﴿أم يحسبون﴾ أي بل يحسبون ﴿أننا لاتسمع سرهم﴾ وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان خال ﴿ونجواهم﴾ أي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي ﴿بل﴾ نحن نسمعهم ونطعمهم ﴿ورسلنا﴾ الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلزمونهم أينما كانوا ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أي يكتبونهم أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأقوال والأفعال التي من جعلنا ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة أما عطف على ما ترجم عنه بل أو حال أي نسمعهم والحال أن رسلنا يكتبون ﴿قل﴾ أي للكفرة عتقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتكم لم يعدم عبادتكم لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست بغضلكم وعداؤكم لهم أو لمعبودهم بل إنما هو لجزمكم باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾ أي له وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم براعة حقوقه ومن واجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجود وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استئصال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبا يعرب عنه إيراد أن مكانا للمنبهة عن امتناع مقدم الشرطة وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآتين أي المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنه وقيل إن نافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ: ولد ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون﴾ أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الاجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرار اسم الرب تنخيم لشأن العرش ﴿فذرهم﴾ حيث لم يدعوا الحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي ﴿بخوضوا﴾ في أباطيلهم ﴿ويلعبوا﴾ في دنياهم فإن ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست إلا من باب الجهل واللبس والجزم في الفعل لجواب الأمر ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ من يوم القيامة فأنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم ﴿وهو الذي في السما والأرض﴾ الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبغي عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذي مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ: وهو الذي في السما والله وفي الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا ماسخ ليكون الجار خبرا مقدما والله مبتدأ مؤخر للزوم عراه الجملة حيث تد عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول والله خبرا مبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السما على سبيل الإلهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وقوله تعالى ﴿وهو الحكيم العليم﴾ كالدليل على ما قبله ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ أما على الدوام كالمحلول وفي بعض الأوقات كالطير ﴿وعنده علم الساعة﴾ أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة ﴿واله ترجعون﴾ للجزاء والالفاظ للتهديد وقرئ: على الغيبة وقرئ: تحشرون

بالتاء ﴿ولا يملك الذين يدعون﴾ أي يدعونهم وقرئ: بالتاء مخففا ومشددا ﴿من دونه الشفاعة﴾ كما يرجعون ﴿إلا من شهد بالحق﴾ الذي هو التوحيد ﴿وهم يعلمون﴾ بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الأفراد لا باعتبار لفظها والاستثناء اما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾ أي سألت العابدين والمعبودين ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر الانكار لغاية بطلانه ﴿فأنى يؤفكون﴾ فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ﴿وقيله﴾ بالجر اما على أنه عطف على الساعة أي عندهم علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام ﴿يارب﴾ الخ فإن القول والقليل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسمة وقوله تعالى ﴿إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ جوابه وفي الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتنخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرئ: بالنصب بالعطف على سرهم أو على عمل الساعة أو باختيار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ: بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة ﴿فاصفع عنهم﴾ فأعرض عن دعوتهم واقطع عن إيمانهم ﴿وقل سلام﴾ أي أمرى سلم منكم ومتاركة ﴿فسوف يعلمون﴾ حلطم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ: تعلمون على أنه داخل في حيز قل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان بمنى يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

## سورة الدخان

(مكية الاقوله انا كاشفو العذاب الآية . وهي سبع أو تسع وخسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(رحم الكتاب المبين) الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة ﴿أنا أنزلناه﴾ أي الكتاب المبين الذي هو القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله أو أنزل فيها جملة إلى السما الدنيا من اللوح وأملأه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستمتع بالنافع الدينية والدنيوية بأجمعها ولما فيها من تنزيل للملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأفضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ما زعم زيادة ظاهرة ﴿أنا كنا منذرين﴾ استئناف مبين لما يقتضى الانزال كأنه قيل أنا أنزلناه لأن من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب القسم وقوله تعالى أنا أنزلناه الخ اعترض وقيل جواب ثان بغير عاطف ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ استئناف كما قبله فان كونها مفرقا للأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة المرافقة لها يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظامها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعترض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وأجلهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذا الزلازل والخسوف والصواعق ونسخة الأعمال إلى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليهم السلام وقرئ: يفرق بالتشديد وقرئ: يفرق على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ: تفرق بنون العظمة ﴿أمرا من عندنا﴾ نصب على الاختصاص



أى ألقى بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لقضائنا الإضافية بمدى انعامنا الذاتية ويجوز كونه حالا من كل أمر لخصصه بالوصف أو من ضميره في حكم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان في المعنى أو لفعله المضموم لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميرى أنزلناه أى أمرين أو مأثورا به **﴿إنا كنا مرسلين﴾** بدل من أنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى **﴿رحمة من ربك﴾** غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد و باعث متقدم عليه على أن المراد بمدوؤها أى أنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضا رحمتنا السابقة أرسلهم ووضع الرب موضع الضمير للإيدان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو لتعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما في قوله تعالى وما يسبك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا إرسال رحمتنا ولا ريب في أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ: رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى **﴿أنه هو السميع العليم﴾** تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تخفى إلا لمن هذه نعمته **﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾** بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ: بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اختيار مبتدا **﴿أن كنتم موقنين﴾** أى أن كنتم من أهل الايقان في العلم أو أن كنتم موقنين في أقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما إذا سلمتم من خلقنا فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو أن كنتم موقنين بالدين اليقين فاعلموا ذلك **﴿لأله الا هو﴾** جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض **﴿يحى ويميت﴾** مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى **﴿ربكم ورب آبائكم الاولين﴾** باختيار مبتدا أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل ليحيى وفي يحيى ضمير راجع إلى رب السموات وقرئ: بالجبر بدلا عن رب السموات على قراءة الجهر **﴿يلهم في شك﴾** مما ذكر من شئنه تعالى غير موقنين في أقرارهم **﴿يلعبون﴾** لا يقولون ما يقولون عن جد وأذنان بل مخلوطا بهز ولعب والفاء في قوله تعالى **﴿فارتقب﴾** لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حثا أى فانتظر لهم **﴿يوم تأتى السباب دخان مبین﴾** أى يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السباب كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم ستين كسبي يوسف فأخذتهم منحتى أكلوا الجيف والعظام والعلمز وكان الرجل يرى بين السباب والأرض الدخان وكان يحدث الرجل ويسع كلامه ولا يراد من الدخان وذلك قوله تعالى **﴿ينشى الناس﴾** أى يحيط بهم **﴿هذا عذاب أليم﴾** أى قاتلين ذلك فشى إليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونصر معه ونشده الله تعالى والرحم وواعدوه أن دعاهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى **﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾** وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار القراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السباب قبل يوم القيامة فيدخل في أسباع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيد ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كهيئة أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قبر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة بارسول الله وما الدخان قتلا الآية وقال بلاء ما بين المشرق والمغرب يمدت أربعين يوما ليلة

أما المؤمن فيصبيه كهيئة الزكاة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه وديره الأول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فإن قوله تعالى **﴿أنى لهم الذكري﴾** الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالآيمان النبي عن التذكر والاعتاظ بما اعترافهم من الداهية أى كيف يندكرون أو من أين يندكرون بذلك ويقون بما وعدوه من الآيمان عند كشف العذاب عنهم **﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾** أى والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاعتاظ ما هو أعظم منه في إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال **﴿ثم تولوا عنه﴾** عن ذلك الرسول وهو هورثا شاهدوا منه ما شاهدوه من العظام الموجبة للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى **﴿وقالوا﴾** في حقه **﴿معلم مجنون﴾** أى قالوا نارة يعلسه غلام أعجمي لبعض تقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا قبل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالمظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع ضغوا اذا شبع طغى وقوله تعالى **﴿إنا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون﴾** جواب من جهة تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى إنا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا قليلا انكم تعودون أثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسوا هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعا النبي صلى الله عليه وسلم فسا ابشرا أن عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعتاد ومن فسر الدخان بما هو من الاشرط قال اذا جاء الدخان تصور المعذوبين به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوما وربنا يكشفه عنهم يرتدون ولا يتوبون **﴿يوم ينطش البطشة الكبرى﴾** يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى **﴿إنا منتقمون﴾** لا المنتقمون لأن ان مانعة من ذلك أى يومئذ تنتقم انتقم المنتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرئ: ينطش أى نحصل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بنصف وصوله أو نحصل البطشة الكبرى بأطشة بهم وقرئ: ينطش بضم الطاء وهى لغة **﴿ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون﴾** أى امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام أو أوقعهم في الفتنة بالأهوال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ: بالتشديد للبالغة أو لكثرة القوم **﴿وجاءهم رسول كريم﴾** على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سرة قومه وكرامهم **﴿أن أدوا إلى عباد الله﴾** أى بأن أدوا إلى بني اسرائيل وأرسلهم معي أو بأن أدوا إلى عباد الله حقه من الآيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن يحيى الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا إلى الخ وقوله تعالى **﴿أنى لكم رسول أمين﴾** تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد اتهمنى الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة **﴿وأن لا تعملوا على الله﴾** أى لا تكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كاتى سلفت وقوله تعالى **﴿أنى آتيكم﴾** أى من جهة تعالى **﴿بسلطان مبين﴾** تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى أنكارها وآتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفي إيراد الاداء مع الأمن والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى **﴿وأنى عدت ربى وربكم﴾** أى التجأت إليه وتوكلت عليه **﴿أن ترجون﴾** من أن ترجون أى تؤذونى ضرا أو شتيا أو أن تقتلونى قيل لما قال **﴿وأن لا تعملوا على الله توعده بالقتل وقرئ: بادغام النال في التاء﴾** وأن لم تؤمنوا إلى فاعتزلون **﴿أى وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا إلى غلوف كفا فاعلى ولا ل ولا تضرنا إلى بشر ولا أدنى فليس ذلك جزاء من يدعوكم**



الى ما فيه فلا حكم وحله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلاموالاة بينى وبين من لا يؤمن بأباه المقام ﴿قد عاربه﴾  
بعد ما عوا على تكذيبه عليه السلام ﴿أن هؤلاء﴾ أى بأن هؤلاء ﴿قوم يحرمون﴾ وهو تعريض بالدعاء  
عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرى بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه  
باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا قنطة للقوم الظالمين ﴿فأسر بعبادى ليلا﴾ باضمار القول أما بعد الفاء أى فقال  
ربه أسر بعبادى وأما قبلها كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى بينى اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن  
تتقدموا وقرى بوصل المهمة من سرى ﴿انكم متبعون﴾ أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم  
﴿واترك البحر رها﴾ مفتوحا ذا نجوة واسعة أو ساكنا على هبته بعد ما جاوزته ولا تضره بهماك لينطبق ولا  
تغيره عن حاله ليدخله القبط ﴿انهم جند مفرقون﴾ وقرى أنهم بالفتح أى لانهم ﴿كم تركوا﴾ أى كثيرا تركوا  
بمصر ﴿من جنات وعيون وزيروع ومقام كريم﴾ عاقل من زينة ومنازل محسنة ﴿ونعمة﴾ أى نعم ﴿كانوا﴾  
فيها فأكبرين ﴿متنعين﴾ وقرى فكبون ﴿كذلك﴾ الكاف في حين انصب وذلك إشارة الى مصدر فعل يدل عليه  
تركوا أى مثل ذلك السلب سلبنا إياها ﴿وأورثناها قوما آخرين﴾ وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجهما منها وقيل في  
حين الرفع على الخبر أى الأمر كذلك فينتد يكون أو رثناها مطلقا على تركوا على الأولين على الفعل المقدّر ﴿فما بكت﴾  
عليهم الساء والأرض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تنكهم بهم وبجألم الحاقية لحال  
من يعظم فقدسه فيقال له بكت عليه الساء والأرض ومنه ما روى ان المؤمن ليكن عليه مهلاة وعمل عبادته ومساعد  
عمله ومبايط رزقه وآثاره في الأرض وقيل تقديره أهل الساء والأرض ﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم  
﴿منظرين﴾ يمهان الى وقت آخر أو الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ﴿ولقد نجينا بنى اسرائيل﴾ بأن فعلنا بفرعون  
وقومه ما فعلنا ﴿من العذاب المبين﴾ من استبعاد فرعون ايامه وقتل آبائهم واستحيا نساءهم على الخف والضم  
﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب اما على جملة نفس العذاب لا قراطه فيه واما على حذف المضاف أى عذاب فرعون  
أو حال من المبين أى كانتا من فرعون وقرى من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرغه وفي إيهام  
أمره أو لا وتبينه بقوله تعالى ﴿انه كان عاليا من المفسرين﴾ ثانيا من الافصاح عن كنه أمره في الشر والفساد ما لا  
مز يد عليه وقوله تعالى من المفسرين اما خبر ثان لكان أى كان تكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أى كان رفيع  
الطبقة من بين المفسرين فائقا لم يبلغا في الاسراف ﴿ولقد اخترناهم﴾ أى بنى اسرائيل ﴿على علم﴾ أى علمين  
بانهم أحق بالاختيار أو علمين بأنهم يزيفون في بعض الأوقات ويكثر منهم الفراطات ﴿على العالمين﴾ جميعا لكثرة  
الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم ﴿وآتيناهم من الآيات﴾ كفتاح البحر وتظليل النعام وانزال المن والسلوى وغيرها  
من عظام الآيات التي لم يهد مثالا في غيرهم ﴿ما فيه بلا مبين﴾ نعمة جليلة أو اختارناهم لننظر كيف يعملون  
﴿أن هؤلاء﴾ يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تسامهم في الاحرار على  
الفضالة والتخدير عن حلول مثل ما حل بهم ﴿ليقولون انهي الاموتنا الأولى﴾ أى ما لبقا ونهاية الأسر الاموتية  
الأولى المزملة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موة أخرى كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما  
قيل لهم انكم تموتون موة تعقبها حياة كما تقدمكم موة كذلك قالوا ما هي الاموتنا الأولى أى المالموة التي تعقبها حياة  
الاموتية الأولى وقيل المعنى ليست المالموة الا هذه المالموة دون المالموة التي تعقب حياة القبر كما ترجمون ﴿وما نحن بمبشرين﴾  
بجمعين ﴿فأتوا بآياتنا﴾ خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ان كنتم صادقين﴾

فما تدعون من قيام الساعة ويث الحق ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي  
ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومقرعهم في المهادت والملمات ﴿أم خير﴾ ردلقوم وتهديهم أى أم خير في القوة  
والمنعة اللذين يدفع بهما أسباب الهلاك ﴿أم قوم تبع﴾ هو تبع الخيري الذي سار بالجيش وحير الحيرة وبنى سمر قد  
وقيل هدمها وكان مؤمنا وقوة كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك  
بحرا وبحرا أى بحارا كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى  
أكان تبع نبياً أو غيرني وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان نبيا وقيل للملوك الذين التابعية لانهم يتبعون كما يقال لهم  
الانبياء لانهم يتقبلون ﴿والذين من قبلهم﴾ عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد  
أولى بأس شديد والاستنهام لتقرر أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى ﴿أهلكناهم﴾ استئناف لبيان عاقبة  
أمرهم وقوله تعالى ﴿انهم كانوا يرمون﴾ تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا  
في غاية القوة والشدة فلان هلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الاجرام أضعف منهم في الشدة والقوة أولى ﴿وما خلقنا  
السماوات والأرض وما بينهما﴾ أى ما بين الجنين وقرى وما بينهما ﴿لا عين﴾ لاهين من غير أن يكون في خلقها  
غرض صحيح وذية حميدة ﴿ما خلقناهم﴾ وما بينهما ﴿الابالحق﴾ استثناء مفرغ من أمم الأحوال أو أعم الأسباب  
أى ما خلقناهم ملتبسا بشئ من الأشياء الملتبسا بالحق أو ما خلقناهم بسبب من الأسباب الاسبب الحق الذي هو  
الايان والطاعة والبعث والجزاء ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك فيكون البعث والجزاء ﴿ان يوم  
الفصل﴾ أى فصل الحق عن الباطل وتمييز الحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبابه ﴿مقياتهم﴾ وقت موعدم  
﴿أجمعين﴾ وقرى مقياتهم بالنصب على أنهم ان يوم الفصل خيرها أى أن يبعد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل  
﴿يوم لا ينفي﴾ بدم يوم الفصل أوصفة لمقاتهم أو ظرف لمسائله الفصل للنفس ﴿مولى﴾ من قرابة أو غيرها  
﴿عن مولى﴾ أى مولى كان ﴿شيئا﴾ أى شيئا من الأغناء ﴿ولاهم ينصرون﴾ الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لانه  
عام ﴿الامن رحم الله﴾ بالمعروفه وقبول الشفاعة في حقه ومحل الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء ﴿انه هو  
العزير﴾ الذى لا ينصر من أراد تعذيبه ﴿الرحيم﴾ لمن أراد أن يرحمه ﴿ان شجرة الزقوم﴾ وقرى بكسر الشين وقدم  
معنى الزقوم في سورة الصافات ﴿طعام الاثيم﴾ أى كثيرا لأنام والمراد به الكافر لدلالة المقابلة وما بعده عليه ﴿كالمهل﴾  
وهو ما يميل في النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت ﴿يغلي في البطون﴾ وقرى بالناء على اسناد الفعل الى  
الشجرة ﴿كغلي الحميم﴾ غليانا كغليها ﴿خذوه﴾ على ارادة القول والخطاب للزانية ﴿فاعتلوه﴾ أى جروه  
والعتل الأخذ بجمع الشيء ومجره به وقرفى بضم التاء وهى لغة فيه ﴿الى سوا الحميم﴾ أى وسطه ﴿ثم صوبوا فوق  
رأسه من عذاب الحميم﴾ كان الأعلى يصب من فوق رؤسهم الحميم فيصب من فوق رؤسهم عذاب الحميم للبالغة ثم  
أضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من الدلالة على أن المصوب بعض هذا النوع ﴿ذق انك أنت العزير الكريم﴾  
أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقرع له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
ما بين جبلها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل فى شئ وقرى بالفتح أى لانك أو عذاب أنك  
﴿ان هذا﴾ أى العذاب ﴿ما كتب به متهون﴾ تفككون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الاثيم  
﴿ان المتقين﴾ أى عن الكفر والمعاصى ﴿في مقام﴾ في موضع قيام والمراد المكان على الإطلاق فانه من الخاص  
الذى شاع استعماله في معنى العموم وقرى بضم الميم وهو موضع إقامة ﴿أمنين﴾ يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه



وهو من الامن الذي هو ضد الحياة وصف به المكان بطريق الاستعارة كان المكان الخفيف يتقون صاحبه لما يلقي فيه من المكارة (في جنات وعيون) بدل من مقام جنى به دلالة على نزاهته واشتالته على طيبات المأكول والمشارب (يلبسون من سندس واستبرق) اماخير ثان أو حال من الضمير في الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب (متقابلين) في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الامر كذلك أو كذلك أنبأهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرئ بالإضافة أى قرناهم بين والحور جمع الجوداء وهى البيضاء والعين جمع العينا وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان (أمين) من كل ما يسوؤهم (لا يدعون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يستمرون على الحياة أبدا والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يدعون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرئ مشددا للبالغة فى الوفاة (فضلا من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لا فوز وراه اذ هو خلاص عن جميع المكارة ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلمهم بندكرون) فذلكم للسورة الكريمة أى انما أنزلنا الكتاب المبين بلسانك كي يفهم قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذ لم يفعلوا ذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) ما يحل بك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له

## سورة الجاثية

(مكية وهى سبع أو ست وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الكلام فيه عامر فى فاتحة سورة المؤمنين فان جعل احما للسورة فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا معنى حم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقعت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الاول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر لمبتدأ ضمير يفرح به ما قبله أى المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسيح به تنزيل الخ وقد مر مرارا أن الذى يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد تحقيا الاخبار بها وأما جملة خبرا له بتقديم المضاف وإبقاء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائنه عن إعادة فاتحة يعتد بها تجعل على تحمل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجه المتقدمه كلام متأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية وحمل الآيات امانفس السموات والارض فانها منظومتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان وما خلقهما كما فى قوله تعالى ان فى خلق السموات والارض وهو الاوفق بقوله تعالى (وفى خلقكم) أى من نطفة ثم من علقه متقلبة فى أطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يدرك من دابة) عطف على المضاف دون المضاف اليه أى

وفى انفسه ويفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرية بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزده وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطف على ما قبلها من اسم ان والخبر هو الخبر صكأنه قيل وان فى خلقكم وما يدرك من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالاشياء على ما هى عليه (واختلاف الليل والنهار) الجار على اضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تماقيا أو تفاوتها طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) أى من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة (فأجى به الارض) بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمار والنبات (بعدموتها) وعرايتها عن آثار الحياة وانتفاة قوة التنمية عنها وخلق أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيرها عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايدان بأنه آية مستقلة حيث لو روى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لأن كون التصريف آية ليس مجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جعلها سوق السفن فى البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معصولى عاملين مختلفين هما ان وق أميت الثواب مقامهما فمبدأ الحرف فى اختلاف والتصديق آيات وتذكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما و أيضا واختلاف القواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلال (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (تتلوها عليكم) حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من فاعل تلو ومن مفعوله أى تتلوها محققين أو ملتبسة بالحق (فبأى حديث) من الأحاديث (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبا فطبق به قوله تعالى نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضا ومناطق العطف التعاريف العنوانى (يؤمنون) بصيغة التثنية وقرئ بالثنا (ويل لكل أفاك) كذاب (أليم) كثير الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفالك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أليم (تلى عليه) حال من آيات الله ولا مسامح لجملة مفعولا ثانيا ليسمع لأن شرطه أن يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصبر) أى يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة (متكبرا) عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مرددا لها معجبا بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها أن تدع لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها (كأنه لم يسمعها) أى كأنه لم يسمعها بخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصبر أى يصبر شيئا بغير السامع (فيشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (واذا علم من آياتنا شيئا) أى اذا بلغه من آياتنا شئ وعلم أنه من آياتنا لا أنه عليه كما هو عليه فانه بمنزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويحمله بحلا فاسدا يتوصل به الى الطعن والتمية (اتخفها) أى الآيات كلها (هروا) أى مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشئ والتأنيث



لأنه في معنى الآية ﴿أولئك﴾ إشارة إلى كل آفة من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح واجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الأفراد فيما سبق من الضائر باعتبار كل واحد واحد ﴿لهم﴾ بسبب جنائياتهم المذكورة ﴿عذاب دهي﴾ وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى ﴿من وراءهم جهنم﴾ أي من قدامهم لأنهم متوجعون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فإن الورا اسم للجهة التي يوارى بها الشخص من خلفه وقدام ﴿ولا يخفى عنهم﴾ ولا يدفع ﴿ما كسبوا﴾ من الأموال والأولاد ﴿شيئا﴾ من عذاب الله تعالى أو شيئا من الاغصاء ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ أي الأصنام وتوسط حرف التثنية بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم اغناء الأموال والأولاد قلنا مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهمك ﴿ولهم﴾ فيما وراءهم من جهنم ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره ﴿هذا﴾ أي القرآن ﴿هدى﴾ في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسا ﴿والذين كفروا﴾ أي بالقرآن وإنما وضع موضع ضمير قوله تعالى ﴿بآيات ربهم﴾ زيادة تشنيع كقهرهم به وتفضيع حالهم ﴿لهم عذاب من رجز﴾ أي من أشد العذاب ﴿أليم﴾ بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على أنه صفة رجز وتووين عذاب في المواقف الثلاثة للتفضيع ورفعها على الابتداء وأما على الفاعلية ﴿الله الذي سخر لكم البحر﴾ بأن جعله أماسر السطح يطفو عليه ما يتخلل كالأخشاب ولا يمتنع الغوص والخرق ليعاينه ﴿لتجرى الفلك فيه بأمره﴾ وأتم راكبوها ﴿وليتفقوا من فضله﴾ بالتجارة والقرص والصيد وغيرها ﴿ولعلكم تفكرون﴾ ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ من الموجودات بأن جعلها مدارا لما تفكمكم ﴿جميعا﴾ أما حال من ما في السموات والأرض أو توكلد له ﴿منه﴾ متعلق بمحذوف هو صفة جميعا أو حال من ما في جميعا كأننا منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كأنه منه خلقه له تعالى أو خير محذوف أي هي جميعا منه تعالى وقرئ ﴿منه على المقبول له ومنه على أنه فاعل سخر على الأسناد المجازي أو خير مستأ حدوف أي ذلك منه﴾ أن في ذلك ﴿أي فيما ذكر من الأمور العظام﴾ ﴿آيات﴾ عظيمة الشأن كثيرة العدد ﴿لقوم يفكرون﴾ في بدائع صنع الله تعالى فاتهم يقفون بذلك على جلال نعمة تعالى ودقائقها ويوقفون لشكرها ﴿قل للذين آمنوا﴾ حذف المقول لدلالة ﴿يقفروا﴾ عليه فانه جواب للامر باعتبار تعاقبه لا باعتبار نفسه فقط أي قبل لهم اغفروا يغفروا ﴿للذين لا يرجون أيام الله﴾ أي يغفروا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعداته من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأمرون الاوقات التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضى الله عنه حين شتمه غفاري فهم أن يطش به وقيل حين قال ابن أبي ماقال وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بشر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبي غلامه يستقي فأبطأ عليه فلما أنهأه قاله ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قربة النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر فقال ابن أبي ماذنا ومثل هؤلاء الا قليل ممن كلك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتعل سيفه يريد التوجه اليه فأثرها الله تعالى باليجزى قوما بما كانوا يكسبون ﴿تعليلا للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتكثير لمذبحهم والثناء عليهم أي أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوما أيما قوما مخلصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جعلها الصبر على أذية الكفار والاعصاء عنهم بكمظلم العطف واحتمال المكروه ما يقهر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جعلها ما حكي من

الكلمة الخبيثة والتكثير للتخفيف وفيه أن يطلق الجزء لا يصاح تعابلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا ينبغي وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تسكفا وأشد تمجلا وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما أي ليجزى الجزء قوما وقرئ لتجزى بنون العظمة ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ لا يكاد يسرى عمل إلى غير عامله ﴿ثم إلى ربكم﴾ ذلك أهو ربكم ﴿ترجمون﴾ فيجازيكم على أعمالكم خيرا كان أو شرا ﴿ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب﴾ أي التوراة ﴿والحكم﴾ أي الحكمة النظرية والعملية والفرق في الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذا كان الملك فيهم ﴿والنبوة﴾ حيث كفرهم الانبياء ما لم يكثروا غيرهم ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ بما أحل الله تعالى من اللذات كالحلوى والصلوى ﴿وفضلائهم على العالمين﴾ حيث آتيناهم ما لم نؤت من عذابهم من فلق البحر واطلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم ﴿وآتيناهم نبات من الارض﴾ دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمحمد النبي صلى الله عليه وسلم وما يليهم من أمره وأنه يهاجر من تهاة إلى يثرب ويكون أنصارا فأهل يثرب ﴿فاختلفوا﴾ في ذلك الامر ﴿الا من بعد ما جاءهم العلم﴾ بحقيقته وحقيقته ففعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه ﴿نجا بينهم﴾ أي عداوة وحسدا لا شكافيه ﴿ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة﴾ بالمؤاخاة والجزاء ﴿فما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الدين ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾ أي سنة وطريقة عظيمة الشأن ﴿من الامر﴾ أي أمر الدين ﴿فاتبعها﴾ بأجرا أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشئ منها ﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ أي آراء الجبهة واعتقاداتهم الزائفة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك ﴿انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا﴾ بما أراد بك ان تبنتهم ﴿وان الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ لا بوليهم ولا يتبع أهواءهم الا من كان ظالما مثلهم ﴿والله ولى المتقين﴾ الذين أنت قدوتهم قدم على ما أنت عليه من تولى خاصة والاعراض عما سواه بالكلية ﴿هذا﴾ أي القرآن أو اتباع الشريعة ﴿بصائر للناس﴾ فان ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب ﴿وهدى﴾ من وريطة الضلالة ﴿ورحمة﴾ عظيمة ﴿لقوم يوقنون﴾ من شأنهم الايقان بالامور ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾ استئناف مسوق لبيان ثبوت حال المؤمنين والخسنيين اثريان تبين حال الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى أم تجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم تجعل المتقين كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستباحته والتوبيخ عليه والاجتراع الاكتساب ﴿أن تجعلهم﴾ أي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوى الاحوال ﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وهم فياهم فيه من محاسن الاعمال ونعامتهم معاملةتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى ﴿سواء عجايم وعمايم﴾ أي عجايم الفريقين جميعا وعمايم حال من الضمير في الطرف والموصول معا لا شتاله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى وعجايم وعمايم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبو أن تجعلهم كاتنين مثلهم حال كون الكل مستويا عجايم وعمايم كلا لا يستوون في شئ منهما فان هؤلاء في الإيمان والطاعة وشرفها في النجا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في المات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهو انهما في النجا وفي لمة الله والعذاب الخالد في المات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا في المات كما استووا في الحياة لأن المؤمنين والمحسنين مستو عجايم في الرزق والصحة وانما يفترون في المات وقرئ عجايم وعمايم



بالنصب على أنها ظرفان تقدم الحاج وسواهما على حاله أي حال كونهم متويزين في عياهم ومماتهم وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه أخر من الأعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول فندبر وقرئ سوا بالرفع على أنه خبر وعياهم مبتدأ فقيل الجثة بدل من الكاف وقيل حال وأما كان فنسبة حساب التساوي اليهم في ضمن الإنكار التوبيخي مع أنهم يعملونه جازمون بفضاهم على المؤمنين للبالغ في الإنكار والتشديد في التوبيخ فإن إنكار حساب التساوي والتوبيخ عليه إنكار لحساب الجرم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وأكده (سواء ما يحكمون) أي سواء حكمهم هذا أو بئس شأ حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والأرض بالحق) استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى لها وما فيها بالحق مقتضى العدل يستدعي لامحالة تفضيل المحسن على المسي في الحيا والمات وانتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطر ذلك في الحيا فهو بعد المات حتما (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل إذ معناه خاقها مقررة بالحكمة والصواب دون العيب والباطل خلاصه خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة محدودة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أي النفوس للدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتزليه منزلة الظالم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكانه عبده أي أنظرت فرأيت أنه فأن ذلك ما يقضى منه العجب وقرئ آلهه هواه لأن أحدهم كان يستحسن حبرا فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه فكانه اتخذ آلهه شئ (وأضل الله) وخذله (على علم) أي علما بفضاله وتبديله لفضرة الله تعالى التي غطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح العين وضما وقرئ غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد اختلافه تعالى إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتعمده في الشئ (أفلا تذكرون) أي ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تذكرون على الأصل (وقالوا) بيان لأحكام ضلالهم المحكي أي قالوا من غاية غيبتهم وضلالهم (ما هي) أي ما الحياة (الحياتنا الدنيا) التي نحن فيها (نموت ونحيا) أي بصينا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل تكون نطفها وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقا أولادنا أو نموت بعضنا ونحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرئ نحيا (وما يهلكنا إلا الدهر) الأمر والزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره أي غلبه وقرئ الدهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أي فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر (وما لم بذلك) أي بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا وإستناد الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقل أو نقل (إنهم إلا يظنون) ما هم الأقوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شئ يصح أن يتسلك به في الجملة هذا معتقد المتفاد في أنفسهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذي من جملة البعث (بينات) وإشحات الدلالة على ما نطق به أو بينات له (ما كان حجتهم) بالنصب على أنه خبر كان أي ما كان متمسكا لهم شئ من الأشياء (إلا أن قالوا أتوا بأياتنا أن كنتم صادقين) في أنا نبعت بعد الموت أي الإله هذا القول الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل البلوى وتسميته حجة ما لم يوقم إياه بما في الحجة على سبيل التكميلهم أو لأنه من قبيل حجة بينهم ضرب جميع

وقرئ يرفع حجتهم على أنها اسم كان فلامني ما كان حجتهم شيئا من الأشياء الإلهذا القول الباطل (قل الله حيكم) ابتداء (بهميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحبون وتموتون بحكم الدهر (ثم يحكمكم) بعد الموت (إلى يوم القيامة) للجرا (لأريب فيه) أي في حكمكم فإن من قدر على البذر قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجرا (لأعالة) والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاثبات بآياتهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية أمتنع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لأريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهة تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن آياتهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكير لأن فيه شائبة ريب ما (ولله ملك السموات والأرض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيها بينهما بالله عز وجل أثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالأحيا والأمانة والبعث والجمع للجازاة (ويوم تقوم الساعة يومئذ ينحصر المظالمون) العامل في يوم ينحصر يومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الأمم المجموعة (جاثية) باركة على الركب متوقفة وقرئ جاذية أي جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استعظاما من الجشو وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجشوة وهي الجماعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحيفة أعمالها وقرئ كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى صفة أحوال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بأمر الله تعالى أضيف إلى نون العظمة تفعيلا لشأنه وتبويلا لأمره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أي يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال والحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (أنا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشئ منها أي أنا كنا فيقبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي في جنته تفصيل لما يفعل بالأمم بعد بيان ما شرطوا به من الكلام المنطوق على الوعد والوعيد (ذلك) أي الذي ذكر من الإدخال في رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزا لا فوزا وراه (وأما الذين كفروا أظلم تكن آياتي تتلى عليكم) أي يقال لهم بطريق التوبيخ والتفريع ألم يكن تأنيك رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم لحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوما مجرمين) أي فرما عادتكم الإجرام (وإذا قيل إن وعد الله) أي ما وعده من الأمور الآتية أو وعده بذلك (حق) أي واقع لأعماله أو مطابق للواقع (والساعة) التي هي أشرف ما وعده (لأريب فيها) أي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم إن وقرأة الرفع للمطوف على محل إن واسمها (قلتم) لغاية عتوكم (ماندري ما الساعة) أي أي شئ هي استغرابا لها (إن نطقنا إلا نطقا) أي ما نطقنا إلا نطقا وقد مرت حقيقة في قوله تعالى أن أتبع إلا ما يوحى إلى وقيل ما نطقنا إلا نطقا وقيل ما نحن إلا نطقنا وقيل ما نطقنا إلا نطقا ضعيفا ويرده قوله تعالى (وما نحن بمستقيمين) أي لا يمكننا فإن مقابل الاستيقان مطلق الظن للضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي أحياتنا الدنيا (وبدا لهم) أي ظهر لهم حينئذ (حيثات ما عملوا) على ما هي عليه من الصورة المشكرة المأثلة وعابوا وخامه عاقبتها أو جازاها فإن جزاء السيئة سيئة (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم نسفكم) نركم في العذاب ترك المنسى (كأنسيتم) في الدنيا (لما كنتم يومئذ) أي كما كنتم عدته ولم تبالوا به وإضافة النفا إلى اليوم إضحية المصدر إلى ظرفه (وما أواكم النار وما لكم من ناصرين) أي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم



منها (ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب انكم (اتخذتم آيات الله هزوا) مهزوما جازما ولم تفسدوا لها ولنا (وغيرتم الحيوة الدنيا) فحسبتم ان احياها فاسواها (فاليوم لا يخرجون منها) أي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والانتقال الى القبة للابذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب (ثلاثة بهم أو يعلم من مقام الخطاب الى غيبة النار (ولا هم يستنبئون) أي يطلب منهم أن يعينوا ربه أي يرضوه لفوات آياته (فقد اخذ) عاصه (رب السموات ورب الارض رب العالمين) فلا يستحق احد سواه وتكرر الرب للتأكيد والابذان بأن رويته تعالى لكل منها بطريق الاصله وقرئ (رفع الثلاثة على المدح باظهار هو (وله الكبرياء في السموات والارض) لظهور آثارها وتحكمها فيها واظهارها في موقع الاختيار تصغير شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذي لا يغلب (الحكيم) في كل ما قضى وقدر فاحدوه وكبروه وأطيعوه. هن التي عليه الصلاة والسلام من قرأه الحاشية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب

## سورة الاحقاف

(مكية وآيات أربع أو خمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(رحم تذييل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالأدنى مرقى مطلع السورة السابقة (ما خلقنا السموات والارض) بما فيها من حيث الجزئية منها ومن حيث الاستقرار فيها (وما بينهما) من المخلوقات (الا بالحق) استنبطه مخرج من أهم القائل أي الا خلقا متصفا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أهم الاحوال من فاعل خلقا أو من مقوله أي ما خلقنا في حال من الاحوال ملائمة بالحق أو حال ملائمة به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفاته كانه وابتداء أعماله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة لا يخفى (وأجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف أي بتقدير أجل مسمى ينهي اليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ورواها الواحد القهار وقيل هو آخر مدة القاء المقدور لكل واحد وآياته قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم واعرصون) فان ما ألدوه يوم القيامة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا أثر أعمالهم وقد جرد كونهم ماصدرة واجلة حالية أي ما خلقنا الخلق الا بالحق بتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له (قل) تو بهائم وتبكتكم (أرأيتم) أخبروني وقرئ (أرأيتم) (مائدعون) مائدعون (من دون الله) من الاصنام (أروني) أنا كيد لا أرى (ماذا خلقوا من الارض) بيان للايهام في ماذا (ألم لهم شرك) أي شركه مع الله تعالى (في السموات) أي في خلقها أو ملكها وتديرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمنزلة من ذلك الاستحقاق للمرة وان كان من الاحياء العقلية فما خلقكم بالجماد وقوله تعالى (أتوفى بكتاب) الخ تكنت لم يتعجز عن الاتيان بسند ثقل بعد تبيكيتهم بالتمجيز عن الاتيان بسند ثقل أي اتوفى بكتاب المي كان (من قبل هذا) الكتاب أي القرآن التاطق بالوحيد وابطال الشرك قال على حصة دينكم (أو آثارة من علم) أو بقية من علم قبليت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة (ان كنتم صادقين) في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يتم عليها برهان عقل أو سلطان ثقل وحيث لم يتم عليها شيء منها وقد قايت على

خلالها أدلة العقل والقليل تين بطلانها وقرئ (اثارة بكسر الحاء أي منافرة فانها تثير المعاني وآثارة أي شيء أوترقته به وخصصتم من علم مطوي من غيركم وآثارة بالحركات الثلاث مع سكون التاء أما المسكورة فمعنى الآثارة وأما المنقوطة فهي المرة من أثر الحد يثأى رواه وأما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) انكار وتوبيخ لأن يكون أحد يساوي المشركين في الضلال وان كان سيك التوكيد لثقل الاضل منهم من غير تعرض لثقل المساوي كما مر غير مرة أي هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة (الي يوم القيامة) غاية لثقل الاستجابة (يوم عن دعائهم) الضير الاول للمفعول بدعو والثاني لقاعله واجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الافراد فياسق باعتبار لفظها (فاظنون) لكونهم جمادات وصنائر العقل لا جرائهم ايها عبيد العقل ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور خللها للتبكيها وبعبثتها كقولها تعالى ان تدعوهم لا يستمعوا دعاءكم الآية (وانا حشر الناس) عند قيام القيامة (كانوا لهم أعداؤا كانوا بعبادتهم كافرين) أي مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيي الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر وشناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك يروم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا العبد وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (واذا تلى عليهم آياتنا بينات) وانحلت أو بينات (قال الذين كفروا بالحق) أي لآله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتولة ومنع موضع ضميرها تصريحا على حقيقتها وجوب الاعتناء بها كما وضع الموصول موضع ضمير المشعول عليهم تسجيلا عليهم بكلم الكفر والضلالة (لما جاءهم) أي في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أي ظاهر كونه سحرا (أم يقولون اقترامه) اضطراب وانتقال من حكاية شاعرتهم السابقة الى حكاية ما هو أشنع منها وما في أم من المفردة للانكار التوبيخي المخصص للتعجب أي بل يقولون اقترام القرآن (قل ان اقترنته) على الفرض (فلا تملكونني من الله شيئا) الا لا يصدق أنه تعالى بما جلي جبت بالقوة فكيف أجترى على أن اقترى عليه تعالى كذا فأعرض عنى العقوبة التي لا مناص منها (هو أعلم بما تفيضون فيه) أي تدفعون فيه من القدح في رضى الله والظن في آياته وتسبى سحرا نارة وقرية أخرى (كفى به شيدا بيني وبينكم) حيث يشهدني بالصدق والصلاح وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاحتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد الغفران والرحمة لمن تاب وآمن واستمار يعلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع بمعنى البدع كالحل حتى التحليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الهاء على أنه صفة كقبح وريم أو جمع مقدم بمتضاف أي ما بدع وقد جرد ذلك القرية الاولى أيضا على أنه مصدر قالوا يقترحون عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن العبيات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى أتيتكم بكل ما تنفردونه وأخبر بكل ما تسألون عنه من العيوب فان من قبل من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا بأول الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما أوحى اليهم (وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم) أي أن شيء يصيبني فيما يستقبل من الزمان من أهواله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاءه وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى ما يصير اليه أمري وأمركم في الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى لا يضر لك الله ما تنقد من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المتنى هي الدواة المفصلة والظاهر الاوفا لما ذكر



من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس عليه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما يقع في الآخرة  
فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبيين هذا وقد روى عن الكلبي أن  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى تكون على هذا فقال ما أدري  
ما يفعل في ولاكم أترك بمكة أم أومر بالتحج إلى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتهما يعني في منامه وجوز  
أن تكون مأموصولة والاستفهامية أقصى لحق مقام التبرؤ عن الدنياه وتكريرا لنزول النقي المنسحب إليه وتأكيده  
وقرى ما يفعل على اسناد الفعل إلى ضميره تعالى (أن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي على  
معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع إلى الافهام وقد مر  
تحقيقه في سورة الانعام وقرى يوحى على البناء للفعل وهو جواب عن افتراضهم الاخبار عما يوحى إليه عليه السلام  
من الغيوب وقيل عن استيعمال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى (وما أنا  
الا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى إلي (بين) بين الانذار بالمعجزات الباهرة (قل أرأيتم ان كان  
أي ما يوحى إلي من القرآن (من عند الله) لا سحرا ولا مفترا كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتم به) حال  
باضايرهم من الضمير في الخبر وسقط بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر أو عطف على كان كما في  
قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على أن نظمه في ذلك الشرط المتروكين والوجه وعندهم  
باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في أن  
ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال في قوله تعالى (وشهد شاهد من بني اسرائيل) وما بعده من  
الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم في أنها شهادة وإيمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا  
والمعنى أخبروني ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين  
على شؤون الله تعالى وأمرار الوحي بما أوتوا من التوراة (على مثله) أي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة  
المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه  
لن ذر الاولين وقوله تعالى ان هذا لني الصحف الأولى والثالية باعتبار تأويلها بعبارات أخر أو على مثل ما ذكر من  
ونه من عند الله تعالى والثالية لما ذكر وقيل للثالثة والفا في قوله تعالى (فأمن) للدلالة على أنه سارع إلى  
الايمن بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله  
عليه وسلم المدينة أتاه فخطب إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له أتى مسألك  
عن ثلاث لا يعلمن الا انبي ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والوالد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه  
الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فمبارحهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فبادة كبختوت وأما  
الولد فان سبق ما الرجل يزعمه وان سبق ما المرأة زعمته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم  
بغت فان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى يهترو عندك فقامت اليهود فقال لم النبي عليه الصلاة والسلام أي رجل  
عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاده الله  
من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه  
قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يقول لاحد يمشى على الأرض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد

موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله  
ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وإن كانت  
السورة مكية (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني ان كان من عند الله  
تعالى وشهد على ذلك أعلم بني اسرائيل فأمن به من غير تعلم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم  
بقريته قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى (ان الله لا يهدي  
القوم الظالمين) فان عدم الهداية ينبي عن الضلال قطعاً وصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم  
لظلمهم (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي قال كفار  
مكة (الذين آمنوا) أي لاجلهم (لو كان) أي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيرا ما سبقونا  
اليه) فان معالي الامور لا ينالها أيدي الازداد وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورفاة قالوه زعمنا منهم أن الرياسة  
الدنية مائنال بأسباب دنيوية لما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وذل عنهم أنها منوطة بكمالات  
نفسانية وملكات روحانية منهاها الاعراض عن زعارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها  
فقد حازها بحذاقيرها ومن حرما فله منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهة ومنينة  
وأسلم وغفار وقيل قاله اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه وأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء  
إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (واذلم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويرتبط عليه ما بعده أي واذلم  
يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكتفين بنبي خيرته (هذا افك قديم) كما قالوا أساطير الاولين  
وقيل المحذوف ظهر عندهم وليس بذلك (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خير لقوله تعالى (كتاب موسى)  
قيل والجلسة حالية أو مستأنفة وأيا ما كان فهو لرد قولهم هذا افك قديم وباطل فان كونه مصدقا لكتاب موسى  
مقرر لحقيقته قطعاً (اماما ورحمة) حالان من كتاب موسى أي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشراعه كما يقتدى  
بالادام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذي يقولون في حقه ما يقولون (كتاب)  
عظيم الشأن (مصدق) أي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد  
قرئ كذلك (لسان عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة  
وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير  
الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير القراءة بناء الخطاب (وبشرى للحسنين) في  
حين النصب عطفاً على عمل لينذر وقيل في محل الرفع على أنه خير مبتدا مضمرة أي وهو بشرى وقيل على أنه عطف على  
مصدق (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور  
الدين التي هي مشي العمل وتحملا لالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من  
لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لانيان  
نفي دوام الحزن كما يومه كون الخبر مضارعا وقدم بيانته مرا (أو تلك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين  
(أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المسكن في أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب بما بعامل مقدراً أي يحزون  
جزاء بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة في معنى جازيتهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات  
العالية والعملية (ووصينا الانسان) بأن يحسن (بوالديه احسانا) وقرى حسنا أي بأن يفعل بهما حسنا أي



فعلًا ذا حسن أو كآته في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ: يضم السين أيضا ويفتحهما أي بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيانه أيضا حسنا. (حلت أمه كرها ووضعت كرها) أي ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ: بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ: وفصله والفصل والفصال كالقطع والقطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالأمد المدة من قال

(ثلاثون شهرا) تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما (حتى إذا بلغ أشده) أي اكتمل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبي قبل أربعين وقرئ: حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعني) أي الهني وأصله أوزعني من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) أي نعمتي التي أوتيتها وأما يعينها وغيرها (وأن أعمل صالحا ترضاه) التذكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لي في ذريتي) أي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي واستخافهم كما في قوله يجرح في عراقيبا نصلي قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعا أبي بكر رضي الله عنهم فأعطى تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فبيدة ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (إني تبت اليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن ذكرك (وإني من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) إشارة إلى الانسان والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعده وبعده منزله أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فإن المباح حسن ولا يثاب عليه (وتجاوز عن سيئاتهم) وقرئ: الفعلان بالياء على اسنادهما إلى الله تعالى وعلى بنائهما للفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (في أصحاب الجنة) أي كائنين في عدادهم متقدمين في سلوكهم (وعند الصدق) مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى تتقبل من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذي كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل (والذي قال لوالديه) عند دعوتها له إلى الإيمان (أف لك) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان الموقف له كما في هيت لك وقرئ: أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحرركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالجموع كما سبق قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قبل اسلامه بده ماسيا في من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصدقة رضي الله عنها من قال ذلك (أتعداني أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرئ: أخرج من الخروج (وقد خلت القرون من قبلي) ولم يبعث منهم أحد (وهما يستثنيان الله) يسألانه أن يغشيه ويوفقه للإيمان (وبلك) أي قائلين له وبلك وهو في الأصل دعا عليه بالثبوت وأريد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقية الهلاك (آمن أن وعد الله حق) أي البعث أضافاه

إليه تعالى تحقيق الحق وتنبيه على خطئه في اسناد الوعد إليهما وقرئ: أن وعد الله أي آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذبا لهما (هاتهما) الذي تسميانه وعد الله (الأساطير الأولين) أباطيلهم التي سطرها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات الباطلة (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لا يلبس لأملأن جهنم منك وعن تبعك منهم أجمعين كما يأتي عنه قوله تعالى (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد مر تفسيره في سورة الم السجدة (انهم) جميعا (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرهم الأصلية الجارية بحري رؤس أموالم باتباعهم الشيطان والجملة لتعليل الحكم بطريق الاستئناف التحققي (ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجرية ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبية في مراتب المثوبة وإيرادها بهذا الطريق للتغليب (وليوفهم أعمالهم) أي أجرية أعمالهم وقرئ: بنون العظمة (وهو لا يظنون) بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة إما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قبل ما فعل من تقدير الأجرية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب درجات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب بالغة (أذهبتم طياتكم) أي يقال لم ذلك وهو الناصب للظفر وقرئ: أذهبتم بهزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخي أي أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذا ذمها (في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أي الهوان وقد قرئ: كذلك (بما كنتم) في الدنيا (تستكبرون في الأرض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تنفسون) أي تخرجون عن طاعة الله عز وجل أي بسبب استكباركم ونفكم المستعربين وقرئ: تنفسون بكسر السين (واذكر) أي لكفاركم (أعاده) أي هو عليه السلام (إذا نذر قومه) يدل اشتغال منه أي وقت انذاره أيام (بالاحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه أنحسا من أحقوق الشيء إذا أعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أي الرسل جمع نذر بمعنى المنذر (من بين يديه) أي من قبله (ومن خلفه) أي من بعده والجملة اعتراض مقر لما قبله مؤكدا لجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذره قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا إلا الله) صارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيدانها باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذارهم قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم قد أنذروا من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكروهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذروهم وقال لهم لا تعبدوا إلا الله (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد في نسبة الخلوالي من بعده من الرسل من تنزيل الآية منزلة الخلل (قالوا أجبنا لك أجبنا) أي تصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأنتنا بما نعبدنا) من العذاب العظيم (أن كنت من الصادقين) في وعدك بنزوله بنا (قال إنما العلم) أي بوقت نزوله وأعلم بجميع الأشياء التي من أجلها ذلك (عند الله) وحده لا علمي بوقت نزوله ولا مدخل لي في آتيانه وحوليه وإنما عليه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدرة (وأبلغكم ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التي من أجلها بيان نزول العذاب أن لم تنهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ: أبلغكم من الإبلاغ (ولكني أراكم قوما تجهلون) حيث



تقرحون على ما ليس من وظائف الرسل من الايات بالعذاب وتعين وقته والفاء في قوله تعالى ﴿فلبا رأوه﴾ نصيحة والضمير اما بهم يوضحه قوله تعالى ﴿عارضاً﴾ اما تميزاً او حالاً او راجعاً الى المستعجلوه بقوله فالتا بما تعدنا أي فأتاهم فلما رأوه سبحانه يعرض في أفق السماء ﴿مستقبل أوديتهم﴾ أي متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى ﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ ولذلك وتما وصفين للكرة ﴿بل هو﴾ أي قاله هو وقد قرئ كذلك وقرئ قوله تعالى وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو ﴿ما استعجلتم به﴾ من العذاب ﴿ريح﴾ بدل من ما أو خير لمبتدا محذوف ﴿فيها عذاب أليم﴾ صفة لريح وكذا قوله تعالى ﴿تدمر﴾ أي تهلك ﴿كل شيء﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿بأمر ربها﴾ وقرئ يدمر كل شيء من دمر دماراً اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استئنافاً وارداً لبيان أن لكل ممكن قضاء متوطاً بأمر باريه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر الأمر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى ﴿فأصبحوا﴾ لا يرى الا مساكنتهم نصيحة أي جازتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا صناديقهم وقرئ ترى بالياء ونصب مساكنتهم خطاباً لكل أحد يتأني من الرؤى تنبئاً على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلاهم لا يرى فيها الا مساكنتهم ﴿كذلك﴾ أي مثل ذلك الجزاء القطيع ﴿بحر القوم الجرمين﴾ وقدر تفصيل القصص سورة الاعراف وقدر وى أن الريح كانت تحمل القساط والظعنة فارتفعها في الجو حتى ترى كأنها جردة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كسبب النار وروى أن أول ما عرفوا به أنه عذاب ماراً واما ما كان في الصحراء من حالهم وأشبههم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكلوا تحتها ليل وثمانية أيام لم آتني ثم كشفت الريح عنهم فاحتماهم فطرحتهم في البحر وروى أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً الى جنب عين نفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حفرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلته الانفس وانهارت من عاد بالظلم بين السماء والارض وتدمتهم بالحجارة ﴿ولقد مكناهم﴾ أي قرنا عاداً أو أقدرناهم وما في قوله تعالى ﴿فيا ان مكناكم فيه﴾ حوصولة أو موصوفة وان نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادئ التصرفات فإني قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم يكن لكم وما يحسن موقع ان ههنا التخصي عن تكرار لفظه وهو الداعي الى قلب ألفبها فيهما وجعلها شرطية أو زائدة على ما يليق بالمقام ﴿وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة﴾ ليستعملوها فيها خلقت له ويعرفوا بكل منها ما تطب به معرفته من قوت النعم ويستدلوا بها على شؤون نعمها عز وجل ويدأموها على شكره ﴿فما أغنى عنهم سمعهم﴾ حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ﴿ولا أبصارهم﴾ حيث لم يحتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ﴿ولا أفئدتهم﴾ حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى ﴿من شيء﴾ أي شيئاً من الاغناء ومن عزيمة التاكيد وقوله تعالى ﴿اذ كانوا يحسدون آيات الله﴾ متعاقب بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أخيف اليه فان قولك أكرمته اذا كرمته في قوة قولك أكرمته لانك اذا أكرمته وقت أكرامه فأنما أكرمته فيه لوجود أكرامه فيه وكذا الحال في حيث ﴿وحقق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فالتا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ بأهل مكة ﴿من القرى﴾ كجبر قود وقرى قوم لوط ﴿وصرفنا الآيات﴾ كبرنا لهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر

والمعاصي ﴿فالولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ القربان ما يتقرب به الى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فلما نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى وهو لا شفعاؤنا عند الله وفيه تهكمهم ولا مبالغ لجعل قربانا مفعولاً ثانياً وآلهة بدلانته لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الخلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أي متقرباً به مما لا صحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الواو ﴿بل ضلوا عنهم﴾ أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخرهم كأن عدم نصرهم لغيبهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور ﴿وذلك﴾ أي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم ﴿افكهم﴾ أي أثر افكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلها مصدر فالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك إشارة حيث ذل الى الاتخاذ أي وذلك الاتخاذ الذي هذه ثمرة وعاقبة صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للبيان وافكهم من الافعال أي جعلهم آفكين وقرئ افكهم على صيغة اسم الفاعل مضاف الى ضميرهم أي قولهم الافك أي ذوالافك كما يقال قول كاذب ﴿وما كانوا يفترون﴾ عطف على افكهم أي وأن افترائهم على الله تعالى وأنهم ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك كما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الافك ﴿واذصرفنا اليك نفراً من الجن﴾ أملائهم اليك وأقبلناهم نحوكم وقرئ مصرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله تعالى ﴿يستمعون القرآن﴾ وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصه بالصفة أو صفة أخرى له أي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفراً من الجن مقدراً استماعهم القرآن ﴿فلبا حضروه﴾ أي القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الانفضات والاول هو الاظهر ﴿قالوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿أفصتوا﴾ أي استكثروا لنسبهم ﴿فلبا قضى﴾ آثم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام ﴿ولوا الى قومهم منذرين﴾ مقدرون انذارهم عند رجوعهم اليهم روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجعوا بالشهب قالوا ما هذا الا لنا حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيين أو ينفوى منهم زو بعة فضرروا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رأيهم وإنما كان يتلو في صلاته ففروا به فوقوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأ الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فنصرف اليه نفراً منهم جميعهم له فقال عليه الصلاة والسلام اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فن تبعني فلبا ثلاثاً فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطاً فقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغوا شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيت أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما سمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالاً سوداء مستعري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيين وكانوا اثني عشر ألفاً والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك ﴿قالوا﴾ أي عند رجوعهم الى قومهم ﴿يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى﴾ قيل قالوه



لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ أرادوا به التوراة ﴿يهدى إلى الحق﴾ من العقائد الصحيحة ﴿والى طريق مستقيم﴾ موصل إليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة ﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به﴾ أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوى إلى ذلك بعد بيان حقيقته واستقامته ترغيبا لهم في الإجابة ثم أكدوه بقوله ﴿يعترف لكم من ذنوبكم﴾ أى بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان ﴿ويحرمكم من عذاب أليم﴾ معد للكفرة واختلف في أن لهم أجرا غير هذا أولا والأظهر أنهم في حكم بنى آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ﴿ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض﴾ انجذاب للإجابة بطريق الترهب اثر انجذابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم مذبذبين واطهار داعي الله من غير اكتماله بأحد الضمينين للبالغة في الانجذاب بزيادة التفرير وتروية الهابة وإدخال الروعة وتقيد الانجذاب بكونه في الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالمهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها وأدخل في أحصائها وقوله تعالى ﴿وليس له من دونه أولياء﴾ بيان لاستحالة نجاة بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاة بنفسه ووجه الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لا تقسام الأحاد إلى الأحاد كما أن الجمع في قوله تعالى ﴿أولئك﴾ بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم إجابة داعي الله ﴿في ضلال مبين﴾ أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه ﴿أولم يروا﴾ الحمزة للأنكار والواو للتعطف على مقدر يستدعيه المقام والرفعة قبلية أى المفضلون أولم يعلموا علما جازما تاما شاهدقو العيان أن الله ﴿الذي خلق السموات والأرض﴾ ابتداء من غير مثال يحتذى ولا قانون يتبعه ﴿ولم يعي تخلفين﴾ أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عيت بالأمر إذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى ﴿بقادر﴾ في حيز الرفع لأنه خبر أن كما بني عنه القراءة بغير باء ووجه دخوله في القراءة الأولى اشتغال النفي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر ﴿على أن يحيي الموتى﴾ ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى ﴿بلى إنه على كل شئ قدير﴾ تقرير للقدر على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ ظرف عاملة قول مضمر مقوله ﴿أليس هذا بالحق﴾ على أن الإشارة إلى ما يشاهدونه حيث من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكره وتأنيده اذ هو اللاتق بنهوله وتفخيمه وقد مر في سورة الاحزاب وقيل هي إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله وعيده وقولهم وما نحن بمعذبين ﴿قالوا بلى وربنا﴾ أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يعلمون في الخلاص بالاعتراف بحقيقتها إذا في الدنيا وأقلم ذلك ﴿قال قدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بها في الدنيا ومعنى الأمر الإلهاني بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولو النزال﴾ جواب شرط محذوف أى إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهنم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن التبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولي النزال نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاناة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليه وآله وصبر على السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كمن صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يعشى عليه وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر على الحب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه أنا لمر كون قال كلاً ان معي ربى سيدين ودادوكى على خطيئتك أربعين سنة وعيسى لم يضع

آية على لينة صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين ﴿ولا تستعجل لهم﴾ أى لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم ﴿كانهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا ﴿الاساعة﴾ يسيرة ﴿من نهار﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى ﴿بلاغ﴾ خبر مبتدا محذوف أى هذا الذى وعظمت به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ولؤيؤيده أنه قرى بلغ وقرى بلاناً أى بلغوا بلاناً ﴿فهل يهلك الا القوم الفاسقون﴾ أى الخارجون عن الاعتاطية أو عن الطاعة وقرى بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبتون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل ردة في الدنيا

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال

وهي مدنية وقيل مكة وآياتها تسع أو ثمان وثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ أى أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا أو منعوا الناس عن ذلك من صد صدوا كالمضامين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخلوا في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد ﴿أضل أعمالهم﴾ أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضاعها فإن ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها بالإيمان أو أبطل ما عملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله وأظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سبق من قوله تعالى قتلهم وأضل أعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم اخ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ قيل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام لكل ﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾ خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراج فيه قوله تنوينا بشأنه وتنبيا على نحو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل في الكل ولذلك أكد بقوله تعالى ﴿وهو الحق من ربهم﴾ بطريق حصر الحقيقة فيه وقيل حقيقته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأيا ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرى نزل على النبي للفاعل وأزل على النبي نزل ونزل بالتخفيف ﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أى سترها بالإيمان والعمل الصالح ﴿وأصلح بهم﴾ أى حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق ﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما مر من اضلال الأعمال وتكفير السيئات وأصلح الباطل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ﴿بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم﴾ أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتها له لكونه أصلا مستتبعا لها قطعاً وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذي لا يحيد عنه كائناً من ربهم ففعلوا ما فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتها له لكونه مبدأ ومنشأ لها محتاجاً فلا تدافع بين الاشعار والتصریح في شئ من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل



على ما يقابل الحق وهو الرائل الذاهب الذي لا أصل له أصلا فالصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطان مبتاه وزواله وأما حمله على مالا يتنعم به فليس كما ينبغي لما أن الكفر والصد أخش منه فلاجوه للتصريح بسببته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصير بعد الاشعار بسببتهما له قدر ويجوز أن يراد بالبطل نفس الكفر والصد والحق نفس الايمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر به في الموقعين **﴿ كذلك ﴾** أي مثل ذلك الضرب البديع **﴿ يضرب الله ﴾** أي يبين **﴿ للناس أمثالهم ﴾** أي أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية في القرابة يجري الأمثال وهي اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى **﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا ﴾** لترتيب ما في حيزها من الأمر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وضلال أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الأحكام أي فاذا كان الأمر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة **﴿ تضرب الرقاب ﴾** أصله فاضربوا الرقاب ضربا يخلف الفعل وقدم المصدر وأنيب منه مضاعفا للمفعول لوفيه اختصار وتأكد يبلغ والتخبر به عن القتل تصويره بأشنع صورة وتهويل لأمره وإرشاد للقراءة إلى أيسر ما يكون منه **﴿ حتى إذا أغتصموا ﴾** أي أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أغتصموا بالقتل والجراح حتى أذهبتهم عنهم النبوض **﴿ فشدوا الوثاق ﴾** فأسروهم واحتفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد فرى بذلك **﴿ فاما ما بعد ﴾** واما فدا **﴿ أي فاما تمتون منا بعد ذلك أوتقدون فدا ﴾** والمعنى التخير بين القتل والاسترقاق والمن والقدأوهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم ما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فدا إنما هو الإسلام أو ضرب العنق وقرى فدا كصا **﴿ حتى تضع الحرب أوزارها ﴾** أوزار الحرب أوزارها وأتقاطها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع وأسند وضعا إليها وهو لأهلها استادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة وللجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبدا إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا يبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فإن حل الحرب على حرب بدر في غاية للن والقدأ والمعنى بمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وإن حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويأسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أي حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا **﴿ ذلك ﴾** أي الأمر ذلك أو أفعالوا ذلك **﴿ ولو يشاء الله لانتصرهم ﴾** لا تنضم منهم بعض أسباب الملكة والاستصالة **﴿ ولكن ﴾** لم يشأ ذلك **﴿ ليعلم بعضكم بعضا ﴾** فأمرهم بالقتال بلاك بالكافرين لجهادهم فقتلوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعلمهم على أيديكم بعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر **﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾** أي استشهدوا وقرى قاتلوا أي جاهدوا وقتلوا وقتلوا **﴿ فان يضل أعمالهم ﴾** أي قلن يضيعها وقرى يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد **﴿ سيديهم ﴾** في الدنيا إلى أرشد الأمور وفي الآخرة إلى الثواب وأسبغت هدايتهم **﴿ ويصلح لهم ويدخلهم الجنة عرفا لهم ﴾** في الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى إليه كما أنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعسله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى أو طبعها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حدها لهم وأفرزها من عرف الدار الجنة كل منهم محددة مفرزة واجلة امامسأفة أحوال باضار قدأ وبدونه **﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تصروا الله ﴾** أي دينه ورسوله

**﴿ ينصركم ﴾** على أعدائكم ويفتح لكم **﴿ ويبت أقدامكم ﴾** في مواطن الحرب ومواقبها أو على حجة الاسلام **﴿ والذين كفروا فتعالمهم ﴾** التعس الملاك والعمار والسقوط والشر والعدو والخطاط ورجل تاعس وتعن واتصابه بضله الواجب حذفه سمعا أي فقال تعالمهم أو قضى تعالمهم وقوله تعالى **﴿ وأضل أعمالهم ﴾** عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للوصول **﴿ ذلك ﴾** أي ما ذكر من التعس واضلال الأعمال **﴿ بأنهم ﴾** بسبب أنهم **﴿ كرهوا ما أنزل الله ﴾** من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهتوا أنفسهم الامارة بالسوء **﴿ فأحبط ﴾** لأجل ذلك **﴿ أعمالهم ﴾** التي لو كانوا يعملوها مع الايمان لاتيوا عليها **﴿ أقبل يسروا في الأرض ﴾** أي أقعدوا في أماكنهم فلم يسروا فيها **﴿ فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾** من الامر المكذبة فان آثار ديارهم تلي عن أخبارهم وقوله تعالى **﴿ دمر الله عليهم ﴾** استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأهل الله تعالى عليهم ما انحصر بهم من أنفسهم وأهلهم وأموالهم بقلة دمره أهلته ودمر عليه أهله عليه ما ينحصر به **﴿ ولكافرين ﴾** أي وطولا الكافرين السابقين بسيرتهم **﴿ أمثالهم ﴾** أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن طولوا أمثال ما لا يوثق واضعافا بل مثله وانما جامع باعتبار مماثلة لعواقب ددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عقابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستصغفونهم والقتل يبدل المثل أشد المثل من الملاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولم في الآخرة أمثالها **﴿ ذلك ﴾** إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الامم السالفة طولوا **﴿ بأن الله حولى الذين آمنوا ﴾** أي ناصرهم على أعدائهم وقرى ولما الذين **﴿ وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾** فديفغ عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك **﴿ أن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾** بيان لحكم ولايته تعالى لهم وتوحيدهم بالآخرة **﴿ والذين كفروا يمتنمون ﴾** أي يتنعمون في الدنيا بمتاعها **﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾** غلظين عن عواقبهم **﴿ والذات مشى لهم ﴾** أي منزل ثواب واقامة واجلة اما حال مقدرة من ذوا يأكلون واستئناف **﴿ وكأني ﴾** كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كمن الخبرية وعملها الوقع بالابتداء وقوله تعالى **﴿ من قوينة ﴾** تمييز لها وقوله تعالى **﴿ هي أشد قوة من قريتك ﴾** حقة لقريته كما أن قوله تعالى **﴿ التي أخرجتك ﴾** حقة لقريتك وقد حذف عنها المضاف وأجرى أحكامه عليها كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى **﴿ أهلكتهم ﴾** أي دم من أهل قريته هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا أسبا لخروجك من بينهم ووصف القريه الاولى بشدة القوة للايدان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية بأخرجه عليه الصلاة والسلام للايدان بأولوية الثانية لقوة حثايتها وعلى طريقته قول الثانية

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا وأيسر جرمانتك ضرج بالدم

وقوله تعالى **﴿ فلا تناصر لهم ﴾** بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثريين عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية **﴿ أفن كان على ينة من ربه ﴾** تقرير لبيان حال فريق المؤمنين والكافرين وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان لعله ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرى بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتسكنين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن التي عليه الصلاة والسلام وأوعنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يباه به منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فن كان مستقرا على حجة ظاهرة



وبرهان نير من مالك أمره ومريه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كن ذنب له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) بسبب ذلك التزيين (أهوامهم) الزائفة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليهم جميع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الأولين باعتبار لفظها (مثل الجنة التي وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آثافا للؤمنين وبيان كيفية أنهارها التي أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النصيرين شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى (فيها أنهار) الخ مفسر له وقدره سيده فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدور النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزائدة الاسم في قول من قال الى الخول ثم اسم السلام عليكم والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ما غير آمن) أي غير متغير الطعم والرائحة وقرى غير آمن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا خازرا كاللبن الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذينة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خازر وانما هي تلذذ غرض ولذة امانا نيت لذمعي لذني اومصدر نعت به مبالغة وقرى لذة بالرفع على أنها صفة أنهار والنصب على العلة أي لاجل لذة الشاربين (وأنهار من عسل مصفى) لاجتماع الطعما للسمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاثرية في الجنة أنواع ما يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالخلية عما يتنصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها (ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار (من كل الثمرات) أي صنف من كل الثمرات (ومفرقة) أي ولهم مفرقة عظيمة لا يقادير قدره وقوله تعالى (من درهم) متعلق بمحذوف موصوفه لغرضه كدفعها فأفادها لتكرار من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أي كالثمن من درهم وقوله تعالى (كن هو خالقي النار) خبر ليدل على حقيقة قدره فأن هو خالذ في هذه الجنة حسبا جرى به الوعد كمن هو خالذ في النار كما نطق به قوله تعالى والنار موقوتة لم وقيل هو خير من مثل الجنة على أن في الكلام حذف مقابلة أمثل الجنة كشمل جزاء من هو خالذ في النار أو أمثل أهل الجنة كشمل من هو خالذ في النار فمرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابة من يسوى بين المتشكك بالجنة وبين التابع للهوى بمكابة من يسوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ما حيا) مكان تلك الاثرية (فقطع أمعاهم) من فرط الحرارة قيل اذا دنا منهم شوى وجوهم وانما رت فروع رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاهم (ومنهم من يستمع اليك) هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما ساقى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعمون ولا يراعون حرقا رايته تهاونهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم) من الصحابة رضی الله عنهم (ماذا قال آثافا) أي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستسلام وآثافا من قولهم آثاف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وانتف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤثفا أو حال من الضمير في قال وقرى آثافا (وأولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهوامهم) الباطلة فذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه (والذين اهدوا) الى الطريق الحق (زادهم) أي الله تعالى (هدى) بالتوفيق والالهام (وآثافهم تقواهم) أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أي القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أي تأتيهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتغال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أهوال

الأمم الحالية ولا بالاخبار بآيات الساعة وما فيها من عظام الأهوال وما ينتظرون للتذكر الا آيات نفس الساعة بغتة وقرى بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشرأبها) تعليل لمفاجأتها لآياتها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر متقرب ينتظرونه سوى آيات نفس الساعة اذ قد جاء أشرأبها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادئ آياتها فيكون آياتها بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم واشتقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأتى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطبهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى آياتها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ تذكرا الانسان وأنى له الذكري أي وكيف لهم ذكرهم اذا جاءتهم على أن أتى خير مقدم وذكرهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئهم واطلاق المجي عن قيد البتة لما أن مدار استحالة التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البتة وقرى ان تأتيهم على أنه شرط مستأنف جزاءه فأتى لهم الخ والمعنى ان تأتيهم الساعة بغتة لانه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاطفهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لا اله الا الله) أي اذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والمصيان فاقبضت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذي ربما يصد عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى غير عنه بالذنب نظر الى منصبه الجليل كيف لا وحسب الارباب سيئات المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الى التواضع وهضم النفس واستقصاء العمل (واللؤمنين والمؤمنات) أي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يدعى غفرانهم وفي إعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقه جنسا وفي حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه اشعار بهر اقيم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار (والله يعلم مقبلكم) في الدنيا فآياتها مراحل لا بد من قطعها لا محالة (ومثواكم) في العقي فآياتها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيها فادروا الى الامثال بما أكرمكم به فانه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليكم شي منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الأمر به أي سورة معينة لا تشابه ولا احتيال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرى فاذا نزلت سورة وقرى وذكر على استناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لمساق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) أي تشخص ابصارهم جبا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أي فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الولي وأصله أو يل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزته أفلح (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك (فاذا عزم الأمر) استند العزم وهو الجد الى الأمر وهو لأصحابه مجازا كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتحلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك اذا حضر في طعام فلو جئتني لأطعمتك أي فلو صدقه تعالى فيما قالوا من الكلام المنفي عن الحرص على الجهاد بالجرى على وجبه (لكان) أي الصدق (خيرا لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان واطأت قلوبهم في ذلك استسلمت وأياما كان ظالماد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد



التقريع أى هل يتوقع منكم (ان توليتهم) أمور الناس وتأمرتهم عليهم (ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) تاحرا على الملك وتهاككا على الدنيا فان من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون بأحكام الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا أطلقت أعتكم وصرتهم أمرين ما ذكر من الافساد وقطع الأرحام وقيل أن أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الأرض بالتناور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضا وأد البنات وفيه أن الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لا بد أن تكون محذورة باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى أن الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بمادونه من المفاسد وقرئ ولستم على البناء للفعول أى جعلتم ولاية وقرئ توليتهم أى تولاكم ولا ولا جور خرجتم معهم وساعدتمهم فى الافساد وقطعية الرحم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بسى لئلا أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) إشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايدانا بأن ذكر هاتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أى أيدهم من رحمة (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم (وأصمهم أصمهم) لتصمهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق (أفلا يتدبرون القرآن) أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يتعوا فيها ويقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب أفاهاها) فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأهم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والمهزمة للتقرير وتكثير القلوب اما لتحويل حلالها وتفتيح شأنها باهام أمرها فى المساواة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حلالها ولا يقدر قدرها فى المساواة وما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وازدادة الاتفال اليها للدلالة على أنها أفعال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لآثار الاتفال المعهودة وقرئ أفعالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أديبارهم) أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيها سابق بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعدما وجدوا نفعه فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشیطان سول لهم) جملة من مبتدا وخبر وقت خبرا لان أى سبل لهم ركوب العظام من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول الخفف من السؤل لاستمرار القلب فعنى سول له أمرا حينئذ أوقعه فى أميته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبيلا للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان (وأملئ لهم) ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل أمهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالقوية وقرئ وأملئ لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال وللإستئناف وقرئ أملئ لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم (ذلك) إشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاك كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسياعين القول الاق وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى المنافقين المذكورين لاليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نفعه فى التوراة كما قيل فان كفركم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء

كان القول لهم المنافقين أو المشركين على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (الذين كرهوا نزول الله) أى لليهود الكافرين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عليهم بأنه من عند الله تعالى حسدا وطعما فى نزوله عليهم للشركين كما قيل فان قوله تعالى (ستطيعكم فى بعض الامر) عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم ترالى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يرونهم ويؤادونهم وأرادوا باليضع الذى أشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأتون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى (والله يعلم أسرارهم) أى اخفاهم لما يقولونه لليهود وقرئ أسرارهم أى جميع أسرارهم التى من جملتها قولهم هذا واجللة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للانفشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة والفاء فى قوله تعالى (فكيف اذا توفيتهم الملائكة) لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كانه قيل يفعلون فى حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفيتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيثهم اذا توفيتهم الخ وقرئ توفاهم على أنه ما مضى أو مضارع قد حذف إحدى تأنيده (يضربون وجوههم وأديبارهم) حال من فاعل توفيتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيتهم على أهول الوجوه وأفضلها وعن ابن عباس رضى الله عنها لا يتوفى أحد على مصيبة الا يضرب الملائكة وجهه ويده (ذلك) التوفى المائلى (بأنهم) أى بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصى (وكرهوا رضوانه) أى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط) لأجل ذلك (أعمالهم) التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى له عملوها حال الايمان لاتفعوا بها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لمائسى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم) فأم منقطعة وأن خفيفة من أن يوضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف وإن بما فى حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك محالا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولونشأ) أراهمهم (لأريناكم) لعرفناكم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والاتفات الى نون العظمة لابرز العناية بالارادة (فلعرفهم بسيماهم) بعلامتهم التى نسهم بها وعن أنس رضى الله عنه ما سقى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض النزوات وفيها تسمن المنافقين يشكهم الناس فقاموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المحطوف لتأ كيد والفاء لترتيب المعرفة على الارادة وأما ما فى قوله تعالى (ولعرفهم فى لحن القول) فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو أمالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للخطي لا حن لعله بالكلام عن سمات الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للؤمنين وايدان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنولينكم) بالامر بالجهاد ونحوه من التكليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء (ونبلوا أخباركم) ما يخبر به عن أعمالكم فيظهر حسننا وقيحها وقرئ ويبلوا بالياء وقرئ نبلوا بسكون الواو على ونحن نبلوا (ان الذين كفروا



وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا فته عليه الصلاة والسلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والتخدير اول المطعون يوم بدر (ان يضروا الله) بكفرهم وصددهم (شيئا) من الاشياء أو شيئا من الضرر أو ان يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لمعطيه وتقطع مشاقته (وسيجب أعمالهم) أي مكابدهم التي نصبوها في ابطال دينه تعالى ومشاقه رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغيون من الغوائل ولا تضر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم (بالأبواب الذين آمنوا أطعوا الله وأطعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والفسق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكمهم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في أصحاب القلب (فلا تنهوا) أي لا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) أي ولا تدعوا الكفار الى الصالح خوفا فان ذلك اعطاه الدين ويجوز أن يكون منصوبا بضمير أن على جواب النهي وقرى ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تدعوا نحو ارتوا الصيد وتراموه ومنه تراووا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عز يسألون على أحد الوجهين والفناء لترتيب النبي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى (وأتمم الاعلون) جملة حالية مقررة لعنى النبي مؤكدا لوجوب الاتباع وكذا قوله تعالى (والله معكم) فان كونهم الاعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوم الذل والضراعة وكذا توفيقه تعالى لأجور الاعمال حسبا يعرب عنه قوله تعالى (ولن يترك أعمالكم) أي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأقرته عنه من الوتر الذي هو الفرد وغيره عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من النفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق ونزول ترك الاثابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق وانلاها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أي لا أضيق عمل عامل منكم (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لانبائ لها ولا اعتداه بها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتم أجوركم) أي ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي تنافس فيها المنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث ينخل أداؤها بمحاشكم وانما انحصر على ترتيب منها هو ربع العشر تؤدونها الى قراكم (ان يسألكم أموالكم) أي أموالكم (فيحكمكم) أي يحكمكم بطلب الكل فان الاحقة والالاف المبالغة والوع الغاية يقال أحق شأ به اذا استأصله (تخلوا) فلا تعطلوا (ويخرج أصنامكم) أي أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بون العظيمة أو للبخل لانه سبب الاضغان وقرى يخرج من الخروج بالياء والياء مستند الى الاضغان (ها أنتم هؤلاء) أي أنتم أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتفتقروا في سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لولا على أنه بمعنى الذين أي ها أنتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق في سبيل الله يعنى نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فكنم من يخل) أي ناس يخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية السابقة (ومن يخل فانما يخل عن نفسه) فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه واليخل يستعمل بمن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي (والله العني) دون من عداه (وأتمم الفقر) فإياكم به فهو لاحتياكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فليكنم وقوله تعالى (وان تولوا) عطف على ان تؤمنوا أي وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) بخلف مكانكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم)

في التولي عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيما قبلهم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلبا الى جنبه فغضب على نخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان مشوطا بالثريا لتناولوه رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العمم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة

### سورة الفتح

(مدينة نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عتوة أو صلحا بجواب أو بدونه فانه ما لم يظفر به منقلب مأخوذ من فتح باب الدار واستاده الى نون العظيمة لاستعداد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وإيجادا والمراد به فتح مكة شرقا الله وهو المروى عن أنس رضي الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر الاخبار الربانية للايدان بتحقيقه لا محالة تأكيدا للتبشير بأن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنيبة عن عظيمة شأن الخير جل جلاله وعن سلطانه ما لا ينحى وقيل هو ما أتبعه عليه الصلاة والسلام في تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حرب شديد بل تزام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فصلا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن السكبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ما هذا فتح قد صدنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتح وقد رضي المشركون أن يدفعوا بالراح ويسألوا في القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي رأت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث أصاب أن يبيع بعة الرضوان ويغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرج به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة هي أنه زح ما زها حتى لم يبق فيها قطرة فتمسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جده فيها قدوت بالما حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجلس الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتح كافة اذ لا فتح من فروع الاسلام الا وهو شعبة من شعبة وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفاتحة للحكومة والمعنى قضيتك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضي الله عنه وأما كان حذف المفعول المقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح (فتحا مبتنا) بينا ظاهر الامر مكتشف الخلال وفارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والافتات الى اسم الذات المستبج لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد بما انظم في سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي جميع ما فرط منك من ترك الاول وتسديته



ذنباً بالنظر الى منصبه الجليل (و يتم نعمته عليك) باعلاء الدين وضم الملك الى التبوخير مما يما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (و يهديك صراطاً مستقيماً) في تبلغ الرسالة واقامة مراسم الراسه وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من انتصاح سيد الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصل قبل (و ينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه غائماً غالياً لا يظهر كالانوار في الشان النصر كما يعرب عنه تأكيد قوله تعالى (نصر اعز بنا) أي نصراً فيه عزه ومنعة وأوفر اجتماعاً وصفه المصدر بوصف صاحبه مجازاً للبالغة أو عزيراً صاحبه (هو الذي أنزل السكينة) بيان لما أفاض عليهم من مبادئ الفتح من اليقين والطمأنينة أي أنزلها (في قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والامن اظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف (ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم) أي يقيناً مضاعفاً الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به عليه الصلاة والسلام من الشرائع ليزدادوا ايماناً بما مقر وتامع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فأرسلوا ايماناً مع ايمانهم أو أنزل فيها الوفاق والعطفة لله تعالى ورسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايماناً الى ايمانهم (وقد جنود السموات والارض) يدبر أمرها كيف يريد يسلط بعضنا على بعض تارة يوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبينة على الحكم والمصالح (وكان الله عليماً) عالماً في العلم بجميع الأمور (حكيماً) في تدبيره وتدبيره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار عالمين فيها) متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كورب جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أي درهما دبر من تسلط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي ينظفها ولا يظهرها وتقدم الادخال في ذلك على التكفير مع أن الترتيب في الوجود على العكس للسراعة الى بيان ما هو المطلب الأعلى (وكان ذلك) أي ما ذكر من الادخال والتكفير (عند الله فوراً عظيماً) لا يقدر قدره لانه متبني ما يتدبره آيات الله من جلب نفع ودفع ضرر وعند الله حال من فوراً لانه صفة في الاصل فلما قدم عليه صار حالاً أي كأنه عند الله أي في علة تعالى وقضائه والجللة اعراض مقرر لما قبله (و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظالمين بالله ظن السوء) أي ظن الامر السوء وهو أن لا ينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنون به ويتصورونه بالمؤمنين فهو حاق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكراهة خلا أن المفتوح غلب في أن يضاهى اليه ما أراد نفعه من كل شيء وأما المضموم فجار مجرى الشر (و غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف على ما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع أن حقهما الغنا المقيدة اسبغ ما قبلها لما بعدها للايمان باستقلال كل منهما في الوعيد وأصله من غير اعتبار استتباع بعضها البعض (وسامت مصيراً) أي جهنم (وقد جنود السموات والارض) وكان الله عزيراً حكيماً إعادة لما سبق قالوا فاندت التوبة على أن الله تعالى جنود الرحمة و الجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما يلي عنه الترميز بوصف العزة (انا أرسلناك شاهداً) أي على أمك لقوله تعالى ويكورت الرسول عليكم شيدياً (ومبشراً) على الطاعة (ونذيراً) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته (وتزروه) وتقوه بقوة دينه ورسوله (وتؤثروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتزهوه أو تصلوها له من السجدة (بكرة وأصيلاً) غدوة وعشاء عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتية وقرئ

وتزروه بضم الزاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح الزاء وكسرها ونمزوه بضمين وتؤثروه من أؤثره بمعنى وفقه (إن الذين يبايعونك) أي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (انما يبايعون الله) خبر ان يبايعون الله أي يبايعونك هي مبايعة الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيته وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكداً له على طريقة التخييل والمعنى أن عهد الميثاق مع الرسول كعهده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقرئ انما يبايعون الله أي لاجله ولوجه (من تكلم فامسك بيمينه) أي من نقض عهده فامسك بيمينه ضرر نكته على نفسه وقرئ بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه أوفى بعد حلف الواو توسلاً لذلك الى تعظيم لام الجلالة وقرئ بكسر الهاء أي ومن أوفى بعهده (فسيؤتيه أجراً عظيماً) هو الجنة وقرئ بضم الهاء وقرئ بسننونه بضم السين العظيمة (سيعطونك الخلقون من الاعراب) هم أعراب غفار ومزينة وجبنة وأشجع وأسلم والدليل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتصماً حذراً من قريش أن يترضوا بالمعرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أهل لا يرد الحرب وثاقفوا عن الخروج وقالوا ذهب الى قوم قد غروه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيقتلون ويقولون (شغلنا أموالنا وأهلنا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويمسحهم من الضياع وقرئ شغلنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا غفلتنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يشولون بالسهم ما ليس في قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار (قل) وداعهم عند اعتذارهم اليك بأطالهم (فمن يملك لكم من الله شيئاً) أي من يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من التفع (إن أراد بكم ضرراً) أي ما يصركم من هلاك الأهل والمال وضاعفهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرراً بالضم (أو أراد بكم نفعاً) أي ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهلكم فأبى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر معانيهم الكاذبة وتعميم الضرر والتفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والحرمة والظفر والغنية يره قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فانه اضرب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أي ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ما تعملون من الأعمال التي من أجلها تخلصكم وما هو من مبادئ وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الانهزام أي بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهلهم أبداً) بأن يسألهم المشركون بالمرّة تخشعاً ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لمساكركم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد جمع على أهلات كأهلات على تقدير تاه التأنيث وأما الأعلى فاسم جمع كالبالي وقرئ الى أهلهم (وزين ذلك في قلوبكم) وقبحه واستغفتم بشأن أنفسكم غير ما بين بهم وقرئ زين على البناء الفاعل باستدائه الى الله سبحانه أو الى الشيطان (وشتتم ظن السوء) المراد به اما الظن الأول والتكبر للتشديد والتوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التي من أجلها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال (وكنتم قوماً بوراً) أي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع باثر كناية وعود أو فاسدين في أنفسكم



وقولهم وارتسك لا غير فيكم وقيل البور من بارك اهلك من ملك بنا ومن ذلك وصفه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهة تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقررا لوارثهم ومبين لكيفية أي ومن لم يؤمن بهما كذاب هؤلاء المخلفين (فانا أعدنا للكافرين سعيرا) أي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرون ايذانا بأن من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعي بتكفيره وتكبير سعير التوبيخ أو لانها نار غضوة (ولله ملك السموات والارض) وما فيها يصرف في الكل كيف يشاء (يفقر لمن يشاء) أن يفقر له (ويغيب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لأحد في شيء منها وجودا وعدما وفيه حكم لأطاعهم القارعة في استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفورا رحيم) مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضي الحكمة مغفرته من يؤمن به ورسوله وأما من عداه من الكافرين لهم يعزل من ذلك قطعا (سيقول المخلفون) أي المشكرون وقوله تعالى (إذا انطلقتم الى مقام لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أي يقولون عند انطلاقتكم الى مقام خيروا حسموها حسبا وعدكم ايها وخصكم بها عوضا فانكم من غنائم مكة (قدرونا شعبكم) الى خير ونشهد بكم قال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركون في الغنائم التي خصها بأهل المدينة فانه عليه الصلاة والسلام رجع من المدينة في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة فيها وأوائل الحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر عن شيد المدينة فتحها وغنم أموالا كثيرة لخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرئ (كلهم كفة وأيا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل المدينة خاصة لا لغيره تعالى لن يخرجوا مني أبدا فان ذلك في غزوة تبوك (قيل) انقطاعهم (أن تقبضوا) أي لا تقبضوا فانه في معنى النبي للبيعة (كذلك قال الله من قبل) أي عند الانصراف من المدينة (فيقولون) للؤمنين عند اجتماع هذا النبي (بل تحسدونا) أي ليس ذلك النبي حكم الله بل تحسدونا أن نشارككم في الغنائم وقرئ (تحسدونا يكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أي لا يفهمون (الا قليلا) الاضمار قليلا وهو فضيلتهم لأموال الدنيا رد لتزول الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وألم من الجمل المفرد وسو الفهم في أمور الدين (قل للمخلفين من الأعراب) كررة كرم هذا العنوان مبالغة في دعهم (ستدعون الى حرم أولي بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسلبة الكذاب أو غيرهم من ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الآخرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لا غير كما يفسح عنه قرأه أو يسلموا وأما من عداهم فيقتل قتلهم بالجزية كما يشي بالاسلام وفيه دليل على امامة أبي بكر رضي الله عنه اذ لم تنفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صبح أنهم تقبض وهو ان كان في عهد النبوة فيخص دوام بني الاتباع بسا في غزوة غير كما قاله عبي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون يتقادون فان الروم انصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية (فان طغيوا بترك الله أجرا حسنا) هو النعمة في الدنيا والآخرة (وان تنولوا) عن الدعوة (كأنتم من قبل) في المدينة (يصدكم عذابا أليبا) لتضاعف جرمكم (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أي في التخلص عن القبول لما بهم من العذر والمعاذ فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي بني الحرج عن كل من الطوائف المسدودة مزدا اعتنا بأمرهم وتوسيع لعادة الرخصة (ومن يطلع الله ورسوله) فيما ذكر من الأوامر والنواهي (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرئ (يدخله جنات العظيمة) (ومن يتول) أي عن الطاعة (يعذبه) وقرئ بالتول (عذابا أليبا) لا يقادر

قدره (لقد رضي الله عن المؤمنين) هم الذين ذكر شأن ما بينهم وبهذه الآية سميت سورة الرضوان وقوله تعالى (إذا يأيها ملك تحت الشجرة) منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو يحدوق هو حال من مقوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل المدينة بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى أهل مكة فها هو به فتمعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت الحرب وانما جاء لاثرا لهذا البيت مظلما لحرمة فوزه وقالوا ان شأن أن تطوف بالبيت فانه لم يأت لثرا لا تطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قدوة فقال عليه الصلاة والسلام لا يخرج حتى تاجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل صدرة على أن بقائهم قرشا ولا يقرؤا وروى على الموت دونه وأن لا يقرأوا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتم اليوم غير أهل الأرض وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلاثمائة وقوله تعالى (فصل ما في قلوبهم) عطف على يأيها ملك لما عرفت من أنه بمعنى يأيها لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على عليه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند ما بينهم صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضي أن أنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأناهم فحار قريبا) هو فتح خيبر غلب انصرافهم من المدينة كما مر تفصيله وقرئ (وأناهم) ومعناهم كثيرة بأحسبنا (أي مقام خيبر والاتفات الى الخطاب على قراءة الأعراس وملحة ونافع لشرعهم في مقام الاستئذان (وكان الله عزيرا) غالبا (حسبنا) مراعى لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضائاه (وعذرك الله مغناهم كثيرة) هي ما يفرضه على المؤمنين الى يوم القيامة (تأخذونها) في أو قتلها المقدرة لكل واحدة منها (فصل لكم هذه) أي غنائم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حيث جلاوا لصرتهم فخذف الله في قلوبهم الرعب فتكفوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للؤمنين) أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم عند رجوعه من المدينة ما ذكر من المغائم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما عند ذوق مؤخر أي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بماتعلق به غلة أخرى عند ذوق من أحد الفعلين أي فصل لكم هذه أو كف أيدي الناس لانتصاها وتكون الخ فالأول اعترافه وعلى الثاني عاطفة (وهديكم) بتلك الآية (صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تدرون (وأخرى) عطف على هذه أي فصل لكم هذه المغائم ومغائم أخرى (لم تقدروا عليها) وهي مغائم هراث في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) حقة أخرى لاخرى مفيدة لسبولة تأتيا بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالظفر الى قدرتهم أي قد قدر الله عليها واستولى وأظهر لهم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم وهذا وقد قيل ان أخرى منصوب بمقتضى يفسره قد أحاط الله بها أي وقضى الله أخرى ولا ريب في أن الاخبار يقضاه الله ايها بعد اندراجها في جملة الغنائم المعودة بقوله تعالى وعذرك الله مغناهم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها (وكان الله على كل شيء قديرا) لأن قدرته تعالى ذاتة لا تختص بشيء (ولو قال لكم الذين كفروا) أي أهل مكة ولم يصالحكم وقيل حلفاء خيبر (لو لو الادبار) منهزمين (ثم لا يجحدون ولما) بحرهم (ولا نصرا) ينصرهم (سنة الله التي دخلت من قبل) أي سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن معنى من الامم



(ولن نجد لسنة الله قبلا) أي تغيرا (وهو الذي كتب أيديهم) أي أيدي غار مكة (عسكم وأيديكم عنهم يعني مكة) أي في داخلها (من بعد أن أطفركم عليهم) وذلك أن عكرمة بن أبي جهل خرج في حيلة إلى الحديبية قبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فزهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة تمتعت عبوة لاصلاحها (وكان الله بما تعملون) من عقابهم وهمهم أولا والكشف عنهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء (بصيرا) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجزم عطفا على المسجد بخلاف المضاف أي ويخرج الهدى وبالرفع على وعد الهدى وقوله تعالى (مكشوف) حال من الهدى أي عيوسا وقوله تعالى (أن يبلغ محله) بدل استئمان الهدى أو منصوب برفع الخافض أي عيوسا من أن يبلغ مكانه الذي يبلغ فيه عزمه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر على هدبه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيابه صلى الله عليه وسلم كانت في الحل ومصلاته في الحرم وهناك عرت هذا ياد صلى الله عليه وسلم والمراد صدحا عن عليا للمعروف الذي هو مولى (ولولا رجال مؤمنون وساء مؤمنات لم تعلموا) لم تعرفهم بأعيانهم لاختلاطهم بهرجة رجاله ونساءه وقوله تعالى (أن تعلموا) أي تولوا ما هم بتهلككم بذلك استئمانهم أو من الضمير المنصوب حتى تعلموا (فصيصكم منهم) أي من جنهم (معرفة) أي مشقة ومكره كجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعب الكفار وسوء قاتلهم والائتم بالضمير في البحث عنهم وهي مقابلة من عزم إذا عزم ودهاء ما يكرهه (غير علم) متعلق بأن تعلموا أي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف دلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا انما مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فصيصكم بذلك مكره لما كلف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الشق رحمة) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيب لكن كتبنا عنهم ليدخل بذلك الكف المودى إلى الفتح بالاحذوف في رحمة الواسعة بضمها (من يشاء) وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جعلنا الأمن مستضعفين تحت أيدي الكفرة وأما الرحمة الآخرة به فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالرحمة لكنهم كانوا قادرين في إقامة مراسم العبادة كما يلحق فزهمهم لا تقاسها على الوجه الائتم ادخالهم في رحمة الآخرة وقد جرد أن يكون من يشاء عبارة عن رغب في الاسلام من المشركين وبأداء قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فان فرض الزيل وتزييب التعذيب عليه يقتضي تحقق الجانية بين الفريقين بالائتم والكفر قبل الزيل حيا أي لو تفرقوا وتبرع بعضهم من بعض وقرئ لو تزيلا (لغذا الذين كفروا منهم غذاء أبيا) بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لمسا قبلها (اذ جعل الذين كفروا) منصوب بذكر على المقعولة أو بعد على الطريقة وقيل يحضر هو أحسن الله اليك وأيا ما كان موضع الموصول موضع ضمير لهم معنسا في حين الصلاة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالاف فقوله تعالى (في قلوبهم اخية) أي الآفة والتكر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم (رحمة الجاهلية) بدل من الرحمة أي رحمة الملل الجاهلية أو اخية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأزل الله سكة) على رسوله وعلى المؤمنين) على الاول عطف على جعل والمراد أنه كبر حسن صنع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بنو فيق الله تعالى وسوء صنع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الاستباقية كأنه قيل لم يزلوا فلم تعدب فأزل الخ وعلى الثالث على الضمير تصديره والسكة الثابت والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سبيل بن عمر والقرشي وسو يطل بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبي

صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تغل له فريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قلنا لك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويطلبوا منهم فأول الله السكينة عليهم فتوقروا وحلوا (والزمهم كلمة التقوى) أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبت عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) متصفين بمن يستحقها لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أي المستأهل لها (وكان الله بكل شيء عليا) فيعلم حق كل شيء فيسوته إلى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد حلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عابهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي عبد الله بن قتيب ورفاعة بن الحرث وأما ما حلقتنا وأقصرتنا ولا رؤيا المسجد الحرام فزلت أي صدقته صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قوله صدق من تكبر وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (الحق) اما صفة المصدر مؤكدة محذوف لئلا يصدق ما ليس بالحق أي بالفرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي تخيير بين الراسخ في الايمان والزلزل فيه أو سال من الرؤيا أي ملتصقة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جرد أن يكون قريبا للحق الذي هو من أسماء الله تعالى أو يقتضيه لاطل وقوله تعالى (لندخل المسجد الحرام) جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أي والله لندخل الخ وقوله تعالى (إن شاء الله) متعلق للعدة بالمشيئة لتعظيم العباد أولا للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمين) حال من دأب لندخل والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محضين رؤسكم ومتصرين) أي عطفاء بعتكم ومتصرا آخرون وقيل محضين حال من ضمير آمين فتكون متداخلة (لأخالفون) حال مؤكدة من دأب لندخل أو آمين أو عطفين أو مقصرون أو استئناف أي لا تخالفون بعد ذلك (فلم يلم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم القملي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أي فلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديمها بشي بالصدق عدا فعلها (لجعل) لأجله (من دون ذلك) أي من دون تحقق مصداق ما أراه من دخول المسجد الحرام الخ (فتما قرأ) وهو فتح خبير والمراد بجعله وعده وأخذه من غير تسويق ليستدليه على صدق الرؤيا حسبا لا والكون آية للمؤمنين وأما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جئنا إليه الجمهور غنا ما ألفا ما كان عليه تعالى بذلك مقدم على أراثة الرؤيا قطعا (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي ملتصبة أو يسيرة لأجله (ودين الحق) ودين الاسلام (ليظهر على الدين كله) ليعلبه على جنس الدين بجميع أفرادها التي هي الأديان المختلفة فيسحق ما كان حقن بعض الأحكام المبذولة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيده لما وعد من الفتح وتوطئ لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويحيطهم من الملل على الأقاليم ما يستقون إليه فتح مكة (وكفى بالله شيدا) على أن ما وعده كائن لا محالة أو على بؤته عليه الصلاة والسلام بإظهار المعجزات (محمد) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (رسول الله) بدل أو بيان



أولها تأييد ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد منذ أرسل الله خبره واولها تمهيد للشهادة وقوله تعالى (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحمانينهم) وأشداء جمع شديد ورحمان جمع رحيم والمعنى أنهم يظهر من خلفهم أشدة والصلابة وكان واقفهم في الدين الرحمة والرفقة كقوله تعالى أدلة على المؤمنين أعززة على الكافرين وقرى أشداء ورحما بالصعب على المسح أو على الحال من المستكن في مدح لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى (ترام ركعا سجدا) أي تشاهدكم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى (يتقون فضلا من الله ورضوا) أي لوأبوا ورضا أما غير آخر أو حال من ضمير ترام أو من المستقر في ركعا سجدا أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فتبين يتقون فضلا من الله الخ (سبأهم) أي سبأهم وقرى سبأهم بالياء بسد الميم والمدهم لغتان وقيل لغة فائقة هي السبأ بالمد وهو مبتدأ خبره (في وجوههم) أي في جباههم وقوله تعالى (من أزال سجدته) حال من المستكن في الجار أي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لا تملوا سورك أي لا تسبوا أحدا هو فيها إذا اعتد بجسده على الأرض ليجد فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيها حدث في حجة السجود الذي لا يسجد إلا غاصا لوجه الله عز وجل وكان الإمام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقولان لما ذوا الثغرات لما أحدثت كثرة سجودهما في مواضع منهما أشباه ثغرات البعير قال قائلهم

ديار علي والحسين وجعفر وحمة والجادة في الثغرات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض وقيل استدارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالهار وقرى من آثار السجود ومن أثر السجود يكسر الهمة (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من نعمتهم الجليلة ومافي من معنى البعد مع قرب العهد بالمشاورة بالأيذان بدلائله وبعد منزلة في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أي وصفتهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة يخفى الامثال وقوله تعالى (في التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة وقوله تعالى (ومثلهم في الانجيل) عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرر مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كروغ أخرج شطام) الخ تمثيل مستألف أي هم كروغ أخرج قراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبينة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التوراة وقرى شطام بفتح الطاء وتخفيف الهمة وشطام بالمد وشطه بفتح الهمة ونقل حركتها إلى ما قبلها وشلطه بقلها واولا (فأزره) صفوه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الأزار وهي الإعاقة وقرى فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أي شد أزره وقوله تعالى (فاستغظ) فغظ غليظا بعدما كان دقيقا (فاستوى على سوجه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرى مؤذة بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل منبره الله عز وجل لا يصحبه عليه الصلاة والسلام قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكوا حتى أقرى أمرهم يوما فيوما بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سينخرج قوم يثبتون نبات الزرع بأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (لنبيظ بهم الكفار) غلة لما يعرب عنه الكلام من تشبيهم بالزراع في زكاته واستحسانه أو لما بعده من قوله تعالى (وعند الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجر عظيم) فان الكفار اذا

جمعوا بمسا أعد المؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة عظيم ذلك أشد غيظ ومنهم ليليان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة

## سورة الحجرات

(مدينة وآية ثمان عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالدعاء تهيئة المخاطبين على أن ما في حيزه أمر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وقرط اهتمامهم بقلبه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتشديدهم والأيذان بأنه دافع إلى المحافظة عليه ووازع عن الاختلاط به (لا تقدموا) أي لا تقدموا التقديم على أن ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قوم فلان يعطى وينع أي يفعل الإعطاء والمنع أو لا تقدموا أمرا من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمه والاولى وفي بحق المقام لأفادته النبي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفاءه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة وبمنته فرائض من قرأ لا تقدموا بحذف إحدى التامين تقدموا وقرى لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدي الله ورسوله) مستعار ما بين الجهتين المسافتين ليبدى الإنسان شيئا لمسانها عنه والمعنى لا تقدموا أمرا قبل أن يحكم به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى تعظيمه والأيذان بجلالة عهده عز وجل قيل نزل فيها جرى بين أي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الأعراس حابس أو القعقاع ابن معبد (واتقوا الله) في كل ما تاتون وما تذر من الأحوال والأفعال التي من جعلها مانعا فيه (إن الله سمع) لا قولكم (عليكم) بأفعالكم فمن حقه أن يتق ويراقب (يا أيها الذين آمنوا) أصدرتكم فرق صوت التي شروع في النبي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي عليه الصلاة والسلام بعد النبي عن التجاوز في نفس القول والفعل وإعادة التذكير مع قرب العهد به للبالغة في الإحاطة والتبعية والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أي لا تبقوا بأصواتكم ورا حذ بلغة عليه الصلاة والسلام بصوته وقرى لا تفرقوا بأصواتكم على أن الياء زائدة (ولا تخبروا به بالقلوب) اذا كلمتموه (تخبر بعضهم لبعض) أي جهرًا كالتأثير الجارى فيما بينهم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعمدوا في مخاطبة الذين القريب من المحسن كما هو المأبى عند مخاطبة المريب المعظم وحافظوا على مراعاة أهبة النبوة وجلالة مقداره وقيل معنى لا تخبروا به بالقلوب تخبر بعضهم بعضا لا تقولوا له يا أحمد يا أحمد وخاطبه بالنبوة قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلمك إلا سرا أو أعا السر السرا حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كخسر السرار لا يسمعه حتى يستظلمه وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تخبط أعمالكم) اما علة للنهي أي لا تخبروا وخشية أن تخبط أو كرا عفا أن تخبط كما في قوله تعالى بين الله لكم أن تضلوا أو للنهي أي لا تخبروا ولا لاجل الحبوط فان الخبر حيث كان يصعد الادل إلى الحبوط فكانه قبل لاجله على طريقة التثنية كقوله تعالى ليكون لهم عذوا وسوا وليس المراد بما نهى عنه من الرغب والجه ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل



ما يشعرون أن يأتوا إلى الله بما يحري بينهم في أثناء الحادوة من الزعم والجهر حسبما يحرب عنه قوله تعالى كبر بعضكم لبعض خلا أن وقع الصوت فوق صوت عليه الصلاة والسلام كما كان منكرا عندنا في قديدي ولا ما يقع منهما في حرب أو مجادلة معناه أو أراه بحد وأوتو ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهما رآه في ثياب من قيس بن ثمار كان في أذنه قرع وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأذو بصوته وعن أنس رضي الله عنه أنه لما رآه لا يقعد ثابت تقفده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأه فدعا فضا فقال يا رسول الله لقد أزلت إليك هذه الآية وإلى رجل جهر الصوت فأعاف أن يكون على قد حيط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك لك تعيش بخير برقت بخير والله من أهل الجنة وأما ما روي عن الحسن من أنها نزلت في بعض المناقبين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل بحله أن بينهم مندرج تحت نبي المؤمنين بدلالة النص (وأتم لا تشعرون) حال من فاعل تحط أي والحال أنك لا تشعرون بجموعها وفيه مزيد تحط مما نبرأ عنه وقوله تعالى (إن الذين يعصون أمراهم عند رسول الله) الخ ترقيب في الانتهاء عما نبرأ عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أي يتفقدون تأمل الله للآداب أو خشية من مخالفة الله (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار أن الله تعالى غير الصلوة فيه من معنى العدم قريب العهد بالشارع إلى السلام مرارا من تعظيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين آمنوا بالله فلوهم للفقوى) أي جرحها للفقوى ومربها عليها أو عرفها كائنه للفقوى خالصا لما كان الاحتياط سبب للمعوق واللام صلة محدودا والفعل باعتبار الأصل وأضرب قدرهم بضر وبالحسن والتكليف الدقة لا جل التقوى فانها لا تظهر إلا بالاضطرار عليها أو أخلاصا بفقوى من امتنع الذبح إذا لم يؤمر به من حيث وعن عمرو رضي الله عنه أذهب عنها الشبهات (لم) في الآخرة (معفرة) عطية له يومهم (وأجر عظيم) لا يقادر قدره والجملة لما خبر آخر لأن كلمة المصدر باسم الإشارة أو لستألف ليان حرثهم أحاديها لحالهم وقدر بضاعتهم حال من ليس مثلهم (أن الذين يتادونك من وراء الحجرات) أي من خارجها من خلفها أو قدما ومن ابتدائية دالة على أن الشائنة تشتت من جهة الورا وأن المناقب داخل الحجرة لوجوب الاختلاف المبدأ والمتنهي بحسب الجهة بخلاف ما قيل يتادونك وراء الحجرات وقرى الحجرات بفتح الجيم ويسكونها وتلاتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الأبل حجرة وهي قطعة من الحجر تفتح فمحل كالفرقعة والفرقة والمزاد بها حجرات أموات المؤمنين ومنازلهم من ورائها أما بأنهم أتوها حجرة حجرة فتادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متعلقين له عليه الصلاة والسلام فتاداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاستغل بعض الأبعاض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها أحتمل جلاله عليه الصلاة والسلام وقيل أن الذي ناداه عينة بن حصن الفزاري والافرع بن حابس وشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني ثميم وقت الطيرة وهو راقد فقالا يا محمد أخرج البياض أو أمتا استدنا إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمرأه أو لانه وجد فيها بينهم (أكثرهم لا يعقلون) لولا كان لم عقل لما تجاسروا على هذه المربة من سوء الأدب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن ذلك بما في حيزها على المصدر لكنها تعيد بنفسها التحقق واليوت الفرق بين قولك بلني قيامك وبلي أنك قائم حتى تعيد أن الصبر ينبغي أن يكون معيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للثبوت في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نضفها أو ثلثها بخلاف ال فانها عامة وفي اليهم استمرار به لو خرج للاحلهم ينبغي أن يصبروا حتى يجتمعهم بالكلام أو بوجه اليهم (لكن) أي الصبر المذكور (خير لهم) من الاستمرار لما فيه

من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموحين للثواب والاسعاف بالمسؤولين في أماني من الغيرة فأطلق الصف وفادى الصف (وأنه غفور رحيم) يبلغ المفقرة والرحمة واسعفا فلن يضيق ساحتها عن هؤلاء من تأوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بئيا فحينئذ) أي فتموه أو تفحصوا وروى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عتبة أميا عثمان رضي الله عنه لأمه مصدقا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة فلما سمعوا به استقبلوه غلب أنهم مقاتلوهم فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فقم عليه الصلاة والسلام بمقاتلهم فزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متجهدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الآخر بالبين على فسي الخبر إشارة إلى قول خير الواحد العدل في بعض المواد وقرى فقتلوا أي توقفوا إلى أن يبين لكم الحال (أن تصيبوا) حذار أن تصيبوا (قوما بجهالة) ملتصين بجهالة حالهم (فصحبوا) بعد ظهور رراتهم عما أسند إليهم (على ما فعلتم) في حقهم (نادمين) معتمدين غا لازما متضمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحراف الثلاثة يدو مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما في حيزها ساد مسد مقبول اعلموا باعتبار ما بعدهم قوله تعالى (لو يطعكم في كثير من الأمر لعنتهم) فانه حال من أحد الضميرين في فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كأنه على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهي أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقتم في الجهد والحلاك وفيه إيدان بأن بعضهم زينوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم بالإفعا في المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على أن امتناع عنهم لامتناع استمرار طاعة عليه الصلاة والسلام لم لان عنهم أيضا يلزم من استمرار الطاعة فيصير لهم من الأمر رذيفة اختلال أمر الآبالة وانقلاب الرئيس مرفضا لامن الطاعة في بعض ما يرويه نادوا بل فيها استمرارهم بلا حصره وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنهم لاستمرار امتناع طاعة عليه الصلاة والسلام لم في ذلك فان المضارع المقتضى بدل على استمرار التقي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذي تفيد صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى ما يتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الإبهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيا لمسا فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة إلى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أو لا ثم اعتبر استمراره فيتمين أن يكون ذلك بحسب الزمان فانما ريد استمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجديد ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة في أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها في كل ما يقع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يتبع ذلك الاستمرار بأحد الوجين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر في وقت من الأوقات وقع العنت قطعاً وإن أريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجديد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حيث لا يس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة في وقت من الأوقات وقع العنت حتما واعلم أن الأحن بالاختيار والاولى باعتبارها الوجه الأول لانه أوفق بالقياس للمقتضى لامتناع الامتناع وأردا على الاستمرار حسب ورودكلة للمقيدة للأول على صيغة المضارع المقيدة للثاني على أن اعتبار الاستمرار وأردا على التقي على خلاف القياس بمعة المقام إنما يصار إليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية



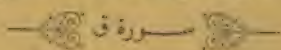
كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار الحزن عنهم اذ ليس في حق استمرار الحزن مزيد فائدة  
 وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حتى الاتظام فالمعقول عنه تحمل لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله  
 جيب اليكم الايمان) الخ يخرج به الخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيان البراهين من اوصاف الاولين  
 واحكامها لا فعلهم أي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوا لديكم (وزينه في قلوبكم) حتى رسخ فيه وذللك انتم  
 بما يليق به من الاحوال والافعال (ولم يره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم محابليق بها الاخير  
 فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريم معنى انما المحبة والكرامة وايصالها اليهم استعمالا بكلمة الى  
 وقيل هو استدراك بيان قدر الاولين كأنه قيل لم يكن ماصدر عنكم في حق بني المصطفى من غل في عقيدتكم بل من  
 فرط حكم للايمان وكرهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى (اولئك هم الراشدون)  
 أي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والانتصاف الى الصية كالذي في قوله تعالى وما آتيتكم من زكوة تريدون  
 وجه الله فاولئك هم المضعفون (فقل من الله ونفسه) أي وانما ما قلتم لحيب او كره وما بينهما اعتراض وقيل لهما  
 بفعل مصدر أي جرى ذلك فضلا وقيل يمتنع فضلا (والله اعلم) سابع في العلم بفعل احوال المؤمنين وما بينهم من  
 التفاضل (حكيم) بفعل كل ما يقبل بموجب الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي قتلتا والجمع باعتبار  
 المعنى (فاصلحوا بينهما) بالصح والدعة الى حكم الله تعالى (فان يمتد) أي تمتد (احداهما على الاخرى)  
 ولم تاتر بالصيغة (فقاتلوا التي تبنى حتى تبي) أي ترجع (الى امر الله) الى حكمه اولى ما أثر به (فان قامت)  
 اليه وأقلعت عن القتال حذرا من قتالكم (فاصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا  
 بمجرد تاركتهما عسى يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقيد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة  
 وقد اكد ذلك حيث قيل (واصلحوا) أي وانحلوا في كل ما تاتون ومقتدون (ان الله يحب المقسطين) فيجازيهم  
 أحسن الجزاء والآية زائدة في قوله تعالى بين الاوس والخزرج في عهد عليه الصلوات والسلام بالسيف والعدا والى فإدلة  
 على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وأنه اذا أسك عن الحرب ترك لاه في امر الله تعالى وأنه يجب معاونة  
 من يرضى عليه بعد تدرج النصح والدمى في المصالحة (انما المؤمنون اخوة) استئناف عطف لسا قبل من الامر بالاصلاح  
 أي انهم متساوون الى أصل واحد هو الايمان الموجب للحيلة الابدية والقاء في قوله تعالى (فاصلحوا بين اخويكم)  
 للايدان بأن الآخرة ابدية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمحل الى المأمورين للمباينة في تأكيد وجوب  
 الاصلاح والتحريض عليه وتخصيص الاثنين بالذكريات وجوب الاصلاح فيها فذلك بطريق الاولوية لضعف  
 الفتنة والفساد وقيل المراد بالآخوين الاوس والخزرج وقرئ من اخوتكم واخواتكم (واتقوا الله) في كل ما تاتون  
 وما تلتدون من الامور التي من جعلها مأمورا منكم من الاصلاح (عليكم ترحمون) راجع ان ترحموا على تقواكم  
 (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم منكم) أي منكم (من قوم) آخرين أيضا منكم وقوله تعالى (عسى أن يكونوا اخيرا  
 منهم) تعليل للهي أولوجه أي عسى أن يكون المسخرون منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص  
 بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الأصل اما جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وذا ر أو مصدر نعمت فاشاع  
 في الجمع وأما تسميته للترقيقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لانهن نواع واختيار الجمع لغلبة وقوع  
 السخرية في الجماع والتكثير اما للتعميم أو للتقيد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لها أنها متباينة بين بعض وبعض  
 (ولاسما) أي ولا متخرسا من المؤمنات (من نساء) منهم (عسى أن يكن) أي المسخرون منهم (خيرا)

منهم) أي من الساخرات فان مناط السخرية في التفرغ ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع  
 والاعمال التي عليها يدور أمر السخرية غالبا بل إنما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يخفى أحد على استحقاق أحد  
 فعله أجمع منه لما ينطويه الخيرية عند الله تعالى فيعلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى  
 وقرئ عسا أن يكونوا وعين أن يكن نفس حيث هي ذات الخبر كما في قوله تعالى قول عيسى وأما على الأول فهي  
 التي لاخبرها (ولا تذرُوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلتزبون به  
 فان من فعل ما يستحق به المير قد لم نفسه والمير الطعن باللسان وقرئ بضم الميم (ولا تباينوا باللقاب) أي  
 ولا يبدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان اللقب مختص به عرفا (بفس الاسم فسوق بعد الايمان) أي بفس الذكر  
 المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان أو اشتغالهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه  
 في الناس بالكرم أو بالظلم والمراد به امة تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى أن الآية نزلت في  
 صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقان لي يا يهودية بنت يهودين فقال عليه الصلاة  
 والسلام علاقت أن أي هرون وعمر موسى وزوجي محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التباين فسق والجمع يندوين  
 الايمان فيس (ومن لم يغب) عما بين عنه (فاولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض  
 العنص للعذاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) أي كونوا على جانب منه واجسام الكثير لا يحجب  
 الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قطع فيه من العمليات  
 وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الاحكام والنسب حيث يخالفه قطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح  
 كالظن في الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) تعليل للامر بالاحتياط أولوجه بطريق الاستئناف التحققي  
 والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه ومهمته منقولة من الواو كانه يتم الاعمال أي بكسر ها (ولا تجسسوا) أي  
 ولا تبحثوا عن غورات المسلمين تفعل من الجسس لانه من معنى الطلب كما أن التمس بمعنى التطلب لساقى اللبس من  
 الطلب وقدحج يعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لنسا السبا وقرئ بالخاء من الجسس الذي هو أمر الجسس وغايته ولتقاربها  
 يقال للشاعر الجواسيس بالخاء والجسس وفي الحديث لا تتبعوا غورات المسلمين فان من تتبع غورات المسلمين تتبع الله غورته  
 حتى يفضله ولو في جوف يده (ولا يفتب بعضكم بعضا) أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم عن النية فقال أن تذكر أحداك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبه وان لم يكن فيه فقد سبه وعن ابن  
 عباس رضي الله عنهما انية ادم كلاب الناس لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تحبيل وتصوير لما يصدر  
 عن المعتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على الخس وجه وأشته طبعاً وعقلاً وشرعاً مع ميلقات  
 من شؤون شئ الاستهزام التقريري واسناد الفعل الى أحدا إذا بان أحد من الاحدن لا يفعل ذلك وتطبيق الخبة بمسؤوله  
 في غاية الكراهة وتمثيل الاغتيا بأكلم اللحم الانسان وجعل المأكول أمثالاً لكل وميتا وأخراج مماثلها مخرج أمرين  
 عن عن الاخيرة وقرئ ميتا بالتشديد وانتصاه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى (فكرهتموه)  
 لتزيين ما بعدهما على ما قبلها من التحليل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه أي جلتهم  
 على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) مبالغ  
 في قبول التوبة وإفادته الرحمة حيث جعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت  
 ذنوبهم وروى أن رجلين من الصحابة رضي الله عنهم بحثا سلسان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لما اداها وكان



أسامة على طاعة عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شئ فأخبر مما سألنا فقال لا لو بشيعة فلما رأوها فلما  
 راسا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ما لى أرى خضرة للعلم فى أحوالكم فقالا ما تناولنا لحا فقال عليه الصلاة  
 والسلام انكما قد اغتبتا فقلت **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم**  
**من أب وأم فالتكل سواى فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جرد أن يكون تأكيداً للهى السابق بتقرير الاخوة**  
**المسالمة من الاختيار (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجيع العظيم المنسوب إلى أصل واحد وهو جمع القبائل**  
**والقبيلة تجمع العماير والعمارة تجمع البطون والبطن بجميع الاغسل والافخذ يجمع الفصائل لغزيرة شعب وكنانة قبيلة**  
**وقريش عسكرة ونحس بطن وهاشم نخد والعباس فضيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا)**  
**ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يمتزى أحد إلى غير آياته لا لتفاخر بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت**  
**والتفاضل فى الانساب وقرى لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادعوى ولتعرّفوا (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)**  
**لتليل للهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقنى كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى**  
**هو الاتقى فان فاخرتم ففاخرتم بالتقوى وقرى بأن المتوخة على حذف لام التعليل كأنه قيل لا لتفاخر بالانساب**  
**فقط لأن اكرمكم عند الله اتقاكم لا أنسبكم فان مدار كمال التقوى وتفاوت الاختصاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات**  
**العلا فليعب بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام**  
**يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاخر شقى حين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله**  
**عنهما كرم الدنيا التقى وكرم الآخرة التقوى (ان الله علمكم) بكم وأعمالكم (خير) يواظب أحوالكم (قالت**  
**الأعراب آمنا) ترك فى نهر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدد فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله**  
**صلى الله عليه وسلم أتيناك بالانقياد والابواب فأتاك كفاتك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام**  
**ما فعلوا (قل) رداهم (لم تؤمنوا) اذا الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطهارة القلب ولم يحصل لكم ذلك**  
**والا لمسانمتكم على ما ذكرتم كما بنى عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلما) فان الاسلام اتقياد ودخول فى السلم**  
**وأظهار الشهادة وترك المحاربة متصرا به وإظهار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلما أو لم**  
**تؤمنوا ولكن أسلمت للاحتراز من الهوى عن التلقظ بالايمان والتفادى عن انحراف قوله فخرج التسليم والاعتداد به**  
**مع كونه نقولا محضا (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) حال من حتمير قولوا أى ولكن قولوا أسلما حال عدم**  
**مواظاة قلوبكم لآلهتكم وما فى لسان من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وان تطيعوا الله ورسوله)**  
**بالاخلاص وترك التناق (لا يتنكم من أعمالكم) لا يتنصكم (شيئا) من أحوالها من لا يتبذلنا انما نقص**  
**وقرى لا يتنكم من الآلات وهى لغة غلطان أو شيئا من النقص (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين**  
**(رحيم) بالفضل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله لم يربوا) لم يشكروا من ارتاب مطاوع رايه**  
**اذا أوفى به الشك مع التهمة وفيه اشارة إلى أنهم ما يوجب نى الايمان عنهم وتم للاشعار بأن اشتراط عدم الارتياب**  
**فى اعتناء الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فيهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم**  
**وأ أنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته على تكثير قوتها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمستثملة عليها**  
**معا كالحج والجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجلية (هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى**  
**دعوى الايمان لا غير مسمى أنه لما نزل الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فزل لتكذيبهم قوله تعالى**

**(قل أتعلمون الله ذينكم) أى أنتم وبنو ذلك يقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشفيهم (والله يعلم ما فى**  
**السعوات وما فى الارض) حال من مقبول تعلمون مؤكدة لتشفيهم وقوله تعالى (والله بكل شئ عليم) تذييل**  
**مقرر لما قبله أى ما فى العلم بجميع الاشياء التى من جهتها ما أخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد**  
**تجھيل وتوبيخ لهم (يمنون عليك أن أسلما) أى يعدون اسلامهم منة عليك وهى النعمة التى لا يطلب موليا ثوابا**  
**من أنتم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة المتقبلة من المن (قل لا أنتموا على**  
**اسلامكم) أى لا تعدوا اسلامكم منة على أو لا تمنوا على اسلامكم فذهب بنوع الحفاظ (بل الله بمن عليكم أن**  
**هذاكم للايمان) على ما زعمتم مع ان الهداية لاستلزام الاعتقاد وقرى ان هذاكم واذا هذاكم (ان كنتم صادقين)**  
**فى ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أى غنة المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى**  
**فانهم لما ساءوا ما صدر عنهم ايمانا محذوف بلى كونه ايمانا وحى اسلاما قيل يمتون عليكم بما هو فى الحقيقة اسلام**  
**وليس يحدريه بل بلى لوصح ادعاءهم للايمان فلهذا عليهم بالهداية لآلهم (ان الله يعلم غيب السعوات والارض)**  
**أى ما غاب فيها (والله بصير بما تعملون) فى سرهم وعلايتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائرهم وقرى بالياء عن**  
**التي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه**



(سورة قى)

(مكية وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

**(فى القرآن المجيد) أى نبي المهدى والشرف على سائر الكتب أو لانه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما**  
**فيه يجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فضل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا أن جاءهم**  
**منفوتهم) أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لامن جنس الملك أو من جلدتهم اضراب عما بنى عنه جواب القسم**  
**المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أزلناه اليك لتنذره الناس حسبا ورد فى صدر سورة الاعراف كأنه قيل بعد ذلك**  
**لم يؤمنوا به بل جعلوا كلام المنذر والمندوبه عرضة للتكبر والتعجب مع كونهما أوفى شئ لقضية العقول وأفره إلى**  
**التلقى بالقبول وقيل التدبير والقرآن المجيد انك لمنذرهم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم**  
**يكفروا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف**  
**القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن أنه لا يجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا**  
**شئ عجب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لخل التعجب وهذا اشارة إلى كونه**  
**عليه الصلاة والسلام منذرا بالقرآن واضلهم أو لا للاشعار بتعجبهم بما أسند اليهم وأظهارهم ثانيا لتسجيل عليهم**  
**بالكفر بوجهه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعث على أن هذا اشارة إلى مهم فسر ما بعده من الجملة**  
**الانكارية وحسح الظاهر موضع المصترع امالسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وأما للايمان بأن تعجبهم من البعث**  
**لدلائله على استفسارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع ما ياتهم لقدرة تعالى على ما هو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته**  
**الديمية أشنع من الاول وأعرق فى كونه كفرا (أنكأمتا وكنا ترابا) تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل فى**  
**انما مضى عن غيب اليان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى آحين نموت ونصير ترابا رجوع إلى نطقه بالندير والمندوبه**



مع كمال التباين بينا وبين الحياة حيث قرئ: اذا متنا على لفظ الخير أو على حذف أداة الإنكار (ذلك) إشارة إلى محل النزاع (رجع بعد) أي عن الانهزام أو العادة أو الامكان وقبل الرجوع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فأنصب الطرف حيثما مابني عنه المنذر من البعث (نقد علينا ما تنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وإراحته فإذ من عم عليه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من خومهم وعظامهم كيف يستفد رجعه إليهم أحيا كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم إلى الاغصان الذي وقيل ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم (وعندنا كتاب حفيف) حافظ لتفاصيل الامتياز كما هو محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل عليه تعالى بكمالات الاشياء وجزئياتها يعلم من عنده كتاب محيط بخلق منه كل شيء أو تأكيد لعله تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضطراب وانتقال من بيان شاعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأظلم وهو تكذيبهم للبوته الثابتة بالميزات الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكير وقرئ (لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أي وقت بعثهم إليهم وقيل الحق للقرآن أو الاختيار بالبعث (فهم في أمر مرجح) أي مضطرب لا قرار له من مرجح الحظ في أصبعه حيث يقولون تارة أنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (ألم ينظروا) أي أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (إلى الساعة فويلهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بيناها) أي رعاها غير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام دقيق (وما لها من فروع) من فوق للاستنها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمرعاة القواصل (والأرض مددناها) أي بسطناها (وأعطينا فيها رواسي) جبالا ثوابت من راسا التي إذا دلت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيمان بأن القامات بأرصاد الأرض بها (وأنبأنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (بصيرة وذكرى) علنا الاتصال المذكورة معنى وأن أنصنا بالفعل الأخير أو لنعمل بقدر طريق الاستئناف أي قلنا ما قلنا تبصروا وتذكروا (لكل عديم) أي راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنائه وقوله تعالى (وزينا من السماء ماء مياركا) أي كشي المانع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتا وما بينهما على الوجه الآخر اعتراض بغير لما قبله ومنه على ما بعده (فأنبتنا به) أي بذلك المنة (جنات) كثيرة أي أشجارا ذوات ثمار (وحب الحصيد) أي حب الزرع الذي شأنه أن يصد من البر والتشجير وأمثالها وتخصيص انبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وأنبأنا بها عن البقية مع ما قبله من مراعاة القواصل (باسقات) أي طولا أو حوالا من أسبقت النماء إذا حملت فيكون من باب أمل فهو فاعل وقرئ (باسقات لاجل القاف (لما طلع نصيد) أي متضود بعضها فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما قبله من الثمر والجله حال من التخل كاسقات بطريق الترادف أو من ضميرها قاسقات على التدخل أو الحال هو الحار والجرو وطواع مرتفع به على القاطية وقوله تعالى (ردقا للعباد) أي ليرزقهم الله لشو له تعالى فأنبتا وفي تعليقه بذلك بعد تعليل أنبتا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أنهم أقدم من نعمته به من حيث الرزق وقيل رزقا مخصصا بمعنى أنبتا لأن الانبات رزق (وأعطينا به) أي بذلك المنة (بلدنا) أرضا جديدة لأنما فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبت أنواع النبات والأزهار قصارت تنزه بها بعد ما كانت جامدة هامة وقد كبر معنا لأن الليلة بمعنى البلد والمكان (كذلك لخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصص إلى القصر وذلك إشارة

إلى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعث للأشعار بعد ربنا أي مثل تلك الحياة البدية حيثما بالبعث من القيور لأشياء عاكف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الأرض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبياء وتبوين لأمر البعث وتحقيق للثبوت بين اخراج النبات وحياته الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريره إلى أقسام الناس وقوله تعالى (كذب قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وادع لتقرير حقيقة البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعديب متكررا (وأصحاب الرس) قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مرفى سورة الفرقان على التفصيل (ونمود وعاد فرعون) أي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده (وأخوان لوط) قيل كانوا من أصحابه عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الأيكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم في سورة الدخان (كل كذب الرسل) أي فيما أرسلوا به من الشرائع التي من جعلها البعث الذي أجمعوا عليه فاطمة أي كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميع الرسل بالمعنى المذكور وأفراد التشهير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والافتار بالبعث والخشرك تكذيب واحد منهم تكذيب لكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الآخر فمضى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم من قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع (الحق وعبد) أي فوجب وحل عليهم وعبدى وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أنصينا بالخلق الأول) استئناف مقرر لصحة البعث التي حكيت أحوال المتكررين لمن الأم المملوكة والى بالآمر المعجز عنه يقال عن الأمر يعني به إذا لم يمتد لوجه عمله والمهزة للانكار والفاء للعطف على مقدر بني عنه النسي من القصد والمباشرة كأنه قيل أنصنا بالخلق الأول فمضوا ناعته حتى يوم يحجزنا عن الاعادة (بل هم في ليس من خلق جديد) عطف على مقدر بدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير متكررين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم في خلق وشبهه في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتذكير خلق لتفخيم شأنه والأشعار بحوجه عن حدود العادات والايذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بحرقته (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الخلق والضمير لما ان جعلت موصولة بالباء كافي صوت تكذا أو للإنسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أي أعلم بحاله من كان أقرب إليه من حبل الوريد غير عن قرب العلم بقرب الذات تجورا لأنه موجب له وحبل الوريد مثل في قرط القرب والحبل العرق وإنضافه بآية والوريدان عرفان مكتشفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلا بالوترين يروان من الرأس إليه وقيل معنى وريد لأن الروح ترويه (اذ يتلقى الملقبان) منصوب بما في أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل عليه إلى مالاتي أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقى الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايدان بأنه تعالى غي عن استغفالها لاحاطة عليه بما يخفى عليها وأما ذلك لما في كتبها وحفظها لأعمال العبد وعرض صفاتها يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه بأعماله تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطفه في التكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام ان مقدمه عليك على تنبئك ولسانك قلبها ويريق مدادها وأنت تجري فيها لا يعينك لا تسحق من الله ولا منها وقد جوز أن يكون تلقى الملوكين بيانا للقرب على معنى أنا أقرب إليه مظلومون على أعماله لأن حفظنا وكتبنا موكلون به (عن العين وعن الشهاب قيد) أي عن العين فبعد وعن الشهاب قيد أي مقاعد كالجلس بمعنى المجالس لفظا ومعنى بخلاف الأول لدلالة الثاني عليه كما



في قول من قال رماق بأمر كنت منه ووادي بريثا ومن أجل العلوي رماق وقيل يطلق القميل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرى به من فيه من خير أو شر وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول (اللاذية رقيب) ملك يرقب قوله ويكتبه فإن كان خيرا فهو صاحب التمين بعينه والآخر صاحب الشمال ووجه تغير العنوان على عن البيان والأفراد مع وقوعها معا على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فرض اليه لا لما فرض الى صاحبه كما يلي عنه قوله تعالى (عقيد) أي مصدره ككتابا ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم ينسبه له توهم أن معناه رقيبان عقيدان وتخصيص القول بالذكر لآيات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلاف فيما يكتبه فقيل يكتبان كل شيء حتى آيته في حرفة وقيل إنما يكتبان ما فيه أجر أو زور وهو الأظهر كما يلي عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنة على يمين الرجل وكاتب السيئة على يساره وكاتب الحسنة أمير على كاتب السيئة فإذا عمل حسنة كتبها ملك التمين عشرة وإذا عمل سيئة قال صاحب التمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأرجع ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعليه وبين أن جميع أعظم محفظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك بيان ما يلاحونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأحوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضي إذنا بتحقيقها ونهاية اقترابها وسكرة الموت شدت الذاهبة بالعقل والبينة الملتصدة كما في قولك جاء الرسول بالخير والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الأمر الذي نطق به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاؤه وقيل الحق الذي لا بد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له ولما للسلالة كآلي في قوله تعالى تبت بالدين أي ملتصقة بالحق أي بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجملة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التي كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها ترجب زهوق الروح أو تستغبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للجواب وقرئ سكرات الموت (ذلك) أي الموت (ما كنت منه بعيد) أي تباعد وتفرغ عنه والخطاب للإنسان فإن التفرغ عنه شاملة لكل فرد من أفرادها (وتفخ في الصور) هي الصفحة الثانية (ذلك) أي وقت ذلك التفخ على حذف المضارع (يوم الوعيد) أي يوم ابتجاز الوعيد الواقع في الدنيا أي يوم وقرع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المقهور من تفخ فإن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضا لتبويبه ولذلك شئ بيارب حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البيرة والفساخرة (معا سابق وشديد) وإن اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أي معا ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السابق كاتب السيئات والشديد كاتب الحسنة وقيل السابق نفسه أو قرينه والشديد جوارحه أو أعماله ومحل معها التصب على الحالية من كل إضافة إلى ما هو في حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجبر على أنه وصف لنفس أو الرض على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) محكي بأخبار قول هو اما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ سابقه كأنه قيل فإذا يفعل بها فقيل فقال لقد كنت في غفلة فإخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة يتأويل الشخص كما في قول جبلة بن حريث

بأنفس الملك بالذات مسرور فاذا ذكر قول يضعفك اليوم تذكر (فكشفتنا عنك غطائك) الغطاء الحجاب المعطى لأمر المصداق وهو الغفلة والالهام في المحسوسات والالاف بها وقصر النظر عليها (فصرك اليوم حديد) نافذ لا وال المنافع للأصهار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أي الشيطان المقيض له مشيرا إليه (هذا مآلدى عقيد) أي هذا ما عندى وفي ملكنى عقيد لجهنم قد حياته لها ياغواى واضلالا وقيل قال الملك الموكل به مشيرا إلى مأموره من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عقيد ميبأ لمرض وما أن جعلت موصوفة فتعبد صفتها وإن جعلت موصولة فهي بذلك ميبأ أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف (ألقيا في جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشديد أو للملكين من خيرة النار أو لواحد على تزييل ثلثة التفاعل عبارة ثلثة الفعل وتكريره كقول من قال

فإن تر جرائى وابن عصفان أترجر وإن تدعاني أحم عرصا نمرا

أو على أن الالف يدل من توثق التأكيد على إجراء الوصل بحرى الوقت ويؤيده أنقرئ ألقين بالنون الحقيقية (عقيد) معانيد للحق (مناع الخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني أخيه منه (معدن) ظلم متخط للحق (مريب) شاك في الله وفي دينه (الذي جعل مع الله ألفا آخر) مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه في العذاب الشديد) أو يدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرر للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أي الشيطان المقيض له وأما استئناف الجمل الواقعة في حكاية المفاولة لما أنه جواب محذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطفيئته) فانه مني عن سابقة كلامه اعترف به الكفار كأنه قال هو أطفأني قرينه بتشكيبه واستاد الطغيان اليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما في المفعول أعني محي كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (في ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالأغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ سابقه كأنه قيل لماذا قال الله تعالى فليل قال (لا تختصموا لدي) أي في موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة في ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان في دار التكسب في كسبي وعلى السنة رسل فلا تظعموا في الخلاص عنه مما أتم فيه من التعلل بالمعذرات الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنسب على معنى لا تختصموا وقد صرح عنه كم أني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لا يلبس لأملأن جهنم عنك ومن تبعك منهم أجمعين فاتبهموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصاص في هذا الوقت والياء مريضة أو معدية على أن أقدم بمعنى أقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعا على قوله تعالى (ما يدل القول لدي) الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتصقا بالوعيد مقترنا به أو قدمت اليكم عودا ليكم فلا تظعموا أن أبليو عني والظعم من بعض المذنبين لأسباب داعية اليه ليس بتبدل فاندلال المعنى تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) واره لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبين أن عدم تبدل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهة تعالى من غير استحقاق له منهم بل إنما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة حسبها أشير اليه آنفا أي وما أنا بمعدب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعير عنه بالظلم مع أن تعدبهم بغير ذنب ليس بالظلم على ما تقر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره



عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بأبراز ما ذكر من التعذيب بغية ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعة العبيد من قوم فلان ظالم لعبده وظلام لعبده على أنها مبالغة كما لا كفاً ﴿يوم نقول لجهنم هل اعتلائات وتقول هل من مزيد﴾ سؤال وجواب جيء بهما على مناجاة التخييل لتحويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلئ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد عمل فارغ أو أنها لنعظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد أما مصدر فالجهد والمجيد أو مفعول كالجميع ويوم أمان مصوب بذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الأحوال والأحوال ما يقصر عنه المقال ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ وبجيء النفوس إلى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للنتين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون الخاسن فيبهجون بأنهم محشورون إليها فاترون بها وقوله تعالى ﴿غير بعيد﴾ تأكيد للازلاف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئاً غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على رتبة المصدر الذى يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان ﴿هذا ما توعدون﴾ إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يحظر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيته فانها من أحكام اللفظ العرفي كما مر في قوله تعالى فإنا رأى الشمس بارقة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة إلى التواب وقيل إلى مصدر أزلت وقرئ يوعدون والجملة أما اعتراض بين البدل والمبدل منه وأما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلت أى مقولا لهم أو مقولا في حقها هذا ما توعدون ﴿لكل أواب﴾ أى رجوع إلى الله تعالى يدل من المتقين بإعادة الجار ﴿حفيظ﴾ حافظ لثوبته من التقص وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه ﴿من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾ يدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون في حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف إلا بالذى أو مبتدأ خبره ﴿ادخلوها﴾ بتأويل يقال لهم ادخلوها واجتمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الآخرين لا يراد أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجعون رحمته أو بأن عليهم بسعة رحمة تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم ووصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى ﴿يسلام﴾ متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال التمس أو بسلام من جهة الله تعالى وملاكته ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الزمان المستند الذى وقع فيه بعض منه ما ذكر من الأمور ﴿يوم الخلود﴾ إذ لا انتهاء له أبداً ﴿لهم ما يشاؤون﴾ من فنون المطالب كما تناها ما كان ﴿فيها﴾ متعلق بيشاؤون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائد المحذوف من صلته ﴿ولدينا مزيد﴾ هو ما لا يحيط بياهم ولا يندرج تحت مشيتهم من معالي الكرامات التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد ﴿وكم أهلكنا قبليهم﴾ أى قبل قومك ﴿من قرءم أشد منهم بطشا﴾ أى قوة كعاد واضرابها ﴿فقربوا في البلاد﴾ أى خرقوا فيها ودخولوا وتصرفوا

في أقطارها أو جبالاً في أكتاف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التفتير عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قبل هي عاطفة في المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فتقبرا الخ وقرئ بالتخفيف ﴿هل من محيص﴾ أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة إما على اضمار قول هو حال من وأوتقوا أى فقبوا في البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التنقيب لمخافة من معنى التبع والتفتيش بجري القول أو هو كلام مستأنف وارد لئى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير تقبوا لأهل مكة أى ساروا في مساربهم وأسفارهم في بلاد القرون قبل وأولهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لا تقسم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرئ فقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقت أقدامهم أو أخفاف ألبهم ﴿إن في ذلك﴾ أى فيها ذكر من قصتهم وقيل فيها ذكر في السورة ﴿لذكرى﴾ لذكر عظة ﴿لمن كان له قلب﴾ أى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الأمور ويفكر فيها كما ينبغي فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار مدارهم هو الكفر فيرتد عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير ﴿والألقى السمع﴾ أى إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جليلة الأمر فيزجر عما يؤدى إليه من الكفر فكلمة أولئك الخلودون الجمع فإن القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى ﴿وهو شريد﴾ أى حاضر بفطنته لأن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للإيدان بأن من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له أصلاً ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما﴾ من أصناف المخلوقات ﴿في ستة أيام وما مسنا﴾ بذلك مع كونه مما لا يقي به القوى والقدر ﴿من لغوب﴾ من أعياهم ما لا تعب في الجملة وهذا رد على جملة اليهود في زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴿فأصبر على ما يقولون﴾ أى ما يقوله المشركون في شأن البعث من الأباطيل المبينة على الإنكار والاستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا تور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو ما يفعله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه ﴿وسبح بحمد ربك﴾ أى زكركه تعالى عن الصبح عما يمكن وعن وقوع الخلق في أخباره التى من جعلها الأخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً لله تعالى على ما أنتم به عليهم من إصابة الحق وغيرها ﴿قبل طلوع الشمس وقيل الغروب﴾ مما وقت الفجر والعصر وفضلتهما مشهورة ﴿ومن الليل فسبحه﴾ وسبحه بعض الليل ﴿وأدبار السجود﴾ وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بها قبل الطلوع صلاة الفجر وما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشائين والتجود وما يصلى بأدبار السجود التوافل بعد المكتوبات ﴿واستمع﴾ أى لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتقطيع للخبر به ﴿يوم ينادى المنادى﴾ أى إسرائيل أو جبريل عليهما السلام فيقول لآيتها العظام البالية واللحم المتفرقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرائيل بنفخ وجبريل ينادى بالبحر ﴿من مكان قريب﴾ بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من ثابت شعورهم يسمع من كل شجرة ولعل ذلك في الإعادة مثل كفن في البدن ﴿يوم يسمعون الصيحة﴾ بدل من يوم ينادى الخ وهي النفخة الثانية ﴿بالحق﴾ متعلق بالصيحة والعامل في الفرف ما يدل عليه قوله تعالى ﴿ذلك يوم الخروج﴾ أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور ﴿إنا نحن نحي ونميت﴾ في الدنيا من غير أن يشاركنا في ذلك أحد ﴿والينا المصير﴾ للجزاء في الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾ بحذف إحدى التامين من تشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء



للفعل من التفعيل ونشق (سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بمشوج جمع سوقي (عليه يسير) أي من وتقدم الجار والمجرور والتخصيص اليسير تعالى (نحن أعلم بما يقولون) من نبي البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا يخفى (وما أنت عليهم بجبار) بنفسك تقسم على الإيمان أو تفعل بهم ما تريد وأنت مذكور (تذكر القرآن من يخاف وعبد) وأما من عدمه فحين تفعل بهم ما توجه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وتكون العذاب عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه ثارات الموت وسكراته

### سورة الذاريات

(مكية وآياتها ستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا) أي الرياح التي تذر والتراب وغيره وقرئ بأدغام التاء في الذال (فالحاملات وقرأ) أي السحب الحاملة للطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرأ على نسبة الحصول بالمصدر (فالجاريات يسرا) أي السفن الجارية في البحر أو الرياح الجارية في مهابها أو السحب الجارية في الجيوبوق الرياح أو الكواكب الجارية في مجاريها ومنزلها ويسرافة مصدر عذوف أي جري إذا يسر (فالمقصيات أمرا) أي الملائكة التي تقسم الأمور من الأقطار والأرراق وغيرها أو السحب التي تقسم الله تعالى بها أرراق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف التواتر من منزلة اختلاف الذات فاما كما تذر وما تذر وتسير السحاب وتعمله وتجري في الجو جرياسلا وتقسم الأمطار بتصرف السحاب في الأقطار فحللت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالقمة لتزييه الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والالهي لترتيب مصدر عن الرخ من الأفاعيل فأنها تذر والابتغى إلى الجو حتى تستعد سحبا فتجرب به بأسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وتقره تعالى (إن ما توعدون الصادق وإن الذين لواقع) جواب القسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام جازم من إلهي شهادتها بتحقيق متضمن الحيلة المقسم عليها من حيث أنها أمور بدعية مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فقدر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية وصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء وفور حصوله (والساعة ذات الحيل) قال ابن عباس وقاد وعكرمة ذات الحلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الرية وقال مجاهد هي الخفة البقيان وقال مقاتل والكلبي والضاحك ذات الطرائق والمراد بها الطرائق المحسوسة التي هي مدار الكواكب أو المقولة التي ينسلكها النظار أو النجوم فإن لها طرائق وعن الحسن جنبك تجريرا حيث تتركها تترك المولى طرائق الوشي وما جمع حياك أو حيك كمال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحيلك يوزن الثقل والحيلك كالجليل والحيلك كالير والحيلك كالعلم والحيلك كالإل (إنكم لن تفرل مختلف) أي مختلف متناقض وهو قولهم في حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفي شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفي هذا الجواب تأييد لكون الحيلك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستويا إنما هو متناقض مختلف وقيل التفتت في هذا القسم تنبيه أقوالهم في اختلافها وتناقض أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذلك (تؤلف عندهم أمك) أي يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرفه إذا صرفه أطلعته وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير لقول المختلف على معنى يصدر أمك

من أمك عن ذلك القول وقرئ من أمك أي من أمك الناس وهم قرئ حيث كانوا يصعدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والمهلك ثم جرى مجرى لمن والخراصون الكذابون المقدرين ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أي قتل الله (الذين هم في غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيا يوم الدين) أي متى وتوقع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستسلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ أيا يوم يكسر الهضرة (يوم هم على النار يفتنون) جواب السؤال أي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعدون ويجوز أن يكون يوم خيرا مبتدأ محذوف أي هو يوم هم ألع والفتح لأصواته إلى غير متضمن ويؤيده أنه قرئ بالرفع (ذوقوا عنتكم) أي مقولا لم هذا القول وتقره تعالى (هذا الذي كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخل تحت القول المحض أي ههنا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من عنتكم بتأويل العذاب والذي حفته (إن المتقين في جنات وهميون) لا يبلغ كنهها ولا يفاد قدرها (آخذين ما آتاهم ربهم) أي قائلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضي يتلقى بحسن القبول (إنهم كانوا قبل ذلك) في الدنيا (محسنين) أي لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالإحسان ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد فسر بقوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أي كانوا يهجعون في طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة المصدر وما من مدة في الوجوه ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة بـ نعمة قليلا على القاطنة أي كانوا قليلا من الليل مجموعهم أو ما يهجعون فيه وفيه ما عانت في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت الراحة والمجموع الذي هو الفراغ من النوم وزيادة ما ولا صانع لجل ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يهجعون كله لما أن ما نافية لا يعمل ما بعدها فبقا قلها (وبالأسحار هم يستعجلون) أي هم مع قلة مجموعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستعجال في الأسحار كأنهم أسلفوا ليهم باقرا في الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بأنهم الاحفاء بأن بوصفوا بالاستعجال كأنهم المتعجلون به لاستدانتهم له وإطاعتهم فيه (وإن أمثالهم حق) أي تصيب وأمر يستجوبه على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل والمغرم) للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة (وإن الأرض آيات للموقنين) أي دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث أنها مدحوة كالسباط الممدد وفيها مسالك ونجاسات للفقير في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متضجرة فومعادن مفتت وأنها تلقح ألوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب متنة قدرت كلها ودرمناافع ساكنها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم (وإن أعسكم) أي وفي أعسكم آيات أليس في العالم شيء إلا وفيه لآيات لم يظهر بدل دلالة على ما نفرد به من الحيلات النافعة والمناظر البهية والتركيبات المعجبة والتفكير من الأعمال البديعة واستقفاط الصانع المختلفة واستيعاب الكالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أي لا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وإن الساعيات زعمكم) أي أسباب زعمكم أو تقديره وقيل المراد بالساعة السحاب بالزرق المطر فانه سببا للاحوات (وما توعدون) من الثواب لأن الجنة في الساعة السابعة أو لأن الأعمال وتوابها مكتوبة مقدرة في الساعة وقيل أنه مبتدأ أخبره قوله تعالى (تورث الساعة والارض انه الحق) على أن الضمير لما وأما على الأول فاما له وأما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه



مستعار لاسم الاشارة (مثل ما أنكم تظنون) أي كما أنه لا شك لكم في أنكم تظنون يعني أن لا تشكوا في حقبة ونصبه على الحالة من المستكن في الحق أو على أنه وصف مصدر عذو أي أنه لحق حقا مثل لظنكم وقيل أنه من على الفتح لاشارة الى غير متمكن وهو ما أن كانت عبارة عن شيء وأن يسا في جزها ان جعلت زائدة وعمله الرفع على الحقيقة لحق و يؤيده القراءة بالرفع (هل أناك حديث ضيف ابراهيم) تصح لسان الحديث وفيه على أنه ليس بمسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل لسة عشر ثم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وذلك آخر مما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث أحافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا في حسبه كذلك (المكرمين) أي المكر من عذابه تعالى أو عذاب ابراهيم حيث خدمهم بنفسه ووجه (أدخلوا عليه) ظرف للحديث أو لمسا في الضيف من معنى الفعل أو المكر من ابن ابراهيم (فقالوا سلاما) أي سلم عليكم سلاما (قال) أي ابراهيم (سلام) أي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للتصديق الثبات والادوام حتى تكون تحت طية الصلاة والسلام أحسن من تحيتهم وقرنا مرفوعين وقرى سلم وقرى منصوبا والمعنى واحد (توم متكرون) أتكرم عليه الصلاة والسلام السلام الذي هو علم للاسلام أو لانهم ليسوا من عديم من الناس أو لان أوصلهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله في نفسه من غير أن يشعر بذلك لأنه لم يعلم به جبر أو سلم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والاشكوا أو لم عند ذلك ولم يتعد عليه الصلاة والسلام لمقدمت الضيافة (فراخ الى أهله) أي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فانهم أدبوا الضيف أن ياديه بالقرى وياديه حذارا من أن يكلفه ويعذره أو يصير مستغترا والفاء في قوله تعالى (لما جعل سمين) ضيعة مفصصة عن حمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإدناها بكالسرعة المحر بالتمام كما في قوله تعالى قلنا اضرب بصلك البحر فالتحق أي خرج غلغا لحنه لجا به (قرى بهم) بأن وضعه لهم حسبا هو المضاف (قال أنا كوني) انكارا لعد تعرضهم للاكل (فأوحى بهم) أصدر في نفسه (حيقة) ثم أنهم جاءوا للشر وقيل وقع في قلبه أنهم ثلاثا كما جاءوا للضباب (قالوا لاخف) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بخانه فقام يمدح حتى لحق بأه فرغمهم وأمن منهم (ويشروه) وفي سورة الصافات ويشروا أي يواسطهم (يعلم) هو اسحق عليه السلام (عليه) عنه بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم (في صرة) في صبرة من الصبر وعمله الصب على الحالة أو المقعولة ان جعل أقلت بمعنى أخلفت كما يقال أفلت بشئني (صكت وجها) أي لطمت من الجيا لها أنها وجدت حرا وفتح الطمت وقيل ضربت بأطراف أصابعها حينها كما يفعل المتعجب (وقلت عجوز عقيم) أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وانما نحن معبرون بخبرك بهتة تعالى لأننا نقوله من تلقا أنفسنا (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله مقبلا لا محالة روي أن جبريل عليه السلام قال لما انقضى الى سقف بيتك فظنرت فإذا جدوده موقفة مثمرة ولم تكن هذه المفارقة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضا حسبا شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أعلم بذلك هناك كسرة اكتفاء بما ذكر هنا وفي سورة هود (قال) أي ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ثلاثا كما أرسلوا الامر (فلسطكم) أي شأكم الخليل الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون قالوا أنارسلنا الى قوم مجرمين) يعني قوم لوط (لرسول عليهم) أي بعد ما قبلنا قراهم وجعلنا عاليا رالها حسبا فصل في سائر السور الكريمة (حجارة من ملين)

أي ملين متحجر هو السجل (مسومة) مرسومة من أسمت المسألة أي أرسلتها أو معلقة من السومة وهي العلامة وقدر تفصيله في سورة هود (عند ذلك للفرسين) المجاوزين الحد في الفجر وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهة تعالى لمسا جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه السلام من الكلام والفاء ضيعة مفصصة عن حمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع أخرى كقوله قبل فابشر وأما روايه فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ (من كان فيها) أي في قرى قوم لوط وأصهارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) من آمن لوط (فما وجدنا فيها غير بيت) أي غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وأبناؤه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أي في القرية (آية) أي علامة دالة على ما أصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار أو صخر مضمود فيها أو ما من (الذين يخافون العذاب الالهي) أي من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ووقه قلوبهم دون من عذابهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يبتعدون بها ولا يصونها آية (وفي موسى) عطف على قوله تعالى وفي الارض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله من قال علفنا بنا وما باردا (اد أرسلناه) قيل هو مصوب آية وقيل بنحوف أي كاتبة وقت إرسالنا وقيل بتر لنا (الى فرعون يسلمان مدين) هو ما ظهر على يدين المعجرات الباهرة (قولي بركة) أي فأخرج من عن الايمان به والازور كقوله تعالى ونأى بجانه وقيل قول مما يقوى به من ملكه وعسا كره فان الركن اسم لمسا كاليه الشئ وقرى بركته ضم الكفار (وقال ساحر) أي هوساخر (أو يحنون) كأنه تسب ما ظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الحوارق المعجبة الى الجن وتزدق في أنه حصل باختياره وسميه أو بغيرها (فأخذناه وجوده في ذمهم في اليه) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قوة فرعون وقومته مالا يخفى (وهو ملي) أي أت يسلم بلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في أخذناه (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الریح العقيم) وصفت بالعمى لانها أهلكتهم وقطعت دارهم أو لانهم لم يمتنعوا خيرا ما من انشا مطر أو القاح شجر وهي النكباء أو الدبور والجنوب (فأند من شيء) أنت عليه أي حرت عليه (الاجعله كالمريم) هو كل مارد وبلى وتقت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفي نود اذ قيل لهم قمتموا حتى حين) وهو قوله تعالى فتمتوا في داركم ثلاثة أيام قيل الظلم صالح عليه السلام نصبح وجوهكم عدا صغرة وبعدد محرة واليوم الثالث مسودة ثم يصحك العذاب (فتمتوا عن أمر ربهم) أي فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لمسا وأوا العلامات التي فيها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قلبه عليه السلام فجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان خيرة اليوم الرابع تحطوا وتكفتموا بالاطلاع فانهم الصيحة قبل كوا وقرى الصيحة وهي المردة من الصق (وهم ينظرون) اليها ويعانونها (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأمسحوا في دارهم جانبيين (وما كانوا متصيرين) بغيرهم كما لم يتمتعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح فان ما قبله بدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مقول فأخذناه (من قبل) أي من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الحدود فيها كانوا فيه من الكفر والمعاصي (والسبا يبتها بأيد) أي بقوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الاتفاق أو لموسعون السبا أو ما يبتها وبين الارض أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقر عليها (فهم للمشاهدون) أي نحن (ومن كل شيء) أي من الاجناس (خلقنا زوجين) أي نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السبا والارض



[illegible]

بالكلية جارية على ذلك المباح وعلى هذا الاعتبار بدور وفه تعالى بالحكمة ويكنى في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويشاره أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما الإرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن توقع البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاين المبادئ وتأخذ المقدسات الموصلة إليها يمنع كونها غاية كافي قوله تعالى كتاب أنزلنا إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى لا يلزموا بعبادتي يا قهره تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله واحدا وقيل المراد سداً للجنين بأن المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والانس أنشأنا قوماً وبعضه قرأته من قرأ وأما خلف الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره القوي معناه إلا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يخرجه عن رب العزة كنت كثيراً غنياً فأحييت أن أعرف خلقك الخلق لا عرف ولعل السر في التخصيص عن المرة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على السبب التثنية على أن المعنى من المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا بما يحصل بغيرها كعمرة القلافة (ما ريد منهم من رزق وما ريد أن يطعمون) بيان لكون شأه تعالى مع عبادته متعللاً بأن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يالكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم ونبتة أرزاقهم أي ما ريد أن أصرفهم في تحصيل رزق لا لأرزاقهم بل لأتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من صندي فليست علواً بما خلقوا له من علق (إن الله هو الرزاق) الذي يرزق كل ما يقتضيه الرزق وفيه تلويح بأنه غني عنه وقرئ: أي أنا الرزاق (و ذو القوة المتين) بالرفع على أنه نعمت للرزاق أولاداً وأخبر بعد خبر أولئك بمصير وقرئ: بالجر على أنه وصف لل قوة على تأويل الاعتبار أو الأبد (فان الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بغير رضا للعذاب الخالد تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أنفاسهم نظراتهم من الآم الحكيمة وهو مأخوذ من مقابلة السقاء الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعملون) أي لا يظلموا مني أن أغفل في الخبز به يقال استعمله أي حمله على العجلة وأمره بها وبقال استعمله أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أن أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم حتى هذا الوعدان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضمير تم تسجيلاً عليهم بما فجر العجلة من الكفر والشعاراً بمخالط الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن العاء الأولي لترتيب النبي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى (من يوصهم الذي يوعدون) للتعليل أي يوعدهم من يوم بدو وعيل يوم القيامة وهو الأناب بما في صدر السورة الكريمة الآية والأول هو الأول لما قبله من حيث انهم من العذاب النبوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذرات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعد كل ربح هبت وجرت في الدنيا

— صورة الطور

(مكة وآياتهم أو ثمان وأربعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(والطور) الطور بالسراية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل يمدن جمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وثناب مبطور) مكتوب على وجه الانتظام لأن السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أو ما يكتب في النواح أو ما يكتبه الحفظة (في ريق منشور) الرق الجلد



الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصيغة وتذكير مما للتفخيم أو للاشماع بأنها ليسا بتعارفه  
 الناس (والبيت المسور) أي النكبة وعمارها بالحجاج والجار والمجاورين أو الضراحي وهو في السابعة الرابعة وعمرانه  
 كثر فغاشيته من الملاحة (والنصف المرفوع) أي السبا ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور (والبحر المسجور)  
 أي المملو وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد به الجفوس روى أن الله تعالى جعل  
 البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (إن عذاب ربك لواقع) أي لنازل حتما جواب القسم وقوله تعالى (ماله  
 من دافع) أما خير لأن لأن أو صفة لواقع ومن واقع أما مبتدا للطرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزينة لتأكيده  
 وتخصيص هذه الأمور بالأقسام بها لما أنها أمور عظام تلي عن عظم قدرة الله تعالى وبإل عليه وحكمته الدالة على  
 إحاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصحة أخباره التي من جعلها الجنة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم  
 تورد السبأ) أي تورد السبأ موردا غر فواقع بين السبأ والواقع مني عن كمال هوله وقفاة والمورد الاضطراب والتردد في الجحيم  
 والذهاب وقيل هو محرك في موج قبل تدور السبأ كما تدور الرجا وتتدفقا بأهلها تكفي السبأ وقيل تختلف أجزاؤها  
 (وتسير الجبال سيرا) أي تزلزل عن وجه الأرض فتصيرها وتأكيد الفعلين بمصدرهما للايدان بغيرايتها  
 وخروجها عن الحدود المعهودة أي مورا عجيبا وسيرا بدعيا لا يدرك كنهها (فويل يومئذ للكافرين) أي إذا  
 وقع ذلك أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل يوم أذيق ذلك لهم (الذين هم في غرض) أي انقطع عجب في الاياويل  
 والاكاذيب (يلعون) يلعون (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدعون السبأ دفعا عبقا شديدا بأن تغل  
 أيهم إلى أعناقهم وتجمع نواصبهم إلى أقدامهم فيدفعوا إلى النار وقرى يدعون من الله فيكون دعا حالا بمعنى  
 مدعوين ويوم أما بدل من يوم تورد أو ظرف لقوله مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أي  
 يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أنسرح هذا) تويح وتقرع لهم حيث  
 كانوا يسومونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للنار أن الناطق بهذا سحر فذا أيضا سحر وتقدم الخبر لأنه محط الانتكار  
 ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أي أم أنتم عمى عن الخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أو أم سدت أبصاركم  
 كما سدت في الدنيا على عظمكم حيث كنتم تقولون إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (أصلوها فاصبروا  
 أو لا تصبروا) أي ادخلوها فاصبروا شدة ما فاعلوا ما شتم من الصبر وعدمه (سوا عليكم) أي الأمر أن في عدم  
 النفع لا يدفع العذاب ولا ينضفه وقوله تعالى (إنما تنمرون ما كنتم تعملون) تعليل للاستعانة فلما لم يجدوا حيلة  
 واجبا للفرج حتما كان الصبر وعدمه سوا في عدم النفع (إن المؤمنين في جنات ونعيم) أي في أية جنات وأي نعيم على أن  
 التورين للتفخيم أو في جنات ونعيم مخصوصة بالمؤمنين على أنه للتوبيخ (فأكفون) فأكفون بتلذذين (بما أنتم ربههم)  
 وقرى تمكنون فأكفون على أنه الخبر والظرف لهم متعلق بالخبر أو خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على  
 آتامهم على أن ما صدرية أو على خبر أن أو حال باختياره ما من المستكن في الخبر أو في الحال وأما من فاعل أي ومن مفعولها أو  
 منها وأظهار الرب في موقع الاضمار مضافا إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) أي قالوا كلوا واشربوا  
 أكلا وشربا (هنيئا) أو معلما وشرا بهنيئا وهو الذي لا تنقص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الياء  
 زائدة وما فاعل هنيئا أي هنا كما كنتم تعملون أي جزاؤه (منسكين على سر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور  
 عين) وقرى بحور عين على إضاعة الموصوف إلى صفته بالتأويل المشهور وقرى (بين عين والياء) مع أن الترويع ما  
 يتعدى إلى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والاصاق أو للسمية إذ المعنى سيرناهم أزواجا بسبيين فان الزوجية

لا تتحقق بدون الضمير اليهم وقوله تعالى (والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق ليان حال طائفة من أهل  
 الجنة أو ليان حال الكل وهم الذين شاركهم ذريتهم في الإيمان وهو مبتدا خبره الحقناهم وقوله تعالى (وابتغيتهم  
 ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى (بإيمان) متعلق بالاتباع أي ابتغيتهم ذريتهم بإيمان في  
 الجملة تقصر عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للايدان بقوت الحكم في الايمان الكامل أصالة لا الحاقا وقرى  
 ذريتهم للباقة في الكثرة وذريتهم بكسر الهمزة وقرى (وابتغيتهم ذريتهم) أي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرى  
 ابتغيتهم (الحقناهم ذريتهم) أي في الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه تعالى رفع ذرية المؤمن في  
 درجته وإن كانوا ذرية لتقر بهم عنه ثم تلا هذه الآية (وما أنتم) وما نقصنا الآباء بهذا اللاحق (من علمهم)  
 من ثواب علمهم (من شيء) بأن أعطينا بعض متوابعهم أيانهم فنقص متوابعهم وتحطت درجاتهم وإنما رفعناهم إلى  
 منازلهم بمحض الفضل والاحسان وقرى (أنتم) بكسر اللام من أنت يأت كعلم والاول كعرب بضم السين وانما من لات  
 يليت وأنتم من أنت يؤت ولأنهم من ولت يأت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول مقطوف على محور  
 والمعنى قرعناهم بالحدود والذين آمنوا أي بالرفقاء والجلساء منهم فيستعينون تارة بملاعبة الجور وأخرى بمؤانسة الاخوان  
 المؤمنين وقوله تعالى (وابتغيتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بإيمان متعلق بما بعده أي بسبب إيمان عظيم رفيع  
 المحل وهو إيمان الآباء الحقناهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آياتهم ليم سروهم وبكل  
 نعيمهم أو بسبب إيمان داني المزية وهو إيمان الذرية كأنه قيل شيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء الحقناهم  
 (كل امرئ بما كسب رهين) قيل هو فعل بمعنى مفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح  
 فان عمله فكه والا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب رهن أي دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان  
 الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن حثرو رته أن لا ينقص من ثواب الآية شيء فاعلة لتعليل لما قبلها  
 (وأمددناهم بغاكة ولم بما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادئ التتم وقتا فوقتا ما يشتهون من فزون النعم  
 وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أي يتعاطون فيها وجلسا زم بكمال رغبة واشتياق كما ينبغي عنه التعبير عن ذلك  
 بالتنازع (كأنا) أي غرا نسة لها باسم عليها (لأنهم فيها) أي في شربها حيث لا يتكلمون في أثناء الشرب  
 بلهم الحديث وسقط الكلام (ولا تأتيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أي يسبب إلى الأثم لو فعله في دار التكليف  
 كما هو بدو النادمين في الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرى (لأنهم فيها  
 ولا تأتيم بالفنح) (ويطوف عليهم) أي بالكاس (غلان لهم) أي ممالك خصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين  
 سيفهم (كانهم لؤلؤ مكتون) مصون في الصدف من يلصقهم وصفاتهم أو غمزون لأنه لا ينجس ولا ينجس الغالي القيمة  
 قبل لقتاده هذا الخادم فكيف الخادم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أن فضل الخدم على  
 الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى  
 الخادم من خدمه فيجيب ألف يابه ليك ليك (وأقبل بعضهم على بعض يتسألون) أي يسأل كل بعض منهم  
 بعضا آخر عن أحوالهم وأعمالهم فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضا آخر معينا (قالوا)  
 أي المسألون وهم كل واحد منهم في الحقيقة (أنا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب  
 خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة أو التوفيق للعق (وقانا  
 عذاب السموم) عذاب النار النافذة في المسام تقود السموم وقرى (وقانا بالتشديد) أنا كنا من قبل ندعوه



أى تعيده أو لسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثرة الرحمة التى اذا عدا آتاه واذا  
سئل أجاب وقرئ (انه بالفتح بمعنى لانه) فأتيت على ما أنت عليه من التكبر ما أدرك اليك من الآيات  
والذكر الحكيم ولا تنكثت بما يقولون مما لاخبر فيه من الابليل (فأنت تسمع ربك) محمده وانعامه يصدق  
النوة ورجاحة العقل (يكلن ولا يحنون) كما يقولون قائلهم الله ائى يفتكون (أم يقولون شاعر ترصيه به رب  
المنون) وهو ما يلقى النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقبل الموت الموت وهو فى الاصل فمولى من نادا  
قوله لان الموت فتخرج أى بل يقولون تنظر به نوابه الدهر (قل ترصوا على معكم من المتربين) أى ترص  
هلاكم كما ترصون هلاكى وفيه عدة كناية باهلاكم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (هذا) أى بهذا  
التأنيص فى المقال فان الكاهن يكون ذا حيلة ودقة نظر فى الامور والنجون مغطى عقله بحمل فكره والشاعر ذو كلام  
موزون متسق غلب فكيف يتبع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن آدائها اليه (أم هم قوم  
طاعون) جلورون الجذوة فى المكارة والعناد لا يجرمون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب  
الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ (بل هم) (أم يقولون قوله) أى اختلقته تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون)  
فلكفرهم وعادهم بمون هذه الابليل التى لا يتحقق على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم  
واحد من العرب فكيف أتى بما يخبر عنه كافة الأمم من العرب والعجم (فلأنتوا حديث مثله) مثل القرآن فى  
المعوت التى استعمل بها من حيث الظن ومن حيث المعنى (ان كان احادهم) فيها عموما فان صدقهم فى ذلك يستحق  
قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة  
للخطب والاشعار وكثرة المرافعة لاساليب النظر والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والالام ولا ريب فى أن القدرة على  
التنى من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك (أم خلقوا من غير شئ) أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير  
البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من اجل لاشئ من عبادة وجواز (أم هم الخالقون) لا غشهم ولذلك  
لا يعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) أى اذا سلخوا من خلقكم وخلق السموات  
والارض قالوا الله وهم غير موثقين بما قالوا والامسا أعرجوا عن عبادته (أم عندكم خزائن ربك) أى خزائن  
رزقه ورحمته حتى يرفقوا النبوة من شاموا ويحكوا عما عن شاموا أو أعندهم خزائن الله وحكمته حتى يفتاروا لها  
من اقتضت الحكمة اختاره (أم هم المسيطرون) أى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاموا حتى يدبروا أمر  
البرية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ (المسيطرون بالصائد لمكان العطاء) (أم لهم سلم) منصوب الى  
السبا (يستمعون فيه) صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما عاين من الامور  
التي يقولون فيها ربما بالغيب ويعلمون بها اطاعهم الفارقة (فليات مستمعين سلطان مبن) بحجة واضحة تصدق  
استماعه (أم له البنات ولكم البنون) قد فيه لم وتترك امقرهم وابدان بان من هذا رايه لا يتكاد يعدم العقل فضلا  
عن الترفى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والانفلات الى الخطبات لتشده ما فى أم المنفعة من الانكار  
والتوبيخ (أم تسألهم أجرا) رجوع الى خطابهم عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل تسألهم أجرا على تبليغ  
الرسالة (فهم) لذلك (من مفرم) من التزام غرامة فادحة (مقلون) محملون الثقل لذلك لا يتبعونك  
(أم عندكم الغيب) أى اللوح المحفوظ المثلث فيه القيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكبدوا فى ذلك بنى أو  
اثبات (أم يريدون كيدا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الدودة (فأذنين كفروا) هم

المذكورون وضع الموصول موضع ضميرهم للسجيل عليهم بما فى حيز الصفة من الكفر وتقليل الحكم به أو جميع  
التكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا (هم المشكدون) أى م الذين يحق بهم كيدهم أو يبعد عليهم وباله لا من  
أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر وأوم المغلوبون فى الكيد من كايده فكفده (أم لهم له غير الله) يعينهم  
ويجربهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) أى عن الشراكهم أو عن شركة ما يشركونه (وان يروا كسفا)  
قسطه (من السبا ساقط) لعذبيهم (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مرقوم) أى هم فى  
الطنيات بحيث لو استقنناه عليهم حسبنا قالوا أو تسقط السبا كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم  
بمعنه على بعض تطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب (قدوم حتى يلاقوا) وقرئ حتى يلقوا (يومهم  
الذى فيه يصعقون) على اليه للمعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون يفتح اليه والعين وهو  
يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا الصفحة الأولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حيث ولان قوله تعالى  
(يوم لا يلقى عنهم كيدهم شيئا) أى شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم  
يستدعى استعمالهم له لمعنا فى الانتفاع به وليس ذلك الا ما دروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من  
جملته مناصبتهم يوم بدر وأما الصفحة الأولى فليست مما يجرى فى مدافعة الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه  
ما فيه مع ما تأباه الاضافة المقتضى عن اختصاصهم بهم (ولام ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم  
(وان الذين ظنوا) أى هم وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وان هؤلاء الظلة (عذابا)  
آخر (دون ذلك) دون ما لا تقوم من القتل أى قبله وهو القسط الذى أصابهم سبع سنين أو ورايه كما فى قوله  
ترك القذى من دونها وهو دونها (وهو عذاب القبر وما بعده من فون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا  
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الامر كما ذكر وفيه اشارة الى أن فيهم من يعلم ذلك وانما يصير على الكفر عنادا  
أولا يعلمون شيئا أصلا (واصبر لحكم ربك) بأصالحهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان  
ومعاناة المحوم (فأنتك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا حيث ترافك وتكلمك وجمع العين بجمع الضمير والابيان  
بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى تهنه تعالى عمالا يليق به منسبا (محمدا ربك) على نعماته الفاتنة للحصر  
(حين تقوم) من أى مكان قت قال سيد بن جبر وعطاء أى قل حين تقوم من مجلسك سبحانه اللهم ومحمدك  
وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه صلته حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع اذا قت الى الصلاة قتل  
سبحانك اللهم ومحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل يسبحه) افراد لبعض  
الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وآداب النجوم)  
أى وقت ادبارها من آخر الليل أى غيبتها بضر الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة  
الفجر وقرئ (آداب النجوم بالفتح أى فى أعقابها اذا غربت أو خضت) عن التي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة  
والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن يمهه فى جنه

سورة والنجم  
(مكية وآياتها احدى أو اثنتان وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) المراد بالنجم اما النياز فانه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غرويه وقيل طلوعه يقال



هو ي هو يا بوزن قبل اذا غرب وهو يا بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهو ي تزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسوخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيتك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاعته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية ورايه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلية الى سوا السبيل ﴿ما مثل صاحبكم﴾ أى ما عدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة ﴿وما غوى﴾ أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمون من الضلال والغواية فى شئ أصلا وأما على الثالث فلا نه تنو به بشأن القرآن فكما أشير اليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يعنون صاحبته لم لا ياذن بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببرامته عليه الصلاة والسلام عما نفى عنه بالكلية وبالتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لحسان شئونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السبيل ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيجئ من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليها السلام هذا هو الاتى بشأن التنزيل الجليل وأما حل هويته على انتشاره يوم القيامة أو على انقضاء النجم الذى يرجع به أو حل النجم على البات وحل هويته على سقوطه على الأرض أو على ظهوره منها فما لا يناسب المقام ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نطق عن الهوى لا نطق استمرار النطق عنه كما مر مرارا ﴿أن هو﴾ أى ما الذى ينطق به من القرآن ﴿الأوحى﴾ من الله تعالى وقوله تعالى ﴿يوحى﴾ صفة هى كدلة لوجى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى ﴿عليه شديد القوى﴾ أى ملك شديد قواه هو جبريل عليه السلام فانه الوسيلة لابتداء الخوارق ونهايك دليلا على شدة قوته أنه قلغ قري قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحمله على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بشمود صيحة فأصبحوا فاجتمعين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف ﴿ذو مرة﴾ أى حصافة فى عقله ورأيه ومثاقفة فى دينه ﴿فاستوى﴾ عطف على عليه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى يان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتشك بها كلبا هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فزل جبريل عليه السلام فى صورة الأدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير التى عليه الصلاة والسلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الأمر وقوله تعالى ﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ أى أقبل الشمس حال من فاعل استوى ﴿ثم دنا﴾ أى أراد الدنو من النبي عليها الصلاة والسلام ﴿فتدلى﴾ أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجله من السرير وأدلى دلوه والدولى الثمر المعلق ﴿فكان﴾ أى مقدار امتداد ما بينهما ﴿قاب قوسين﴾ أى مقدارهما فان القاب والقيب

والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الازار ﴿أو أدنى﴾ أى على تقدير كم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس ﴿فأوحى﴾ أى جبريل عليه السلام ﴿الى عبده﴾ عبدالله تعالى واضيائه قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ما ترك على ظهرها ﴿ما أوحى﴾ أى من الأمور العظيمة التى لا تنفى بها العبارة أو فأوحى الله تعالى حيثنذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه أن الجنة عذبة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمثلك ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ما رأى﴾ أى ما رآه يبصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه يبصره وقرى ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته ﴿أفتأرونه على ما يرى﴾ أى أنكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة أو أبعد ما ذكر من أحواله المنافية للمساواة بما روت من المرأ وهو الملاحة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلام من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرى أخره ونه أى أفتأرونه فى المرأ من ماريته فريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتأرونه أفتجحدونه من مرأه حقه اذا جحد ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الطرف الذى هو مرة لأن الفعل اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر ﴿عند سدرة المنتهى﴾ هى شجرة نيق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر و ورقها كذات الفول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعماهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل ينتهى إليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل إضافة السدرة الى المنتهى اما إضافة الشئ الى مكانه كقولك أشجار البستان أو إضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عند سدرة المنتهى أو إضافة الملك الى المالك على حذف الجار والجر وروى سدة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى ﴿عندها جنة المأوى﴾ أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجنة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الطرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى ﴿اذ ينشى السدرة ما ينشى﴾ ظرف زمان لآه لا لما بعده من الجنة المنفية كما قيل فان ما للنفية لا يعمل ما بعدها فيها قبلها والنشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاتيان يقال فلان ينشيان كل حين أى يأتينى والأول هو الالىق بالمقام وفى ابهام ما ينشى من التفخيم ما لا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها لا يكتبه الوصف ولا ينى به البيان كقفا ولا كوصفة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللإيدان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل ينشأها الجهم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبردين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل ينشأها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجليل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصعب ما أصابه من ذلك وقيل ينشأها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والفحاك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة ينشأها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام ينشأها رفرف من طير خضر ﴿ما زاح البصر﴾ أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عماره ﴿وما طافى﴾ وما تجاوزه فغ ما شاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة ما لا يحصى بل أثبتة اثباتا صحيحا متيقنا أو ما عدل عن رؤية



المجانب التي أمر برؤيتها وسكن منها وماجاؤها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أي والله لقد رأى الآيات التي هي كبرها وعظمتها حين عرج به إلى السماوات من عجائب الملك والملكوت لا لا يحيط به لفظ العبارة وهو أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أي شيا عظيما من آيات ربه وأن تكون من مائة (أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) هي أصنام كانت لهم فاللات كانت تصيف بالطائف وقيل لتمزيق نخلة وهي صلة من لوى لآبهم كانوا يلذون عليها ويظفون بها وقرى بشقده التاء على أنه اسم فاعل اشهر به رجل كان يلتصق بالزيت ويضعه الحاج وقيل كان يات السويق بالطائف ويضعه الحاج فلما مات عكفوا على قبره فميدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأثرت باللات كانت لفظا وهي سمرة كانوا يبدونها فبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالدين الوليد ففعلها فخرجت منها شيطانة شريرة وأمنعة يدها على رأسها وهي تولد لظلم عالة يضربها بالسيف حتى قتلها فأنجز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولي تعبد أبدا ومناة صخرة غليل وخرافة وقيل تصيف كأنها سميت مناداة ربه السالك حتى عندها أي راق وقرى: ومنا وهي مقلعة من النواكهم كانوا يستسرون عندها الأنبياء ثم قاموا بالآخرى مستخدمين لها وهي المتأخرة للوجبة المقدار وقد جرد أن تكون الأولية والتقدم عندهم اللات والعزى ثم لهم كما توسع ما ذكر من عبادتهم لما يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقبل لم تزيحوا وتبينوا أفرأيت أع والهمزة للاستكثار والقاء لوجهه إلى ترتيب الرتبة على ما ذكر من شأن الله تعالى المتأخرة للمادة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف دلالة الحال عليه فاللغنى أغضب ما يحتم من أن كان عطية الله عز وجل في ملكه وملكه وولاه وجبروته وأحكام قدرته وفاد أمره في الملا الأعلى وامتحت الثرى وما بينهما أفرأيت هذه الأصنام مع لايه حقارتها وقبحها بنات له تعالى وقيل للغنى أفرأيت هذه الأصنام مع حقارتها وذلها شركاء الله تعالى مع مانعهم من عظمته وقيل أخبروني عن الهكس هل لها شيء من القدرة والمطة التي وصفها العرب في الآي السابقة وقبل الممن أشتم أن هذه الأصنام التي لعبدها لا تنفعكم وقيل أظنتم أنها تنفع لكم في الآخرة وقيل أفرأيت إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لا تنفعكم وإن تركتموها لا تضرهم والاول هو الحق كما يشهد بقوله تعالى (الكم الذكر وله الآي) شهادة بغيره فانه توضح معنى على التوضيح الأول حيث كان مداره تفصيل جانب أنفسهم على جناحه تعالى بتسليمهم إليه تعالى الإثبات مع اختيارهم أنفسهم الله كور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتبين أنه التوضيح الثاني عليه وظاهر أن ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ما قيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرقية وعلوها عن المائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبروني أن اللات والعزى ومناة أنكم الله ذكر وله من أي تلك الأصنام فوضع موضعهم الآي لما إذا فاعل الأصل وتحقيق مناط التوضيح فمع ما فيه من التمحولات التي ينبغي تارة ساحة التزييل عن أمثاله يقتضي إقصاء التوضيح على جميع جانبهم المحقير على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوضيح على نسبة الولد إليه سبحانه (تلك) إشارة إلى القسمه المنهية من الجملة الاستهائية (إذا قسمه صبري) أي جارة حيث جعلته له تعالى ما تستكفون منه وهي ضل من الضي وهو الجور لكنه كفر فآؤه لتسلم اليأس كما فعل في يرض فان فصل بالكسر ليراد في الوصف وقرى: ضرى بالهمزة من ضارؤه إذا ظله على أنه مصدر نعمت به وقرى: ضرى إما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكري وعطشى (أن هي) الضمير للأصنام أي ما الأصنام باعتبار الألوهية التي يدعونها (الأصنام) محضة ليس تحتها تماثيل هي عنه من معنى الألوهية شيء ما أصلا وقوله تعالى (سبحوها) صفة لأسماء وضميرها

لها لا الأصنام والمغنى جعلتموها أصناما لا جعلتم لها أصناما فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيس إلى الاسم فنعما جعله اسما للمسمى وإن قيس إلى المسمى فنعما جعله مسمى للاسم وإنما اخبر عنها الملقى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أصناما مجردة ليس لها سميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أصناما صنعوها الآية لا أن هناك سميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والأعزاز والتقرب إليها بالقرابين واستخير بالله لوسيلة لآلة الأصنام المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للأصنام فليس في سلبها عنها مزيد فالتقبل انحصار في سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الأصنام على وجه برهاني فان انحصار الموصوف يقتضي انحصار الوصف بطريق الأولوية أي ما هي إلا أصناما خالصة للسميات وصنعوها (أنتم وأبائكم) بمقتضى أمواتكم بالامالة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تعلقون به (أن يقولون) انتفاء إلى الغيبة لا لبيان بأن تعداد قانعهم اقتضى الاعتراض عنهم وحكاية جناباتهم لغيرهم أي ما يدعون فيذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الاتهم أن ما هم عليه حق توها باطلا (وما ينهى الأنفس) أي تشبته أنفسهم بالإمارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هي حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأيا ما كان ففيه تأكيد لبطان اتباع الظن وهو النفس وزيادة تصحيح لحالهم فان اتباعها من أي شخص كان فيصح ومن هداه الله تعالى بإرسال الرسول صل الله عليه وسلم وإزالة الكتاب أنفع (أم للأنسان ما تمنى) أم منقطعة وما فيها من بل للاتصال من بيان أن ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهو أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعا أصلا والهمزة للاستكثار والنفي أي ليس للأنسان كل ما يتناه وتشتبه نفسه من الأمور التي من جعلها أطعامهم الفارة في شفاعته الآلهة ونظارها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود (فله الآخرة والأولى) تعليل لانتهاء أن يكون للأنسان ما يتناه حتى فان اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعا به تعالى مقتضى لانتهاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا) فاعلموا عما علقوا به أطعامهم من شفاعته الملائكة لم موجب لأطعامهم من شفاعته الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير عليها الرفع على الاعتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع أفراد الملك باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الأغنى في وقت من الأوقات (الا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعته (لمن يشاء) أن يشفعوا له (وبرضى) ويرى أهلا للشفاعة من أهل التوحيد واليمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فيهم من إذا الله تعالى يعمل ومن الشفاعته بالفشل فاعدا كان حال الملائكة في باب في الشفاعته كما ذكر فاعلموا بحال الأصنام (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما فيها من العقاب على ما يتعاطون من الكفر والمعاصي (ليسدون الملائكة) المزهزين عن سمات التضامن على الإطلاق أي يسون كل واحد منهم (تسمية الآي) فان قرأه الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلامهم به سبحانه وهي التسمية بالآي وفي تعليلها بعدم الإيمان بالآخرة شعار بأنها في الشاعة والفضاعة واستيفاع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلا من لا يؤمن بها رأسا وقوله تعالى (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسون أي يسونهم والحال أنه لا علم لهم بما يتبعه لكون أصلا ونزى بها أي بالملائكة أو بالتسمية (أن يقولون) في ذلك (الا الظن) الفاسد (وان الظن) أي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار (لا يغنى من الحق شيئا) من الأغنى فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتقاد به في شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدى إليها (فأعرض عن من تول



عن ذكرنا أي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيزه من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أي فأعرض عن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الأولين والآخرين المذكور لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغي فإن ذلك مستبعد لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمروء عنها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) راضيا بما قاصرا نظره عليها والمراد النبي عن دعوته والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همة وقصارى سعيه لا تزده الدعوة الى خلافها الاعتناء واصرارا على الباطل (ذلك) أي ما أدام الى ما في من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجددهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى ما أن أفرادها فيها سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقريلضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والابتنان بكال بيان المعومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع الى الهدى أصلا ومن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة أي هو المبالغ في العلم بمن لا يرجع عن الضلال أبدا ومن يقبل الاعتداء في الجملة لا غيره فلا تعجب نفسك في دعوتهم فانهم من القليل الأول وفي تعليل الأمر بأعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلامهم بما يليق به من الجزاء فيه وعيد ووعده مناسكا سائقا صريحا (ولله ما في السموات وما في الأرض) أي خلقا وملكا لا تأثير ماضلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزي) الخ متعلق بما دل عليه علم الخواص بما اعتراض مقريلقبله فإن كون الكل مخلوقا له تعالى بما يقرر عليه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلقه كأنه قيل فيعلم ضلالا من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظ لهما ليجزي (الذين أسأوا بما عملوا) أي يعقاب ما عملوا من الضلال الذي تتر عنه بالأساءات ما حاله أو بسبب ما عملوا (ويجزي الذين أحسنوا) أي اهتدوا (بالحسن) أي بالمعروف بالحسن التي هي الجنة وأوجب أعمالهم الحسن وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى والله ما في السموات وما في الأرض كأنه قيل خلق ما فيها ليجزي الخ وقيل متعلق بصل اهتدى على أن اللام للعاقبة أي هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره الى أن يجزيه الله تعالى بعمله ومن اهتدى ليؤول أمره الى أن يجزيه بالحسن وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لا يرازال الاعتناء بأمر الجزاء والتفني على تباين الجزاءين (الذين يحتنبون كباثر الآثم) بدل من الموصول الثاني وصيغة الاستقبال في صفة لالة على تعدد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعم أو تعصوب على المدح وكباثر الآثم ما يكثر عصابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الآثم على ارادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما غش من الكبائر خصوصا (إلا الله) أي الإماثل وصغر فانه مغفور عن يحتنب الكبائر قبل هي النظرة والغمرة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتنب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللهم وتنبه على أن إخراجها عن حكم المؤاخاة به ليس لحلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعده المحسنين بذلك حيثئذ لئلا يأس صاحب الكبرية من رحمة تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أي بأحوالكم يعلمها (إذ أنشأكم) في ضمن انشاء أيكم آدم عليه السلام (من الأرض) انشاء اجماليا حسيما بقريره مرارا (وإذ أنتم أجنة) أي وقت كونكم أجنة (في بطون

أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التي من جعلها اللهم الذي لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) ترتيب النبي عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخاة باللهم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أي إذا كان الأمر كذلك فلا تشوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية أو بما يستلزمها من زكاة العمل ونمسا الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصي جميعا وهو استئناف مقرر للنبي ومضمر بأن فيهم من يتقها بأمرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى ويتوفاه وتأييده ولم يقصده التمدح لم يكن من الموزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذي تولى) أي عن اتباع الحق والاتباع عليه (وأعطى قليلا) أي شيئا قليلا أو أعطاه قليلا (وأكدى) أي قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أي الصلاة كالصخرة فلا يمكنه أن يخفر قالوا نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغيره بعض المشركين وقاله تركت دين الأشياخ وضلائهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحصل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما كان يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وقيل في أي جبل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض الأمور وكان يقول والله ما بأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى الأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فيوري) الخ أي أعنده علمها بالأمور الغيبية التي من جعلها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أعلم نبيا ما في خفص موسى وإبراهيم الذي وفي) أي وقرآتم ما قبله من الكتاب أو أمره أو بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره فالصبر على نار نمرود حتى أنه أنه جبريل عليه السلام حين يلقى في النار فقال ألك حاجة فقال أمالك فلا وعلى ذبح الولد ويرى أنه كان يمشي كل يوم فرس خا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والآنوى الصوم وتقديم موسى لما أن صفه التي هي التوراة أشهر عندهم وأكثر (أن لا تزور أزرة وزر أخرى) أي أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن هي الخفيفة من الثقلية وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل عما في خفص موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما في خفصها فليل هو أن لا تزور الخ والمعنى أنه لا يؤاخذه أحد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعلية وزرها وورم من عمل بها الى يوم القيامة فإن ذلك وزر الاضلال الذي هو وزر وقوله تعالى (وأن ليس للانسان الامامسى) بيان لعدم اتفان الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر يان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء الاموات وصدقهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للانسان مع أنها ليست من عمله قطعنا غيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصالح ولم يكن لشي منها نفع ما بدوته جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وأن تخففه كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أي يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة في حقيقته وميزانه من أوبته الشيء (ثم يجزاه) أي يجزي الانسان سعيه يقال جزا الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بخذف الجار وإيصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى



(الحجاء الأولى) أو يدلحونه كما في قوله تعالى وأسروا النجوم الذين ظلموا (وأن إلى ربك المشتكى) أي انتهى الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره مستغلا ولا اشتراكا وقرئ يكسران على الابتداء (وأنه هو أمحك وأبكر) أي هو خلق فوق الضحك والبكاء (وأنه هو أمان وأحق) لا يقدر على الإمارة والاحياء غيره فان أثر القاتل تغض البية وتغري الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة أداختي) تدخ في الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من من بمعنى تدبر (وأن عليه النشأة الاخرى) أي الاحياء بعد الموت وما بعده وقرئ النشأة بالمد وهي أيضا مصدر نشأ (وأنه هو أحي وأقن) وأعطي الفية وهي ما يتأكل من الأموال وأقرها بالذكرا لأنها أشرف الأموال أو أرض وتحققته جعل الرضالة فية (وأنه هو رب السمير) أي رب معبودهم وهي العبور وهي أشد ضياء من الغيبضة وكانت خزاعة تعبد ما سن لم ذلك أبو كشة رجل من أشرفهم وكانت فريث تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كشة تشبهه عليه الصلاة والسلام لمخالفة أبيهم في دينهم (وأنه أهلك عاد الأولى) هي قوم هود عليه السلام وهذا الاخرى آدم وقيل الأولى القدماء لانهم أوى لأمهم هلاكاً بعد قوم نوح وقرئ عاد الأولى بحذف الهجزة وتسلل منها إلى اللام وعاد الأولى بألفهم التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (ونوح) عطف على عاد لأن ما بعده لا يعمل فيه وقرئ نوحاً بالتنوين (فما أتيت) أي أصدا من القرابين (وقوم نوح) عطف عليه أيضا (من قبل) أي من قبل هلاك عاد وقرئ (انهم كانوا أظلم وأغنى) من القرابين حيث كانوا يؤذونه ويقرضون الناس عنه كانوا يحذرون صيانتهم أن يسبوا منه وكانوا يصبرونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون محررك ومآثر فيهم دناؤه قريبا من القسوة (والمؤتفة) هي قرى قوم لوط انتفكت بأهلها أي انقلب عليهم (أهوى) أي أسقطها إلى الارض بعد أن رفضا على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء (فما شأها ماغشى) من دون العذاب وفيه من التبريل والتطبيع ما لا غاية ورام (فماي ألا) ربك تبارك تشككت الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لن أفركت ليجنن عماك أو لكل أحد وسناد قبل التباري إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وإن كانت صيغة لا فائدة صدور الفعل عن المتعدد وتفرعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معاً لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فإراد بها المعنى الاول فقط كما في تصاعدهم أي بدعهم وقد تجرد عنهم أيضا فيمكن تشديد الفعل تعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المرء متعدد بتعدد الآلات فندرس وتسمية الامور المندودة الآلات مع أن بعضها نقر لها أنها أيضا لهم من حيث أنها نصرة للآتيا والمؤمنين وانقام لهم وفيها عظام وعبر العتيرين (هذا خبر من القدر الأولى) هذا لما اشارة إلى القرآن والتفكير مصدر أو الال رسول عليه الصلاة والسلام والتدبر بمعنى المنذر وأما ما كان قائلين للتفكير ومن متعلق بمندوف هو تحت تدبر مقرره ومتضمن للموعظة في هذا القرآن الذي تشاهده وتذرع من قبل الانذار المتقدمة التي سمعتم عابثا أو هذا الرسول من جنس المنذرين الاولين والاخرى على تأويل الجماعة لمرحلة القواصل وقد علمت أحوالهم المنذرين وفي تعقيب قوله تعالى (أرأيت الآفة) اشارة بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دلت الساعة الموصوفة بالله في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أي ليس لها من قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها أوليس لها الآن نفس كاشفة تأخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها أوليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليا لوقتها الا هو أوليس لها من غير الله تعالى ككشف على أن كاشفة مصدر كالعاقبة (ألن هذا الحديث) أي القرآن (تجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء

مع كونه أمداً من ذلك (ولا تكون) جزاء على ما فوهم في شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما خلق بالأمم المذكورة (وأمر سامدون) أي لا هون أو مستكبرون من جد العبر إذا رفع رأسه أو مفتون تشغلوا الناس عن اتباعهم السمود بمعنى الغناء على لغة حبر أو عاشعون جامدون من السمود بمعنى الخلود والحشوع كما في قول من قال ومن الخلدان نسوة آل سعد بمقدار سمود له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورز وجههن البيض سودا

والجمله حال من فاعل لا تكون خلا أن مضموها على الوجه الاخير فيدل للنفي والانكار وورد على نفي البكاء والسود سماعاً على الوجه الاول قيد للنفي والانكار متوجه إلى نفي البكاء ووجود السود والاول أو في بحق المقام تدبر والفاء في قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الأمر أو موجه على ما تقدم من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقية بالاحسان مع كمال الخضوع والخشوع أي وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه - عن التي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق محمد ويصديه بمكة شرفها الله تعالى

### سورة القمر

(مكية وآياتها خمس وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقتربت الساعة واشتق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فاشتق القمر قال ابن عباس رضي الله عنهما املق فلتين فلققة ذهبت ولفقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراً بين فلتين القمر وعن عثمان ابن عطاء عن أبيه أن معناه سيلق يوم القيامة ويرثه قوله تعالى (وان يرأية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فانه خلق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظاره وقرئ وقد اشتق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد اشتق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أي وان يرأية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليفقوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم باق به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قرئ مستحكما لا يمكن لزاله وقيل مستمر داهي يزول ولا يبقى غنية لأنفسهم وتعليلاً وهو الانسب بقاوم في العناد والمكابرة ويؤيده ما سبق لره وقرئ وان يرأية على البناء المفعول من الارادة (وكذبوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يأنونه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهوامهم) التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي التصادق القمر واتبعوا أهوامهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماسخ للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لاقناعهم عما علقوا به أمانتهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر بيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور مستمر أي مته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جعلها أمراً التي صلى الله عليه وسلم فيصير إلى غاية يدين عندها حقيقة وعلا شأنه وإيهام المستقر عليه للتشبه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستمر أي سيبث ويستقر على حالة خلدان أو نصرة في الدنيا وشقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان



استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ﴿ولقد جاءهم﴾ أي في القرآن وقوله تعالى ﴿من الأنبياء﴾ أي أنبياء القرون الخالية أو أنبياء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أي وبالله لقد جاءهم كأننا من الأنبياء ﴿ما فيه مزدجر﴾ أي ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار وتأنيق الاتصال تقلب الدال مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلها زاء وأدغامها ﴿حكمة بالغة﴾ غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما أو خير لمحذوف وقرئ بالنصب حالاً منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصة بصفتها فاساغ نصب الحال عنها ﴿فما تنفي النذر﴾ نفي للاغتناء أو انكار له والفساء لثريب عدم الاغتناء على معنى الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغتناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغتناء واستمراره حسب تجدد معنى الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة أي فأى اغناء تنفي النذر وهو جمع نذر بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الانذار ﴿فقول عنهم﴾ لعلكم بأن الانذار لا يؤثر فيهم البتة ﴿يوم يدع الداع﴾ منصوب يخرجون أو بأذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الداع فيه كالأمر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط اليا لا كنفاء بالكسر تخفيفاً ﴿الشيء نكر﴾ أي منكر فطبع تكبره النفوس لعدم العهد بمثلته وهو قول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر ﴿خسما أبصارهم﴾ حال من فاعل ﴿يخرجون﴾ والتقديم لأن العامل متصرف أي يخرجون ﴿من الاجداث﴾ أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعاً بالافراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيق التأنيث وقرئ خاشعاً على الأصل وقرئ خضع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال ﴿كانهم جراد منتشر﴾ في الكثرة والتموج والتفرق في الانظار ﴿مطمئنين الى الداع﴾ مسرعين مادي أعناقهم اليه أو ناظرين اليه ﴿يقول الكافرون﴾ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالاوهال وأهله بسوء الحال كأنه قيل لماذا يكون حيث نقول الكافرون ﴿هذا يوم عسر﴾ أي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾ شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانبياء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها ويسان لعدم تأثرهم بها تقرراً لفحوى قوله تعالى فاما تنفي النذر أي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى ﴿فكذبوا عبيدا﴾ تفسير لذلك التكذيب المهيم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ارحم فيه من يد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه فكذبوا اثر تكذيب كل ما خلا منهم قرن مكذب جاء عقبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبيداً لأنه من جعلهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تخفيف له عليه الصلاة والسلام ورفع محلّه وزيادة تشنيع لمكذبيه ﴿وقالوا الجنون﴾ أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون ﴿وازدجر﴾ عطف على قالوا أي وزجر عن التبليغ بأنواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه أي هو الجنون وقد ازدجرته الجن وتخطيته ﴿فدعاهم أي﴾ أي بأني وقرئ بالكسر على ارادة القول ﴿مغلوب﴾ أي من جهة قومي مالى قدرة على الانتقام منهم ﴿فاتصبر﴾ أي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرير بأسه منهم بعد التيا والتي فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيختقه حتى يخر مشياً عليه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ﴿فتفتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصابتها وقرئ فتفتحنا بالتشديد لكثرة الابواب ﴿وخرنا الأرض عيونا﴾ أي جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وخرنا عيون الأرض ضمير قضا لحق المقام ﴿فالتقى الماء﴾ أي ماء السماء وماء الأرض والافراد التحقيق أن الثقا

الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والمساوان بقلب الهمزة واوا ﴿على أمر قد قدر﴾ أي كأننا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿وحملناه﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿على ذات ألواح﴾ أي أخشاب عريضة ﴿ودسر﴾ وصامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدي مؤداها ﴿تجرى بأعيننا﴾ بمرأى منا أي محفوفة بحفظنا ﴿جزاء لمن كان كفراً﴾ أي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفر وهافان كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأي نعمة وأي رحمة قد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل الى الضمير واستارته في الفعل بعد انقلابه مرفوعاً وقرئ لمن كفر أي للكافرين ﴿ولقد تركناها﴾ أي السفينة أو القفلة ﴿آية﴾ يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرًا طويلاً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة ﴿فهل من مدكر﴾ أي معتبر بتلك الآية الحقيقية بالاعتبار وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالاً والادغام فيها ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ استفهام تعظيم وتعجب أي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذر بمعنى الانذار ﴿ولقد يرانا القرآن﴾ الخ جملة قسمة وردت في أواخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه من دجر حكمة بالغة فما تنفي النذر وتنفيها على أن كل قصة منها مستقلة بالاجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحنها بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعيد ﴿لذكر﴾ أي للذكر والاعتناض بنم وحمل تيسره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعدوبة ألفاظه وعباراته مما يساعده المقام ﴿كذبت عاد﴾ أي هودا عليه السلام ولم تعرض لكيفية تكذيبهم له وما للاختصار ومسارة الى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ لتوجيه قلوب السامعين نحو الاوصاف الى ما يليق اليهم قبل ذكره لا تهويله وتعظيمه وتعجبهم من حاله بعد ياله كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أوفاهموا كيف كان عذابى وانذارى لم وقوله تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا﴾ استئناف بيان ما أجمل أولاً أي أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت ﴿في يوم نحس﴾ شوم ﴿مستمر﴾ أي شؤمة أو مستمر عليهم الى أن أهلكتهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشد مرأته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والخرق وتسلك بعضهم ببعض فزعهم الريح وصرعهم موق ﴿كانهم أعجاز نخل منقعة﴾ أي منقطع عن منارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بالافروع لأن الرمح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجسادا وجشا بالارؤس وتذكر صفة نخل للنظر الى اللفظ كأن تأنيها في قوله تعالى أعجاز نخل لعلنا ننظر الى المعنى وقوله تعالى ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ تحويل لها وتعجب من أمرهما بعد يانها فليس فيه شائبة تكرار ومما قيل من أن الأول لمساحق بهم في الدنيا والثاني لمساخيق بهم في الآخرة برده ترتيب الثاني على العذاب الديني ﴿ولقد يرانا القرآن للذكر﴾ أي من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ أي الانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح أو بالرسول عليهم السلام فان تكذيب أحدكم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع ﴿فقالوا أبرأنا﴾ أي كأننا من جنسنا وانصابه بفعل يفسره ما بعده ﴿واحدة﴾ أي منفردة لا تبع له أو واحدا من أحمادهم لا من أشرانهم



وهو صفة أخرى ليشرا وتاخير عن الصفة المؤهلة للتبليغ على أن كلا من الحسنة والوحدة مما يتبع الاتباع ولو قدم عليها فانت هذه التبعة وتقرى: أشير منا واحد على الايداء وقرله تعالى (تبعه) خيره والاول وجه الاستغناء (انا انا) أي على تقدير اتياعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لن ضلال) عن الصواب (وسحر) أي جنون فان ذلك بمنزلة من مقتضى العقل وقيل كان يقول لم أن لم تبعوني كتم في ضلال عن الحق وسحر أي تيران جمع سحر فكسروا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان ايمانك كذا المذ كما تقول (ألمن الذكر) أي الكتاب والوحي (عليه من بيننا) وفيما من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشير) أي ليس الامر كذلك بل هو كذاب وكذا حله بظهره على الترفع علينا بما اذناه وقوله تعالى (سيعلمون عدا من الكذاب الأشير) حكاية لمساواة تعالى لصالح عليه السلام وعدا له وعدا لقوته والسين تقرب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشير الذي حله أشير ويطر على الترفع لصالح هو أم من كذبه وقرى: سيعلمون على الالتفات لتعظيم التبليغ على حكاية ما أحاط به صالح وقرى: الأشير كقولهم حذر في حذر وقرى: الأشير أي الإبل في الشراسة وهو أصل مرفوض كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة وأما قوله تعالى (انما أرسلوا بالحق) الخ فإنه استئناف مسوق ليان سادى للوجود حتى أن يخرجوها من المعية حسبا سألوا (فنه لم) أي امتحنا (فارتقبهم) أي فانتظروهم وتنبهوا ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم (وأنه أن المساء قسمة بينهم) مقصوم لما يوم ولم يوم وبينهم تغليب العقلاء (كل شرب مختصر) مختصره صاحبه في نوبته (فادوا صاحبهم) هو قهارين سالف أحير نمود (فعمالي فمتر) فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكتف له فأحدث القمر بالنسافة وقيل فعمالي الثالثة فمترها أو فمطاعى السيف فقتلها والعاصي تناول الشئ بكلف (فكيف كان غذائي ونذر) الكلام فيه كاذبي مرفوض صدره عاد (انا أرسلنا عليهم مبعوثا واحدا) هو صبيته جبريل عليه السلام (فكانوا) أي صاروا (كشيبي الضمير) أي كالشجر اليابس الذي يتخذ من نخل الحطيرة لأجلها أو كالخشبين اليابس الذي يجمعه صاحب الحطيرة لمساكنته في الشتاء وقرى: بفتح الظاء أي كشيبي الحطيرة أو الشجر المتخططا (ولقد يسرنا القرآن للذكر قبل من ذكر كذبت قوم لوط بالنذر انما أرسلنا عليهم مبعوثا) أي رجا محصينهم أي زعيمهم بالحسنة (الا لوط نجيناهم بسحر) في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير تعالى مخلصين بسحر (نعمه من عندنا) أي انعاما ما هو علقنا بها (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الصحيح (نجي من شكر) نعمتنا بالايمن والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطيننا) أي أخذنا الشديدة بالعذاب (فتباروا) فكذبوا (بالتذر) متشاكين (ولقد أوردوه عن حنيفه) قصدوا الشجر ويريم (فطمسنا أعينهم) مسحنا وصورناها كاستار الوجه روى أنهم لمادخلوا داره عنوة صفهم جبريل عليه السلام صفحة فتركهم يترددون لا يتدنون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فدفعوا غذائي ونذر) أي قتلناهم ذوقوا على السنة الملائكة أو ظاهرا الحال المراد به الطمس فانه من جملة أذروه من العذاب (ولقد صبحهم بكفرة) وقرى: بكرة غير مصر ووقع على أن المراد بها أول ما بهار خصوص (عذاب مستقر) لا يغارهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايما إلى أن ما قبله من عذاب الطمس يقبى اليه (فدفعوا غذائي ونذر) حكاية لما قيل لم حيث لم جهة تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر قبل من ذكر) سر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) صدرت قصتهم بالتوكيد القسم لابرار كالاعتناء بشأنا لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول مآلهة من العذاب وقوة إيحائها للاتعاط والاكتفاء بذكر آل فرعون لما لم

بان نفسه أولى بذلك أي وبالله لقد جامع الانذارات وقوله تعالى (كذبوا باياتنا كلها) استئناف معنى على سؤال نشأ من حكاية عن النذر كما قيل فإذا فعلوا حينئذ قبيلا كثيرا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لا يعاقب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) بامشعر العرب (خير) قوة وشدة وعدة ومكافة (من أولكم) الكفار المفسدون والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيرهم منهم منكم فبادر من الأمور قبل تعلمون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسا حالا وقوله تعالى (أم لكم براة في الزبر) اضطراب وانتقال من التبكيت بمذاكر الى التبكيت بوجه آخر أي بل لكم براة وأمن من تبعات ما تعلمون من الكفر والمعاصي وغر اللها في الكتب السبابة فلذلك تصرون على ما أتت عليه وقوله تعالى (أم يقولون نحن جميع مقتدر) اضطراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حاكم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبحهم لغيرهم أي بل يقولون ونحن نرى أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لأوامر ولا تضام أو مختصر من الأعضاء لا تغلب أو متماثل يصغر بعضنا بعضا والأفراد باعتبار لفظ الجمع وقوله تعالى (سيعلمون الجمع) ردوا بطلان ذلك والسين فلما كيد أي يرمي جميع البتة (ويولون الدبر) أي الأبدان وتدفري: كذلك والتوحيد لازادة الجنس أو إرادة أن كل واحد منهم يولى دبره وفكان كذلك يوم يدور قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما زارت سبيزم الجمع ويولون الدبر كنت لأدري أي جمع يرمي فلما كان يوم يدور رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس الدبر ويقول سبيزم الجمع ويولون الدبر عرفت فأوليا وقرى: سبيزم الجمع أي أنه عدم علا (بل الساعة موعدهم) أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعدهم أصل عذابهم وهذا من ملائمة (والساعة أدهى وأمر) أي في أخص غاية من الفطاعة والمرارة والداهية الأمر العظيم الذي لا يبتدى الى الخلاص عنه وأظهر الساعة في موقع اختيارها لتزيه تهيئها (ان المجرمين) من الأولين والآخرين (في ضلال وسمر) أي في هلاك وغير ان مسفرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا وبيران في الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال أي كانوا في ضلال وسمر يوم يحرون (في النار على وجوههم) وأما بقول مقدر بعد أي يوم يسحبون يقال لهم (دعوا من سفر) أي قاسوا حرجها وألمها وسفر علم جهنم ولما لم يصرف من سفره البصر وصفره لنا لوجه والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون (انما كل شيء) من الأشياء (خلقناه بقدر) أي مثبنا بقدر معين اقتضت الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرى: بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خيره (وما أمرنا الا واحدة) أي كلمة واحدة تربية التكوين وهو قوله تعالى كى أو الأفعلة واحدة هو الإيجاد بلا معالجة (كلهم بالبر) في اليسر والسرعة وقيل معناه قرله تعالى وما أمر الساعة الا كلهم بالبر (ولقد أهلكتنا أشياكم) أن أشياكم في الكفر من الامم وقيل أباكم (قبل من مدرك) يتخط بذلك (وكل شيء فلهو) من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل (في الزبر) أي في ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستقر) مسطور في اللوح المحفوظ بفاحصه ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ التزهيب والتعجب بين ما لم من حسن الحال بطريق الإجمال فقيل (ان المؤمنين) أي من الكفر والمعاصي (في جنات) عظيمة الشأن (ونهر) أي أنهار كذلك والأفراد لاكتفاء باسم الجنس مراعاة للقواصل وقرى: نهر جمع نهر كاسد وأسد (في مقعد صدق) في مكان مرضى وقرى: في مقاعد صدق (عندكم ليك مقتدر)



أى مقرين عند ملك لا يقدر قدر ملكه وسلطانه فلا تسمى ملكه تسبحة ما أعظم شأنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر في كل شب بعث الله تعالى يوم القيامة وجهه مثل القمر ليلة البدر

### سورة الرحمن

(مكية أو مدنية أو متبعضة وآياتها ست وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لمساعد في السورة السابقة ما رزله بالأمم السالفة من ضروب نعم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يصير خل الناس على التذكر والاعتناء ونعم عليهم إغرائهم عن ذلك عند في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأمم من قرون نعمة الدينية والدينية والآفاقية وأنكر عليهم أن يفلحوا فيها إغرائهم بما وجب شكرها ويدي تعليم القرآن قليل (الرحمن علم القرآن) لأنه أعظم النعم شأنا وأرقها مكانا كيف لا وهو مدار السعادة الدينية والفنوية عيار على سائر الكتب السبابة ما من مرصد يزول إليه أحداق الأمم الا وهو منشؤه ومنطلعه ولا مقصد يبتدئ إليه أعناق الأمم الا وهو حجه وصراطه واستاد تعليمه الى اسم الرحمن الايمان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد انصهر على ذكره تنبيها على أصله ومجالاته قدرته ثم قيل (خلق الانسان على البيان) تبييناً للدعم وتبييناً لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان اشاقه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الصدر وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهمه بيان غيراً أيضاً اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن واجل الثلاث أخباراً رتبه اذ قلل من اخلاص الآخرين عن العاطف لورودها على محتاج التعبد (الشمس والقمر بحسبان) أى يجرى بان حساب مقدور وبوجهها ومنازلها بحيث ينظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنين والحساب (والنجم) أى النيازات الذي يحكم أى يعلم من الارض والاساقوله (والشجر) أى الذى له ساق (يسجدان) أى يقادرن على تعبد على قبايرد بهما طيعا اقياد الساجدين من المكلفين طوعاً والخشاً غير أن آخر انظر من جردنا عن الرابطة اللفظية تعبد على كمال قوة الارتباط المعنوية اذ لا يتوهم تهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتفسير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر يحسبان والنجم والشجر يسجدان لمواظبة الجلة الاولى على العاطف لما ذكر من قبل وتوسط العاطف بينهما وبين الثانية لتسليمهما من حيث الثبات لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلاماً من حال العلويين وحال السفليين من باب الاقياد لأمراته عز وجل (والسبا) وفيها أى خلقها برغبة وعلا وربة حيث جعلها منشأ أحكامها وقضايها ومثلاً وأمره يعمل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يحصى وقرى بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمره بأن وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل دى حق حقه حتى انظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قبل هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين ابن الفضل كما في قوله تعالى وأزانا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكايال ونحوهما وهو قول الحسن وقادة والفضحاك قللمنى خلفه موضوعاً مخفوضاً على الارض حيث خلق به أحكام عبادته وقضايها وما تبدهم به من النسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (أن لا تطغوا في الميزان) أى لا تظنوا فيه على أن ناصية ولا نافية ولا ملة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أى لا تطغوا على أنها

مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية أى لا تشدوا ولا تتجاوزوا الاتصال وقرى لا تطغوا على إرادة القول (وأقيموا الوزن بالقيسط) قوموا أو زكوا بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقيسط والعدل وقيل الإقامة باليد والقيسط بالقلب (ولا تحسروا الميزان) أى لا تنقصوه أمر أو لا بالنسوية ثم نبه عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الحسرة الذى هو تعطفيف وتقصار وكرر لفظ الميزان تشديداً لترسيخه وتأكيذاً للأمر باستعماله والحث عليه وقرى ولا تحسروا بفتح التاء وحسن السين وكسر هاء يقال حسر الميزان تحسره ويحسره ويضع السين أيضاً على أن الأصل ولا تحسروا في الميزان خفف الحساد وأوصل الفعل (والارض وضعا) أى خففها مدحوة على المساء (للانعام) أى الخلق قبل المراد به كل دى روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى (فيها ما كفى) أى استئناف مسوق لتفري ما أقامه الجلة السابقة من كون الارض موضوعاً لمنافع الانام وتقصيل المنافع العائمة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فلا حسن حيث أن يكون الحال هو الجار والمجرور وما كفى دفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما ينفعكم به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية انهم جمع كم أو كل ما بينكم أى يغفل من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينفع به كالمكحوم من ثمره وجاربه وجدوده (والحب) هو ما ينضج به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها ما يثله من القواكة والجامع بين التلذذ والتغذى وهو نحر النخل وما ينضج به وهو الحب الذى له عصف هو عطف الانعام وريحان هو معطى الناس وقرى (والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد وهذا الريحان لحذف المضاعف وأقيم المضاعف اليه مقامه والريحان اما فيلان من روح قلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو ضللت قلبت واو ياء للتخفيف أو للقرى بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي (فيها ما كفى) أى فى ذلك تكذبان) الخطاب للثقلين المذلول عليها بقرينه تعالى للانعام وينطبق بقوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الاستكثار والتوبيخ على ما فصل من قرون النعم وصوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر ختياو التعمى لعنوان الروية المبتدعة عن الملكية الكلية والترية مع الانضافة الى ضميرهم أنا كيد التكبر وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء تعالى كفرهم بها اما بالكلية كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من النعم الدينية وما يباينكار كونه نعم الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدينية الواصلة اليهم بإسناده الى غيره تعالى استقلالاً أو اشتراكاً صريحاً أو دلالة فان اشراكهم لاقتهم به تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم لما به تعالى فيها يوجبها والتعبر عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فاذا كان الامر كما فصل في أى فرد من أفراد الآلاء ما لكفركا ويريكاً بذلك الآلاء تكذبان مع أن كلاماً منها ناطق بالحق شاهد بالصدق (خلق الانسان من صلصال كالفخار) تمجيد للتوبيخ على اغلالهم بما وجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخرف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً مما مستوا بهم صلصالاً فلا تنافى بين الآية الناطقة بأحدهما وبين ما نطق بأحد الآخرين (وخلق الجن) أى الجن أو أبا الجن (من مارج) من طين صاف (من نار) بيان لما راجع فانه في الأصل المضطرب من مرج اذا اضطرب (فيها ما كفى) أى تكذبان) مما أفاض عليكم كفاً تضاعيف خلفكم من سواي نعم (رب المشركين ووب المحترين) بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أى الذى فعل ما ذكر من الاعمال الدينية رب مشركي الصيغ والشتا ومحرسيها ومن قضيت أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج المحترين بالجور على أنه بدل من ربك (فيها ما كفى) أى تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من العدل والحو أو اختلاف



الفصول وحدث ما يناسب كل فصل في وقت لا غير ذلك (مرج البحرين) أي أرسلهما من مرجع البداية إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أي يتعاوان وليس سطوحهما لا تصل بينهما في مرأى العين وقيل أرسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يشعبان منه (ينها ريح) أي خارج من قدرة الله عز وجل أو من الأرض (لا يبينان) أي لا يبين أحدهما على الآخر بالمساحة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان حديهما باقرا في ما بينهما (فماي الأمر بكما تكذبان) وليس منهما شيء قبل التكذيب (يخرج عنهما للؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الحجر الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبر الدر والمرجان صفة منفسه تروجهما حيثما إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل لانهما لا يخرجان إلا من البحر مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأطهر وقرئ يخرج عنهما المفعول من الإخراج ومنها للقاع ينصب اللؤلؤ والمرجان وينزل العظيمة (فماي الأمر بكما تكذبان ولله الجوار) أي السفن جمع جارية وقرئ مرقع الراية ويحذف الياء كقول من قال

لها ثياب أربع حسان وأربع عنكبها ثمان

(المشاة) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرئ بكسر الفاء أي الرافعات الشرع أو اللاتي يشتمن الأمواج بحرهن (في البحر كالأعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل (فماي الأمر بكما تكذبان) من خلق مواد السفن ولا يشاء أن أخذها وكيفية تركيبها وإخراجها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وتوزيعها غير سبحانه (كل من عليها) أي على الأرض من الحيوانات أو المركبات ومن الغليب أو من الغلبين (من) هالك لانهالة (ويبقى وجه ربك) أي ذاته عز وجل (ذوالجلال والإكرام) أي ذو الاستعانة والطق والعصل التام وقيل الذي عنده الجلال والإكرام المخلصين من عباده وهذه من عظام صفاته تعالى وقد قال الله عليه وسلم أطهر أربابا الجلال والإكرام) وعند عليه الصلاة والسلام أمير رجل وهو يصلي ويقول إذا دخل الجلال والإكرام فقال قدما شريك وقرئ ذي الجلال والإكرام على أنه صفة يشعأ بها كونه في وصفة تعالى بذلك بعد ذكر صفاته الخلق بقوله تعالى لا اله الا أنا فبعض عليهم بعد صفاتهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبي مستقر له تعالى (فماي الأمر بكما تكذبان) فان جبروتها بالحياة لا بدية وانابهم بالنعم المقيم أجل العما وأعظم الآلا (سألهن في السموات والأرض) قاطعة ما يحتاجون إليه في دوائهم ووجوداتهم حوثا وبقاؤهم وأحوالهم في الاستعانة بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حفاتهم الممكنة تعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليهم من الكالات بالمرّة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين النهاية الإلهية من العلاقة يشعأوا راحة الوجود أصلا منهم في كل آن مستترون على الاستعانة والسؤال وقد مر في تفسير قوله تعالى وان تمدوا نفسة الله لا تنصروهم من سورة إبراهيم عليه السلام (كل يوم) أي كل وقت من الأوقات (هو في شأن) من الشؤون التي من جعلها أعطاه ما سألوا فانه تعالى لا يزال يمشي أشخاصا وبغى آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته الخفية على الحكيم البالغة وفي الحديث من شأنه أن يفرق ذنبا ويرجع كرابا ويرفع قوما ويضع آخرين قبل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا (فماي الأمر بكما تكذبان) مع مشاهدتك لما ذكر من احسانه (ستفرغ لكم) أي ستجود لحسابكم جزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبق حيثما الأشأن واحد هو الجزاء فيغير عنه بغيره بغيره التثليل وقيل هو مستعار من قول المتهود لصاحبه سافرغ لك أي سأجود ولا يطاق بك من كل ما يشغلي عنه والمراد التوفير

على النكابة فيه والانتقام منه وقرئ سبخرغ مينا للقاع وللغول وقرئ سبخرغ اليك أي سبخرغ اليك (فماي الأمر بكما تكذبان) هما الانس والجن حيا بذلك لثقلهما على الأرض أو لزيادة آرائهما أو لانهما متفلسان بالتكلف (فماي الأمر بكما تكذبان) التي من جعلها التثنية على ما سبقته يوم القيامة التحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب (تكذبان) باقوالكما وأعمالكما (بماعشر الجن والانس) هما الافلان خوطيا يلتمس جنسهما لزيادة التفرير ولأن الجن مشهورون القدرة على الاقاعيل الشاقة فخرطوا بما يلي عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تنفي بما كفوه (ان استطعتم) ان تدرتم على (ان تنفذوا من أعشار السموات والأرض) أي أن تهروا من قضائ وتخرجوا من ملكوتهم ومن أقطار سموات وأرض (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم من عقابي (لا تنفذون) لا تقدرور على النفوذ (الاسطغان) أي بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمنزل بعيد روى أن الملائكة تدور فحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والانس هربوا الملائكة أتون وجها الا وجدوا الملائكة أحاطت به (فماي الأمر بكما تكذبان) أي من التثنية والتحذير والمساهة والمغفرة مع كمال القدرة على المغفرة (يرسل عليكم شواط) قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المختلط من النار وقيل هو الدخان الخارح من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواط بكسر الشين (من نار) متعلق يرسل أو يهبط هو صفة لشواط أي كائن من نار والتووين للتفخيم (وعباس) أي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر التووين وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ يرسل بنون العظمة ويصب شواطا وعلمنا وقرئ تنصير جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحاس أي قتل بالمذاب (فلا تنصرون) أي لا تنتمن (فماي الأمر بكما تكذبان) فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف وأن لطف ونعمة وأي نعمة (فاذا انشفت السباب) أي الصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرئ وردة بارفع على أن كان تامة أي حصلت سما وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولست بقيت لأرجل بعزوة نخوي التمام أو يموت كرم

(كالدخان) خبر كان لكانت أو لت وردة أو حال من اسم كانت أي كدخان الزيت وهو لما جمع دهن أو لم لم يذهب به كالحوام والادام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب إذا حذف أي يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به دائرة المقال (فماي الأمر بكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أي يوم اذ تنشق السباب حسبا ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن (لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف دونوا قودا على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى هروك لتسألهم أجمعين ونحوه في موقف المناقشة والحساب ومضمير ذنبه للانس تقدمه رتبة وأفراده لما أن المراد فرد من الانس كانه قبل لا يسأل عن ذنبه انس ولا جن (فماي الأمر بكما تكذبان) مع كثرة مناقبها فان الاجار بما ذكر مما يجرى عن الشر المؤدى إليه وأما ما قيل بما أنهم الله على عبادهم مؤمنين في هذا اليوم فلا تنافي له بالمقام وقوله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) استئناف بحري التعليق لعدم السؤال قبل يعرفون بسوا الوجود ورتبة العيون وقيل بما يعلمون من الكاينة والآخر (فيومئذ بالتواصي والأقدام) الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذته اذا كان لما أخذ مقصودا بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا خذوا خذوا وأخذ به اذا كان لما أخذ شيئا من ملاسبات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بعيني ولا رأسي وقول المستحي خذ يدي أخذ الله بذلك أي يجمع بين نواصيهم وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسجيهم للملائكة نارة تأخذ بالتواصي ونارة تأخذ بالأقدام (فماي الأمر بكما تكذبان) وقوله تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون)



على ارادة القول أي يقال لم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية  
 الأخذ بالتواضع والافتقار كأنه قيل فإذا يفعل بهم عند ذلك فقبل يقال أخ أو حال من أصحاب التواضع والافتقار  
 لأن الألف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض (يظنون بينها) أي بين النار والبحر فربما  
 (وبين جيم أن) ما بالغ من الحرارة اتصالها بسبب عليهم أو يسفون منه وقيل اذا استقوا من النار أغشيوا بالهيم  
 (فأبى آلا ربك تكذبان) وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلا مرارا (ولم يخاف  
 مقام ربه) شروع في تعداد الآلا الفارقة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلا الدنيوية  
 والدنيوية واعلم أن ما عدد فيها بين هذه الآية وبين عاقبة السورة الكريمة من قنون الكرامات كما أن أنفس الآلا جليلة  
 واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكايات الوصلة اليهم في الدنيا آلا عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل  
 ما يؤدي الى نيلها من الايمان والعاقبة وأن ما فصل من عاقبة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شأن من العلم  
 الدنيوية والدنيوية الانتصبة والآفاقية آلا جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكايات ما حيث انجباها للشكر والمثابة  
 على ما يؤدي الى استدامتها وأما ما عدد فيها بين قوله تعالى ستفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التي منفع  
 في الآخرة فليست هي من قبيل الآلا وإنما الآلا حكايات الموجبة للازجار عما يؤدي الى الانبلاء بها من التكبر  
 والمعاصي كما أشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس  
 لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه اذا راقه أو عاين الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين وإضافته  
 الى الرب للتفخيم والتبويل أو هو مقدم للتعظيم (جنتان) حجة الخائف الاتسي وحجة الخائف الجني فان الخطاب  
 للقرنين فالجني لكل خائفين متكا أو لكل واحد حجة لعقيدته وأخرى لصله أو حجة لفعل الطاعات وأخرى لترك  
 المعاصي أو حجة بطلبها وأخرى بتفصلها عليه أو روحانية وجسدية وكذا ما جاء مني بعد (فأبى آلا ربك  
 تكذبان) وقوله تعالى (ذواتا أمان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما نيلها على أن تكذيب على  
 من الموصوف والصفة موجب للاتكار والتوبيخ والافتقار اما جمع عن أي ذواتا أنواع من الأشجار والقار أو جمع  
 عن أي ذواتا أخصان متممة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التي تورق وتثمر وتعد الظل (فأبى آلا ربك  
 تكذبان) وليس فيها شيء قبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أي في كل واحدة منهما  
 عين تجري كيف يشاء صاحبها في الأعمال والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسلك وعن ابن عباس والحسن تجريان  
 بالماء الزلال أحدهما التسليم والاخرى السلبيل وقيل أحدهما من ماء غير آسن والاخرى من حمولة للشاربين  
 قال أبو بكر الزرقاني فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من غناه الله عز وجل (فأبى آلا ربك  
 تكذبان) وقوله تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان معروف وغريب أو رطب وياض صفة  
 أخرى لجنتان وتوسط الاعتراض بين الصفات لما مر أعلا (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (متكئين)  
 حال من الخائفين لأن من خاف في معنى الجمع أو نصب على المدح (على فرش بطائنها من استبرق) من دياض نفوس  
 وحيث كانت بطائنها كذلك لما طمأننت بطائنها وقيل ظاهرها من سندس وقيل من نور (وجنى الجنتين دان) أي  
 ما يجني من أشجارها من الثمر قريب بئانه القائم والقاعد والمطجع قال ابن عباس وطى الله عنهما تدنو الشجرة  
 حتى يحتضنها ولما الله أن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء مضطجعا وقرئ حتى يكسر الجيم (فأبى آلا ربك تكذبان)  
 وقوله تعالى (فيهن) أي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين

أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيها فيها من الأماكن والفصور وقيل  
 في هذا الآلا المدلول على الجنتين والعينين والفاكهة والفروش (قاصرات الطرف) نسأ بقصر أنصارهن على أزواجهن  
 لا يظنون الى غيرهم (لم يطمئنن انفس قبلهم ولا جان) أي لم يمس الانسليك أحد من الانس ولا الجنيات أحد  
 من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على أن الجن يطمئنون  
 وقرئ يطمئنن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافة لفظية أو حال منها لتخصيصها بالامانة  
 (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) اما صفة لقاصرات الطرف أو حال  
 منها كأنهن قبلها أي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجوه والمرجان أي صفار الدر في بياض البشرة وصفاتها فان صفار  
 الدر أصعب ياخدا من كبره قيل إن الخوراء نليس سبعين حقة فيرى من ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر  
 في الزجاجية البيضاء (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) استئناف  
 مستأنف مقرر لمضمون ما فصل قبله أي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب (فأبى آلا ربك  
 تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أي ومن دون تلك الجنتين الموعودتين للثقلين  
 المقرين جنتان أخريتان لمن دونهم من أصحاب العيين (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (مدحمتان)  
 صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبية على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار  
 والتوبيخ أي خضراوات تقربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بأن الثواب على هاتين الجنتين  
 النبات والزراعيين المستصلة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه (فأبى آلا ربك تكذبان فيهما عينان  
 تدخخان) أي تواربان بالماء والتضخ أكثر من التضخ بالماء المبهمة وهو الرشي (فأبى آلا ربك تكذبان فيهما  
 فاكهة ونخل وزمان) عطف الاخير ان على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لتفصيلها فان ثمرة النخل  
 فاكهة وغذا والزمان فاكهة ودواء ومن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكمل زمانا أو رطبا  
 لم يحنت (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كجملة التي قبلها والكلام  
 في جميع الضمير كالذي مر فيا من خيرات وخيرات عطفة من خيرات لأن خير الذي يمسى أخيرا لا يجمع وقد قرئ على الأصل  
 (حسان) أي حسان الخلق والخلق (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (حور) ملك من خيرات  
 (مقصورات في الحياض) تحسن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وفصورة أي غادرة أو مقصورات الطرف على  
 أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة بجوه (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمئنن انفس قبلهم  
 ولا جان) كالذي مر في نظيره من جميع الوجوه (فأبى آلا ربك تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص  
 (على رفوف خضر) الرفوف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرة قيل هو ما ندل من الأسرة من أمالي الثياب  
 وقيل هو ضرب من البسط والبسط وقيل الوسائد وقيل الفسار وقيل كل ثوب عريض رفوف ويقال لأطراف البسط  
 وضرب البسط أطرافه ورؤف السحاب حديد (وعبقري حسان) العبقري منسوب الى عبقر زعم العرب أنه اسم  
 لله الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع جملا على المعنى كما في رفوف على أحد الوجهين  
 وقرئ على رفوف خضر بضمين وعبقري كدائي نسبة الى عباقر في اسم البلد (فأبى آلا ربك تكذبان) وقوله  
 تعالى (تبارك اسم ربك) تزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة الكريمة من آلا الفارقة على  
 الإتمام أي تعالى اسمه الجليل الذي من جلسته ماصدرة به السورة من اسم الرحمن المنبي عن افاحته الآلا المفصلة



وارتفع عما لا يليق بشأنه من الأمور التي من جعلها جبراً ونكذبها وإذا كان حال اسمه تلافة دلالة عليه فإشراك بذاته الإلهي والاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل بمعنى كما في قوله تعالى قال إلى الحول ثم اسم السلام عليها (في الحلال والإكرام) وصف به الرب تكليلاً لما ذكر من تنزيهه وتنزهه وقرئ ذوالجلال على أنه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن قراءة سورة الرحمن أتى شكر ما أنعم الله عليه

## سورة الواقعة

(مكية وهي سبع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا وقعت الواقعة) أي إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبر عنها بالواقعة للإيمان بتحقيق وقوعها لاحالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كما قيل كانت الكائنات وسدت الحادثة وانصاب إذا مضى بئس عن الحول والقطاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأحوال ما لا يليق به الملق وقيل بالتخييل المقبول من قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى وتكذب في نصيبها كما تكذب اليوم واللام كس في قوله تعالى بالتخييل قدمت لحياض وهذه الآية على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر فالماضي أي ليس لأجل وقوعها وفي حقا كذب أصلاً بل كل ما ورد في شأنها من الأخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى (عاصفة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أي هي عاصفة لأقوام رافعة لآخرين وهو مقرر لمضمونها وتحويل لآخر ما قاله لوقوع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يرمض من حد الاشتباه إلى التكرات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن ذلة الأشياء وإزالة الإحرام عن مقامها بئر الكواكب واسقاط السباع كسفا وتفسير الجبال في الجحيم كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التوبيخ وقرئ (عاصفة رافعة) بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى (إذا رحمت الأرض رجاً) أي ولزكت وزلا لا شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بعاصفة رافعة أي تخفض ورفع وتخرج الأرض إذ عند ذلك تخفض ما هو مرتفع وترفع ما هو منخفض أو بدل من إذا وقعت (وبست الجبال رجاً) أي ففتت حتى صارت مثل السويق المثلث من بس السويق إذا له أوسقت وسيرت من أما كتبنا من بس الغم إذا ساقها كقولها تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجاً وبست أي ارتجت وفتت (فكانت) أي فصارت بسبب ذلك (جبالاً غباراً) غباراً (ميتة) ميتة (وكنتم) أما خطاب للامة الحاضرة والامة السالفة تلياً وللعاخرة فقط (أو أرواحاً) أي أرواحاً (ثلاثة) شكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تخصيص وتوزيع للأزواج الثلاثة مع الإشارة بالإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها بقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستيعابية مبتدأ ثانياً ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل ما أم أي شيء ثم في حالهم وصفهم فإن ما وإن شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد يقال عالم أو طيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التخصيص وكذا الكلام في قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجب السامع من شأن الفريقين في الضميمة والقطاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين قبل أصحاب الميمنة أصحاب

الفرقة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب الفرقة الدنية أحداً من ينسبهم باليمين وتساوهم بالشمال وقيل الذين يؤتون صحائفهم باليمين والذين يؤتونها بشمالهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشؤم فإن السعداء يمين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشأمة على ما نصيبهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم سبق الأقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن أربابهم يمتون السابق مطلقاً معرب عن أحوالهم لتعصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضاً قبلهم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تعلم برون وقبل الذين سبقوا في حياة الفضائل والكالات وقيل هم الذين حصلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم السابقون إلى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات وأما ما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمضارع السابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم أنا أبو النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والاذن يشوع فضلمهم واستغفاهم عن الوصف بالجميل ما لا يليق وقيل والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير السابقون إلى الجنة وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للإيمان بعد موتهم في الفضل وبحله الرفع على الابتداء خبر ما بعده أي أولئك الموصوفون بذلك التمت الجليل (المقربون) أي الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعلى مراتبهم وقرئت إلى حظائر القدس عرسهم الركية هذا أظهر ما ذكر في أحزاب هذه الجبل وأشهره والذي تقتضيه حرفة التبريل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المخرب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باستدعاء اليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخبر ببيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما جملة معترضة بين القسمين متينة عن تراض أحوالها في الخير والشر ابتداءً بالحوال كل منهما تفصيلاً متريفاً لكن لا على أن ما الاستيعابية مبتدأ وما بعده خبر على ما لا سيويه في أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الامة بيان أن أصحاب الميمنة أمر يدعى كما يفهم كون ما خبره لا بيان أن أمر أيديها أصحاب الميمنة كما يفهم كونها مبتدأ وكذا الحال في ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير حيث قرن ببيان محاسن أحواله بذكرهم لم يجمع فيه إلى تقديم الأموزج بقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار في مقام الإحسان للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو ثلثي والجملة خبر الأول وقوله تعالى (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أي كاتين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الأخبار يكونهم فيها بعد الأخبار يكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنات النعيم وقوله تعالى (لله من الأولين) خبر مبتدأ محذوف أي هم أمة جمة من الأولين وهم الامم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليها الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظيم (والآخرين) أي من هذه الامم ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام أن أمي يكثر وسائر الامم فإن كثرة سائلي الامم السالفة من سابق هذه الامم لا تمنع أكثرية تأممي هؤلاء من تأممي أولئك ولا يرد قوله تعالى في أصحاب أمين لله من الأولين وقوله من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين في أنفسهم لا تافى أكثرية أحد هملن الآخر وسأيت أن الثلثين من هذه الامم وغنوى سرفوعا أن الأولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الامم ومناخروهم واشتقاق التلة من التل وهو الكسر (على سرر



موضوعة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم في الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير والموضوعة المنسوجة بالذهب مشبكة بالذهب والياقوت أو المتواصلة من الوضئ وهو النسيج (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعاقب به على سر رأى مستغربين على سرور متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقدار بعض وهو وصف لم يحسن العشرة وتبذيب الاخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أي يدور حولهم للخدمة (ولقد أنزلناهم) أي يقفون أبدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مفرطون والخلد القرمز قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فثابروا عليها ولا سيئات فماتوا عليها روى ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رحمه الله في الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (يا كواكب) بآية لاخرى لها ولاخر أطعم (وأباريق) أي آية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أي خر جارية من الميرون قيل إنما أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأسا إلا إذا كانت مملوءة (لا يصعدون عنها) أي سبيها وحقيقته لا يصعد عندهم عنها وقرئ لا يصعدون أي لا يصعدون ولا يتصرفون كقوله تعالى يومئذ يصعدون وقرئ لا يصعدون أي لا يفرق بعضهم بعضا (ولا يهزون) أي لا يهزؤون من أرف الشارب إذا قد غفله أو شرابه (وقاكية مما يهزون) أي يختارونه ويأخذون خيره وأصله (ولهم مئزر مما يشبهون) أي يلبسون وقرئ ولهم مئزر (وحور عين) بالرفع عطف على ولدان أو مستأجرون الحور أي وهما أولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات كما قيل هم في جنات وقاكية ولهم ومضاجبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلصون بأكواب يعمون بأكواب وبالذهب أي ويؤتون حورا (كأمثال الثور المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء مما كانوا يعملون) مفعول له أي يفعل بهم ذلك كله جزاء ما عملهم أو مصدر مذكور أي يجزون جزاء (لا يسمعون فيها نقرا) أي باطلا (ولا تأتينا) أي ولا نسبة إلى الاسم أي لا لغو فيها ولا تأخير ولا تأجيل لقوله ولا ترى الضب بها يتجحر (الاقبال) أي تحولا (سلاما سلاما) بدل من قبال كقوله تعالى لا يسمعون فيها نقرا أو صفة أو مفعول به لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يمشون سلاما يسلمون سلاما بعد سلام أو لا يسبح على من المسلم والمسلم عليه السلام الآخر بدا أو ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى (وأصحاب الجن) شروع في تفصيل ما أجمل عند التخصيص من شئوهم الفاضلة ثم تفصيل شئون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (وأصحاب الجن) جملة استهائية مسوقة لتخصيصهم والتخصيص من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها عليها أما الرفع على أنها خبر للبتداء أو معترضة لأجل لها والخبر قوله تعالى (في سدر مخدود) وهو على الأول خير لأن للبدا أو خير لمسا مخدود والجملة استئناف لبيان ما أجمع في قوله تعالى ما أصحاب الجن من علو الشأن أي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر البقي كما أنه مخدود شوكه أي قطع وقيل مخدود أي مثنى أغصانه الكثيرة محملة من خضد الفص إذا ثقل وهو رطب (وطلع مخدود) قد نضج حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر المرو أو ثم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن علي رضي الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلع وقرأ قوله تعالى لما طلع نصيب فنبيل أو نحوها قال آبي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل مدود) عند منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وما عسكوب) يسكب لهم أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا نصب أو مصبوب سائل يجري على الأرض في غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لأهل المدن وحال أصحاب الجن بأكمل ما يتصور لأهل البواري أيضا بالتفاوت بين الحالين (وقاكية

كثيرة) بحسب الأنواع والاحساس (لأفطورة) في وقت من الاوقات كقوله الدنيا (ولا تمنعوا) عن تناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على يساتين الدنيا وقرئ قاكية كثيرة بالرفع على وهناك ما كفا الخ كقوله تعالى وحور عين (وفرش مرفوعة) أي رفعة القدر أو مضافة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة وقبل الفريش التسمية حيث يكنى بالفرش عن المرأة وارتقاها كونهن على الارائك قال تعالى هم وأزواجهن في ظلل على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (أنا أنشأناهن انشاء) وعلى التصريح الأول استمرخ لدلالة ذكر الفريش التي هي المضاجع عليهن دلالة ربه والمعنى أنشأنا خلقهن انشاء جديدا أو ابتدأناهن من غير ولاد أبدا أو إعادة وفي الحديث من اللواق قضت في دار الدنيا عجزا وشغلا وبضا جعلهن الله تعالى بعد التكثير أنرا على ميلاد واحد في الاستواء كلها أنزلن أزواجهن وجدوهن أنكارا وذلك قوله تعالى (لنحملن أنكارا) وقوله تعالى (عربا) جمع عرب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التعلل وقرئ عرابا يسكنون الرأب (أنرايا) مستويات في السن بات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لنحملن أنكارا) متعلقة بأنشأنا أو جملا أو بأربا كما قيل هذا رب هذا أي ساء له في السن وقيل يحذوف هو صلة لأنكارا أي كانت لأصحاب الجن أو خبر مبتدأ محذوف أي من لأصحاب الجن وقيل خبر لقوله تعالى (لنحملن أنكارا) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب الجن أي هم أمه من الأولين وأمه من الآخرين وقد مر الكلام فيما وعن أبي العباس ومجاهد وعطاء والضحاك أنه من الأولين أي من سائر هذه الأمة وثمة من الآخرين من هذه الأمة في آخر الزمان وغير سبعة من جبرع ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التوزيع إلى موطأ وطاقعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (وأصحاب الشمال) عن مفضل في نظيره وكذا في قوله تعالى (في عموم جهم) والسوم حربار ينفذ في المسام والحجم المدة المتأخر في الحرارة (وظل من عموم) من دعان أسود بهم (لأبارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خبر ماقى الجملة حتى ذلك ظلالهم في ضده وصفاه البود والكريم الذي غيره به عن دفع أذى الخرتحفي أنه ليس بظلم وقرئ لأبارد ولا كريم بالرفع أي لأهوا ياره ولا كريم وقوله تعالى (أنهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لانتلاشهم مما ذكر من العدا سبأ أي أنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا متمتعين بأواع النعم من المساكين والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم غلبوا بقاقتضا (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أي الأدب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ السلام الحنث أي الحلم ووقت المواخنة بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية غنم وعنادهم (أنعامنا وكنا رابا وعظاما) أي كان بعض أجزاءنا من اللحم والجلد ترابا وبعض عظامنا نخرة وتقدم التراب امرأته في الاستعدادوا قتلا به من الأجزاء البادية وإذا مشحونة فظفره وقوة العامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أنهم لم يكونوا) لأنه لا بد من الألام والحمة لا يعمل فيما قبلها وهو نبش وهو المرجع لأنكارا وتقيده بالوقت للمذكور ليس لتخصيص أنكاره به فاتهم منكروا ولاحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لقوة لأنكار البعث بوجهه إليه في حالة منافاة له الكلفة وتكرير الأمر تأكيدا للتكرير ونحوه الجملتان لتأكيد الانكار لأنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر الظن فان تقدم الحمة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله أفلا تعقلون على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتن في الدعوة في الفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم برتبة ذلك واستعدادهم له ومر جملة إلى انكار البعث بعد تلك الحالفة وقوة



من الدلالة على غلوم في الكفر وتساويهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَأْتِ الْآلُوفِينَ﴾  
لأن كيد الكبر والوالمعطف على المستكن في الميمون وحسن ذلك الفصل والهمزة يعنون أنهم آياتهم الأولى وأبعد  
من الوقوع وقرئ ﴿أَوَلَمْ يَأْتِ﴾ رد الانكار وتحقيق الحق ﴿ان الأولى والآخرين﴾ من الآيات الذين جعلتهم  
آية وأبلاكهم وفي تقديم الأولى ما ينافي في الرد حيث كان انكارهم لبعث آياتهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة ترتيب  
الرجوع ﴿لمحسبون﴾ بعد البعث وقرئ محسبون ﴿ال مافات يوم معلوم﴾ إلى ما وقت به الدنيا من يوم معلوم  
والإضافة بمعنى من كائنات صفة ﴿ثم انكم إليها تعالون﴾ عطف على ان الأولى داخل تحت القول وتم للترجيح زعمنا  
أورقة ﴿المكذبون﴾ أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأشرافهم ﴿لا تكون﴾ بعد البعث والجمع ويخول جهنم  
﴿من شجر من زقوم﴾ من الأولى لا تبدأ الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدون الأكل من شجره زقوم  
وقبل من الثانية متصلة بضمير هو وصف لشجر أي كان من زقوم ﴿فما يكون منها البطون﴾ أي بطونكم من شدة  
الجوع ﴿فما يكون عليه﴾ عقيب ذلك بلا ريب ﴿من الجحيم﴾ أي المساء الحار في الليلة وتأتي جميع الشجر أو لا  
وتدكره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة ضحير عليه حيث للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى ﴿فما يكون﴾  
شرب الجحيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبداً لا يكون لكم نكير شرباً معناه ما لا يكون مثل  
شرب الجحيم وهي الابل التي بها الهيام وهو جنة يصيبها قسرب ولا تروى جمع أهم وهيبة وقيل الجحيم الرمال على أنه جمع  
الهيام فيقع الجحيم وهو الرمال التي لا يناسبك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وقيل به ما قبل فجمع أيضاً والمعنى  
أنه يسلب عليهم من الجوع واليابس التارقي أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كليل فاذ ما مؤامته بطونهم  
وهو في غاية الحرارة والمرارة سلب عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الجحيم الذي يقطع أمعائهم فيشربون شرب الجحيم  
وقرئ شرب الجحيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب ﴿هذا﴾ الذي ذكر من أنواع العذاب  
﴿يلحم يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء فإذا كان ذلك زقوم وهو ما بعد النار فما حصر فما طلك بما لهم بعد ما سطر لهم  
القرارات وأعطاهم من النار وفيه من التهلكة ما لا يحصى وقرئ زقوم يسكون الرأي تخفيفاً والجملة مسوقة من جهة  
تعالى بطريق الفضيلة مفرقة لمضمون الكلام الملقح غير أنه اختصت القول وقوله تعالى ﴿نحن خلقناكم فلولا تصدقون﴾  
تأويل للخطاب وتأويله له إلى الكفرة بطريق الازام والكيف والفاء ترتيباً للتخصيص على ما قبله أي فلو تصدقون  
بالخلق فإن ما لا يتحققه العمل ولا يساعده بل يبي عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالاً عليه  
بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على إعادة حيا والأول هو الوجه كما استحيط به خيراً ﴿أولئك ما تعلمون﴾ أي تعلمون  
في الازام من العطف وقرئ بفتح التاء من معنى التعلقة بمعنى أنماها ﴿أنتم مخلوقون﴾ أي تقدرونه وتصورونه بشراً  
سوا ﴿أم نحن الخالقون﴾ له من غير دخل شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة قائلين بل نحن الخالقون  
على أن الاستفهام للتعريف وقيل متصلة ويحيى الخالقون بعد عن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة ﴿نحن قدرنا﴾  
بيكم الموت أي غمناه عليكم وقتاً موت كل أحد بولت معين حسبما تقتضيه حثيثا الملية على الحكم البالغة وقرئ  
قدرنا غنفاً ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ أي أنا قادرون ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ لا نبدلنا أحد على أن نبدلكم ونأق  
مكانكم أشاهكم من الخلق ﴿وننتقم فيما لا تعلمون﴾ من الخلق والأطوار ولا يمدون بمثله قال الحسن رحمه الله  
أي يجعلكم فردة وخازير وقيل المعنى وننتقم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن إعادةكم  
وقيل المعنى وما يسبقنا أحد غير من الموت أو بغير وقته وعلى أن تبدل الخ ما حال من فاعل قدرنا أو علة التقدير وعلى

بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ﴿ولقد علمت النشأة الأولى﴾ هي خلقهم من نقطة ثم من علقه ثم من مضعة وقيل هي طرفة  
أدم عليه السلام من التراب ﴿فلولا تذكرون﴾ فلولا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتماً فانه أقل  
صنعاً لحصول المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ ﴿فلولا تذكرون﴾ من التلاقي وفي  
الخبر عجايب العجب للمكبذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ويجيب بالصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار  
الغرور ﴿أولئك ما تعلمون﴾ أي تدرون حبه وتعلمون في أرضه ﴿أنتم تزعونه﴾ تفتنونه وتزعمونه بأننا نرى  
﴿أمنهم الزارعون﴾ أي المذنبون لأنهم والكلام في أم كما مر آنفاً ﴿لننشأ لهم لجنات حسنات﴾ حسناً متكرراً متفتناً  
بعد ما انتباه وصار بحيث طمعت في حيازة غلاله ﴿ظلمات﴾ بسبب ذلك ﴿تفكيكون﴾ تفكيكون من سوء حاله اثر  
ما شاهدته على أحسن ما يكون من الحال أو تدمون على ما تبين فيه وأنقمت عليه أو على ما قدرتم لأجله من المعاصي  
فتحدثون فيه والتفكيك التفتل يصرف الفاكهة وقد استعمل للتفتل بالحديث وقرئ تفكيكون أي تفتنون وقرئ  
ظلمات بالكسر وظلمات على الأصل ﴿المازغون﴾ أي المازمون غرامة ما أنفقا أو مملكون بملك من الزمان  
وهو الهلاك وقرئ أتما على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقوله في حيز الصبغ على الحالين فاعل تفكيكون  
أي قالين أو تقولون للمزغون ﴿يلعن لعنهم﴾ حرمنا زقنا أو يحاربون محدثون لاحظنا ولا يمت  
لا يجدون ﴿أولئك المساء الذي تشربون﴾ عذاباً فانا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة مناهة لأن الشرب  
أهم المعاصي المؤقتة ﴿أنتم أنتم من المزن﴾ أي من السحاب واحدة مرة وقيل هو السحاب الأبيض وما فوقه  
أعذب ﴿أما نحن المزلون﴾ له قدرنا ﴿لننشأ لهم لجنات أحاجا﴾ ملها رعا لا يملك شربه وحلف اللام هنا منع أياتها  
في الشريطة الأولى للتحويل على علم السامع أو الفرق بين المضموم والمشروب في الإصمية وصعوبة المفرد والشرطتان  
مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمتهم تعالى للزوم والماء مما غفل بالفتح بهما نعمة أخرى بعد نعمة الآيات والأزال  
مستوجبة لشكرهم تعالى ﴿فلولا تشكرون﴾ تخصيص على شكر الكل ﴿أولئك النار التي توردون﴾ أي تخدمونها  
وتسخر حوتها من الزناد ﴿أنتم أنتم شجرة ما﴾ التي منها الزناد وهي المرخ والعفار ﴿أما نحن المشتون﴾ لها قدرنا  
والتميز عن خلقها بالإنشاء المنى عن يدع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لمسا فيمن الغاية الفارقة بينها وبين  
سائر الشجر التي لا تغل عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستشهد المرخ والعفار كما أن الصبر عن نهي الروح بالإنشاء  
في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر ذلك وقوله تعالى ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ استئناف بمعنى لما فيها أي جعلناها  
تذكيراً للنار جهنم حيث علقنا أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدها به من نار جهنم أو تذكرة أو نموذجاً  
من نار جهنم لما روي عن النبي عليه الصلاة والسلام بآركم هذه التي يوقدها بنو آدم جن من سبعين جزءاً من حر  
جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فانه ليس بالبدع من إخراج النار من الشيء الرطب ﴿وما نأخا﴾ ومنفعة  
﴿للقوم﴾ الذين يزلون القوا وهي القفر وتخصيص بذلك لأنهم أخرج إليها فإن المقيمين أو التارقيين بقرب  
منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزاد وقد جوز أن يراد بالمقومين الذين خلقت بطونهم ومزادهم من الطعام وهو  
بمعنى أمدد انحصار ما بينهم وبين خلقهم فيها لا يؤكل إلا بالطح وتأخير هذه المنفعة للشيء على أن الإهم هو  
النعيم الآخرى والفاء في قوله تعالى ﴿فمنع باسم ربك العظيم﴾ لترتيب ما بعدها على ما عدا من بدائع صنعه تعالى  
ورواعه نعمة الموجبة لتسبيحه تعالى ما تزيهه تعالى عما يقره الجاحدون بوحديته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها  
أو بعضاً من أمر محقق فمط تلك أنهم الباهر فمع جلالة قدره ما ظهر أمرها أو شكرنا على تلك النعم السابقة أي فأحدث التسبيح



بذكر اسمه تعالى أوله ذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم أو الرب ﴿فلا أقسم﴾ أي أقسم ولا مزيد  
 للتأكيد كما في قوله تعالى ثلثا يعلم أولها تأنيدهم خلف المتأخر أو شفع صفة لأم الايتاد ويعضده قرآن من قرأ فلا أقسم  
 أو فلا يترك كلامه خلف النفس عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم اذا الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم فإما  
 تعيين القسم به وتخصيم شأن القسم به ﴿بمواقع النجوم﴾ أي بتساقطها وهي مقاربا وتخصيصها بالقسم لما في  
 غروبها من زوال الرمة والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لأن تلك وقت قيام المتجدين والمتجدين اليه تعالى  
 وأما أن نزول الرمة والرضوان عليهم أو مجازها ومجاريها فأن له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وجل حركته  
 ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقفها أوقات نزولها وقوله تعالى ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم﴾  
 اعتراض في اعتراض قصد به المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم  
 بين القسم وجوابه الذي هو قوله تعالى ﴿انه القرآن كريم﴾ أي كثير النفع لا يشبهه على أصول العلوم المهمة في صلاح  
 المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفه وجواب لو اماست ذلك  
 أريد به نفع عليه أو عذوبة نفعه يظهره أي لعظمته وأولئك عوجده ﴿في كتاب مكتون﴾ أي مضمون من غير المقربين  
 من الملائكة لا يعطى عليه من سوام وهو اللوح ﴿لا يحصى الا المطيرون﴾ اما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطيرون  
 الملائكة المزهرون عن الكدوات الحسابية أو منار الاوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطيرون من الأحداث فيكون  
 غيا بمعنى التهي أي لا يبي أن يحسب الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم آخر  
 المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينسب له أن يظلمه أو يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يظلمه الا المطيرون من الكفر وقرئ  
 المطيرون والمطيرون بالادغام والمطيرون من أطهره بمعنى طهره والمطيرون أي أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره  
 ﴿تقرئ من رسالنا المئين﴾ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر تمت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ ﴿تقرئ﴾ أي هذا الحديث  
 الذي ذكرت نموه الخلية المرحلة لا عظيمة واجلاله هو القرآن الكريم ﴿أنتم مدعون﴾ أي متهاونون به كمن يدعى  
 في الامر أي يلين جانبه ولا يصل فيه تهاونا به ﴿وتعملون رزقكم﴾ أي شكر رزقكم ﴿أنكم تكفرون﴾ أي تضعون  
 التكذيب مع منع الشكر وقرئ ﴿وتعملون شكركم﴾ أي تعملون شكركم لعملة الشكر أنكم تكفرون به وقيل الرزق  
 المفلر والمعنى وتعملون شكر ما رزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكفرون بكونه من الله تعالى حيث تنسبوه الى الآراء  
 والاول هو الاقرب لسباق النظم الكريم وساقه فان قوله عز وجل ﴿فلا اذا لفت الخلقوم﴾ الخ تكيته على  
 تكذيبهم بالقرآن فيما أطلق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من الفوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث  
 ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرايهم وسائر أسباب ما يشبههم كاستشف عليه ولو لا التحريض لظاهر مجرم وإذا ظرفة  
 أي أهلا اذا لفت الصراى الروح وقيل نفس أحدكم الخلقوم وتمازت الى الخروج ﴿وانتم جيلند﴾ أيها الحاضرون  
 حول صاحبها ﴿تظنون﴾ الى ما هو فيه من العصاة ﴿وعن أقرب اليه﴾ علما وقدرته وتضرعا ﴿منكم﴾ حيث  
 لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تحقروا على كبرها وكيفية وأسبابها ولا أن تقدروا  
 على وضع أدنى منها ونحن المتوكلون انصافا لحوالهم ولما وقدرتنا أو ملائكة الموت ﴿ولكن لا تحسرون﴾ لا تحذرون  
 ذلك لجهلكم بشئنا وقوله تعالى ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ أي غير مريين من دان السلطان رعبه اذا ساسهم  
 واستعدهم بانظر الى قوله تعالى نحن خلقناكم فلو لا تصدقون فان التحريض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله  
 تعالى ﴿ترجمونا﴾ أي النفس الى مقرها هو العامل في اذا والمحضض عليه يلو الاولي والثانية مكررة للتأكيد وهي

معها في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مريين كايضي عنه عدم تصديقكم بخلقنا ايكم قبلا ترجمون  
 النفس الى مقرها عند بوعها الخلقوم ﴿ان كنتم صادقين﴾ في اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لم عبارة  
 عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى مخرجت ملههم وقوله تعالى ﴿فأما ان كان من المقربين﴾ الخ شروع في بيان  
 حال المتوفى بعد المات اذ بيان حاله عند الوفاة أي فأما ان كان الذي بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة غير  
 عنهم بأجل أوصافهم ﴿مروح﴾ أي لله استراحة وقرئ ﴿فروح يضم الراء ونفس بالرحمة لأنها سبب حياة المرحوم  
 وبالحياة الدائمة﴾ وورق ﴿ووجه نعم﴾ أي ذات نعم ﴿وأما ان كان من أصحاب اليمين﴾ غير  
 عنهم بالصوت السابق لا لميد كظم فيها سبق وصف واحد يبي عن شأنتهم سواء كانا ذكر للمقربين الآخرين وقوله تعالى  
 ﴿سلام لك من أصحاب اليمين﴾ انصار من جهة تعالى يسلم بعضهم على بعض كما يفصح عنه الا لام لا حكاية انشاء  
 سلام بعضهم على بعض والا لقبيل عليك والافتات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف ﴿وأما ان كان من المكذبين  
 الضالين﴾ وهم أصحاب الشمال غير عنهم بذلك حسيا وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم انكم انما الضالون  
 المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما نزلوا به من العذاب ﴿فقرئ﴾ أي لله ذل كان ﴿من حميم﴾ يشرب  
 بعد كل الزقوم فاقصص فيها قيل ﴿وتصلية جسيم﴾ أي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة لالوان عذابها وقيل  
 ذلك ما يجده في القبر من حرور النار ودعائها ﴿ان هذا﴾ أي الذي ذكر في السورة الكريمة ﴿المحقق اليقين﴾ أي حق  
 الخبر اليقين وقيل الحق الثالث من اليقين والفاء في قوله تعالى ﴿فصبح باسم ربك العظيم﴾ ترتيب للصبح والامر  
 به على ما قبله فان حقيقه ما فصل في الصايف السورة الكريمة مما يوجب تنبيه تعالى عملا لا يلبق بشأه الجليل من الامور  
 التي من جعلها لا تترك به والتكذيب باباها الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة  
 لم تصبه فاقة أبدا

سورة الحديد  
 (تكهت وقيل مدني وآياتها تسع وعشرون)  
 (بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح لله ما في السموات والارض﴾ السبح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملًا محالًا بلين بجنابه سبحانه من سبوح  
 في الارض والسماء اذا ذهب وأبعد فيها وحيت أسد منها الى غير المعلاة أيضا فان ما في السموات والارض يتم جميع  
 ما فيها سواء كان مستقرا فيها أو جزأ منها كما في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما أطلق به لسان المقال  
 كتنسج الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتنسج غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات بذل بامكانه وحدوته  
 على الصانع القديم الواجب الوجود المتصمم الكمال المنزه عن نقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده  
 وهو متعدي نفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما من ردة للتأكيد كما في انصحت له شكرتله أو لتعليل أي فعل التسبيح  
 لأجل الله تعالى وخالصا لوجهه وبخيه في بعض الفروع ما ضيا وفي البعض عطارا الايدان بتحقيقه في جميع الأوقات  
 وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختيارى أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كعليه الملائكة الأعلى حيث يسبحون  
 الليل والنهار لا يفترون ﴿وهو المرزق﴾ القادر الغالب الذي لا يسانده ولا يبارزه شيء ﴿الحكيم﴾ الذي لا يفعل  
 الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تقبيل مقرر لعضون ما قبله مشعر بطله الحكم وكذا قوله تعالى ﴿للملك



السموات والأرض) أى التصرف الكلى فيها وفيما من الموجودات من حيث الاتجاه والاعدام وصائر التصرفات مما فعله وما لا فعله وقوله تعالى (يحيى ويميت) استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالاً من ضميره ليس كما ينبغي (وهو على كل شيء) من الأشياء التى من حيثها ما ذكر من الإحياة والاماتة (قدور) صانع في القدرة (هو الأول) السابق على سائر الموجودات لما أنه سبقتها ومبدعها (والآخر) الباقي بعد فانيها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبناها فان جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي قاتية (والظاهر) وجوداً لكثرة دلالة الواحدة (والباطن) حقيقة فلا تخوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المذكورين هما والوصف للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الأوقات والظهور والختفاء (وهو بكل شيء عليم) لا يبرح عن علمه شيء من الظاهر والباطن (هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً (يعلم ما بين يدي الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يرجع فيها) مر ياء في سورة ساء (وهو معكم أينما كنتم) تنزيل لاحاطة عليه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) عبارة عن إحاطته بأعمالهم فأخبره عن الخلق لما أن المراد بما يبدون وعليه الخفاء من العلم التابع للمعلوم لا الخليل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تكرر للتأكيد وتعميد لقوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) أى إليه وحده لا إلى غيره مستغلاً ولا اشتراكاً ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للمفاعل من رجع رجوعاً (يرجع الليل في النهار ويروح النهار في الليل) مر تفسيره مراراً وقوله تعالى (وهو عليم) أى مسلط في العلم (بذات الصدور) أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة عليه تعالى بما يضمرونه من نيائهم بعد بيان إحاطته بأعمالهم التي يظهرونها (أمنا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة غير عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وتبرئاً لهم في الاتفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عيه الله تعالى من المصارف فإن عليه الاتفاق أو جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بأيديهم يتورثه إياكم فاعتبروا بما لهم حيث انتقل منهم إليكم ويستقل منكم إلى من بعدكم فلا يتخلوا به (فالدنيا أمنا وسكنا وأنفقوا) حذرها أمرأه (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجنة اسمية والعهد ذكر الإيمان والاتفاق وكرر الاستناد وتعميد بالجر بالتكثير وصف بالكبر وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسباً أمرأه بالكتاب أن يكون لهم في ذلك عذراً في الجملة على أن لا يؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل حاقبه من معنى الاستمرار أى أى شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجبه الانتكار والتنبى إلى السبب فقط مع تحقق السبب لا إلى السبب والسبب جميعاً كما في قوله تعالى وما لى لأعدائى الذى ينظرون فان همزة الاستفهام كما تكون نارة الانتكار الواقع كما في أنضرب أبك وأخرى لانتكار الوقوع كما في أنضرب أبى كذلك ما لا استغماية قد تكون لانتكار سبب الواقع وتعبه فقط كما فيها نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وفاراً فيكون مضمون الجملة الحالية عطفاً فان كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانتكار سبب الوقوع وتعبه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما في قوله تعالى وما لى لأعدائى إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفرطاً قطعاً فان عدم العبادة أمر مفروض حقا قد أنكر ونفى سببه فائق نفسه أيضاً وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ماوجب شدة بعد توبيخهم عليه مع عدم

ما يوجهه أى وأى عذر في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وبنيكم عليه وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالإيمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتسكين من النظر وقرئ وقد أخذ ميثاقاً للمفعول رفع ميثاقكم (أن كنتم مؤمنين) لموجب ما قلنا هذا موجب لا موجب وراه (هو الذى ينزل على عبده) حسباً بمن لكم من المصالح (آيات بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وان الله بكم رؤوف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الجميع العقلي وقوله تعالى (وما لكم أن لا تتفقوا في سبيل الله) توبيخ لهم على ترك الاتفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بالكتاب أن يكون لهم في ذلك أيضاً عذر من العذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين الحق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شيء لكم في أن لا تتفقوا فيها مرة إلى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وإنما أتم خلفاً في صرفة إلى ما عيه من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) حال من فاعل لا تتفقوا ومفعوله مؤكدة لتوبيخ فان ترك الاتفاق يغير سبب قبض منكر مع تحقق ما يوجب الاتفاق أشد في القبح وأدخل في الانتكار فان بيان بقا جميع مافي السموات والأرض من الأموال بالأخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى في إعجاب الاتفاق عليهم من يسان أنها لله تعالى في الحقيقة وم خلفاً في التصرف فيها كأنه قيل وما لكم في ترك اتفاقها في سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى وأظهار الاسم الجليل في موقع الاختيار لزيادة التقرير وترسية المبالغة وقوله تعالى (لا يؤمنون منكم من أفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المتقين حسب تفاوت أحوالهم في الاتفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الاتفاق حثاً لهم على تحرى الأفضل وعطف القتال على الاتفاق للإيدان بأنه من أهم مواد الاتفاق مع كونه في نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يتخلو من الاتفاق أصلاً وقسم من أنفق بخلافه لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح يسير من والفتح فتح مكة (أولئك) إشارة إلى من أفق والجمع بالنظر إلى معنى من كان أن أفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للاشعار بعد منزلتهم وعلو طبقتهم في القتل وعمله الرغ على الابتداء أى أولئك المشعرون بدينك التفتين الجليلين (أعظم درجة) وأرفع سؤلة (من الذين أنفقوا من بعد وقالوا) لا لهم إنما فعلوا ما فعلوا من الاتفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو أفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة إلى الاتفاق والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسن) أى المثوبة الحسن وهي الجنة لا الأولين فقط وقرئ وكل الرافع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى (ولله بما تعملون خير) بظواهره ويواطئه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية في أبى بكر رضى الله تعالى عنه فإنه أول من آمن وأول من أفق في سبيل الله وحاصم الكفار حتى ضرب ضربه بأشرف به على الهلاك وقوله تعالى (ومن الذى يقرض الله قرضاً حسناً) ندب ببلغ من الله تعالى إلى الاتفاق في سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المتقين أى من ذا الذى يتفق ماله في سبيله تعالى رجاء أن يعرضه فإنه من بقرضه وحسن الاتفاق بالاخلاص فيه وتحري أكرم المال وأفضل الجاهات (فيضاغفله) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قبل أن يقرض الله أحد فيضاغفله أى فيعطيه أجره أضمافاً (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم



إليه الاعتصاف كرم في نفسه حتى بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يصاعف فكيف وقد ضوئاً كثيراً  
 وقرئ بالرفع عطفاً على يرضى أو حلاً على تقدير متناً أي هو يضاعف وقرئ بضمه بالرفع والنصب (يوم ترى  
 المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أول قوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضاراً ذكر تفخياً لذلك  
 اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى قبل تورع الضياء الذي يرى (بين أيديهم وبأيمانهم)  
 وقيل هو عداهم وبأيمانهم كتبهم أي يسمى إيمانهم وعلمهم الصالح بين أيديهم وفي إيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن  
 وعن ابن مسعود حتى الله تعالى عنه يؤتون تورع على قدر أعمالهم فقيم من يؤتى نوره كالنحلة ومنهم من يؤتى كالرجل  
 القائم وأدناهم نوراً من نوره على إيمانهم رجله يطفئ نارة ويؤم أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال سقائل  
 يكون لهم دليلاً إلى الجنة (يشراكم اليوم جنات) مقدر يقول هو حال أو استئناف أي يظلم بشراً كما أي ما يشرون  
 به جنات أو يشراكم دخول جنات (يجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك) أي ما ذكر من التور والشرى بالجنات  
 المخلدة (هو الفوز العظيم) الذي لا غاية وراهم وقرئ ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) يدل  
 من يوم ترى (والذين آمنوا انظرونا) أني انظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على  
 ركاب ترف بهم وهو لا يشاء أو انظروا البيا فأنهم إذا نظروا إليهم استدلوا بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين  
 أيديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الاعتبال جعلنا تدعى المعنى إلى أن يلحقوا بهم انظروا لهم (تفتش من نوركم)  
 أي تستضيئ منه وأسأله اتخاذ القبس (قيل) طرداً لهم وتهكاً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (أرجعوا  
 ورائكم) أي إلى الموقف (فاتصوا نورا) فانه من ثم يفتش أو إلى الدنيا فاتصوا النور يحصل ما يديه من الإيمان  
 والأعمال الصالحة أو أرجعوا عما بين يديهم فالتصوا نورا آخر وقد علوا أن لا نور وراهم وإنما قالوه تخفياً لهم أو  
 أودعوا بالنور ما وراهم من الطاعة الكثيفة تهكاً بهم (عصرت بينهم) بين الفريقين (يسور) أي ساطع والياء  
 زائفة (له باب باطل) أي باطل السور والباب وهو الخراب الذي على الجنة (في الرحمة وظاهره) وهو الطرف  
 الذي على النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرئ فضر على البناء للفاعل (ينادوهم) استنادهم على  
 السؤال كأنه قيل فإذا دعوا بعد حشر السور ومشاهدة العذاب قبل ينادوهم (الم تكن) في الدنيا (معكم)  
 يريدون به موافقتهم لم في الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا عصب الظاهر (ولكنكم كنتم أنفسكم) محتوماً  
 بالنفاق وأهلكتموها (وتربعتهم) بالمؤمنين الدوائر (واربعتهم) في أمر الدين (وغيركم الأمان) الفارقة التي  
 من جعلها الطمع في اكتساف أمر الإسلام (حتى جاء أمر الله) أي الموت (وغيركم بالله) الكريم (الفرور) أي  
 غيركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الفرور بالفتح (فاليوم لا يؤخذ منكم ميثاق) هذا وقرئ تؤخذ بئانا  
 (ولا من الذين كفروا) أي ظاهراً وباطناً (مأواكم النار) لا تبرحونها أبداً (هي مولاكم) أي أولى بكم  
 وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئة الكرم أي مكان لقول القائل أنه لشكرهم أو مكانكم عن  
 قريب من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم حشر وجمع أو مولاكم تتلوا كما كانوا يقرءون  
 مواجباتها (ويش المصير) أي النار (ألم بأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) استئناف ناع عليهم  
 تنالهم في أمور الدين ورجاوة عقدهم فيها واستبطان لاتخاذهم لما يندوا إليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين  
 كانوا يجدين بكلمة طيبا حاجر وأصلوا الرزق والنعمة وقروا عما كانوا عليه فزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه  
 ما كان بين أسلمنا وبين أن نعرفنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه استبطا قلوب

المؤمنين فاعتهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أي ألم يحيى وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطعن  
 به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال بأوامره والانتباه عما نهوا عنه من غير أن يؤمنوا ولا تقروا من أي الأمر إذا نهى الله أي  
 وقته وقرئ ألم يأت من أن يبين معنى أي وقرئ المسابك وفيه دلالة على أن الحق يتوقع (وما نزل من الحق) أي  
 القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العواين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق  
 نازل من السماء والأل فالعطف كما في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته  
 زادتهم إيماناً ومن الخشوع له الاقياد التام لأوامره ونواهيه والمكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من  
 جعلها حاسق وما لحق من الاتحاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل مبيهاً للمفعول ومبيهاً للفاعل وأنزل  
 (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرئ بالثاء على الاستئناف للاعتناء بالتخدير  
 وقيل هو نبي عن مسألة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعده أن ونحو وذلك أن نبي إسرائيل كان الحق يحول بينهم  
 وبين شربهم وإذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله وركعت قلوبهم (عطف عليهم الأمد) أي الاجل وقرئ  
 الأمد بتدبير الله أي الوقت الأطول وعظيم الحفاة زالت عنهم الروعة التي كانت تأتهم من الكتابين (فقتلت  
 قلوبهم) فهي للحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن حدود دينهم راضون لمسا في  
 كتابهم بالكلية (أعدوا أن تقعبي الأرض بعد موتها) تمثيل لأحيا القلوب القاسية بالذكر والذلة بأحيا الأرض  
 الميتة بالثبث للترغيب في القشوع والتعبد عن القساوة (قد بينا لكم الآيات) التي من جعلها هذه الآيات (لعلكم  
 تعقلون) كي تعقلوا ما فيها وتعلموا عز وجلها فتقروا بعبادة المارين (ان المصدقين والمصدقات) أي المصدقين  
 والمصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ متخفف الصادق التصديق أي الذين صدق الله رسوله (وأقرضوا الله قرضاً حسناً)  
 قيل هو عطف على حافى المصدقين معنى الفعل فانه في حكم الذين صدقوا أو صدقوا على القرآنين وعطف بأن فيه فصلين  
 أجزاء الصلة باحتمال وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصديقاً وأقرضوا الله عطف على الصلة  
 من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس يعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه  
 قيل ان المصدقين على المصوم تعظيماً وأخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين آمنوا ولا سيما العباس منهم وعملوا  
 الصالحات لهم كذا لكن لا على أن سائر الخصيص من يداً بحقاً بل صاعقة الأجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهم  
 إلى التصديق الداعية إلى الاعتناء بجهن على التصديق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني  
 أرىكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض  
 الحسن عبارة عن التصديق من الطيب عن طيبة النفس وخلاص التوبة على المستحق للصدقة (بصاعف لهم) على  
 البينة المفعول مسنداً إلى ما بعده من الجار والمفعول وقيل إلى مصدر ما في حشر الصلة على حذف مضاف أي ثواب  
 التصديق وقرئ على البناء للفاعل أي بصاعف الله تعالى وقرئ بصعف بتدبير العين وحقها (ولهم أجر كريم) ثم  
 ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسوله) كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان بهم في غاتسورة البقرة (أولئك)  
 الشارة إلى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه قد مر مره مراراً وهو مبتدأ ثان  
 وقوله تعالى (هم) مبتدأ ثالث خبره (الصادقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للثالث  
 أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أي أولئك (عند ربهم) بمنزلة المصدقين والشهداء  
 المشهورين بطهارتهم وبقوة محلهم والذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى أو هم المبالغون في الصدق



حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولم بالإنسان أو على الامم يوم القيامة وقوله تعالى ﴿لم أجرهم ونورهم﴾ بيان ثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للوصول أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للوصول والآخران للصدقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم المصروفين بنهاية الكمال وعزة المثال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصدوقون والشهداء وليست المماثلة بين الملقبين الأول من الاجر والنور وبين تمام الملقبين الآخرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف وأما على الوجه الثاني فراجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودون لهم هذا هو الذي تقتضيه جملة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعندهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك﴾ الموصوفون بتلك الصفة القبيحة ﴿أحباب الجحيم﴾ بحيث لا يفارقونها أبدا ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينهم يتكاثرون في الأموال والأولاد﴾ بعد ما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني وأشار إلى أنها من محقرات الأمور التي لا يركن إليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال والعشيرة الاضمحلال حيث قيل ﴿كئيل غيث أعجب الكفار﴾ أي الحرات ﴿نباته﴾ أي النبات الحاصل به ﴿ثم يبيح﴾ أي يحذف بعد خضرته ونضارته ﴿فتراه مصفرا﴾ بعد ما رأى ناضرا موقعا وقرى مصفارا وإنما لم يقل يقصر أيذا بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المترتب عليه رقيقته كذلك ﴿ثم يكون حطاما﴾ حشيا متكسرا وعمل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لأنه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خير للحياة الدنيا بتقدير المضاف أي مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد ما بين حقارة أمر الدنيا زهيدا فيها وتفيرا عن العكوف عليها أشير إلى خاتمة شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الأليم وقدم ذكر العذاب ثقيل ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ لأنه من نتائج الانهماك فيها فصل من أحوال الحياة الدنيا ﴿ومغفرة﴾ عظيمة ﴿من الله ورضوان﴾ عظيم لا يقادر قدره ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ أي لمن اطمأن بها ولم يحمد أذرى به إلى الآخرة عن سعيه في جبر الدنيا متاع الغرور وإن اهتمك من طلب الآخرة فأما إذا دعيتك إلى طلب رضى الله تعالى فتم المتاع ونعم الوسيلة ﴿سابقوا﴾ أي سارعوا مسارعة المسابقين لاقترانهم في المضار ﴿إلى مغفرة﴾ عظيمة كاتمة ﴿من ربكم﴾ أي إلى موجباتها من الأعمال الصالحة ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ أي كعرضها جميعا وأما كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخليه على التحلية ﴿أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف في استحقاقها ﴿ذلك﴾ الذي وعد من المغفرة والجنة ﴿فضل الله﴾ عطاؤه ﴿بؤيته﴾ تفضلا واحسانا ﴿من يشاء﴾ إتياء إياه من غير إيجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذي لا غاية وراه ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ كجذب وعاءة في الزرع والثمار ﴿ولا في أنفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الاف كتاب﴾ أي المكتوبة مثبتة في علم الله تعالى أوفى اللوح ﴿من قبل أن نبرأها﴾ أي خلق الانفس والمصابب والأرض ﴿إن ذلك﴾ أي إثباتها في كتاب ﴿على الله يس﴾ لاستثنائه فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ أي أخبرناكم بذلك لتلا تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تحزنوا بما آتاكم﴾ أي أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر بغير ما قدره فواته وبأنى ما قدر

أتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرى بما آتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بأن فوات التمتع باحقها اذا خليت وطايعها وأما حصولها وباقاها فلا بد لهما من سبب يوجدنهما ويبقى وقرى بما أوتيتهم والمعاد به نفي الآسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطل والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فإن من فرح بالخطوط النبوية وعظمت في نفسه اختال وأفتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذليل بالنبي عن الفرح المذكور أيذان بأنه أقبح من الآسى ﴿الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بذلك من كل مختال فإن المختال يفتن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ﴿ومن يقول فإن الله هو الذي الحديد﴾ فإن معناه ومن يعرض عن الاتفاق فإن الله غنى عنه وعن اتفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب إليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الأمر بالاتفاق لمصلحة المنفق وقرى فإن الله الغنى ﴿لقد أرسلنا رسلا﴾ أي الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الامم وهو الاظهر ﴿بالبينات﴾ أي الصحيح والمعجزات ﴿وأزلنا معهم الكتاب﴾ أي جنس الكتاب القابل لكل ﴿والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ أي بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مرقومك يزونا به وقيل أريد به العدل لقيام به السياسة ويدفع به العدوان ﴿وأزلنا الحديد﴾ قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبان والمقعد والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى ﴿فيه بأس شديد﴾ لأن آلات الحروب إنما تتخذ منه ﴿ومنافع للناس﴾ إذا من صنعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها وأجلة حال من الحديد وقوله تعالى ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله﴾ عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما تعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرهاس وسائر الأسلحة في مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أي وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى ﴿بالبغي﴾ حال من فاعل ينصر أو مفعوله أي غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى ﴿إن الله قوي عزيز﴾ اعتراض تذييلي جى به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعرضهم للقتال ليس لحاجته في اعلا كلمته وإظهار دينه إلى نصرته بل إنما هو ليتفهموا به ويصالحوا بامثال الأمر فيه إلى الثواب والافور غنى بقدرته وعزته عنهم في كل ما يريد ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم﴾ نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى لقد أرسلنا رسلا الخ وتكرير القسم لإظهار مدى بد الاعتناء بالأمر أي وبالله لقد أرسلناهما ﴿وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ بأن استأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم ﴿فهم﴾ أي من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسل والمرسلين ﴿مهيئت﴾ إلى الحق ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا﴾ أي ثم أرسلنا بعدهم رسلنا ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ أي أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلنا اليهم أو من عاصه هما من الرسل لا للذرية فإن الرسل الملقى بهم من الذرية ﴿وآتيناه الإنجيل﴾ وقرى ﴿بفتح الهزة فانه أعجى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب﴾ وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ﴿ورقى رافة على فعالة﴾ ورحمة ﴿أي وقفناهم للترحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام رحما بينهم﴾ وروحية ﴿منصوب



أما بقول مضمون بفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) وأما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رآفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أى وفنمناهم للترحم بينهم ولا ابتدعوا الرهبانية واستحدثوها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والافتقار عن الناس ومنها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلم أن رهب كخشيان من خشى وقرى بعزم الرأى كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبارة ظهر وأعلى المؤهدين بعد دفع عيسى عليه السلام فقاتلهم ثلاث مرات قتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فآرين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى (ما كتبناهم عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفي على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى (الا ابتغوا رضوان الله) استثناء منقطع أى ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغا رضوان الله ففهمهم حينئذ بقوله تعالى (فأرعوها حق رعايتها) من حيث أن النذر عهد مع الله لا يعمل تكنته لا سببا إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه إلى قيده لا إلى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ما كتبناهم عليهم بأن وفنمناهم لا ابتدعوا شئ من الأشياء الا لبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحفظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فإرعوها كلهم بل بعضهم (فأقينا الذين آمنوا منهم) إيمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بعت وأقلا استتباع الأجر (أجرهم) أى ما يخص بهم من الأجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وحمل القرية من على من مضى من المراءين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخالفين بها اذ ذلك بالتشكيك والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به عمالا يساعده المقام (بأياها الذين آمنوا) أى بالرسول المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوا) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفى إطلاقه إيدان بأنه علم فرد فى الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره (يؤتكم كفاين) نصيين (من رحمته) لايمانكم بالرسول ومن قبله من الرجل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسرى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطولية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولا مزيدة كما بنى عنه قراءة يعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بادغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى (أن لا يقدرن على شئ من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن مخذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لا يبالغون شيئا بما ذكر من فضله من الكفاين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيته حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله) عطف على أن لا يقدرن وقوله تعالى (يؤتونه من يشاء) خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجواب حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييل مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الأمر بالقوى والايان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفاين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الايمانين لا تقرقون بين أحد من رساله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر

المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا العطف عليهم فنزلت وقرى ليلا بقلب الحمزة ياء لا فتاحتها بعد كسرة وقرى يسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرى أن لا يقدر وهذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرن للذي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شئ من فضل الله الذى هو عبارة عما أتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطف على أن لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

## سورة المجادلة

(مدنية وقيل العشر الأول مكى والباقي مدنى وآياتها ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد سمع الله) باظهار الحال وقرى بادغامها فى السين (قول الذى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظاهر وقرى تحاورك وتحاورك أى تسائلك (وتشكى إلى الله) عطف على تجادلك أى تتضرع إليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة إليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزيمة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عاتكة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فسق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك الا قد حرمت عليه فى المراكها فقالت أشكوك إلى الله فافنى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هفت وشكت إلى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد اشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كرها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لما عند استفتائها ما عندى فى أمرك شئ وأنا كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكم الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجده وفى نظمها فى سلك الخطاب تغليا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافى فى المسئلة ومبالغتها فى التضرع إلى الله تعالى ومدافعتها عليه الصلاة والسلام إياها بجواب منى عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بمبالغتها من دواعى الاجابة وقيل هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل (إن الله يسمع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ فى العلم بالمسئوعات والمبصرات ومن قضيت أن يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التى من جعلها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع واطهار الاسم الجليل فى المؤمنين لترية الهابة وتعليل الحكم بوصف الاوهية وتأكيد استقلال المجتلين وقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) شروع فى بيان شأن الظاهر فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظاهر أن قول الرجل لا مرأته أنت على كظهر أى مشتق من الظهر وقدر تقصيله فى الاحزاب والحق به القبة تشبيها بحر محرم وفى منكم مزيد توسيع للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه ظان من إيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرى يظاهرون من اظاهر ويظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر



للوصول إلى ما نسألوهم أصابتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وغرر أصابتهم بالرفع على لغة تميم وبما باتهم (إن أصابتهم) أي ما هن (إلا اللأئي ولدنهم) فلا تشبه بين في الحرمة الأمن ألحقها الشرع بين من المرضعات وأزواج التي عليه الصلاة والسلام قد خلن بذلك في حكم الأصابت وأما الزوجات فأبعد شيء من الأمومة (وانهم يقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما (ووزورا) أي خرافع الحق (وان الله لعفو غفور) أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لماسلف منه على الإطلاق أو بالمقابل عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بديان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنظم لحكم الحادثة انتظاما أوليا أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أي إلى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى أن تعودوا لملئه أبدا فان اللام والى تماقيا كثيرا كما في قوله تعالى هداانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى إلى نوح (فتحرير رقية) أي فتداركه أو فعله أو فالواجب اعتناق رقية أي رقية كانت وعند الشافعي رحمه الله تعالى يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فواتها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرار الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرّمه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للمقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى وزنه ما يقول أي المقول فيه من المال والولد فلخصي ثم يردون العود للاستمتاع فتحرير رقية (من قبل أن يتأسا) أي من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولما نظر إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وإن اعتق بعض الرقية ثم مس عليه أن يتأسف عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى (ذلك) إشارة إلى الحكم المذكور وهو ميتا آخره (توعظون به) أي تترجون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان القرآن ما شواجر عن تعامل الحجابات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرة ترك التحرير الرقية الذي هو علم في استباح الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجب (والله بما تعملون) من الأعمال التي من جعلها التكفير وما يوجب من جناية الظهار (خبر) أي علم بظواهرها وبواطنها وبما يركبها يحفظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخافوا بشئ منها (فن لم يجد) أي الرقية (فصيام شهرين) أي فعله صيام شهرين (متابعين من قبل أن يتأسا) لئلا أو تها را عيدا أو خطأ (فن لم يستطع) أي الصيام لسبب من الأسباب (فأطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يتأسف أن مس في خلال الإطعام (ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبية عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سهرا ومرارا ومجمله أما الرفع على الابتداء أو التصب بمضمحل بما بعده أي ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليكم (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة (حدود الله) التي لا يجوز تعديها (والكافرين) أي الذين لا يسمون بها (عذاب أليم) عبرته بذلك لتعظيم على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غي عن المالمين (ان الذين يعادون الله ورسوله) أي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين كما أنه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير أن لورود الحادثة في أثناء ذكر حدود الله دون المماثلة والمشقة من حسن الموقع مالا غاية وراهم (كتبوا) أي أخرجوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق

قاله معنى كتبوا سيكتبون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكتب الكتب (كما كتب الذين من قبلهم) من كفار الأمم الماضية المعادين للرسول عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كتبوا أي كتبوا لمجادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واخحات فمن حاد الله ورسوله عن قبلهم من الأمم وفيها فطنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (والكافرين) أي تلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فدخل فيه تلك الآيات دخولاً أوليا (عذاب مبین) يذهب بعزم وكبرهم (يوم يعنهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو يمين أو باضار إذ كر تعظيما لليوم وتو يلا له (جميعا) أي كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير معوث أو مجتمعين في حالة واحدة (فينبئهم بما عملوا) من القبائح بيان صدورها عنهم أو بصورها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الماثلة على رؤس الأشهاد تخجيلا لهم وتشديرا بعالمهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع جوابا عما نشأ عما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض متقطعة متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفتنه من شيء فقوله تعالى (ونسوه) حيث حال من مفعول أخصى باضار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه أمر من الأمور قط والجمله اعتراض تذييل مقرر لأحصائه تعالى وقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات) وما في الأرض (استشهد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى ألم تر أني الذي حاج إبراهيم في ربه وفي قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون أي ألم تعلم علم يقينا متاخما للمشاهدة بانه تعالى يعلم ما فيها من الموجدات سواء كان ذلك بالاستقرار فيها أو بالجزئية منهما وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفية ويكون من كان التامة وقرى تكون بالناس اعتبارا لأن أئيت النجوى وإن كان غير حقيق أي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر أي من سارتمهم على أن نجوى مضافه إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أي من أهل نجوى ثلاثة أو بحملهم نجوى في أنفسهم مبالغة (الاهو) أي الله عز وجل (رابعهم) أي جاعلهم أربعة من حيث أنه تعالى يشاركم في الإطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال (ولا نجوى خمسة) ولا نجوى خمسة (الاهو سادسهم) وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين وأما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أي ما ذكر كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالسنة وما فوقها (الاهو معهم) يعلم ما يجري بينهم وقرى ولا أكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى أو عمل ولا أدنى بأن جعل لاثنين الجنس (أينما كانوا) من الاماكن ولو كانوا تحت الأرض فان علمه تعالى بالأشياء ليس اقرب مكان في حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا (ثم ينبئهم) وقرى ينبئهم بالتخفيف (بما عملوا يوم القيامة) تفضيحا لهم واطهارا لما يوجب عذابهم (ان الله بكل شيء عليم) لان نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء (ألم تر أن الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتنازعون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدد واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى (ويتناجون بالآثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه أي بما هو آثم في نفسه وعدوان المؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين



المؤمنين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تسليمهم واستعظام مصيبتهم وقرئ: ويتحرون بالآثم والعدوان بكسر العين  
ومصابتهم الرسول (واذا جاءك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السلام عليك أو نعم صابحا وانفسجناه يقول  
وسلام على المرسلين (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم (لولا يعبدا الله عما يقول) أي هلا يعبدنا الله بذلك  
لو كان محمد نبيا (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) يدخلونها (فليس المصير) أي جهنم (يا أيها الذين آمنوا  
إذا تناجيتهم) في أدينتكم وفي خلواتكم (فلا تناجوا بالآثم والعدوان ومصيبة الرسول) كما يفعله المنافقون وقرئ:  
فلا تتجروا ولا تناجروا بخلاف إحدى التامين (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بما يخص خير المؤمنين والنافعين  
مصيبة الرسول عليه الصلاة والسلام (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً  
فيجازيكم بكل ما تأتون وتقررون (إنما النجوى) المخصوصة التي من التناجى بالآثم والعدوان (من الشيطان)  
لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) غير آخر أي اسماء ليحزن المؤمنين  
يتوهمون أنها في نكبة أصابهم (وليس بضارهم) أي الشيطان أو التناجى بضار المؤمنين (شيئاً) من الاشياء أو  
شيئاً من الضرر (الابن الله) أي نسيته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجومه فإنه تعالى يعصمهم  
من شره وضره (يا أيها الذين آمنوا اقبلوا لذكر أنفسكم) أي توسعوا ولبسح بعضكم عن بعض ولا تضاموا من  
قولهم انفسح عن أي ترح وقرئ: فاقبلوا وقوله تعالى (في المجلس) متعلق بقيل وقرئ: في المجلس على أن المراد به  
المجلس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وقاتوا يضامون تناقضا في أقرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصا  
على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز المرأة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي  
الصلو يقول نفسحوا فأقبلوا لذكرهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بنفسحوا قطعاً أي توسعوا  
في جلوسكم ولا تشايقوا فيه (فاقبلوا بفسح الله لكم) أي في كل ما تريدون التصديق من المكان والرزق والصدور  
والفقر وغيرها (والأقبل الشرا) أي انصرفوا عنكم على المظلمين أو لما أصرتم به من صلاحاً وجهاداً وغيرهما من أعمال  
الخير (فانظروا) فانظروا ولا تنظروا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين (يرجع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر  
وحسن الذكري الذي لا يوا الأيواء التي عرف الخلق الآخرة (والذين آمنوا العلم) منهم خصوصاً (درجاً) عالية  
بما جمعوا من أثر في العلم والعمل فإن العلم مع طوره رتبة يقتضي العمل المقرون به من درجة لا يبدل تشاؤه العمل العاري عنه وإن  
كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى به العالم في أعماله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على  
سائر الكواكب (والله بما تعملون خبير) تبهيد لمن لم يعتل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحانية (يا أيها الذين آمنوا  
إذا ناجيتم الرسول) في بعض شئونكم المهمة الداعية إلى مناجاة عليه الصلاة والسلام (تقدموا بين يدي نعوذكم صدقة)  
أي تصدقوا قبلها مستعازين له وإن كان هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانعاز القرأ والزجر عن الإفراط في  
السؤال والتسليم بين الخلف والسائق وعيب الآخر تعجب الدنيا واختلاف في المذهب وألوا لوجوب لكنه نسخ قوله تعالى  
أشغفتهم وهو أن كان مصلحته فلا وتلكه تراخ عنه ولو لا عن على رضى الله عنه أن في كتاب الله أيقن عمل بها أحد غيري  
كان لي بدار ضرر فمكنت إذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدمه وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق  
للأغنياء مناجاة في مدة ضلته أذروني ألم لم يبق الا عشر أو قبل الاساعة (ذلك) أي التصديق (عبركم وأطبر) أي  
لا تنسكم من الربة وحسب المال وهذا يشهد بأنه ليس قوله تعالى (فان لم تجدوا الله غفور رحيم) منى عن الوجوب  
لأنه ترخيص لمن يجد في المناجاة لا تصدق (أشغفتهم أن تقدموا بين يدي نعوذكم صدقات) أي أخفتم الفقر من تقديم

الصدقات وأخفتم التقديم لما يستحق الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات جمع المخافين (فادلم تصلوا) ما أمرتم به وشق  
عليكم ذلك (وقاب الله عليكم) بأن يخص لكم أن لا تصلوه وفيه شعار بأن شقاقهم ضل نجا والله عند ما رأى منهم  
من الاعمال ما قام مقام توهم وإدعى إليهم من المعنى وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذا الغلال في أعناقهم وقيل بمعنى أن  
(فاقبلوا الصلوة وآتوا الزكاة) أي فاذهب طمأنينة أصرتم به من تقديم الصدقات تداركوه بالمارة على إقامة الصلاة  
وآتية الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجوار ملوكة وذلك من التبريط (والله خير  
بما تعملون) ظاهر أو باطنا (المرئ) تعجب من حال المخافين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويتصونهم  
ويقتلون النبي أسرار المؤمنين أي المنيطر (إلى الذين تولوا) أي والوا (فوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما أنبا  
عنه قوله تعالى من لمة الله وغضب عليه (ما هم منكم ولا منهم) لأنهم منافقون متذبذبون بين ذلك والجنة مستأنفة أو  
حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أي يقولون والله انهم مسلمون وهو يحلف على تولوا داخل في حكم  
التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجدده حسب تكرار ما يقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال  
من فاعل يحلفون مقيدة لكل شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يدل أنه كذب في غاية الضح وقوله تعالى على أن الكذب يعم  
ما يدل الخبر عدم مطابقته ثم وقع وما لا يعلمه وي أنه عليه الصلاة والسلام كان في حجر من حجره فقال يدخل عليكم  
الآن رجل قلبه جبار ينظر بعين شيطان يدخل عبد الله ينزل المناق وكان أروق فقال لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم علام تشتغل أنت وأصحابك خلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فقلت فاطلقت لجهاب أصحابه لحقوا بالله  
عاسيه فقلت (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذاباً شديداً) نوعاً من العذاب متفاقاً (أنهم بما كانوا يعملون)  
قياماً من الرمان المطاول فشرعوا على سوء العمل وضروا به وأضرأوا عليه (انظروا أيماهم) الفاجرة التي  
يحلون بها عند الحاجة وقرئ: بكسر الهمزة أي أيماهم الذي أظهره لأهل الاسلام (جنة) وقاية وسنة دون  
دمائهم وأموالهم فالافتخار على هذه القرائع عارة عن التستر بما أظهره بالفعل وأما على القرائع الأولى فهو عبارة عن  
اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتبصيرهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخدة لا عن استعمالها بالفعل فإن  
ذلك متأخر عن المؤاخدة المسبوقة بفرع الجنابة والحياة والعدا الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخدة وعن سببها أيضاً  
كما يعبر عنه الفاء في قوله تعالى (تصدوا) أي الناس (عن سبيل الله) في خلال أمنهم بتكيط من لقوا عن  
الدخول في الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد ثل بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول  
عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تنق عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أي من عذابه تعالى (شيئاً) من  
الافتخار روي أن رجلاً منهم قال لتصرون يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر  
من الصفات القبيحة (أصحاب النار) أي ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبداً (يوم  
يعظم الله جبراً) قبل هو طرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أي لله تعالى يومئذ على أنهم  
مسلمون (كالحقون لكم) في الدنيا (ويحسبون) في الآخرة (أنهم) بذلك الإيعان الفاجرة (على شيء)  
من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يفعلون بها عن أرواحهم وأموالهم ويسجلون بها  
فوائد نبوية (الأنهم هم الكاذبون) المنافقون في الكذب إلى غاية لا تطمع وراها حيث تجاسروا على الكذب  
بين يدي علام الغيوب وزعموا أن أيماهم الفاجرة تروج الكذب ليه كازوجه عند الشافعين (استحوذ عليهم  
الشيطان) أي استولى عليهم من حذت الإبل إذا استولت عليها وجمعها وهو مجاساً على الأصل كاستصوب واستنق



أى ملكهم ﴿فأنساهم ذكر الله﴾ بحيث لم يذكره بقاؤهم ولا بأستهم ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبايح حرب الشيطان أى جنوده وأتباعه ﴿ألا إن حرب الشيطان هم الخاسرون﴾ أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراه حيث قوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الآليم وفى تصدير الجملة بجر فى التنبية والتحقيق وإظهار المضامين معا فى موقع الاختيار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فئون التأكيد ما لا يخفى ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حرب الشيطان عبر عنهم بالموصوفين للثنية بما فى حيز الصلة على أن مادة من حاد الله ورسوله عادة لها والأشعار بعملة الحكم ﴿أولئك﴾ بما فعلوا من التولى والموادة ﴿فى الآذنين﴾ أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك ﴿كتب الله﴾ استئناف وإزالة تعليل كونهم فى الآذنين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك جرى القسم بما يجب به قبيل ﴿لا غلبان أنا ورسلى﴾ أى بالحجة والسيف وما يجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كتبنا العبادنا المرسلين أنهم لم المتصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقرىء ورسلى بفتح الياء ﴿إن الله قوى﴾ على نصر أنبيائه ﴿عزيز﴾ لا يغلب عليه فى مواده ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ويجد امام تعدل اثنين ففعله تعالى ﴿يؤادون من حاد الله ورسوله﴾ مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوما جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنى الوجدان نبي الموادة على معنى أنه لا ينبغي أن يتحقق ذلك وحقه أن يتمتع ولا يوجد بحال وإن جددى طلبه كل أحد ﴿ولو كانوا﴾ أى من حاد الله ورسوله واجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فيها قبله باعتبار لفظها ﴿آباء المؤمنين﴾ أو أبناهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴿فإن قضية الإيمان بالله تعالى أن يجر الجميع بالمرّة والكلام فى لو قد مر على التفصيل مرارا ﴿أولئك﴾ إشارة الى الذين لا يؤادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمر رحما ومافيه من معنى البعد لرقعة درجاتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره ﴿كتب فى قلوبهم الإيمان﴾ أى أثبت فيها وفيه دلالة على خروج العسل من مفهوم الإيمان فإن جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من أعمال الجوارح ثبت فيه ﴿وأيدهم﴾ أى قوام ﴿بروح منه﴾ أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للإيمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ﴿ويدخلهم﴾ الخ بيان لأنار رحمته الأخرى اثر بيان الطائفة الدينية أى ويدخلهم فى الآخرة ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار عالدين فيها﴾ أبد الأبدن وقوله تعالى ﴿رضى الله عنهم﴾ استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ﴿ورضوا عنه﴾ بيان لانهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى ﴿أولئك حزب الله﴾ تشرىف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى ﴿ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ بيان لاختصاصهم بالقوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفئون التأكيد كما مر فى مثلها عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

## سورة الحشر

(مدينة وآنها أربع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ مر مافيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول منها لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح وروى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النصير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى قن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة النبي عليه الصلاة والسلام وعاهدوا أن لا يكونوا له ولا عليه فلا ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذى نسمه فى التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا وتكثروا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكبا الى مكة خالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى قتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاة ثم صبحهم بالكثائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمروا عليه الصلاة والسلام عشرة أيام لينجروا والخروج فهدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فتنن معكم لا تخذلكم ولئن خرجتم لتخرجن معكم فدرىوا على الأذنة وحسنوها فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام إحدى وعشرين ليلة فاستوقف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأتى عليهم الاجلاء على أن يجعل كل ثلاثة آيات على يعبر ماشا من مناعتهم فخلوا الى الشام الى أربعا وأذعنات الا أهل يثين منهم آل أبى الحقيق وآل حنظل بن أخطب فأنهم لحقوا بخيبر ولحق طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبحانه ما فى السموات الى قوله والله على كل شئ قدير وقوله تعالى ﴿هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم﴾ بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته ثم وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان أما هنا على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جملة مستعار الاسم للإشارة كما فى قوله تعالى قل أرايتم إن أخذ الله مصركم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتكم به أى بذلك وعليه قول ربيعة بن العجاج كما تفرق المجلدات البقى كاهن المشهور كان يخل ذلك المشعوب بالعمرة والحكمة الذى أخرج الخبيث لشعار بأن فى الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى ﴿لأول الحشر﴾ أى فى أول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصيبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزير فالمراد بالشام وهذا أول حشرهم وآخر حشرهم جلاء عمر رضى الله عنه إياهم من خير الى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن الحشر يكون بالشام ﴿ما غلظتم﴾ أيها المسلمون ﴿أن يخرجوا﴾ من ديارهم بهذا الذل والموان لشدة قسائهم وقوة منعتهم ﴿وغلبوا﴾ أنهم ما غلبهم حصونهم من الله أى قلنا أن حصونهم بمعهم وما غلبهم من راس الله تعالى وتعتبر النظر بتقديم الخبر واستناد الجملة الى ضميرهم للذلة على كالتوهم حصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد تعرض لهم أو يطعم فى معازيتهم ويجوز أن يكون ما غلبهم خبرا لأن حصونهم مرتقا على الفاعلية ﴿فأتاهم الله﴾ أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم ﴿من حيث لم يحتسبوا﴾ ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فانه بما أضعف قوتهم وقيل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاها ولم يحتسبوا المؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرىء فأتاهم أى فأتاهم الله العذاب أو النصر ﴿وقذف فى قلوبهم الرعب﴾ أى أثبت فيها الخوف الذى يربعها أى بماؤها ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾ يسدوا بما تقضوا



سبها من الخشب والحجارة أهواء الآفة وثلاثين بعد جلالتهم مساكن المسلمين وليقلوا معهم بعض آلاتها المارغوب فيها مما قيل النمل (وأبدي المؤمنين) حيث كانوا يخربونها إزالة لشخصهم ومنعهم وتوسيعا لمجال القتال وتكايه لهم واستاد هذا اليهم لما أنهم السب فيه حكاهم كفوفهم أباه وأمرهم به قبل ازالة حال أو تفسير للرعب فترى تخريبه بالتدبير والتكثير وقيل الاغراب التعطيل أو ترك الشئ من التخريب التفتت والمهدم (فاعتبروا بأولى الأوبار) فاعتظروا بما جرى عليهم من الآوار المائلة على وجه لا يكاد يتبدى اليه الأفكار وانقوا مباشرة ما أذاهم اليه من الكفر والمعاصي أو اعتزلوا من حال الغريبتين الى حال أفسحكم فلا تقولوا على تعاضد الأسباب بل توكأوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجة القياس كما فصل في موقعه (ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء) أي الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه القطعي (لعدسهم في الدنيا) بالقتل والسبي كما فعل بنو قريظة (ولهم في الآخرة عذاب النار) استئناف غير متعلق بمحارب لولا جى به لسان أنهم ان محروا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لاحتاج لهم من عذاب الآخرة (ذلك) أي ما ساق بهم وما سيجي (بأنهم) بسبب أنهم (شاقوا الله ورسوله) وهملوا ما فعلوا عما حكى عنهم من القيانع (ومن يشاق الله) وقرئ يشاق الله كما في الإغفال والاختصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى (فإن الله شديد العقاب) وهو إما نفس الجزاء الذي حذف منه العائد الى من عذب من يلزمه أي شديد العقاب له أو تحليل للجزاء المحذوف أي بما فيه الله فإن الله شديد العقاب وأما ما كان فالشرطية تكلف لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالحق اليه ما كان له قبل ذلك الذي حاق بهم من العقاب المعامل بالأجل بسبب مشاقته لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كتابا من كان لله بسبب ذلك عذاب شديد فاذن لهم عقاب شديد (ما ظلمتم من لينة) أي أي شئ قطعتم من غلة وهي غلة من اللوز وبها مقولة من وادو الكسرة ما قبلها كدبة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي التلة الكريمة (أو تركوها) الضمير لما وثأبته لنفسه بالية كما في قوله تعالى ما يعتصم الله للناس من رحمة إلا محسك لها (فاخذه على أصولها) كما كانت من غير أن تعرضوا لها شئ ما وقرئ على أصلها لما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرمه وقرئ فاقصا على أصوله نهايا الى لفظ ما (فإن الله) فذاك أي قطعوا أثر كبرياء الله تعالى (وأخبروا الفاسقين) أي وليد البور ويعظمون لأن في قطعها ونزولها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتصكون في أمهاتهم كيف أحبا ويتصرفون فيها حسبا شاموا من القطع والترك يزدادون غيظا ويضاعفون حسرة واستدل به على جوارهم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وأحراق زروعهم زيادة لعظيمهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الألوان لا شقاء العجوة والبرية اللتين هما كرام التحيل وإن كانت هي التكرام ليكون عظيم أشد وقوله تعالى (وما آفأ الله على رسوله) شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب المعامل والأجل وما ضل به يارهم وتخليهم من التخریب والقطع أي ما أعاده اليه من ماله وفيه استمراء بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وأما وقع في أيديهم بغير حق فرجع الله تعالى الى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلقوا ليعتقوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون العليمين (منهم) أي من بني النضير (فما أوجتم عليه) أي فما أخرجتم على تحصيله ونقده من الموجب وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هي ما يركب من الأبل خاصة كما أن الرأك عديم راكبا لا خير وأما ركب الفرس فاعلموا بسببه فارسا ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا تقسم مشقة شديدة ولا قالوا شدا وذلك لأنه كانت قرام على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشيا وما كان فيهم راكب إلا النبي عليه الصلاة

والسلام فافتتحها صلعا من غير أن يخبر بينهم مسابقة كأنه قيل وما آفأ الله على رسوله منهم فما حصلوه بكدهم وعرق الجبين (ولكن الله يسقط رسوله على من يشاء) أي سته تعالى جارية على أن يسقطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلب النبي عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضائق الخطوب وتقاوا شدا من الحروب فلا حق لكم في أموالهم (والله على كل شئ قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه الممبوبة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (وما آفأ الله على رسوله من أهل القرى) بيان لمصارف النبي بعد بيان إفاضة عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع صغير من الأشجار شمول ما عقاراتهم أيضا (فنه والرسول ولأهل القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف في قصة النبي فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يغنس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف لأن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول وإلى العساكر والشعر على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يغنس محبة كالغنية فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخس كذلك ويصرف الخمس الأربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أي القى الذي حقه أن يكون للفقراء يمشون به (دولة) بضم الدال وقرئ يفتنحها وهي ما يدول للإنسان أي يدور من الغنى والجد والقلية وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم أو بالضم من المال بالفتح في الصرة أي كيلا يكون جدا (بين الأغنياء منكم) يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جامعة بينكم فإن الرضا منهم كانوا يستأثرون بالغنية ويقولون من عز وقيل الدولة بالضم ما يدول كالفقرة اسم ما يفتنح بالفتح كيلا يكون القى شيئا يتداوله الأغنياء بينهم ويتداولونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالقنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون لساكنة تداول بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على أن كان ثمة أي كيلا يقع دولة على ما حصل من المال (وما آفأكم الرسول) أي ما أعطاكموه من القى أو من الأمر (فخذوه) فانه حقتكم أو فمستكوا به فانه واجب عليكم (وما آفأكم الله) عن أخذه أو عن تعاطيه (فانتها) عنه (واتقوا الله) في مخالفتكم عليه الصلاة والسلام (إن الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل من لدى القرى وما عطف عليه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسي فقيرا ومن أعطى أغنيا ذوى القرى خص لا بدال بما يمددوا ما يخصيص اعتبار الفقير بغير شئ الضمير تصدقوا (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطروهم كفار مكة وأخرجواهم الى الخروج وكانوا أمانة رجل خرجوا عنها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة وصفوا أولا بما سئل على استحقاقهم القى من الإخراج من الديار والأموال وقيل ذلك ثانيا بما يوجب تعظيم شأنهم ويؤكد به (ويصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهي حال مقدرة أي نأوون لشدة الله تعالى ورسوله أو مقاربة فان خروجهم من بين الكفار مرادهم لم مهاجرين الى المدينة نصرة وأي نصرة (أو لشك) الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا (والذين تبوأوا الدار والايمان) كلام متأنف مسوق لمصح الأصناف بمصالح حميدة من جعلها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص القى بهم أحسن رضا وأكله ومعنى تبوءهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مائة وتمكنوا فيها أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوء معنى للزوم وقيل تبوءوا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال علقها تبنا وما يابدا وقيل المعنى



توبوا دار الهجرة ودار الايمان غنم المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعرض منه اللام وقيل سعى المدينة  
بالايمان لكونها مظهره ومشأه (من قلوبهم) أي من قبل هجرة المهاجرين على المعاني الاول ومن قبل توبوا  
المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اخذ الايمان مباحا وادومه واخلاصه على المعاني الاول عبارة عن اقامة  
كافة حقوقه التي من حلتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور  
عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك (فيحسون من هاجر اليهم)  
غير للوصول أي يحسونهم من حيث هاجروهم اليهم فحينئذ الايمان (ولا يحدون في صدورهم) أي في قلوبهم  
(حاجة) أي شيئا يحتاج اليه يقال خدمت حاجتك أي ما تحتاج اليه وقيل الرجاء كالطلب والحزارة والحسد  
والبط (مما أوتوا) أي مما أوتي المهاجرون من الفتي وغيره (وعززون) أي يقدمون المهاجرين (على  
أنفسهم) في كل شيء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كل ينزل عن أحدهما ويؤجرها واحدا منهم  
(ولو كان بهم خصاصة) أي حاجة وغلة وأصلها خصاص البيت وهي فرجة والجلسة في حين الحلال وقد عرفت  
وجه مراراً وكان النبي عليه الصلاة والسلام قسم أموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار الا ثلاثة عشر  
مخاضاً أبداً دجاة سمكاً من حرشة وسيل بن حنيف والحريث بن الصدة وقال لم ارب شئتم قسمتم للمهاجرين من  
أموالكم ودياركم وشاركنهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم لم ينقسم لكم شيء من الغنيمة  
فقاتل الأنصار على قسم لم من أموالنا وديارنا وتوهم بالغنيمة ولا تشاركهم فيها فارتفعت صرخ في أنقوله  
نعمالي والذين توبوا الخ مستأخف غير مطوف على القنطرة أو المهاجرين نعم يجوز منعه على أولئك فان ذلك  
إنما يستدعي شركة الأنصار للمهاجرين في الصدق دون الفري فكون قوله تعالى يحسون وما عطف عليه استئنافاً  
مقرراً لصدقهم أو حالاً من خبر توبوا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرئ به أيضا اللزم  
واضافته الى النفس لأنه غريزة فيها مقتضية الحرص على المنع الذي هو الخل أي ومن يوق يتوفيق الله تعالى شحاً حتى  
يتغلبها فيما يطلب عليها من حبال المال ويقتضي الاتفاق (فأولئك) إشارة الى من اعتذر عنها العام المنتظم المذكورين  
انظاما أولاً (هم المنافقون) الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكره والجملة اعتراض واردة لمذبح الأنصار  
والثناء عليهم وقرئ: يوق بالشديد (والذين جاءوا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام أو التابعون  
بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأباً ما كان  
فالوصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة مسوقة لمذبحهم بتجنيهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق  
الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما أن ما عطف على من الجملة السابقة لمذبح الأنصار أي يدعوهم لهم (ربنا اغفر  
لنا ولأخواننا) أي في الدين الذي هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفهم بذلك  
اعتراضاً بفضلتهم (ولا تجعل في قلوبنا غلا) وقرئ: غمراً وهما الحقد (الذين آمنوا) على الإطلاق (ربنا انك  
رؤوف رحيم) أي بالغ في الرأفة والرحمة عظيم بأن نجيب دعائنا (الم تر ان الذين بافوا) حكاية لما جرى بين  
الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم  
على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد من لحظ من الخطاب وقوله تعالى  
(يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صوره  
واللام في قوله تعالى (وأخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأنهم إنما توافقهم في الكفر

أو صدقهم ومواليتهم واللام في قوله تعالى (الذين أخرجتم) أي من دياركم فسر أموطاً للقسمة وقوله تعالى (أخرجتم)  
منكم جواب القسم أي والله أن أخرجتم لتخرجن منكم البيعة وذهبن في صحبتكم أينما ذهبن (ولا تطيع فيكم)  
أي في شأنكم (أحد) بمنعاً من الخروج معكم (أبداً) وإن طال الزمان وقيل لا تطيع في قالكم أو خذلانكم  
وليس بذلك لأن تقدير القتال مقرب بمد ولأن وعدمهم لم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى  
قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وان هوتنم لتصرنكم) أي لتعاوننكم على عدوكم على أن يدعوهم  
الى خذلان اليهود لما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوهم طاعتهم فيها ضرورة  
أبداً لو كانت لكافة عند استعدادهم لتصرنهم وأظهار كفرهم ولا ريب في أن ما فعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك  
قتلهم لا يدعوهم الى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المراتبة من اظهار الكفر لجواز أن يدعوهم الى خروجهم  
معهم لمسانيتهم من الصداقة الدينية لا الدواعة في الدين (والله يشهد انهم لكاذبون) في مواعيدهم المؤكدة بالايمان  
القائرون قوله تعالى (الذين أخرجوا الا يخرجون معهم) الخ ككذبهم في كل واحد من أقرهم على التفصيل بعد تكذيبهم  
في الكل على الاجمال (ولئن قولوا لولا نصرهم) وكان الأمر كذلك قلنا أن أي وأصحابه أرسلوا الى النبي النصير ذلك  
سرا ثم اختلفوا وفيه حجة بيضاء لصحة النبوة وإجماع القرآن (ولئن نصرهم) على الفرض والتقدير (ليولن  
الادبار) قرأوا (ثم لا ينصرون) أي المنافقون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم فاقامهم لظهور كفرهم أو  
ليزمن اليهود أنهم لا ينفعهم لصحة المناقفة (لأنتم أشد رهبة) أي أشد رهوبة على أنها مصدر من المبى للمفول  
(في صدورهم من الله) أي رهبتهم منكم في السراية كما يظهره لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعوهم عندهم رهبة  
عظيمة من الله تعالى (ذلك) أي ما ذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب أنهم (قوم  
لا يفتقون) أي شيئاً حتى يعلموا عظيمة الله تعالى فيخشوه حتى خشية (لا يفتقونكم) أي اليهود والمنافقون  
بمعنى لا يقتربون على قالكم (جميعاً) أي مجتمعين متفقين في موطن من المواطن (الا في فرى محصنة)  
بالدروب والحناق (أو من وراء حدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوك لقرط رهبتهم وقرئ: جدر بالتخفيف  
وقرئ: جدار وبأمانة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار (بأنهم بينهم شديد) استئناف سبق لبيان أن  
ما ذكر من رهبتهم ليس لتعظيمهم وجبتهم في أنفسهم فان بأسهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وإنما ضمهم وجبتهم  
بالنسبة اليكم بما كف الله تعالى في قلوبهم من الرعب (جميعاً) مجتمعين متفقين (وقلوبهم  
شقي) متفرقة لآفة يديها (ذلك بأنهم) أي ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لا يفتقون) أي  
لا يفتقون شيئاً حتى يرموا الحق ويقيموا وتطمئن به قلوبهم وتحد كسبتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون في تيه  
الضلال وتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق قوته وأما ما قيل من أن المعنى لا يفتقون أن تشتت القلوب مما  
يؤمن قوامه فيعمل من السداد وقوله تعالى (كفل الذين من قلوبهم) خبر مبتدأ محذوف تقديره عظم أي مثل  
المذكورين من اليهود والمنافقين كفل أهل بدر أو بني قينقاع على ما قيل أنهم أخرجوا قبل بني النضير (قريباً) في  
زمان قريب والتصا به مثل إذ التقدير كخرج مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أي سوا عاقبة كفرهم في الدنيا (ولهم)  
في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك في الدنيا والآخرة لكن لأجل أن حال  
كلهم كالمثل على حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهم ما نطق به قوله تعالى (كفل الشيطان)  
فانه خير ثان للبيد المقدسين حالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين أو لا وخيبتهم آخر



وقد أجل في النظم الكريم حيث أسند كل من الحزين إلى المقدور المضاف إلى صغير الفريقين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع قد كلف من المثاليين إلى ما يسهل الله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المناقذين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما قل عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) إلى اغراءه على الكفر اغراء الامر المأمور على المأمور به (فلا كفر قال ان يرى منك) وقرئ: أنا ترى منك ان أريد بالانسان الجففس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما يفي عنه قوله تعالى (ان أخاف الله رب العالمين) وان أريد به أبو جهل فعوله تعالى اكفر عبارة عن قول المسلمين يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وان جار لكم وتبرؤ قوله يومئذ انى يرى منكم انى يرى ما لا ترون انى أخاف الله الآية (فكان عاقبتهم) بالنصب على أنهم خير كان واسمها (أنهما في النار) وقرئ بالعكس وقد مر أنه أوضح (خالدين فيها) وقرئ: خالدين فيها على أنه خير أن وفى النار لهم (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلق في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة (بأهلها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ما تاتون وما تدرون (ولننظر نفس ما قدمت لقد) أى أى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة غير عنه بذلك لدنوه أو لان الدنيا كرم والآخرة عذبة وتكبره لفضله وتبوءه كانه قبل الغد لا يعرف كنهه لغاية عظيمة وأما تنكير نفس فلا استقلال الأنفس التواظف فيها فمن ذلك اليوم الخالق كانه قبل وتنظر نفس واحدة فى ذلك (واتقوا الله) تكرر للتأكيد أو الاول فى أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعد بقوله تعالى (ان الله خير بما تعملون) أى من المعاصي (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى نسوا حقوقه تعالى وما قدره حق قدره ولم يراعوا مواجيب أوامره وتواهبه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لما حرم لم يسمعون ما ينهوا ولم يفعلوا ما ينهوا أو أراهم يوم القيامة من الأحوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقدم أصحاب النار فى الذكر للإيمان من أول الامر بأن القصور الذى يقف عنه عدم الاستواء من جهتهم لامن جهة مقابلتهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيعين المتفاوتين زياده ونقصا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الرائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان النقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاممى والصغير أم هل تستوى الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقدم الفاضل فيه لان صفة ملكة الفضول والاعدام مسبوقة بملكها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتصر بالكفر وأما الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخرى كما يلى عنه التبرع عن الفريقين بصاحبة النار وصاحبة الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف بين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب التاجوز عن كل مكروه (أو أولئك هذا القرآن) العظيم الشأن المنطوى على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (زأوت) مع كونه علوا فى القسوة وعدم التأثير مما يصاحبه (خاشعا متصدعا من خشية الله) أى منشققا منها وقرئ: متصدعا بالادغام وهذا تشبيل وتخيل لموشاى القرآن وقوة تأثير ما فيه من الموعظ كما ينطق به قوله تعالى (ولئك الامثال نصير للناس لهم يتذكرون) أريد به توبيخ الانسان على فسوة قلبه وعدم تنشعه عند تلاوته وقفة تدبر فيه (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها

وما حضر له من الاجرام وأمر احدا بتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعلوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو) كثر لاراز الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) المبلغ فى البراعة مما يوجب نقصا اما وقرئ: بالفتح وهو لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الأمن وقرئ: بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المؤمن) الرقيب الحافظ لكل شئ مضاعف من الامن قلب همزة هاء (المزبر) القالب (الحسار) الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحواله على أصلها (المشكر) الذى تكرر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصا أو البذل السكبرياء والمطمة (سبحان الله عما يشركون) تزيده له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن أن يشاركه تعالى فى شئ منها شئ ما أصلا (هو الله الخالق) المقدور للانشاء على مقتضى حكمته (البارئ) الموجد لها برئان من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة (المصور) الموجد صورها وكيفياتها كما أراد (وله الاسما الحسنى) لدلائلها على المعاني الحسنة (يسبح له ما فى السموات والارض) ينطق بتعظيمه تعالى عن جميع النفاخر تنزهها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتنميتها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن الذى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

## سورة الممتحنة

(مدنية وآيات ثلاث عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى ليثمة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لثروة الفتح كتب الى أهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاته المطلب فزى لى عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا هريرة وقال اطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها غلبة معا كتاب حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجمدت فسل على سبعة فأخرجته من عقابها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كبرت منذ أسلت ولا غشيتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ مخلصا فى فريش وليس لى منهم من يحسن أهلى فأردت أن آخذ عنهم يدا وقد علمت أن كتابى لن يفي عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عدوه (تلقون بهم بالمودة) أى توصلون بهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تقنوا بأيديكم الى التهلكة أو تلقون بهم أحياء التى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى يتكلم ويطلبهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء وأمران الضمير فى الصفات الجارية على غير من هو له انما يشتهى ط فى الاسم دون الفعل أم استئناف (وقد كفروا بما جاحكم من الحق) حل من فاعل تاتقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ: لما جاحكم أى كفروا لأجل ما جاحكم بمعنى جعل ما هو سبب الايمان سببا للكفر (يخرجون الرسول وأياكم) أى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحسان الصورة وقوله تعالى (أن تقولوا الله يريك) تعليل للاخراج وقوله تعليل الخاطب على الغائب والتفات



من انكسر الى النية للشارع بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية (ان كنتم خرجتم جهادا في سبيل وافتاء مرضى) متعلق بالاستخفاف كما أنه قيل لا تتولوا أعدائكم ان كنتم أوليائي وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أي تسرون اليهم المودة أو الاختيار بسبب المودة (وأنا أعلم) أي والخال إلى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلمتم) ويطلع رسول على ما تسرون فأي طائل لكم في الاسرار وقيل أعلم بمشاريع وآيات مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الاختصاص على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلمون (ومن يفعله منكم) أي الاتحاد (قد ضل سوا السبل) فقد أخطأ طريق الحق والهدى (ان يتفقوا) أي ان يظهروا بكم (بكموا لكم أعداء) أي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها (ويستولوا بكم أيديهم واستنهم بالسوء) بما يسوقكم من القتل والأسر والشتم (وودوا لو تكفروا) أي تمناوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايدان بتحقيق وادبهم قبل أن يتفقوا أيضا (ان تتفكروا أرحامكم) قريبتكم (ولا أولادكم) الذين تولوا المشركين لأجلهم يتفكرون اليهم بحماة عليهم (يوم الضامة) جلب مع أو دفع ضرر (يفضل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ أي يفرق الله بينكم مما اعتزكم من الموالي الموصوب لمرؤس كل منكم من الآخر حسبا لظن به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فالشك ترهقون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ بفضل مبني للمفعول وفصل بفضل مبني للفاعل وهو الله تعالى وفصل وتفصل وتفصل بالتولد (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم أسوة حسنة) أي خصلته حميدة حقيقة بأن يؤتى ويقضى بها وقوله تعالى (في إبراهيم والذين معه) أي من أصحابه المؤمنين صفات ثمانية لأسوة أو خير فكانوا لكم للبيان أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها للأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف (اذ قالوا) ظرف للحبر كان (فقوموا يا إبراهيم) جمع برئ كظرف مظهر فأنقضى برئ كظرف ورا كظرف ورا على الوصف بالمصدر حاله (وما تعدون من دون الله) من الاصنام (كفرنا بكم) أي دينكم أو بمعصيتكم أو بكموه فلا تعدوا بكم وبالحكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) أي هذا ما بنا بينكم لا تتركه (حتى تكونوا بالله وحده) وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتقلب العداوة حيث ولاية والبغضاء عدا (الاقول إبراهيم لأية لا تستغفرون لك) استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لأية الكفار وان كان جائزا عقلا وشرا فالوفور عقيب ثبوت أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتى به أصلا اذ المراد بها ما يجب الاتساع به حتما لو ردد الوعيد على الاعراض عنه بما ساء في من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو العز الحيد فاستأنوه من الأسوة انما يقيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتب فيه عاقب وأما عدم جواز فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لأية الكفار مما ينبغي أن يؤتى به بأنه كان قبل النهي أو لموعده وعدها إياه فبمزال من السداد بالكلية لا بد منه على تناول النهي لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وإيادته عن كونه مؤثري به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطالان لما أن مررد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لأية كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتى به ما يجب الاتساع به لا يجوز قطعه في الجملة ويجوز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهي ما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعده وعدها إياه مما لا يصلح له وتوجه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لال نفس الاستغفار بقوله وأمر لال الآية لا يابا كانت هي الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالكون دون ما وقع في سورهم من قوله تعالى سأستغفر لك ربي

لورودها على طريق التوكيد النفسى وأما جعل الاستغفار دأرا عليها وتربيت التوبى على تبين الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى (وما أمألت لئلا من الله من شيء) من تمام القول المستثنى عليه النص على أن ما لم يمتنع فاعل لا يستغفر لك أي استغفر لك وليس في طائفي الا لا استغفار قورده الاستثناء نفس الاستغفار لا قيد الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهرا للسج وتغويظ الامر الى الله تعالى وقوله تعالى (وبنا عليك توكلا واليك أنصا واليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الأسوة بالحسنة وتقديم الجار والمجرور واقصر التوكلا والالاهة والمصير على الله تعالى فالوعد المحامر وقصر المصا لتجاء الى الله تعالى في جميع أموره لاسيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (وبنا لا تجمعنا من الكافرين كفرة) بأن تسلطهم علينا ففتونا بعباد لا نطقه (وأعز لنا) ما فرط منا من الذنوب (وبنا أنك أدت العز) الغالب الذي لا يذل من التجا إليه ولا يجنب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة مائة وتكرير الله للبالغة في التصريح والجوار هنا وأما جعل الالين تلقيا للمؤمنين من جهة تعالى وأمرهم بأن يتوكلوا عليه وينبوا إليه ويستمدوا به من فئة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكلة لما وصم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعدهم النظم الكريم (لقد كان لكم فيه) أي في ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرر للبالغة في الحث على الاتساع به عليه الصلاة والسلام وبذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) يدل من لكم فائدة الايدان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من محال عدم الايمان بهما كما يلي عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو العز الحيد) فانه ما يبرع بعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أي من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوفقكم في الدين وعدمه الله تعالى بذلك لشرائهم من التصليب في الدين والتشدد في معاداة آبائهم وأبنائهم ومن أقرابهم ومقاطعتهم ايام بالكلية تلقيا لقولهم ولقد أعزهم وعده الكريم حين أجمع لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والصفاء حاتم (والله قدير) أي مبالغ في القدرة فيفسد على قلب القلوب وتغير الأحوال وتسهل أسباب المودة (والله غفور رحيم) يغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أي لا ينهاكم عن البر بولا فان قوله تعالى (أن تبرؤهم) يدل من الموصول (وتفسطوا اليهم) أي تفصوا اليهم بالقسط أي العدل (ان الله يحب المقسطين) أي العادلين - روي أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركا على بنتها أسما بنت أبي بكر رضي الله عنه بهدايا ثم تقبلا ولم تأخذها بالخول فزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرهها وتحسن اليها وقيل المراد بهم غزاة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يمتنعوا عليه (أنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عداة أهل مكة (وظاهر على آخر أحكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) يدل التشبه من الموصول أي أنما ينهاكم عن أن تولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية في موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم بغير رضا للعدا (بابا الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريق الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتنوهن) فامتنوهن ومن يمتنع على ظنكم موافقة قلبه للسانه في الايمان - روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لئن كنتي بنتي بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بطن زوجي بالله ما خرجت رغبة عن أرضي الى أرض بالله ما خرجت اطمئنانا بالله ما خرجت الا بحا لله ورسوله (الله أعلم بما كنا منهن) لانه المطلع على عافى قلوبهن والجملة اعتراض



﴿فان علموهن﴾ بعد الامتناع ﴿مؤمنات﴾ عليا يمكنكم تحصيله وبما غطاهتم بعد التيا والى من الاستدلال بالعلم واللائل والاستشهاد بالامارات والخيال وهو الظن الغالب ونسبته علي الايدان بأنه جار مجرى العلم في وجوب المعسرية ﴿فلا تزوجوهن الى الكفار﴾ أي الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى ﴿لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ فانه تمثيل للهي عن رجعتهم اليهم والتكرير اما تأكيد الحرمة أولاً لان الاول لبيان ذوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد ﴿وأنهم ما انفقوا﴾ أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك أن صالح الجديدة كان على أن من جانتكم رددنا عليكم سيمية بنت الحرب الاسدية مسلمة والتي عليه الصلوة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر لفرس وقيل صبي بن الراهب فقال يا محمد ارد علي امرأتي فانك قد شربمت أدري عينا من أهلك منا فقلت لبيان أن الشرط أعسا كان في الرجال دون النساء فاستحلها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحلفت فأعطى زوجها ما ألق وزوجها محرر رضي الله عنه ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾ فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار ﴿إذا أتيتموهن أجورهن﴾ شرط ابتاء المهر في نكاحهن لهذا ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر ﴿ولا نسكوا بهم الكفار﴾ جمع عصمة وهي ما ينصبه من عقد وسبب أي لا يمكن ينسك ويمن المشرقات عصمة ولا علة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنهما من كاتله امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها من نسائه لأن اختلاف الدين ينقطع عصمتها منه وعن النخعي رحمه الله هي المسألة تلحق بداء الحرب فكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق النابات مع الكفار ومفارقةهن وقرئ ولا نسكوا بالتحديد ولا نسكوا بخلاف الحقن الثامن من تنسكوا ﴿والأول ما انفقت﴾ من صور نساتكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسألو ما انفقوا﴾ من مهور أزواجهن المهاجرات ﴿ذلك﴾ الذي ذكر ﴿حكم الله﴾ وقوله تعالى ﴿يحكم بينكم﴾ كلام متأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أي يحكم الله أو جعل الحكم حاكما على المدافعة ﴿والله عليم حكيم﴾ بشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة . روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون مآلهم من مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركن وأي المشركون أن يزدوا شيئاً من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى ﴿وان فاتكم﴾ أي سيقم وأقلت منكم ﴿شيء﴾ من أزواجكم الى الكفار أي أحد من أزواجكم وقد قرئ كذلك وبإفعاغ شي موقفة للتحقير والإشباع في الغنيم أو شيء من مهور أزواجكم ﴿صافين﴾ أي لحامت حقتكم أي يوشك من أداء المهر شيء ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك نارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ﴿فأتوا الذين ذهبت أزواجهن مثل ما انفقوا﴾ من مهر المهاجرة التي تزوجوها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فأصبت من الكفار عقي هي الغنيمه فأتوا بدل الغنائم من الغنيمه وقرئ فأعقبتم وفقبتم بالتحديد وفقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكرها قيل جميع من لحق بالمشركن من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبي سفيان وفاطمة بنت أمية وروح بنت عتبة وعبد بن عبد المزي وهند بنت أبي جهل وطلوم بنت جرويل ﴿واقفوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ فإن الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى ﴿يأيتها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ أي مبايعات لك أي قاصدات للبايعه نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة النساء ﴿على أن لا يشركن بالله شيئاً﴾ أي شيئاً من الآتيا أو شيئاً من الاشرارك ﴿ولا يرضن ولا يزين ولا يقتلن أولادهن﴾ أريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتحديد ﴿ولا يأتين بهتان يفتريه بين يدي وأرجلهن﴾ كانت المرأة تثقف المولود فتقول زوجها هو الذي كفى عنه البهتان المفترى

بين يديها وأرجلها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها وبخارجها بين رجلها ﴿ولا يعصيتك في معروف﴾ أي في تأمرهم به من معروف وتنهأ عن من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به لتقيده على أنه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المندودة بالذكر في حقن لكثرة وقوعها فيها بينهم مع اختصاص بعضها بهم ﴿فيا أيها الذين آمنوا﴾ أي علي ما ذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته في المبايعه من الصلوة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجتنب لهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها ﴿ولستغفر لهن الله﴾ زيادة على ما في ضمن المبايعه فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله علي الصلوة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ﴿ان الله غفور رحيم﴾ أي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمي أذا وقين بما يمين علي واختلف في كيفية مبايعته علي الصلوة والسلام لهن يومئذ فروى أنه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وصد عمر رضي الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلوة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصالحهن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدم من ما نفس فيه يده ثم غسبن أيديهن وروى أنه عليه الصلوة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطري والأظهر الأشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما أمر الله تعالى وما ست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتهن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجنبن بقول الله عز وجل يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا أنزلن ذلك من قولهن قالن انطلقن فقد بايعتهن ﴿يأيتها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم﴾ هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت في بعض قرا المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من غنائمهم ﴿قد ينسوا من الآخرة﴾ لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لتأدهم الرسول بالمنعوت في التوراة لما يؤيد بالآيات ﴿كما ينس الكفار من أصحاب القبور﴾ أي كما ينس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقصوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرماتهم من تعيمهم المقيم وإتلاهم بمعانيها الآليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما ينسوا من موتاهم أن يموتوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والأظهار في موقع الاشارة بجملة بأسهم - عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المتحة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيامة

### سورة الصف

(مدنية وقيل مكة وآيا أربع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الكلام فيه كالشعر في نظيره ﴿يأيتها الذين آمنوا لم تقولون مالا تعملون﴾ روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال الى الله تعالى لبدنا فيه أموالنا وأفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروى أنهم قالوا يا رسول الله لو تعلم أحب الأعمال الى الله تعالى لسارعتنا اليه فنزلت هل أدلكم على تجار قال قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى شباب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم شهد لنا لقينا قتالا لفرغنا فيه وسما فقرأوا يوم أحد فنزلت وقيل



انها قلت فمن يمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتل ولم يقتل وعلقت ولم يعلق وهكذا وقيل كان رجل قد أدى المسلمين يوم بدر ولكي فهم قتلته صوب واتحل قتل آخر فزالت في المحتل وقيل زلت في المناقذين وداؤم بالامسان تنكم بهم وبامسانهم وليس بذلك كما ستره ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستهامة قد حدثت ألفها تحفيضا لكثرة استعمالها معاك في عم ونغم ونظائر معناها لا شيء تقولون فعل ما لا تفعلون من الخير والمعروف على أن حذار التعبير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجبا الى قولهم تلبسوا على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير للموعد فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعد كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سجايته وكره من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالتركه بعده وأن تقولوا هو مخصوص بالدم وقبل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأستد إلى أن تقولوا ونصب مقنا على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت عاقل لا شوب فيه كبر عند من يغفر دونه كل عظيم وقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) بيان لما هو مرعى عنده تعالى بعد بيان ما هو مغفوت عنده وهذا صريح على أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقولونه لتمدح أو اتحلوا بالقتال أو ادعاه المناق أو أن مناط التعبير والتوبيخ هو اخلاصهم لا وعدمهم كما أشير إليه وقرئ بقاتلون بفتح التاء وبقولون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل والمفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أي صافين أنفسهم أو مضمومين وقوله تعالى (كانهم بديان مرسوم) حال من المستكن في الحال الأولى أي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وعقل ببيان رص بعضهم الى بعض ووصف حتى صار شبيها واحدا وقوله تعالى (وإذا قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذم صوب على المعنوية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلويح أي واذكر هؤلاء المرحومين عن القتال وقت قول موسى لبي اسرائيل حين نهجهم الى قتال الجبارة بقوله يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تردوا على أدياركم فتقبلوا عاصرين فلم يتخلوا بأمر وعصوه أشد عصيان حيث قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإننا نخشىهم نحن فخرجوا منها فأن يخرجوا منها فأن داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت وريك فقالا اناهما قاعدون وأصر وأعل ذلك وادوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية (يا قوم لم تؤفوني) أي بالخالفه والصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى (وقد تعلمون أي رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لاسكار الايمان وتقي سبه وقد تنحى العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أي والحال أنكم تعلمون علما قطعا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاطرة التي معظمتها اهلاك عدوكم وانقاذكم من ملكيته أي رسول الله اليكم لا رشكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية عليكم بذلك أن تبالغوا في تطهيس وتسارعوا الى طاعتي (فلبسوا زعوا) أي أصرروا على الزع عن الحق الذي جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أذاع الله قوتهم) أي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصراف اختيارهم نحو الحق والضللال وقوله تعالى (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اعتراض تدبيري مقرر لمضمون ما قبله من الاذاعة ومؤذن بعلته أي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومناهج الحق المصيرين على الغواية هداية موحلة الى البنية لاهداية موحلة الى ما يوصل اليها فائبا شاملة للكل والمراد بهم اما الله كورون خاصة والافطار في موقع الاختيار لادهم بالنسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون في حكمه دخولا أوليا وأياما كان توصفهم بالنسق ناظر الى ما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي تنقذه جرة التعليل الكرم ويرخصه الفوق السليم وأما ما قيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه

وعيب في نفسه ووجود آياته وعصيانه فيها تعود اليهم فانصه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهره والتكذيب الذي هو تشيع حق الله وحقه لها لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم) امام معطوف على اذ الأولى معمول لعاملها وأما معمول لمضمر معطوف على عاملها (يا بني اسرائيل) ناداهم بذلك استئالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله (أي رسول الله اليكم مصداقا لما بين يدي من التوراة) فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى (ومبشرا رسول يأتي من بعدى) معطوف على مصداقا داع الى تصديقه عليه الصلاة والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعالم فيها ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلوات بمنزل من تضمن معنى الفعل وعليه بدور العمل أي أرسلت اليكم حال كوني مصداقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدى من رسول (اسمه أحمد) أي محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن ديني الصديق بكتب الله وأتباعه جميعا من تقدم وآنخروقرى من بعدى بفتح السين (فلما جاءهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) مشيرين الى ما جاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للبالغة ويقوده فراه من قرأ هذا سحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أي أي الناس أشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذي يوصله السادة الدارين فيضع موضع الاجابة الاقتداء على الله عز وجل بقوله لكاله الذي هو دعاء عبادة الحق هذا سحر أي هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاء وادعاء مثل لسه والحق (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يرشدكم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفئوا نور الله) أي يريدون أن يطفئوا دية أو كنهه أو حبيته التي تروى للام من دية لما فيها من معنى الإرادة تأكيدها كما زبدت لما فيها من معنى الاضائة تأكيدها في لا أبالك أو يريدون الاقتداء ليطفئوا نور الله (بأفواههم) بطلهم فيه مثلت عالم بجال من ينفخ في نور الشمس بفيه لطفته (واقنعتم نوره) أي بملفه الى غايته بشاره في الآفاق واعلامه وقرئ متم نوره ملا اضافته (ولو كره الكافرون) أي ارطاهم لجم والجملة في حين الحال على ما بين مرارا (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) والملة الخبيثة (ليظهره على الدين كله) ليعلبه على جميع الأديان المخالفة له ولقد أعجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان الا وهو مغلوب مغهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك وقرئ هو الذي أرسل نبيه (بألبا الذين آمنوا اهل أدلكم على نجاة تنجيكم من عذاب أليم) وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف تعمل أومادا لصنع فقبل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الأمر جى به للايمان بوجوب الاستمال فكاه قد وقع فخير بوقوعه يؤيده قرآنهم قرأ آمنوا بالله ورسوله وجعلوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على احضار لام الامر (ذلكم) إشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البدن لما مر غير مرة (خير لكم) على الاعلاق أو أمن أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أي إن كنتم من أهل العلم فان الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو أن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خير لكم حيث لا شك اذا علمت ذلك واعتقدتموه أحبب الايمان والجهاد ففرق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلقون (ينفركم ذنوبكم) جواب للامر للدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استيفاء مدلول عليه الكلام تقدريه ان تؤمنوا وتجاهدوا أو لذكركم بغير لكم وجعله جوابا لخل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا يوجب المنفرة (و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات



عند ذلك أي ما ذكر من المنفعة وأدخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة (التوارة العظمى) الذي لا فوز ورواح (وأخرى) ولكم إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تجربونها) وترغبونها وفيه تفرغ بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى مصوبة بأضطرار يعطكم أو تعبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف (وقرب) أي جعل عطف على نصر على الوجه المذكور وقرئ نصر أو فتحا قريبا على الاختصاص أو على المصدر أي تصرون نصرا ويضع لكم فتحا وعلى البدلية من أخرى على تقدير نصبها أي يعطكم نعمة أخرى نصرا وفتح (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أوعلى ترمنون فإنه في معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا ويصعدوا أي المؤمنين ويشرم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا واجلا (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصارا لله) وقرئ أنصارا فلهذا إضافة لأن المعنى كونوا أنصارا لله وقرئ كونوا أنصارا لله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) أي من جندى متوجه إلى نصرته الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) وللإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول للتشبيه باعتبار المعنى أي كونوا أنصارا لله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أحقياء وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا (فانت طائفة من بني إسرائيل) أي يعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرته فإلهين (وكفرت طائفة أخرى به وقتلوه) فأبدا الذين آمنوا على عدوهم أي قوتهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا طاهرين) غالين عن النجس صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

## سورة الجمعة

(مدنية وآيات إحدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسبيحا مستمرا (الملك القدوس العزيز الحكيم) وقد قرئ الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذي بعث في الأميين) أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قبل بدت الكتابة بالخط أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الأبار (رسولا منهم) أي كانوا من جنسهم أي أميا مثلهم (يشلو عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم لم يبد منه قرآن ولا تعلم (ويركهم) صفة أخرى لرسولا مصطوفة على يتلو أي يجعلهم على ما يصيرون به أركبة من خيانت العقائد والأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة والخطاب وسط بينهما التركة التي هي عبارة عن تشكيل النفس بحسب قوتها العقلية ونهذيتها المنفرد على تشكيلها بحسب القوة النظرية للحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيمان بأن كلام الله لا يزل ينفذ حيلة في حالها مستوحاة لشكره وروعي ترتيب الوجود ولتأدي إلى فهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السرفي التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة وما إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه تحول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث النبوية من الأحكام والشرائع (وأن كانوا من قبل لنى ضلال ميين) من الشرك وغيث المجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى ما يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلق

عليه الصلاة والسلام من القبر وإن هي الخففة واللام هي الفارقة (وأخبرين منهم) عطف على الأميين أو على المنصوب في يعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين منهم أي من الأميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوتهم عليه الصلاة والسلام وتعليمهم يوم الجمع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المباليغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم واضطفاء من بين كافة البشر (ذلك) الذي امتاز به من بين سائر الأفراد (فضل الله) واحسانه (بقرته من يشاء) تفضلا وعطية (واقه ذو الفضل العظيم) الذي يستحق دونه نعم الدنيا ونعم الآخرة (مثل الذين حملوا التوراة) أي علوها وظفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أي لم يعملوا بما في تضاعفها من الآيات التي من جعلها الآيات الناطقة بنوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل الحمار يحمل أسفارا) أي كتب من العلم يثعب حملها ولا يتفهم بها ويحمل أمارا حال والصامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار إذ ليس المراد به معينا فهو في حكم الشكوة كما في قول من قال ولقد أمر على التميم يسبي (يس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي شس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التيمير محذوف والفاعل المنصرف به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بش مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل يشس والمخصوص بالذم الموصول عطف المضاف أو بش مثل القوم المكلفين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واقه لا يهدي القوم الظالمين) الواضحين للتكذيب في موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم يترفع بها للعذاب الخالد (قل يا أيها الذين هادوا) أي يهودوا (أن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن اله الأخر لم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم انظروا لكذبهم أن زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) أي تمنوا ما لله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة (إن كنتم صادقين) جوابه محذوف دلالة ما قبله عليه أي إن كنتم صادقين في زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الأعداء (ولا يتمنونه أبدا) أخبار بما سيكون منهم واليه في قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) منطقة بما يدل عليه النبي أي يأتون الحق بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت البدن بين جوارح الإنسان سائط عامة فأقبله غير بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (واقه عليم بالظالمين) أي بهم واثار الاظهار على الاضمار لديهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في كل ما يأتون وما يفعلون من الأمور التي من جعلها آياتا لهم عند جموع واجلة تدليل لما قبلها مفرقة لمصوبه أي عليهم بهم وبما صدر عنهم من فساد الظلم والمعاصي المفضية إلى آيات العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر في ذكرهم يتبين منهم مودة أحد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل إن الموت الذي تقرون منه) فإن ذلك إنما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من النبي وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنا الموت أو من دعائهم وهذه إحدى المعجزات أي أن الموت الذي تقرون منه ولا تحسرون على أن تسنوه عاقلة أن تؤخذوا ببول كركم (فانه ملائكم) البية من غير صارف يلو به ولا عطف بتيه والغا لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف مفرق يهدونهم (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) الذي لا تخفى عليه حافية (فمن كنتم تاملون) من الكفر والمعاصي أن يجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا اتوا إلنا نؤدى الصلاة)



أى قبل النداء لما أى أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لآذا وتفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الأرض أى فى الأرض وأما معنى جمعة لاستباح النفس فيه للصلاة وقيل أول من سبها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تنسبه العروبة وقيل أن الانتصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فلهذا جعل لنا يوماً ما يجمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زبارة فضلى بهم ركعتين وذكروهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأذن الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما أدم المدينة مهاجرة أذن قبا على بن عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجد ثم خرج يوم الجمعة عادداً للدين فذكر ركعة صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادى لم يخطب وصلى الجمعة (فاسمعوا إلى ذكر الله) أى اسأوا واتصدوا إلى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى إلى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مبشرته فإن نفع الآخرة أجل وأبقى (إن كنتم تعلمون) أى الخير والشر الحقيقين أو أن كنتم أهل العلم (فإذا قضيت الصلاة) أى أريت وخرج منها (فانتشروا فى الأرض) لاقامة مصالحكم (وايتقوا من فضل الله) أى الرخ فالأمر بالإطلاق بعد الخطر ومن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمر وأطلب شئ من الدنيا إنما هو حياة المرعى وحضور الجنائز وزيارة أخيه فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (وذكروا الله كثيراً) ذكر أكثر أو زماناً كثيراً ولا يخصوا ذكره تعالى بالصلاة (تلكم تخلصون) كى تحذروا بخير الدارين (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) روى أن أهل المدينة أصلهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والتي عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فأتى معه عليه الصلاة والسلام الأثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادى ناراً وقاتوا إذا أفلتك العير استقبلوها بالليل والتصفيق وهو المراد باللهو ونخصيص التجارة يرجع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الانقضاء من التجارة مع الحاجة إليها والاتضاع بها إذا كان مضموناً مما شئت بالانقضاء إلى الله وهو مدعوم فى نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهوا انفضوا إليه لخذف التالى لدلالة الأول عليه وقرئ: اليها (وتركوا قائماً) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللبوس والتجارة) فإن ذلك نفع محقق عند خلاف ما فيها من النفع المتيقن (والله خير الرازقين) فاليه اسأوا ومته اطلبوا الرزق . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمان المسلمين

( مدينة وآيا إحدى عشرة )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

(إذا جاءك المنافقون) أى حضروا بمجالسك (قالوا نشهد أنك رسول الله) مؤكدين بلامهم بأنهم للام للابتن بأن شهادتهم هذه صادرة عن ضمير قلوبهم وخلوص اعتقادهم وهو رغبته وشاغلهم وقوله تعالى (والله يعلم أنك لرسوله) اعتراض مقرر لمطلق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (والله يشهد أن المنافقين لكاذبون) تحفيظاً

وتلميذاً لما ليط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير إليه وأماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب إلى متعلق كلامهم أى والله يشهد أنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاطمئنان موقع الاعتقاد لهم والاستمرار بملة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى من جعلها ماحكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخاة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن أعدادهم ونبيتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلقوا بها ويتخلصوا عن المؤاخاة لأن استعمالها بالقتل فإن ذلك متأخر عن المؤاخاة المسيوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد أن يكون قبل المؤاخاة وعن سيبا أيضاً كما يفسح عنه القاء فى قوله تعالى (تصدوا عن سبيل الله) أى صدوا من أراد الدخول فى الإسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الاتفاق فى سبيل الله بالنبي عنه كما سيحكي عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلقهم بالفعل وقرئ: إيمانهم أى ما أظهره على السبب واتخاذ جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمايتهم وأما قوله تعالى صدوا حيثما شئوا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى (أنهم) ما كانوا يمهلون (من التفات والصد وفى ساء) معنى انتحب وتهلمهم أمرهم عند السامعين (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القول الشاعى عليهم أنهم أسوأ الناس أمثالا أو إلى ما وصف من حالهم فى التفات والكذب والاستتار بالإيمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر من أن الاستتار بعد منزلة فى الشر (أنهم) أى بسبب أنهم (كتموا) أى كتموا نكمة الشهادة كسائر من دخل فى الإسلام (ثم كفروا) أى طرأ كفرهم بما شهود منهم من شواهد الكفر ودلائله أو انطوا بالإيمان عند المؤمنين ثم قطعوا بالكفر عند سبائهم (قطع على قلوبهم) حتى تروا على الكفر وأطعنوا به وقرئ: على الباء للفاعل وقرئ: قطع الله (فهم لا يفقهون) حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلاً (وإذا رأيتم تلك أجسامهم) أعضائهم وبروقك منظرهم لصاحبه وجوههم (وأن يقولوا نسمع لقلوبهم) لفصاحتهم ودلالة السبب وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى حسيباً صلياً يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون ببيادتهم ويسمعون إلى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد من يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى (كلهم خشية مستعدة) فى حيز الرقع على أنه غير مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له شيهوا فى جلوبهم فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستدين فيها بخشب منصوبة مستعدة إلى الحائط فى كونهم أشياء خالية عن العلم والخير وقرئ: خشب على أنه جمع خشبة كدند جمع بدنة وقيل هو جمع خشب وهو الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شيهوا بها فى تقاميم وهاد برائطهم وقرئ: خشب كدندة ومنه (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم حارة لهم لجلبهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن يزل الله فيهم ما ينشك أسنارهم وينبع دماغهم وأموالهم (هم العدو) أى هم الكاذبون فى العداوة والرسوخ فيها فإن أعدى الأعداء العدو المكاشف الذى يكاشرك تحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولاً ثانياً للحسان مما لا يساعده النظم الكريم أصلاً فإن القاء فى قوله تعالى (فاحذرهم) لتقريب الأمر بالخطر على كونهم أعدى الأعداء (فانظروهم) فاعلموا عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعلم للمؤمنين أن يدعو عليهم بذلك وقوله تعالى (أى يرفقون) أعجب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق إلى ما هم عليه من الكفر والضلال (وإذا قيل لهم) عند ظهور جنائهم بطريق الصيحة (تعالوا يستمعوا لكم رسول الله لو أن رؤوسهم) أى علقوها استكباراً (وإذا يأتهم يصدون) يهرضون عن القائل أو عن الاستفزاز



(يوم مستكبرون) عن ذلك (سواء عليهم استغفرت لهم) كما اذا جاءوك معتذرين من جنابهم وقرى استغفرت بحذف حرف الاستغفار ثقة بدلالة أم عليه وقرى استغفرت باشباع همزة الاستغفار لا بفتح همزة الوصل ألفا (ألم تستغفروا لهم) كما اذا أضروا على قبايحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (ولم ينظر الله لهم) أبدا لأصرارهم على العسق ورسوخهم في الكفر (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) الكافين في العسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح للمسلمين في الكفر والفاق والمراد اما هم باعياهم والافطار في موقع الاختيار لبيان غلومهم في العسق أو الخس وهم داخلون في زميرهم دخولا أولا وقوله تعالى (هم الذين يقولون) أي الانتصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا) يعنون نفرا المهاجرين لشتاف جار مجرى التسليط لغيرهم أو لعدم منفرة تعالى لهم وقرى حتى ينفضوا من أنقض القوم اذا تمت أروادهم وحقيقتهم حان لهم أن ينفضوا مزادهم وقوله تعالى (ولم يخرائن السموات والأرض) رد وإبطال لما زعموا من أن عدم انقائهم يؤدي إلى انقضاء الفراق من حوله عليه الصلاة والسلام بيان أن خرائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء وينزع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى ويشعونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون (يقولون لنرجعنا إلى المدينة ليخرجننا الأعرسنا الأذل) روى أن جهله بن سعيد أجبر عمر رضي الله عنه نازع سائنا الجبي حليف ابن أبي قتالة فصرح جهلا بالمهاجرين وسألت باللائصار فاعان جهلا جمال من قرا المهاجرين ولعلم سائنا فاشتكى إلى ابن أبي قتالة الانتصار لا تنفقوا الخ والله لن يرجعنا إلى المدينة ليخرجننا الأعرسنا الأذل عني بالأعرسنا وبالأذل جانب المؤمنين واستناد القول المذكور إلى المنافقين لرحامهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (وقد العزة ورسوله والمؤمنين) أي وقد العزة والقوة ولما أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيبدون ما يبدون - روى أن عبد الله بن أبي مسعود أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان مخلصا وقال لن لم تفرقه ورسوله بالز لأخبرين عتقك فلما رأى من الجد قال أشهد أن العزة لله ورسوله والمؤمنين فقال النبي عليه الصلاة والسلام لا يه جراك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (يا أيها الذين آمنوا لا تليكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أي لا يشتغلكم الاهتمام بتدبير أمورهم والاعتناء بمصالحها والفتن بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للعبود والمراد بهم عن التلبي بها وتوجيه النبي إليها للباقة كما في قوله تعالى ولا يحرمكم شئ من أموالكم (ومن يفعل ذلك) أي التلبي بالدين (فأولئك هم الخاسرون) أي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالمحق الفاني (وأنفقوا أموالهم) أي بعض ما أعطيناكم تفصيلا من غير أن يكون حصوله من جهنم أذكارا للأخرة (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) بأن يشاهد دلالته ويدين أماراته وعما به وتقديم المفعول على الفاعل لما مر من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر (فيقول) عند تيقنه بخلوله (رب لولا أخرجني) أي أمهلني (إلى أجل قريب) أي أمد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التي وقرى فأصدق (وأكن من الصالحين) بالجرم عطفا على عمل فأصدق كأنه قيل ان أخرجني أصدق وأكن وقرى وأكون بالنصب عطفا على لفظه وقرى وأكون بالرفع أي وأنا أكون عدة من الإصلاح (ولم يؤخر الله نصيبا) أي ولن يهبها (إذا جاء أجلها) أي أخر عمرها أو انتهى أن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول العمر إلى آخره (وإنه لا يعلمون) فجاز لكم عليه أن خيرا غير وإن شرا فشر فسادوا في الفجرات ولستعدوا لما هو

أنت وقرى يعلمون بالآية التحانية. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برى من النار

## سورة التغابن

(يختلف فيها وآياتها ثمان عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي يزهه سبحانه جميع ما فيها من المخلوقات عما لا يليق بحجاب كبريائه تزيينا مستمرا (له الملك وله الحمد) لا لغيره اذ هو المبدى لكل شئ وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لأصول الزم وفروعها وأما ملك غيره فاستزاعه من جنابه وحده غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير) لأن نعمة ذاته تقتضي القدرة إلى الكل سواء (هو الذي خلقكم) خلقا بما ساء يا جميع ما بين الكالات العلية والمعلية ومع ذلك (فتكفروا) أي تمسكوا أو فوض منكم بخيار الكفر كسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته (ومنكم مؤمن) بخيار الإيمان كسب له حسبا تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا عتادين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والابحاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمسكنكم منه بل تشعبن شعبا وتفرتم فرقا وتقدم الكفر لأنه الأغلب في ألبهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى لكم كافر مقدر كفرة موجه إليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر إيمانه موقوف لما يدعوه إليه مما لا يلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فأخبروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وأما ما يريدكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدينية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث برأكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نط بها جميع الكالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وحصركم بخلاصة خصائص مبدعانه وجعلكم أعمد دمج جميع مخلوقاته في هذه النشأة (والله بصير) في النشأة الأخرى لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقه (يعلم باق السموات والأرض) من الأمور الكيفية الجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والصرح به مع الإدراج فيما قبله لأنه الذي يدور عليه الجراء فقيه تأكيد للوعود والتوعيد وتشديد لها وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض بتدليل مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلمهم أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تخافها أصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وأظهار الجلالة للأشعار بعملة الحكم وتأكيد استقلال الجهة قبل تقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص بعض الاعيان (ألم يأتكم) أي الكفرة (يا أيها الذين كفروا من قبل) كفروا من قبل ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والو بال التثنية والشددة المترتبة على أمر من الأمور وأمرهم كفروا غير عنه بذلك للإيدان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أي ألم يأتكم خبر الدين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفروا في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره (ذلك) أي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيدوقونه في الآخرة (بأنهم) بسبب أن الشأن (كانت تأنيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (أنشأ يهدونا) أي قال كل قوم من



لذا ذكرين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات متكررين ليكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشرا  
 يهدونا كما قالت تهود أبشرا منا واحدا يتبعه وقد أجل في الحكاية فاستد القول إلى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس  
 فوصف بالجمع كما أجل الخطاب والأمر في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (متكفروا) أي  
 بالرسول (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستحي الله) أي أظهر استغناء عن  
 إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكتهم وقطع دارهم ولولا غناء تعالى عنهما لمناقل ذلك (واقه غنى) عن العالمين  
 فضلا عن إيمانهم وطاعتهم (محمد) محمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذياته وإن لم يحمده جاعدا (وعم  
 الذين كفروا أن لن يعتوا) الزعم ادعاء العلم بتعدي إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن الخضة مع مافي حينها والمراد  
 بالموصول كفار مكة أي زعموا أن الشأن لن يعتوا بعد موتهم أبدا (قل) ردا عليهم وانظالا لرجمهم بآيات  
 ما نفوه (بل) أي يثبتون وقوله (وروي ليعتبرتم لتقون بما علمتم) أي لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة  
 مستقلة داخل تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة لي من آيات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه متوط به  
 فقيه تأكيدي لتحقيق البعث بوجوب (وذلك) أي ما ذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقيق القدرة  
 التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى (فأتوا) مصبحة مفصصة عن شرط قد حلف ثقة بتأنيده ظهوره أي إذا كان  
 الأمر كذلك فأتوا (يا الله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والود الذي أزلنا) وهو القرآن فإنه بإيجازه  
 بين نفسه وبين غيره كأن التوراة كذلك والاتصاف إلى بنو العظيمة لا يزال الغاية بأمر الازال (والله بما تعملون)  
 من الامتنال بالأمر وعدمه (خير) فجاء لكم عليه والجملة اعتراض بتدليل مقرر لما قبله من الأمر موجب  
 للامتنال بالوعد والوعيد والاتصاف إلى الاسم الجليل لثبوت المبدأ وتأكيده استقلال الجملة (يوم يجمعكم)  
 لتقون وقيل لخبر لما قبله من مسمى الوعيد كآية قبل والله عازيكم بجمعكم يوم يجمعكم أو مفعول لا ذكر وقرئ  
 بجمعكم بنون العظيمة (يوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرين أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء (ذلك  
 يوم التهان) أي يوم غيب بعض الناس بعضا بذيول السعداء متارل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفي الحديث  
 ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة  
 لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التهان بذلك اليوم للايدان بأن التهان في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع في  
 أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) أي عملا صالحا (تكفر) أي الله عز وجل وقرئ بنون العظيمة  
 (عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) وقرئ تدخله بالنون  
 (ذلك) أي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات (الفور العظيم) الذي لا فوز وراءه لا تقوته على  
 النجاة من أعظم المهلكات والظفر بأجل الطلقات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها  
 وبئس المصير) أي النار لأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التهان (ما أصاب من مصيبة) من المصائب  
 الدينية (الا ياذن الله) أي بقدرته وإرادته كما نها بآياتها مترجمة إلى الانسان مترجمة على آذنه تعالى (ومن يؤمن  
 بالله يهده الله) عند أصابها للثبات والاسترجاع وقيل يهدي قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن  
 ليصيبه وقيل يهدي قلبه أي يهتدي به وبشرحه لا زبداد الطاعة والخير وقرئ يهدي قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه  
 وقرئ ينصبه على نهج سببه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهدوء أي يسكن (والله بكل شيء) من الأشياء التي من جعلها  
 القلوب وأحوالها (عليم) فيعلم إيمان المؤمن ويهدي قلبه إلى ما ذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر

الأمر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله تعالى (فان توليتهم) أي عن  
 اطاعة الرسول وقوله تعالى (فأما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أي فلا بأس عليه اذا طاعه  
 الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا يزيد عليه وأظهر الرسول مضافا إلى نون العظيمة في مقام إظهاره لتشریفه عليه  
 الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذي هو كونه وطيفته عليه الصلاة والسلام بمحض البلاغ ولا زيادة تشريع التولي  
 عنه (الله لا اله الا هو) جملة من متدا وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غيره وفي اخباره خير لا مثل في الوجود  
 أو يصح أن يوجد خلاف للتعامة معروف (وعلى الله) أي عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلال ولا اشتراكا  
 (فليكن للمؤمنين) وأظهار الخلافة في موقع الامتياز للاشعار بعملة التوكل والأمر به فان الألوهية مقتضية للتبليغ إليه  
 تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرء (يا أيها الذين آمنوا أن من أروا حكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلونكم عن  
 طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا (فاحذروهم) الضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع بحرف قوله  
 تعالى فاتهم عدوى أو للازواج والأولاد جميعا فالأمر به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثاني لما الحذر عن  
 البعض لأن منهم من ليس بعدو وأما الحذر عن مجموع الترفيق لاشتغالهم على العدو (وان تعفوا) عن ذنوبهم  
 القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمر الدنيا أو بأمر الدين لكن مقاربة للثوبة (وتصفحوا) بترك التثريب  
 والتعير (وتقنوا) باخفاها وتعيد عذرهما (فان الله غفور رحيم) يعاملكم مثل ما علمتم ويفضل عليكم كقيل  
 ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فخطبهم أرواهم وأولادهم وقالوا تطلقون وتضربوننا فراقواهم ووقفوا  
 فلما هاجر وابتعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد قبوا في الدين أرادوا أن يبايعوا أرواهم وأولادهم فزين لهم  
 العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتذهبون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فنضربوا عليهم وقالوا لن جنتنا الله في دار الهجرة  
 لم نصبح بخير فلما هاجر وانضموا معهم الخير فخرأ على أن يعفوا عنهم ورددوا إليهم البر والصلة (انما أموالكم وأولادكم  
 فتنة) بلاعة وبوقوتكم في الآثم من حيث لا تحسبون (والله عنده أجر عظيم) لمن أترع الله تعالى وطاعته  
 على حجة الأمور الدنالية والوادي والسي في تدبير مصالحهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أي ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم  
 (واستمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وألقوا) بما رزقكم في الوجود إلى أمركم بالاتفاق فيها خالصا  
 لوجهه (خير الاقسكم) أي اتوا خيرا لا تفكروا وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيده للبحث على امتثال هذه  
 الاوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيرا لا تفكروا ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف أي اتوا خيرا أو خيرا  
 لكان مقدرا جوابا للاوامر أي يكن خيرا لا تفكروا (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل  
 برام (ان نفروا الله) يصرف أموالكم إلى المصارف التي عيبها (فرضا حسنا) مفرونا بالاخلاص وطيب  
 النفس (يضاعده لكم) بالواحد عشرة إلى سبعائة وأكثر وقرئ يضاعف لكم (ويبفر لكم) ببركة الاتفاق  
 ما قرط منكم من بعض الذنوب (واقه شكور) يعطي الجزيل بمقابلة النذر القليل (حليم) لا يعاجل بالعقوبة  
 مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه غافية (العزير الحكيم) المبالغ في القدرة والحكمة . عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التهان دفع عنه موت الفجأة



## سورة الطلاق

( مدنية وآياتها إحدى عشرة أو اثنا عشرة )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ) تخصيص النفاذ به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأنه أيضا شريعته عليه الصلاة والسلام وإظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودعوه في الخطاب بطريق استيفاء عليه الصلاة والسلام إياهم وتعليق عليهم لا لأن إندام كسبهم فإن ذلك الاستدراك كان في حيز الرعاية فكان الخطاب هو الآخر به لتسوية حكمه لكل قطعا والمعنى إذا أردتم تطليقهن وعزمتن عليه كما في قوله تعالى إذا فترت إلى الصلاة ( فطعنوهن لعدتهن ) أي مستحلات لها كقولك أنتبه لليلة خلت من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت في طهر بعقبه القم الأول من أقرائها فقد طلقت مستقيمة لعدتها والمراد أن يطلق في طهر لم يقع فيه جماع ثم يحلن حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة ( وأحصوا العدة ) واضطروها وأكملوها ثلاثة أشهر أو كوامل ( وانظروا الله ربكم ) في تطويل العدة عليهم والاضرابين وفي وصفه تعالى ربو يتعلم تأكيد للأمر وباللغة في إيجاب الإعتناء ( لا يخرجوهن من بيوتهن ) من مساكين عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن وإساقها إليهن وهي لأزواجهن لتأكيد النبي ببيان كمال استحقاقهن لسنكها كما أنها أملاكهن ( ولا يخرجن ) ولو ناذن منكم فإن الأولاد بالخروج في حكم الإخراج وقبل المعنى لا يخرجن باستبدادهن أما إذا اتفقا على الخروج جاز إذا لم يعلوها ( إلا أن يبين غاشحة مينة ) استثناء من الأول قبل هي الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يدلن على الإزواج فيحل حينئذ إخراجهن ويؤيده قراءة الأئمة فيحسب عليكم أو من الثاني البالغة في النبي عن الخروج ببيان أن خروجها فاشحة ( وتلك ) إشارة ما ذكر من الأحكام وما في اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إلى اللابان بطور درجتها وبعد منزلتها ( حدود الله ) التي عينها لعباده ( ومن بعد حدودها ) أي حدوده المذكورة بأن أحل شيء منها على أن الظاهر في حيز الاختيار لثبوت أمر التعدي والأشعار بطله الحكم في قوله تعالى ( فقد ظلم نفسه ) أي أضربها وتفسير الظلم ضربها بالخطأ بإياه قوله تعالى ( لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ) فإنه استئناف مسوق لتعليل مفسون الشرعية وقد قالوا إن الأمر الذي يحدثه الله تعالى أن قلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر ديني يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركها أو عن طلق الضرر الشامل للدين والآخرى ويخص التعليل بالدين ليكون احترازا للناس منه أشد وأهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للتعدي بطريق الالتفات لما ريد الإهتمام بالرجوع عن التعدي لا لئلا عليه الصلاة والسلام كما نوحى فالمعنى ومن بعد حدود الله فقد أضرب نفسه فأنك لا تدري أيها التعدي عاقبة الأمر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي ضلصت من التعدي أمرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل بعضها محبة وبالأعراض عنها أقالا إليها ونسى تلافيه رجعة أو استئناف تكليح ( فإذا بلغن أجلهن ) شارحن آخر عدتهن ( فاستكنوهن ) فراجعوهن ( بمعروف ) بحسن معاشرته واتفاق لائق ( أو فارقهن بمعروف ) بإيفاء الحق وإتقاء الضرر بأن راجعهن ثم يطلقها تطويلا للعدة ( وأشهدوا ذوي عدل منكم ) عند الرجعة والفرقة قطعا للتأرجع وهذا أمر تدب كما في قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم وروى عن الشافعي أنه الوجوب في الرجعة ( وأقيموا الشهادة لله ) أيها الشهود عند الحاجة غالضا لوجهه تعالى ( ذلكم ) إشارة إلى الحث على

الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في الآية ( يوعظ ) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ) اذ هو المستمع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ( ومن يتق الله ) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعيد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن بعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكدة له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فخلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاستدراك وغيره من الأمور ( يجعل له مخرجا ) بمعنى يقع في شأن الإزواج من العموم والوقوع في المضائق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ( ورويه من حيث لا يحتسب ) أي من وجه لا يحيط به ولا يحسبه ويجوز أن يكون كلاما محيى به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله إلى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يدرجه له مخرجاً ومخلصاً من عموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أوليا عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال خرجنا من شهرات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام لا أعلم آية لو أخذ الناس بها لكف عنهم ومن يتق الله فإلها يقرؤها ويعدوها وروى أن عرف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسراي وشكنا إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هم في بيته إذ فرغ ابنه الباب ومعه مائة من الأبل غفل عنها العدو فاستاقها ففترت ( ومن يشك على الله فهو حسبه ) أي كافيه في جميع أموره ( وإن الله بالغ أمره ) بالإضافة أي معطد أمره وقرى بتقوى بالغ ونسب أمره أي بالغ ما يريد لا يغوته مراد ولا يعجزه مطالب وقرى برفع أمره على أمته وأبالغ خبر مقدم وأخذه خبر ثان بالغ خبر ثان وأمره مرتفع به على الفاعلة أي تأخذ أمره وقرى بالغا أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى ( قد جعل الله لكل شيء قدرا ) أي تقديرا وتوقينا أو مقدرا وأمره وإن الوجوب التوكل عليه تعالى وتوكل بعض الأمر إليه لا بماذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لا يفتقر التسليم للقدرة والتوكل على الله تعالى ( واللافتش من المحض من لسانكم ) لكبره من وقدره ويستغنى بنفسه وخبرين ( أنا أنزله ) أي تنكروا وجهه كيف عدتهن ( وعدتهن ثلاثة أشهر واللافتش لم يحسن ) بعد نص من أي عدتهن أيضا كذلك لحذف قلة بلا مقابلة عليه ( وأولات الأحمال أحلهن ) أي متبني عدتهن ( أن يضمن حملهن ) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أو واهبن وقد نسخ بقوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجهن يتزفن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لثبوت أوله من ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء بأهلكه إن سورة النساء القصصى رُكعت بعد أن في سورة البقرة وقد صرح السبعة بنت الحارث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها ليال قد كرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها فقد حلت فزوجني ( ومن يتق الله ) في شأن أحكامه وإمراة مقبوحا ( يجعل له من أمره يسرا ) أي يسيرا عليه أمره ورويه قتل الخبير ( ذلك ) إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما في عين معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بعد موته في الفضل وإفراد الكافي مع أن الخطاب للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى ( أمر الله أنه اليكم ) لما انفرد الفرق بين المخاض والمقتضى لالتصين خصوصية المخاضين وقد مر في قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله من سورة البقرة ( ومن يتق الله ) بالمحافظة على أحكامه ( يكفر عنه سيئاته ) فإن الحسنات يذهبن السيئات ( ويعظم له أجرا ) بالمضاعفة وقوله تعالى ( استكنوهن من حيث سكنتم ) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبل من الحث على التقوى كما تعييل كيف تفعل بالتقوى في شأن اللذات فقبل استكنوهن مسكننا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكنكم وقوله تعالى ( من وجدكم ) أي من وجدكم أي ما تطيقونه تحلف ببيان لقوله من حيث سكنتم



وتفسيره (ولا تضاروهن) أي في السكنى (لتضيقوا عليهن) وتلجسوا من الحروج (وإن كن) أي المطلقات (أولات حمل فأنقوا عليهن حتى يضمن حملهن) فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فإن أرضعن لكم) بعد ذلك (فأرضعن أجورهن) على الأرضاع (وأتسروا بينكم بمعروف) أي تتساوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بحمل في الأرضاع والأجر ولا يكن من الأب مأكسة ولا من الأم معاصرة (وإن تعاسرتم) أي تضاعفتم (فسترضع له أخرى) أي فتزوجد ولا تموز من رضعة أخرى وفي معاملة اللأم على المعاصرة (لينفق ذو سعة من سم ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وإن قل أي لينفق كل واحد من المومر والمعسر ما يملكه وسعة (ولا يكاف الله غسا إلا ما آتاه) جل أو قل فإنه تعالى لا يكاف غسا إلا وسعيا وفيه تطيب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالبعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أي عاجلا أو آجلا (وكأى من قرية) أي كثير من أهل قرية (جنت) أي أعرضت (عن أمرها ورسولها) بالتعصو والتعدي والعتاد (فغاصها غصا شديدا) بالاستقصاء والتعدير والمناقة في كل قدر وقطير (وعذبناها عذابا نكرا) أي متكرا عظيما وقرى نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعدي عنها بلطف الماضي للدلالة على تخفيفها كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خيرا) هائلا لا أخسر ورأى (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرر للوعيد بيان لكونه معتقدا كما أنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب (فأتقوا الله يا أولي الألباب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واتباعها في صحاب الخفظة وبالغاب ما أصابهم عاجلا وقد جرد أن يكون عنت وما عطف عليه صفة للقرين أو أعدلهم جوابا لقوله تعالى كآى (الذين آمنوا) منصوب باختيار أى ياتى البنادى أو عطف بيان له أو نعت وفي الآية تمت تخفيف تعدد حلوله بعله (قد أنزل الله اليك ذكرا) هو جبريل عليه السلام يحى لكثرة ذكره أو لدوله بالذكر الذى هو القرآن كما يلى عن ياد القوله تعالى (رسولا) منه أو لانه مذكور في السموات وفي الأرض أو ليدل على الشرف كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقرينك كما أنه في نفسه شرف أمالانه شرف النزل عليه وأما لانه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو الذى عليه الصلاة والسلام وعليه الأكثر عبر عنه بالذكر لموافقته لثلاثة القرآن أو تليغه والتذكيره وعبر عن رساله بالانزال بطريق الترشيع أو لانه مسبب عن ازال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أو هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو يذكر على أعمال المصدر المأمون أو بدل منه على أنه معنى الرسالة قوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبینات) أمت لرسولا وآيات الله القرآن ومبینات حالها أى حال كونها مبینات لكم ما تحتاجون اليه من الأحكام وقرى مبینات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات والأمر في قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلقة بمتلو أو بأنزل وقابل يخرج على الأول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الخلافة وللوصول عبارة عن المؤمنين بعد ازاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وجل ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو يخرج من علم أو قدر أنؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) حسب ما بين في تضاعيف ما أنزل من الآيات المبینات (يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار) وقرى تدخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبدا) حال من مقول يدخله واجمع باعتبار معنى من كان الأفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار انقطاع وقوله تعالى (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه أو من الضمير في خالدين بطريق التداخل وإمراد ضمير له قد دمر وجهه وفيه معنى التصيب والنظم لما رفته الله المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدا وخبر (ومن الأرض مثلين) أى

خلق من الأرض مثلين في العدد وقرى ثمانين بالرفع على أنه مبتدا ومن الأرض خبره واختاف في كيفية طبقات الأرض قالوا الجهور على أنها سبع أرضين طبقات بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك طبقة بعضها فوق بعض من غير فوق بخلاف السموات قال القرطبي والأول أصح لأن الاختيار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كساحف بالذى فاق البحر لومى أن صيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرق قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أظللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الأذرى سأله هل تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال أمماتكم أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوى الاسلام بأهل الأرض الملبدون من عدام وإن كانت فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثاني أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن أنى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظلل الجميع السماء (ينزل الأمر بينهن) أى يجرى أمره وقضاه بينهن ويفض ملكة فيهن وعن قتادة في كل سما وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاه من قضاه وقيل هو ما يدبر فيهن من محابب تدبره وقرى ينزل الأمر (لتعلموا أن الله على كل شى عليم) متعلق بخلق أو ينزل أو يمحضر يسمي أى قبل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكره على كل شى (وأن الله قد أحاط بكل شى علما) لاستحالة صدور الآية عيل المذكورة من ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل في الكلام بيان ما ذكر من الخلق ونزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الأمور التى تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحى من محابب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعليه شى ما أصلا وقرى ليعلموا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

## سورة التحريم

(مدنية وآياتها عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبى عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلت بذلك حفصة فقال لها اكسى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبابكر وعمر يملكان بعدى أمر أبى فأخبرت به عائشة وقالتا متصادمتين وقيل خلاها في يوم حفصة فأرضها بذلك واستكتبها فلم تكتم طلاقها واعتزل نساء فزل جبريل عليه السلام فقال واجبها فأنها حواصة قوامه وأنها لمن نسألك في الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام تحرب عسلا في بيت زينة بنت جحش فوامطت عائشة وحفصة فقالا لشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة الثعل بخرم العسل فنزلت فنهى لم تحرم ما أحل الله لك من ملك العين أو من العسل (تنتهى مرضاة أزواجك) أما تفسير تحريم أو حال من فاعله أو استكلف بيان ما دعه اليه مؤذن بعدم صلاحه لذلك (والله غفور) مبالغ في القرآن قد تغفل لك هذه الزلة (رحيم) قد رحلك ولم يزاخلك به وأغسلتلك بمحامدة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم تحليلا وهو حل واعتقده بالكفارة أو بالاستئذان متصلا حتى لا تحت والأول هو



المراغبين (والله هو لاكم) سيذكر ومتولى أموركم (وهو العالم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المنص  
في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا بحسب مقتضى الحكمة (وإذا أمرتكم بأمر فأتوا به جميعا) وهي حصة  
(وإذا نهتكم عن شيء فاجتنبوا) أي حذروا (وإذا نهتكم عن شيء فاجتنبوا) أي حذروا (وإذا نهتكم عن شيء فاجتنبوا)  
وأفتمتكم بها وقرى آياتيه (وأظهره الله عليه) أي أطلع الله تعالى التي عليه الصلاة والسلام على إفشاء حصة  
(عزف) أي التي عليه الصلاة والسلام حصة (بعضه) بعض الحديث الذي أفتمت قبل هو حديث الإمامة  
روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لما أفل لك أكنى على قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي حيا بالكرامة  
التي خص الله تعالى بها أباها (وأعرض عن بعض) أي عن تعريف بعض تكريمات قبل هو حديث مارية (السا  
بأهلها) أي أخرج التي عليه الصلاة والسلام حصة بمساعفة من الحديث (قالت من أناك هذا) أي إمامها  
للحديث (قال نأى العليم الحسيب) الذي لا تخفى عليه غافية (أن توما إلى الله) خطاب لحصة وعائشة على  
الافتقار لليلة في العتب (فقد صحت فلو لم يكن) الفاء لتعمل كما في قولك أعذر بك فالعباد حتى أي قد وجد منك  
ما يوجب التوبة من ميل قلبك بما يجب عليك من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما حبه وكره ما كرهه  
وقرى "قد زاعت" (وإن تظاهروا عليه) بإسقاط إحدى التامين وقرى على الأصل وبشديد الظاهر وتظاهروا أي تعاونا  
عليه بما يسوقه من الألفاظ في التوبة وأضاهى (فإن الله هو مولاهم وحيد) أي من يهدم من  
يظاهرة فإن الله هو ناصرهم وحيد بين قريته ومن صلح من المؤمنين أسأله وأعزاه قال ابن عباس  
رضي الله تعالى عنهما أراد بإسقاط المؤمنين أي بكره ورضي الله عنهما وقدرى ذلك مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة  
والسلام به قال عكرمة ومقاتل وهو اللاتق توسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظاهر المعنوي  
والظاهر العنصري كيف لا وأن جبريل عليه السلام يؤيده بالآيات والآلهة وهما ورياء وطيراه في تدبير  
أمر الرسالة وحمية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيرا في قلوب منتهما  
وتوحيها لأمرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكرار  
عدمهم وأمثال السموات من جوعهم (بعد ذلك) قبل أي بعد نصرة الله عز وجل وبأنموذة الأصنام وصالح المؤمنين  
(ظهور) أي فوج مظهر له كأنهم يدو واحدة على من يعاديه فإذا عيّد تظاهروا أمين على من هؤلاء وظهوره وما يلي  
عنه قوله تعالى بعد ذلك من فصل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث أن نصرة الكل نصرة الله تعالى وأن نصرة تعالى  
بهم وبمظاهرهم أفضل من سائر وجوه نصرتهم هذا ما قالوه ولم ينسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهره صالح المؤمنين  
خاصة ويكون بيان بعدية مظاهره الملائكة تبارك الله عما يرمي من الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قبل بعد ذكر  
مظاهره صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهروا له عليه الصلاة والسلام أيدانا بغير رتبة مظاهرهم وبعد منزلها  
وجرا تفصلها عن مظاهره جبريل عليه السلام (عسى به أن يطلعكم أن يدل) أي يعطيه عليه السلام بذلك  
(أو أوجا غيرا متكررا) على التعليل أو تجميع الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حصة  
وأن في النساء غير أسن فان تعليق مطلق الكل لا ينافي إطلاق واحدة وما علق بسلام يقع لا يجب وقوعه وقرى أن يدل  
بالتشديد (مسلمات مؤمنات) مقررات مخلصات أو مفادات مصدقات (قائلات) مصليات أو مواعيد على الطاعة  
(ثائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متدلات لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام (ساجدات) ساجدات  
حيات من الصائمات لانه يسبح في النهار بآزاد أو ما جرات وقرى "سجعات" (ثيابت وأبكارا) وسعد بينهما

العاطفت لتأنيها (يا أيها الذين آمنوا قرأوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهل بيكم) بأن تأخذوهم بها  
تأخذون به أنفسكم وقرى أهلوك عطفًا على ما أوقوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أي  
توا أئمت وأهلوك أنفسكم (نارا ونورها الناس والحجارة) أي نارا تنفذ بهما افتقاد غيرها بالخطب وأمر المؤمنين باتقاء  
هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة لليلة في التحذير (عليها ملائكة) أي في أمرها وتعذيب  
أهلها وهم الزانية (غلاظ شداد) غلاظ الأهل شداد الاتصال أو غلاظ الحاق شداد الحاق أمرهم على الأفعال الشديدة  
(لا يصدون الله بأمرهم) أي أمره على أنه يدل اشتغال من الله أوقيا أمرهم بعدى زرع الخافض أي لا يمتنعون من  
قول الأمر ويلزمونه (ويعلمون ما يؤمرون) أي يؤمرون ما يؤمرون به من غير تأمل ولا توان وقوله تعالى  
(يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) مقول لقول قد حقت بقوله لاله الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند ادخال  
الملائكة أيام النار حسب أمر واية (أما تجرون ما كنتم تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما كنتم تعملونها  
أشهادي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا تعذر لكم قطعا (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي بالغة  
في النصوح وصفت التوبة بذلك على الاستناد الخاضع وهو وصف التائبين وهو أن يصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها  
على طريقها وذلك أن يتوبوا عن القبايح لقبحها بآدابها عليها معتمين أشد الاعتقاد لا يرتكبونها عازمين على أنهم لا يعودون  
في قبيح من القبايح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلزمهم عنه صارف أصلا عن على رضى الله عنه أن التوبة تجمعها  
سنة أشياء على المعاصي من الذنوب السداسة وللقرائن العودة ورد المظالم واستحلال المحصوم وأن تعزم  
على أن لا تعود وأن تدين نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذبها مرارة الطاعة كما أدقها  
حلالة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حزن بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب  
أي توبة زفر خروفتك في ذلك وتزم خذللك وقيل خالصة من قولهم غسل ناصح إذا خلص من الشبع ويجوز  
أن يراد توبة نصوحا أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجدة والعزم في العمل بمقتضاياتها  
وقرى توبوا نصوحا وقرى نصوحا وهو مصدر نصح فان النصوح كالشكر والشكور أي ذات تصور  
أو تصح نصوحا أو توبوا النصح أنفسكم على أن يعقوله (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من  
تحته الأنهار) وروضة الأطلع الجرى على من الكبرياء والاشمار بأنه فضل والتوبة غير موجبة له وأن  
العد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة عطايف العبادة (يوم لا يجزى الله التي) ظرف ليدخلكم  
(والذين آمنوا معه) عطف على التي وفيه ترميز من أخراهم الله تعالى من أهل الكفر والنفاق واستعداد إلى  
المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يمشي بين أيديهم وبأيمانهم) أي  
على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثاني خبر آخر للوصول  
أي يقولون إذا طمئنت نور المناققين (ربنا أنتم لنا نورنا وناعظم لنا على كل شيء قدير) وقيل يدعون تقربا إلى الله  
مع تمام نورهم وقيل تعاونا أو إراهم بحسب أعمالهم فيسألون أسماءه تفضلا وقيل السائقون إلى الجنة يمدون مثل  
البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم جوا ورحقا وأولئك الذين يقولون ربنا أنتم لنا نورنا (يا أيها النبي  
جاهد الكفار) بالسيف (والمناققين) بالحمية (واغلظ عليهم) واستعمل الحشونة على الفرق بين قبايحهم وبين  
من القتال والحاجة (وما أروهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا (وبئس المصير) أي جهنم أو مصيرهم (عزب  
الله مثلا للذين كفروا) عزب المثل في أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة يعرف بها حالة أخرى مشاكلة



نفا في الغربة أي جعل الله مثلاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً على أن مثلاً مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) أي حالهما مفعوله الأول آخر عنه ليصل به ما هو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا نوح عديدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل حيرى الدنيا والآخرة وحيارة سعادتهما وقوله تعالى (لجنتهما) بيان لما صدر عنهما من الجنة العظيمة مع تحقق ما يقعها من محبة النبي أي خاتمتها بالكفر والنفاق وهذا تصور لحالهما المحزنة حال هؤلاء الكفرة في حياتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكّنهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى (ظلم يفتيا) أي بيان لما أئني إليهما أي فلم يكن النجى (عنهما) بحق الزواج (من الله) أي من عذابه تعالى (شيئاً) أي شيئاً من الاعتناء (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلنا النار مع الداخلين) أي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام (و ضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) أي جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تنفهم حيث كانت في الدنيا تحت أذى أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (اذ قالت) ظرف لمحدثين أشير إليه أي ضرب الله مثلاً للمؤمنين حالها اذ قالت (رب انى لي عندك بيتا في الجنة) قريباً من رحمتك أو في أعلى درجات المقربين. روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها في الجنة ديرة وانزع روحها (وبحسب من فرعون وحمله) أي من نفسه الحية وحمله السي (وبحسب من القوم الظالمين) من القبط التابعين له في الظلم (ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أي وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً (التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه) وقرئ فيها أي مريم (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصلاً (و صدقت بكلمات ربها) بصحة الميزة أو بما أوحى إلى أنبيائه (وكنتم) يصحح كنه الميزة وقرئ بكلمة الله وكنتم أي يميني وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (وكانت من القانتين) أي من عباد المؤمنين على الطاعة والتذكير للفتيق والاشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جنسهم أو من أسلمهم لأنها من أعظم عارون أخى موسى عليهما السلام. وعن النبي عليه الصلاة والسلام كل من الرجال كثير ولم يكن من النساء إلا أربع أسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وقاملة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التصرع آتاه الله أوبة فصوحا

### سورة الملك

(مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر وآياتها ثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى بيده الملك) البركة واتساعاً والإزادة حصة كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للبالغة في ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه تعالى من الصغ كالكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصبغة حينئذ يجوز أن تكون لأفاده تسمية تلك الخيرات

وارادها شيئاً فشيئاً وآياتاً فآياتاً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالله لالة على غاية الكمال وإتقانها عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصغ في حقه تبارك وتعالى واستادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها والبدحاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أي تعالى وتعالى بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعل الذي يقصده قدرته التصرف الكلى في كل الأمور (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) صانع في القدرة عليه يتصرف فيه حسب مقتضيه مشيئته المبذرة على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لبيان أحكام الملك تعالى في جلال الأمور ودقاتتها وقوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) شرع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان امتيازها على قرابين الحكم والمصالح واستباقهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند أحكامها صفة وجوبية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت في صورة كشم أملح لا يمر بشئ ولا يجد راحته شئ إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس يلقا لا يمر بشئ ولا يجد راحته شئ إلا حي فكلام وارد على مناهج التمثيل والتصور وقيل هو عدم الحياة فمضى خلقه حينئذ تقدره أو إزالة الحياة وأياً ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الظاهري وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مدار بينهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) فإن استدعاء ملاحظتهما لإحسان العمل بما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه أدعى إلى إحسان العمل واللام متعلقة بخلق أي خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عرض عن المضاف إليه ليعلمكم معاملة من يعتبركم أيكم أحسن عملاً فيجاز بكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طيفت عنكم وأعمالكم فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسر عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عملاً أو روح عن عباد الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقلب عملاً خاصاً به فكأن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد أثر ذى أمير وأما عزها نظري التفكير في بدائع صنع الله تعالى واشتد في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تغفلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذي هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعلق فعل البلوى أي تعضيه بحرف الاستفهام لا التعليل المشهور الذي يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى عزاء بطريق التثليل وقبل بطريق الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الأبتلاء شامل لم باعتبار أعمالهم المقتضية إلى الحسن والصلح أيضاً لا إلى الحسن والأحسن فقط للائذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الأبتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقيق أصل الإيمان والطاعة في السابقين أيضاً لكمال تعاقد المراجبات له وأما الأعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الموضع فضلاً عن الانضمام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وأما هو عمل يصدر عن طاعته بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقرب وفيه من الترفع في الترفي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والرجوع مباشرة نقاضها ما لا يخفى (وهو العزيز) الغالب الذي لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى خلق سبع سموات) قيل هو لغت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وإن كان مقتضاهما اعتراضاً كما مر تفصيله في قوله تعالى



الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة متظلم معها في تلك الشهادة تعالى سبحانه ومع الموصول الثاني في حكمه  
مدارا لليلوي كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلاكم  
أيكم أحسن عملا وقوله تعالى (طابقا) صفة لسبع سموات أي مطابقة على أن مصدر طابقت العمل إذا خضعها وصف  
به المفعول أو مصدر مؤكد لمحدوف هو صفتها أي طوبقت طابقا وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)  
صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن هو وضع الضمير للتعظيم والانتظام بملة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته  
القاهرة رحمة وتفضلا وبأنه أبدأها بها جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد من  
يصلح للخطاب ومن تأكيد النبي أي ما ترى فيه شيئا من تفاوت أي اختلاف وعدم تناسب من القوت فإن كلا من  
التفاوتين بقوت منه بعض ما في الآخر وقرئ: من تفاوت ومعناها واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من  
فطور) متعلق به على معنى التسبب حيث أخبر أو لا بأنه لا تفاوت في خلقه ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك  
ذلك بالمعاني ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانظر (ثم ارجع  
البصر كرتين) أي رجعتين أخريين في ارتداد الخلال والمراد بالثنية التكرير والتكرير كما في لبك وسعدك أي رجعة  
بعد رجعة وإن كثرت (ينقلب إليك البصر خاسئا) أي بعيدا عرجوا من إصابة ما اتفه من العيب والحلل كأنه  
يعتد عن ذلك طردا بالصغار والقائمة (وهو حسير) أي قليل الطول المعذرة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (وتعد  
زيننا للناس الدنيا) بيان لتكون خلق السموات في غاية الحسن والبرهان علوها عن شألة القصور وتصدير الجملة  
بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبقائه لقد زينا أقرب السموات إلى الأرض (بمصالح) أي بكواكب  
مضنية بالليل إضافة السرج من السيارات والترات تتراعى كأن كلها مركورة فيها مع أن بعضها في سائر السموات وما  
ذاك إلا لأن كل واحدة منها مخلوقة على عطر رائحة غار في فيه الأفكار وطرائق تهم في دركه الأنظار (وجعلناها  
رجوما للشياطين) وجعلناها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض التسبب لنفسه من نار الكواكب وقيل معناه  
وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب للشياطين الذين وهم المنجمون ولا يسلطه المقام والجزم جمع رجم بالفتح وهو ما  
يرجم به (وأعدنا لهم) في الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحتراق في الدنيا بالنسب (وللذين كفروا رجم) من  
الشياطين وفروهم (عذاب جهنم) وقرئ: بالنسب على أنه عذاب على عذاب السعير ولقد نزل على علم (ويؤنس  
المصير) أي جهنم (إذا ألغوا فيها سمعوا لها) أي لجهنم وهو متعلق بمحدوف وقع حالا من قوله تعالى (شبهها)  
لأنه في الأصل صفة فذا قدمت صارت حالا أي سمعوا كأنها شقيقة أي صوتها كصوت الجير وهو حبسها المنكر  
القطيع قالوا الشوق في الصدر والرفير في الخلق (وهي تقور) أي والحال أنها تقلى بهم غلبان المرجل بما فيه وجعل  
الشوق لأهلها بهم ومن طرح عليها قليم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشيق يده قوله تعالى (تكاد تجر) أي تسير  
وتتفرق (من القيط) أي من شدة الغضب عليهم فإنه صرخ في أنه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا  
لها أنيظا وزفرا فأين هو من شيقهم الثاني من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة أما حال من فاعل تقورا أو  
غير آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها زفير) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من  
ضربها أي كلما ألقى فيها جراحة من الكفرة (سألم خزنتها) بطريق التوبيخ والتفريع لإزدادوا عذابا فوق عذاب  
وحسرة على حسرة (ألم تأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ويحكم لقاؤكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب  
عنه جوابهم أيضا (قالوا) اعترافا بأنه تعالى قد أراح عذابهم بالكعبة (بل قد جانا نذير) جامع بين حرف

الجواب ونفس الجملة الخطاب بما سألته في الاعتراف بجي النذير ونحوه راعى مخاطبتهم من السعادة في تصديقهم وتوبيخا  
ليان ما وقع منهم من التعريط تديما وانغماسا على ذلك أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جانا نذير أي واحد حقيقة  
أو حكما كأنبياء بني إسرائيل فانهم في حكم نذير واحد فأنذروا وتلا عليها ما نزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا)  
ذلك النذير في كونه نذيرا من جهة تعالى (وقلنا) في حق ما نزلنا من الآيات أو أخطأ في التكذيب ونماديا في التكبير  
(مازلنا الله) على أحد (من شيء) من الأشياء فضلا عن خيالات الآيات عليكم (إن أنتم) أي ما أنتم في ادعاء أنه  
تعالى دل عليكم آيات تندرون بما فيها (إلا في ضلال كبير) بعيد عن الحق والنصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن  
خطاب كل فوج نذير تنبيه على أمثاله في التكذيب ونماديا في التفضيل كما يلي عنه تعميم المذول مع ترك ذكر المذول  
عليه فإنه ملوح بعمومه حثا وأما إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فمرحضي بصار إليه لثوبيل ما تركوه  
من الجنائيات لاسيما لاعتباره من جهنم ولا لاندراجته تحت عبارتهم كقبلا وهو منوط بملاحظة إجماع الذر على مالا  
يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين من ذلك وقد حال الخربص دون القرص هذا إذا  
جعل ما ذكره حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما إذا جعل حكاية عن الكل فالنذر اما بمعنى الجمع لأنه فصيل أو  
مصدر مفرد متضاف عام أي أهل نذير أو منحوت به فينفق كلا طرق الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه  
الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد أشبه عليه الشئون واختلط به الفنون وقد جوز أن  
يكون الخطاب من كلام الجنة للكفار على إرادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو هلاكهم أو  
عقاب ضلالهم نسبة له باسم سيئه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للفرقة قائل وكن على الحق المبين  
(وقالوا) أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يفعل (لو كنا نسمع) كلاما (أو نفعل) شيئا (ما  
كنا في أصحاب السعير) أي في عدادهم ومن أنبأهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعدنا لهم عذاب السعير كأن الجنة  
قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعون آيات ربكم ولم تغفلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فأعزقوا  
بنعيم) الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسوله (فسحقا) يسكون الحاء وقرئ: بضمها مصدر مؤكدا  
لفعل متعدد من المزيد مدحف الزوائد كما في قدك الله أي فأسحقهم الله أي أبدهم من رحمة سحقا أي سحقا أو لقل  
مترتب على ذلك الفعل أو فأسحقهم الله فسحقوا أي بدوا سحقا أي بعدا كما في قول من قال

وحشة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال إلا مسحت أو محطت

أي لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنتها يانا حسنا واللام في قوله تعالى (لأصحاب  
السعير) لبيان كما في حيث لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداحلون في عدادهم بطريق التغليب (إن الذين  
بخشون ربحهم بالغيب) أي يخافون عذابه غالبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما غنى عنهم وهو قلوبهم  
(لهم مغفرة) عظيمة لغفوتهم (وأجر كبير) لا يقدر قدره (وأسرأ قولكم أو أجهروا به) بيان لتساوي السر  
والجهر بالنسبة إلى الله تعالى كما في قوله سوا منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في  
المشركين كانوا يتلون من النبي عليه الصلاة والسلام فيحسبوا إليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسرأ  
قولكم كيلا يسمع رب محمد فتبيل لهم أسرأ وذلك أو أجهروا به فإن الله يعلمه وتقدير السر على الجهر للإبدان باقتضائهم  
ووقع ما يصدرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول عله المحيط لجميع المعلومات كان عليه تعالى بما يصره أقدرة  
بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن عله تعالى معلوماه ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء



في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجبر إذ ما من شيء يجبره إلا هو أو مباديه مضمر في القلب يتعلق به الأسرار غالباً فتعلق عليه تعالى بجوهره الأولي متقدم على تعلقه بجوهره الثانية وقوله تعالى (أنه علم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعل وتحلية الصدور بالاستمرار وصف الصبائر بوضاحتها من الجزالة ما لا غاية ورامها كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الحفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تمكده تقارفاً أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتخبرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور والقلوب التي في الصدور والمعنى أن علم القلوب وأحوالها فلا يخفى عليه من أسرارها وقوله تعالى (الأن يعلم من خلق) انكار وتوبيخ لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمفطر أي لا يعلم السر والجهر من وجد بموجب حكمته جميع الأشياء التي هي من جملة ما خلقه وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكداً للانكار والتي أي ألا يعلم ذلك الحال أنه المتوصل عنه إلى ما ظهر من خلقه وما باطن ويجوز أن يكون من خلقه متصوفاً والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا ماساغ لاختلاف العلم بالمفعول بغيره بغيره يعطى ويجمع على معنى ألا يكون عالماً من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم خلق الخلق حيث من الافة لأن نظم السلام حيث لا يكون عالماً وهو مبالغ في العلم (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً) لئلا يسيل عليكم السواك فيها وتقديم لكم على مفعول الجعل مع أن حقه التأخر عنها للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن ما حقه التقديم إذا أخر لاسيما عند كون المتقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخلوقين نبي النفس مترتبة لوروده فيمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) لترتيب الأمر على الجعل المذكور أي فامشوا في حوائطها أو حياضها وهو مثل لقوله التثنية فإن منكب البعير أرق أعضائه وأبوابها عن أن يطأه الركاب بقدمه فإذا جعل الأرض في الدل بحيث يتألف المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتبدل (وكلوا من رزقه) والتسوا من نعم الله تعالى (واله الشكور) أي المرجع بعد البحث لآل غيره فبالأمر في شكر نعمه وآلته (أأستمر من في السبأ) أي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم وأفعاله سبحانه على تأويل من في السبأ أمره وقضاؤه أو على وجه العرب حيث كانوا يسمون الله تعالى في السبأ أي أأستمر من يسمون الله في السبأ وهو متعال عن المسكان (أن يحسف بكم الأرض) بعد ما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أي يقلبها ملتبية بكم فيسلك فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتغال من من وقيل هو على حذف الجار أي من أن يحسف (فإذا هي ثمر) أي تضطرب ذهاباً وبخبات على خلاف ما كانت عليه من الدل والأطمئنان (أأستمر من في السبأ) اضطراب من التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أي بل أأستمر من في السبأ (أن يرسل عليكم جناباً) أي حجارة من السبأ كأرسلها على قوم لوط وأصحاب القبل وقيل ربما فيها حجارة وحصى كأنها تقطع الحصى لشدها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة (فستملكون) عن قريب البتة (كيف ينذركم) أي إذا رأى عند مشاهدتهم للمندبره ولكن لا ينفعكم العلم حيثه وقرئ فستملكون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أي من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كفوم توح وعاد وأضرابهم والانتفاضة إلى الغيبة لا براز الاعراض عنهم (فكيف كان تكذيبكم) أي النكاري عليهم بازال العذاب أي كان على غلبة الهول والعطاسة وهذا هو مورد التأكيد النفسي لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في نسبية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد أقومها لا يخفى (وأولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا (إلى الطير فوفهم صافات) باستطاعت اجتهاد في الجهر عند طيرانها فأنهم إذا بسطها صفتين فوجدوها صفاً (ويقتضون) ويستمعونها إذا ضرب من ما حنجرين حيناً غنياً للاستظهار على التعرّك

وهو السر في إظهار يقتضون الدال على تحدد القبض ثارة بعد ثارة على قاضات (ما يسكنون) في الجهر عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع (الأن الرحمن) الواسع رحمة كل شيء بأن برأهم على أشكال وخصائص وهما من للجري في الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير في يقتضون (أنه بكل شيء بصير) يعلم كيفية أبداع المبدعات وتدير المصنوعات وقوله تعالى (أأمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تكتملهم بغنى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يسكنون إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما ساقى من قوله تعالى أن أسألك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة يتبعهم من دوننا في المعنيين معاً خلا أن الاستغناء هناك متوجه إلى نفس المسألع وتحققه وهنا إلى تعيين الناصر لتكثيرهم بإظهار عجزهم عن تبعيته وأم منقطعة مقدرة بل المفيدة للانتقال من توخيهم على ترك التأمل فيها يشاهدونه من أحوال الطير المشتتة عن تعاجيب آثار قدرته عز وجل إلى التذكير بما ذكر والانتفاضة للتدبير في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الميزة معها لأن ما بعدها من الاستغناء وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلة صفة كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وإظهار هذا لتخفيف المشار إليه وينصركم صفة جند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول أما حال من فاعل ينصركم أو نعمت لمصدره وعلى الثاني متعلق ينصركم كما في قوله تعالى من ينصركم من الله فالعقل بل من هذا الخبر الذي هو في وعزم جند لكم ينصركم متجاوزاً فنصر الرحمن أو ينصركم نصراً كأنما من دون نصرة تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عذابه عز وجل وتوهم أن أم معاذلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استغناء عما لا يقرب له أصلاً وقوله تعالى (أن السكاكرون لا يفقهون) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غيبة الضلال أي ما هم في وعزم أنهم يحقون من الثواب يحفظ ألتهم لا يحفظه تعالى قطعاً أو أن ألتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجنة والانتفاضة إلى الغيبة للابتداء بقصته عالم للاعراض عنهم وبيان قاتعهم لغيرهم والأظهار في موقع الاختيار لهمم بالكفر وتعليل غرورهم به والسكلام في قوله تعالى (أم من هذا الذي يريكم أن أسألك) أي الله عز وجل (رزقه) بامساك المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا في غنوا وغرور) مني عن مقتدر يستدعيه المقام كأنه قيل الزحام التكبوت والتجني لم يتأروا بذلك ولم يدعوا للحق بل لجوا وغادوا في غنوا واستكبار وطغيان ونصر رأى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفمن ينشئ مكاباً على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب للمشارك والموجد توضيحاً لخالها وتعبيراً لشأن مذهبيها والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وغرورهم في مبادي الغرور وروكوبهم من عشوائ الغرور وعدم اعتدائهم في مسالك الحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجدة فإن تقدم الميزة عليها صورة أعماها ولاختصاصها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الميزة على ليل قبل من ينشئ مكاباً الخ والمكب الساطع على وجهه يقال أكب خرع على وجهه وحقيقته صارداً كب ودخل في الكسب كما قطع القيام أي خاد ذاتع والمعنى أفمن ينشئ وهو يمتد في كل ساعة ويخرج على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذي يتوهم (أم من ينشئ سوياء) أي قائماً سائماً من الخطط والشار (على صراط مستقيم) مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قبل خبر من الثانية معدود دلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية مقطوعة على الأولى غلط المفرد على المفرد كقولك أريد أصل أم عمرو وقيل أريد بالملك الاعلى والسوى البصير وقيل من ينشئ مكاباً هو الذي يجترأ على وجهه إلى النار ومن ينشئ سوياء الذي يجترأ على قدمه إلى الجنة (فقل



هو الذي أنشأكم) إنشاءً بديعاً (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي  
وتعقلوا بما اعطاكم (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشئ الله عز وجل (والأفئدة)  
لتفكروا بها فيها تسمونه وتشاهدونه من الآيات التبرلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة (قليلًا  
ما تشكرون) أي باستمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقيل لا تعد لحذوق وما يزيد لتلك القلة أي  
شكوا قليلًا أو زمانًا قليلًا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذي ذرأكم في الارض) أي خلقكم وكثركم  
فيها لا غير (واله محشرون) للجزاء لا الى غيره اشتراكاً أو استقلالاً فاذنوا أموركم على ذلك (ويقولون)  
من فرط غنم وعنادهم (معنى هذا الوعد) أي الحشر الموعود كما بقي عنه قوله تعالى واليه تعجلون (ان كنتم  
صادقين) يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام في الوعد وتلاوه  
الآيات المضمنة له وجواب الشرح بعد وفاء ان كنتم صادقين فيما تحفرونه من معنى الساعة والحشر فيدبروا وقت  
انما العلم) أي العلم بوقته (عند الله) عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمنا عند ربنا  
مبين) أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقته فمرعه فليس من وظائف الانذار والفاق قوله تعالى قلنا  
راؤهم) نصيحة مبررة عن تقدير جزائهم وترتيب الشريعة عليهم كما أنه قيل وقد انهم الموعود في قوله فلما راؤهم الى آخره  
كأنه تحقيره وقوله تعالى فلما راؤهم استغفروا عند الله الآن المقدس هناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالفاء هو بها أمر منزل من ذلك الواقع  
وأورد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (والله) حاله من مقبول راؤا أما بتقدير المضاف الى ذريعة وقرب أو على أنه  
مصدر بمعنى الفاعل أي من ذلك أو على أنه مصدر لخصه بمبالغة أو ظرف أي راؤهم في مكان ذي دلالة (يستخرجوه الذين  
كفروا) بأن غشيتهم الكآبة ودهقا القدر والذلة ووضع الوصول موضع ضميرهم لخصهم بالكفر وتقليل المساحة به  
(وقيل) تويح لهم وتشديد المناسخ (هذا الذي كنتم تعدون) أي اطلبوا في الدنيا وتسمعوا ما كانوا واستهزأوا على  
أنه فتنة من الدنيا وقيل هو من الدعوى أي تدعون أن لا تمت ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد  
أن الموعود عذاب يوم يدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أي أخبروني (ان اهلكني الله) أي امانتي والتعبير عنه بالهلاك  
لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك (ومن معي) من المؤمنين (أو رجائنا) بتأخير  
أجلنا فمن في جوار رحمة من يصدق لاحدى الحسين (من يجر الكافرين من عذاب اليم) أي لا ينجيكم منه  
أحد منا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم لتسجيل عليهم بالكفر وتقليل نفي الايمان (قل هو الرحمن)  
أي الذي أدعوك الى عبادته حولي التمس كلها (أما به) وحده لما علمنا أن كل ما سواه اما نعمة أو منعم عليه  
(وعليه توكلنا) لاعتل غير أصلنا بأن ما عداه كانتا ما كان يجر من النفع والضر (فستعلمون) عن قريب  
التي (من هو في ضلال مبين) وتاوتمكم وقرئ فسيعلمون بالالتحانية (قل أرأيتم) أي أخبروني (ان أصبح  
ماؤكم غوراً) أي غائراً في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به (من يأتيكم منه معين)  
جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكان له أجابة القدر

## سورة ن

(مكية وآياتها ثمان وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لانفاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باظهار حرف القسم  
في موضع الجر كقولهم الله لأضللن الجر وأن يكون ذلك نصاً باظهار الألف لا فتحاً كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع  
الضرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم ان جعل اسماً للحرف مسروداً على تحط التعديد للتحدي بأحد الطرفين  
المذكورين في موقعه أو اسماً للسورة منصوباً على الوجه المذكور أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف قالوا في قوله  
تعالى (والقلوب) للقسم وان جعل مقصداً به في المعطف عليه وأياً ما كان فإن أريد به قلب اللوح والكرام الكائين  
فاستحقاقه للاعظام بالانقسام به ظاهر وان أريد به الجنس فاستحقاقه على أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولولم يكن  
لمعنى سوى كونه آلة لتعريف كرسى الله عز وجل لا لشيء به فضلاً من جلال تعظيمه وقرئ (بأدغام النون في الواو) (وما يسطرون)  
الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلوب على أن المراد به أصحابه كما قيل وأصحاب القلم ومسطرواتهم على  
أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلوب نفسه باستناد الفعل الى الآلة وأجرائه بحرى الغفلة لاقامته  
مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط الروح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب  
القسم والباء متعلقة بضمير هو حال من الضمير في خبرها والمعامل فيها معنى التي كأنه قيل أنت ترى من الجنون مثلباً  
بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المثبتة عن التسليم الى معارج الكمال مع الاضافة الى  
ضميره عليه الصلاة والسلام لتشير به عليه الصلاة والسلام والايدان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويلعب من العلو الى غاية  
لا غاية ورامها والمراد بترجييه عليه الصلاة والسلام عما كانوا يسيرونه عليه الصلاة والسلام اليه من الجنون حسداً وعداوة  
ومكره مع جزيهم بأنه عليه الصلاة والسلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات الثانية من حصانة العقل ورزاقه  
الرأى (وان لك) بمقابلة مفاسدك ألوان الشدائد من جهنم وتعملك لأجاء الرسالة (لأجرنا) لتواها عظميا  
لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عظم غير محدود أو غير ممنون عليك من حبة الناس قاته عظماء  
تعالى بلا توسط (وانك لعل علق عظيم) لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحمل من جهنم ما لا يكاد يحتمله  
البشر وشئت فاقسه ومنى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن أسست تقرأ القرآن قد  
أفصح المؤمنون والمؤمنات بمطوفات على جواب القسم (فستبصرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما فتعلم  
ويصلون يوم القيامة حين يبين الحق من الباطل وقبل فتبصرون في الدنيا بظهور رعاية أمركم بعبادة الاسلام  
واستقلالكم عليهم بالقتل والحب وصبر وركب فيها معطفاً في قلوب العالمين وكوهم أذلة صانعين قالمقاتل هذا وعيد  
بعذاب يوم بدر (يا أيكم المقتولون) أي أيكم الذي قتل بالجنون والباء مبردة أو بأيكم الجنون على أن المقتولون مصدر  
كالمقتول والمجتلود أو بأي الفريقين متك الجنون أي فريق المؤمنين أم فريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق  
هذا الاسم وهو تعرض بأي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأخيراً ما كقولهم تعالى سيدعون غداً من الكتاب الأشهر  
وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل لما بيني عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على  
أحد وتأكيده لمناقبه من الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه



الضلال متوجها الى ما غلبه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المحزون الذي لا يفرق بين التمتع والضرر بل يحسب الضرر  
 نعماءه ونعمه والنفق ضررا فيجرى **﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾** الى سبيل الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل عذر وروم  
 العقلاء المرجح فيجوز كلام من الفريسين حسبا يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم بزيادة التقرير والصحة  
 في قوله تعالى **﴿فلا تطع المكذبين﴾** لترتيب النبي على ما ينبغي عنه ما قبله من اعتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم  
 أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تبيين والهاب لتخصيص على معاصيتهم أي دم على ما أنت عليهم من عدم طاعتهم  
 وتصلب في ذلك أو هي عن مداعتهم ومداريتهم بأخبار خلاف ما في ضميره عليه الصلاة والسلام استجلانا لقلوبهم  
 لأن طاعتهم حقيقة كما ينبغي عنه قوله تعالى **﴿ودوا لو تدعوا﴾** فانه تميل للنبي أو للاتباع وانما غير عنها بالطاعة  
 للساعة في الزجر والتفريق أي أحبوا لو تلابسهم ولما حجبهم في بعض الأمور **﴿فقد دعوا﴾** أي فهم يدهون حيث  
 أو فهم الآن يدهون على ما ادعاهم وقيل هو سطوف على تدعى داخل في حيز ولو المعنى ودوا لو يدعون عقيب  
 ادعائك و يأثم ما سيقا من بدعتهم بالادعاء على أن ادعائهم أمر محقق لا يتسلسل ادعائه تحت الفتي وأيا ما كان  
 فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادعاء الذي هو اظهار الملاينة وانضيار خلافتها وأما في جانب عليه الصلاة والسلام  
 فالمعتبر بالنسبة الى ودادهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اخبار خلافتها فليس في حيز الاعتبار بل في غاية الكرامة  
 له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفي بعض المصاحف فيدعون على أنه جواب التي المفهوم من  
 ودوا أو أن ما بعده حكاية لودائهم وقيل على أنه عطف على تدعى بناء على أن لو تدعى أن السابعة فلا يكون  
 لها جواب وينسلك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ودوا كأنه قيل ودوا أن تدعى فيدهوا وقيل لو على حقيقتها  
 وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا ادعائك لو تدعون فيدهون لسروا بذلك **﴿ولا تطع كل حلاف﴾**  
 كثير الحلف في الحق والباطل تقدم هذا الوصف على سائر الاوصاف الراجحة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر  
**﴿مبين﴾** حيز الرأي والتدبير **﴿همار﴾** غاب طعان **﴿مشاء تميم﴾** مضرب تعال للحدث من قوم لا قوم  
 على وجه السعاية والاحسان بهم فان القيم والجمعة السعاية **﴿مناع للخير﴾** أي يعجل أو مناع للناس من الخير الذي  
 هو الايمان والطاعة والافتقار **﴿معدن﴾** متجاوز في الظلم **﴿أبهر﴾** كثير الآثام **﴿عقل﴾** جاف غليظ من غلته  
 اذا قاده بعنف وغلفته **﴿بعد ذلك﴾** بعد ما عطف مثاليه **﴿نسيم﴾** دعي مأخوذة من الزعة وهي الحزن جلد المساعرة  
 تقطع فتخل متدلية في حلقها وفي قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معاربه وأقبح قباحه قيل هو الوليد بن  
 المغيرة فانه كان دعيا فكريش وليس من منحهم ادعاء المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده وقيل هو الاخضر بن شريق  
 أصله من حيف وعداه في زهرة **﴿أن كان ذا مال وبنين﴾** متعلق بقوله تعالى لا تطع أي لا تطع من هذه مثاليه  
 لأن كان متصولا مستغفرا بالنسبة وقوله تعالى **﴿اذا نزل عليه آياتنا قال أساطير الاولين﴾** استئناف جار مجرى  
 التعليل لقبي وقيل متعلق بما ساد عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن  
 ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظفرا بالمعاد والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على  
 أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قباحه دخل في ذلك وقرئ: **﴿أن كان على معنى﴾**  
**﴿الآن كان﴾** ذا مال كذب بها أو أنطبعه لأن كان ذا مال وقرئ: **﴿ان كان بالكسر﴾** والشرط للخطاب أي  
 لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأن اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط عداه بالطاعة **﴿فسمه على الخطوم﴾**  
 بالسكى على أكرم مواضعه لغاية اعتدائه واذ لا تقبل أصاب أعب الوليد جراحة يوم بدوقبيت علامتها وقيل معاصمته

يوم القيمة علامة مشهورة يعلم بها عن سائر الكفرة **﴿انا بلوناهم﴾** أي أهل مكة بالفحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
**﴿كابلونا أصحاب الجنة﴾** وهم قوم من أهل الصلاة كانت لايتهم هذه الجنة دون صناعهم فبرسخين فكان يأخذ منها  
 قوت سنة وينصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المتجول وما في أسفل الاكداش  
 وما أخطأه القطاف من الغنم وما بقي على اليساط الذي يسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما  
 مات أبوهم قال بنوه ان فطنا ما كان يفعل أبونا عنا في الامر لحلقوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى **﴿اذا قسموا﴾**  
**﴿ليصيرنا مصيحين﴾** ليقتلنا داخلين في الصلح **﴿ولا يستنون﴾** أي لا يقولون ان شاء الله وتسميت استثناء مع أنه  
 ليرد من حيث كان مؤذاه مؤذي الاستثناء فان قولك لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا  
 يستنون حصه المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة متأنفة **﴿طافا عليها﴾** أي على الجنة **﴿طائف﴾** بلا صلاته  
 وقرئ طيف **﴿من ربك﴾** مبتدأ من جهة تعالى **﴿وم يأتون﴾** غافلون عما جرت به المقادير **﴿فأصبحت﴾**  
**﴿كالصريم﴾** كالبيان الذي صرمت تارة حيث لم يبق منها شيء فبقي معنى مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت  
 وقيل كالهارأى عت وأبقت سيما بذلك لان كلامها بصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال **﴿فتادوا﴾** أي  
 نادى بعضهم بعضا **﴿مصحين﴾** داخلين في الصلح **﴿أن اعدوا﴾** أي اعدوا على أن أن مفسدة أو بأن اعدوا على  
 أنها مفسدة أي اخرجوا غداة **﴿على حرككم﴾** يستأنكم وصيبتكم وتعدية الغدو يعمل لتعنيته معنى الاقبال أو  
 الاستيلاء **﴿ان كنتم صارمين﴾** قاصدين للصرم **﴿فاطلقوا﴾** وهم يتخافتون أي يتدأرون فيما بينهم بطريق  
 الخفاقة ونحي وخفت وخفت ثلاثا في معنى الكتم ومنه المخذود للخفاش **﴿أن لا يدخلها﴾** أي الجنة **﴿اليوم﴾**  
**﴿عليكم مسكين﴾** أن مفسدة لها في التخافت من معنى القول وقرئ: **﴿طرحا﴾** على اخبار القول والمراد بنهي المسكين  
 عن الدخول المبالة في الذين عن تمكنه من الدخول فتقولهم لا أؤتيك بها **﴿وغدوا على حرد قادرين﴾** أي على  
 تكذ لا غير من حاربت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاربت الابل اذا تمت دبرها والمعنى أنهم أرادوا أن يتكبدوا على  
 المساكين ويحرمهم وهم قادرين على قمعهم فعدوا بحال لا يقدرون فيها الاعل التكذ والحرمان وذلك أنهم طلبوا  
 حرمان المساكين تصليها الحرمان والمسكنة أو وعدوا على محاربه جنتهم ونهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين  
 على اصابه خيرها ومناها أي وعدوا حاصلين على التكذ والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد  
 وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا الاعل حتى بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أي  
 غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم اللجنة **﴿فلما رأوها قالوا﴾** في بداية  
 رؤيتهم **﴿االضالون﴾** أي طريق حقا وما هي بها **﴿بل نحن عرومون﴾** قاله بعد ما تاملوا وقفا على حقيقة  
 الامر مضربين عن قولهم الأول أي لنا ضالين بل نحن عرومون حرمانا خيرا بما يتأعلى أغسنا **﴿قال أوسطهم﴾**  
 أي رابا أوسطا **﴿الم أقل لكم لولا تسبحون﴾** لولا تذكرون الله تعالى وتؤيرون اليه من حيث نيتكم وقد كان قال لهم  
 حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتؤيرون اليه عن هذه العزيمة الخفية من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول  
 النعمة فصورهم فصرهم كما ينبغي عنه قوله تعالى **﴿قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين﴾** وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء  
 لا شرا كما في التعظيم أو لانه تزيه له تعالى عن أن يجزى في ملكه مالا يشاؤه **﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾**  
 أي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره  
**﴿قالوا يا ويلتنا انا كنا ظالمين﴾** متجاوزين حدوده **﴿عسى ربنا أن يبدلنا﴾** وقرئ: **﴿بالشد يد أي يعطينا بدلا﴾**



منها يركب التوبة والاعتراف بالخطيئة (خير ما أتانا الى ربنا راغبون) راغبون العفو طالبون الخير والى لانه  
 الرغبة لا تمنعنا معنى الرجوع عن معاصينا تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تآلفوا وقالوا ان أبدا الله خيرا منها  
 للصنع كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليثهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى أمر  
 جبريل عليه السلام أن يقتل تلك الجنة المحترقة فيجعلها برزخا من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها  
 وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان القوم لما أغلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الجوان فيها  
 عشب يجعل البغل منه عتقودا وقال أبو عالىا لما دخلت تلك الجنة فرأيت كل عتقود منها كالرجل الأسود القائم  
 ومثل قنطرة عن أصحاب الجنة أم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلمتني تمبا وعن الحسن رحمه الله تعالى قول  
 أصحاب الجنة أنا الى ربنا راغبون لأدري أينما كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشتركين اذا أصابهم الشدة  
 فترقب في أمرهم والا كثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاية القسري (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر  
 مقدم لا فائدة القصر والالاف للمبدأ مثل الذي يولنا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب  
 الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤذيهم اليه (ان للثنتين) أى من  
 الكفر والمعاصي (عند ربهم) أى في الآخرة أو في جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا النعيم  
 الخالص عن شائبة ما ينقصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعم الدنيا وقوله تعالى (أفمن جعل المسلمين  
 كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز المؤمنين بجنات النعيم ورد لما بقوله الكفرة عند معاصيهم بخير الآخرة وما  
 وعد الله المسلمين فيها فاهم كانوا يقولون ان صح أنا نبعث كما يرجع محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في  
 الدنيا والالم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم ان يساونا والمهزلة للارتكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه  
 المقام أى أنحف في الحكم فجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الراء وتشديده (مالك  
 كيف تحكون) تعجيبا من حكمهم واستعدادا له وإذنا بأنه لا يصدر عن عاقل (أم لكم كتاب) نازل من السماء  
 (فيه تدرسون) أى تقرؤون (ان لكم فيه لما تحيرون) أى ما تتخبرونه وتشبهونه وأصله ان لكم بالقبح لانه  
 مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للدرس كما هو كقول الله تعالى وتزكنا عليه في الآخرة سلام  
 على نوح في العالمين ونحير الذي واختاره أخذ خيره (أم لكم إيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالإيمان (بالتة)  
 متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الطرفين (ال يوم القيامة) متعلق بالمقدر في لكم أى  
 ثابته لكم الى يوم القيامة لا يخرج عن عهدها حتى تحككم يومئذ ونطيقكم ما تحكون أو ياليت أى إيمان تبلغ ذلك اليوم  
 وتنتهى اليه وإفرا لم تجل منها عيين (ان لكم لما تحكون) جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا إيمان أم أقسمنا  
 لكم (سلام) نالون للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلام  
 مكنتهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعم) أى قائم بتصدى لصحيحة (أم لهم شركاء)  
 يشركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبه (فليأتوا بشركهم ان كانوا صادقين) في دعواهم ادلا أقل من التقليد  
 وقد نهى في هذه الآيات الكفرية على أن ليس لهم شيء يتوهم أن يتشبها به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبه به  
 وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أي يوم يشتد الامر ويصعب  
 الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشهير المخدرات عن سوقين في الحرب قال حاتم  
 أخو الحرب ان هضمت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمر

وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أى يوم يكشف عن أصل الامر فظهر حقائق  
 الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتكبر للتبويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالثاء على النافعال والمفعول والفعل  
 للساعة أو الحال وقرئ تكشف بالنون وتكشف بالثاء المضمومة وكسر الشين من كشف الامر أى دخل في  
 الكشف وناسب الطرف فليأتوا أو مضرع مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون  
 من الأحوال وعظام الأحوال العال لا يبلغه الوصف (و يدعون الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم بابه في الدنيا  
 وتخصيرا لهم على تعريضهم في ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا  
 يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعظم أصلاهم أى زرد عظما بلا مفاصل لا تنقش عند الرفع والحفض  
 وفي الحديث وتبني أصلاهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة (عاشمة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن  
 أبصارهم تقع على الفاعلة ونسبة المشع إلى الابصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلهتهم وتشتتهم (فلة) شديدة  
 (وقد كانوا يدعون الى السجود) فالدينا والظهار في موضع الاضمار لزيادة التضرير أو لان المراد به الصلاة أو ما فيها من  
 السجود والدعوة دعوة التكليف (ومم سالمون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك  
 ذكره لغة بظهوره (فدري ومن يكذب بهذا الحديث) أى كاه الى فالى أكفيك أمره أى حسبك في الإقناع به  
 والانتقام منه أن تكلم أمره الى وتغلى بين وبينه فاف علم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء الترغيب الامر على  
 ما قبلها من أحوالهم المحزنة أى وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فدري ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على الانتقام  
 منه وقوله تعالى (ستسجدون) استئناف مسمى لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجالا والتضييق  
 والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد يكذب باعتبار لفظها أى ستسجدون الى العذاب درجة بدرجة بالاحسان وادامة الصحة  
 وازداد بالجمعة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يرمعون أنا نباركهم وتفضل على المؤمنين مع  
 أنسب ملامتهم (وأولى لهم) وأملهم لين دادوا انما وهم يرمعون أن ذلك لا راداة لخيرهم (ان كيدى عتبن) لا يوقف  
 عليه ولا يدفع شيء ونسبة ذلك كيد الكفرة في صور الكيد (أم تسألهم) على الابلاغ والارشاد (أجرا) دنيا  
 (فهم) لاجل ذلك (من منم) أى غراما مالية (مثقلون) مكفون حولا ثقلا فيعرضون عنك (أم عديم  
 الغيب) أى الروح أو المغيبات (فهم يكثرون) منه ما يحكون ويستنون به عن عليك (فأصبر لحكم ربك)  
 وهو أمهم وتأخير نصرته عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أى يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن  
 الحوت (وهو مكظوم) محلول غيظا والجملة حال من تنمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه أمر مستحسن  
 ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حالك كحال هذ وقت ندائه أى لا يوجد منك ما وجد  
 منه من الضجر والمغاضبة فتبلى بيلانه (ولو لا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه  
 وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركه وتداركه أى تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لو لا أن  
 كان قال فيه تداركه (لنبد بالمرء) بالارض الحالية من الاشجار (وهو مذموم) مذموم مطرود من الرحمة  
 والكرامة وهو حال من مرفوع نبد عليها يعتمد جواب لو لا لانها من المنتفية لا لنبد بالمرء كما مر في الحال الاولى  
 والجملة الشرطية استئناف واره لبيان كون المنهى عنه أمرا محذورا مستتبعا للامالة وقوله تعالى (فاجتنب ربه) عطف  
 على مقدر أى تداركه نعمة من ربه فاجتنبه بأن رذاليه الوحي وأرسله الى مائة الف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح  
 أنه لم يكن نيا قبل هذه الواقعة (لجملة من الصالحين) من الصالحين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فلا يكون



تركه أول روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على قريش (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقوك بآصارهم) وقري ليزلقوك بفتح الهمزة والياء من الله بمعنى أراقه ويزلقونك وإن هي الخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شررا بحيث يكادون يزلقون قدسك فيرمونك من قولهم نظر إلى نظرا يكاد يصير على أي لو أمكنه ينظره الصرع لقعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين إذ قد روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث إن العين لتدخل القبر وأجل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاستعداد بعضهم وحدهم عند سماعه (ويؤفكون) لغاية سيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاضيب الحكم وبيانه العلوم المجموعة عن العقول المنغصة بأحكام الطباع ولتغير الناس عنه (إنه لجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام ود ذلك بيان علو شأنه و سطوع برهانه فقبل (وما هو إلا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون عقيدة لغاية بطلان قولهم وتصويب السامعين من جرأتهم على تقوئه تلك المغلطة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير ويان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلق على أسرارهم طرا ومحيط بجميع حقائقه خيرا بما قالوا وقيل معناه شرف وقيل لقوله تعالى وأنه لذكر لك ولقومك وقيل الصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرقا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

## سورة الحاقة

(مكية وآياتها إحدى وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) أي الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة التي لا محالة أو التي يحق فيها الأمور الحقائق والحساب والثواب والعقاب أو التي يحق فيها الأمور رأى تعرف على الحقيقة من حقه بحقه إذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الأمور أو لمن فيها من أول العلم وأما كان حذف الموصوف للابدان بكمال ظهور واتصافه بهذه الصفة وجرانها بحري الاسم وارتفاعها على الابتدأ خيرا (ما الحاقة) على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للابتدأ الأول والاصل ما هي أي أي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المصغر تأكيذا لعلها هذا ما ذكره في لغز العرب هذه الجملة ونظائرهما وقد سبق في سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستهلامية خيرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن الحاقة أمر بدعي وخطب فطبع كما يفيد كون ما خبرا لا بد أن أمرا يديها الحاقة كما يفيد كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى (وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) تأكيد لعلها وفضاعتها بيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدها بحيث لا تتكاد تبلغه ذرية أحد ولا وهمه وكيف قدرت سالها نفس أعظم من ذلك وأعظم فلا يبنى الاعلام وما في حيز الزرع على الابتدأ وأدراك خبره ولا مسامحها لعلها من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته عليها النصب على إسقاط الحافض لأن أدري يتعدى إلى المفعول الثاني بالياء كما في قوله تعالى ولا أدراكها قلنا

وتنت جملة الاستفهام معاقلة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معاقلة على ما قبلها من جملة الواقعة خيرا أقوله تعالى الحاقة مؤكدة طوطها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحالة التي تفرع الناس بفنون الافواخ والاهوال والسبا بالانشقاق والانشطار والارض والجبال بالذك والنسف والنجوم بالطمس والانتكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى الفرع فيها تشديدا لعلها والجملة استئناف مسوق لعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام أثر تحرير أنه ما أداره عليه الصلاة والسلام بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هي نار حامية ونظائر خلا أن المئين هناك نفس المستول عنها وهما حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر هكذا أن المئين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرها كذلك المئين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها محبت بحق اهلا من يكذب بها كالميل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالناغية) أي بالواقعة الجارية للحد وهو الصيحة أو الراجفة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت لها صرصر أو شديدة البرد تحرق بردها (عانية) شديدة العصف كأنها عنت على خزانها فلم تشك ومن ضيقها أو على ما لم يقدر وعلى ردها وقوله تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جي به يسا لكيفية اهلاكم بالريح أي ساطعا الله عليهم بقدرته القاهرة (سبح ليلى ونحمانية أيام حسوما) أي متتابعات جميع حاسم كشيدت جميع شاعد من حسمت الهابة إذا تلاعت بين كها أو حسمت حسمت ككل خير واستأصحت أو قاتلت فطعت دارهم ويجوز أن يكون مصدرا تنصبا على العلة بمعنى قتلها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسبهم حسوما ويؤيده الفراء بالفتح وهي كانت أيام المجوز عن صيحة أربعا إلى غروب الأربعا الآخر وانما سميت مجوزا لأنب مجوزا من ناد نوارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام المعين وهي آخر السنة وأسابعاها الصن والصبر والوبر والأمر والمؤثر والمعلل ومطلق البحر وقيل ومكفى الظن (فقرى القوم) أن كنت حضرا حينه (فصيا) في مهايتها أو في تلك الليالي والأيام (صريع) مولى جمع صريع (كأنهم أبحار تفل) أي أصول تغل (خاوية) متأكدة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) أي خيبة أو نفس باقية أو بقا على أنها مصدر كالسكابة والطاغية (وجاء قريون ومن قبله) أي ومن تقدمه وقري ومن قبله أي ومن عدو من أتباعه ويؤيده أنه قرى ومن سمه (والمؤنكات) أي قرى قوم لوط أي أهلها (بالخاصة) بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ التي من جعلتها تكذيب البعث والقيامة (فقصوا رسول ربهم) أي قصي كل أمة رسولها حين يوم عما كانوا يعملونه من القبايح (فأخذهم) أي الله عز وجل (أخذة رابطة) أي دائمة في الشدة كما رادت فبالهم في الفسح من ربا الشيء إذا زاد (انما ملأنا الساء) بسبب اضراقرهم نوح على قرون الكفر والمعاصي ومبا القيثم في تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما أوحى اليهم من الأحكام التي من جعلها أحوال القيامة (محتاكم) أي في أصلا بآياتكم (في الجارية) في سفينة نوح عليه السلام والمراد بعملهم فيها وضمهم فرق الساء إلى اقتضاء أيام الطوفان لا مجرد رقمهم إلى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فاتها ليست بصلة الحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعول أي رصناكم فمرفق الساء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجاةهم محض عصمتهم تعالى امتنا السقية سبب صوري (لنعلمها) أي لتجعل الفعلة التي هي عبارة عن أعمال المؤمنين وغراق الكافرين (لنكم تذكر) تبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قدره وسعة رحمته (ونعمها) أي تحفظها والوجه أن تحفظ الشيء في نفسك والأربعا



أن تحفظه في غير نفسك من وعاء وفري: تعبا يسكون العين تشبها له بكتف: (أذن وأصية) أي أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بذكره وأشاعته والتفكير فيه ولا تقصيده بترك العمل به والتذكير للدلالة على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لتجاة الجمل العقيد وأدانة تسليم وقرئ: أذن بالتعقيب: (فأذا نفخ في الصور نفخة واحدة) شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شأنها بأهلك مكذبها وبما حسن اسناد الفعل إلى المصدر لتقديده وحسن تذكيره للفصل وقرئ: نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التي عندها غراب العالم (وجعلت الأرض والجبال) أي قلعت وهدمت من أمانتها بحجج القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة (فعدكنا ذكة واحدة) أي فخرت الجبلتان اثر دفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كتيبا ميلا وهبا: مينا وقيل فيسقطا بسطة واحدة فصارا قلما صغيفا لا ترى فيها عوجا ولا أمانا من قولهم اهدك السنام اذا قهرش وبهر أدك وناقه ذكايومه الدكان (فيومئذ) خبرئذ (وقمت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء) ليزول الملائكة (فهي) أي السماء (برمذواجها) حبيطة حشرية بعد ما كانت محكمة (والمالك) أي الحاقن المعروف بالملاك (على أرجائها) أي جرائها جمع رجا بالقصر أي تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجأون إلى أكفها وساقطها (ويجعل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الأرض فوق القانية (برمذواجها) من الملائكة عن النبي عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم في تقوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون سبيحون وقيل يضمهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة الفس وروى ثمانية أملاك في خلق الأرواح ما بين أطرافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شيرين حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عجزك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أميئة أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الله تعالى ويحذر أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو قيل اعطيت تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم يروى وجهم على الناس للقضاء العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والحلال والاشتباه سبحانه أجل من كل ما يحيط به ذلك المأثرة والاشارة (برمذواجها) أي تسألون وتحاسبون خبر عنه بذلك تشبها له بعرش السلطان اسكر لعرف أحوالهم: روى أن في يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة فقضاة الكتب فيأخذ القاض كتابه يمينه والمالك يشبهه وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وأعمال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صرح جعله طرفا لكل (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع تعرضون أي تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وأتمنا العرض لافتنه الخيال والمبالغة في السدل أو غير خاف برمذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ: ينفى بالياء التحذير: (فأما من أوفى كتابه يمينه) تفصيل لأحكام العرض (فيقول) تبيحا وإنبهاجا (هاؤم اقرأوا كتابه) هالسم تحذوفه ثلاث لغات أجودهن ها: يارجل وها: يامرؤ وهاؤما يارجلان أو امرأتان وهاؤن يارجال وهاؤن يامرؤ ومفعوله محذوف وكتابه مفعول اقرأوا لأنه أقرب المعاملين ولأنه لو كان مفعول هاؤم لقلل إفرقه إذ الأولى اضطرار حيث أمكن والمسا فيه وفي حسابه وما إليه وساطابه للسكت تمت في الوقت وتسقط في الوصل واستحب إثباتها للثبات في الامام (أن طلعت أنف ملاق حسابه) أي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاعتبار بأنه لا يقدر في الاعتقاد ما بهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك

عنها العلوم النظرية غاليا (فهي في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع في النسبة بالحرف أو جعل الفعل لما يجازا وهو لصاحبا ذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في حنة عالية) مرتفعة المكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الألبية والأشجار (تقلونها) جمع قلن وهو ما يجنى بسرعة والنفث بالفتح مصدر (ذانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هينئا) أكلا وشربا هينئا أو هتمت هينئا (بما أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام العبيد وروى يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلعت شفاهكم عن الاثمة ونظرت أعينكم ونحست بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوفى كتابه يمينه) ورأى ما فيه من قبائح الأعمال (فيقول باليقين لما أوت كتابه ولم أدر ما حسابه) لمشاهد من سوء العاقبة (باليثمة) باليت المونة التي رمت (كانت القاضية) أي القاطعة لأمري ولم أبعث بعدها ولم ألق ضمير ليثمة المونة يجوز أن يكون لما شاهدته من الحالة أي باليت هذه الحالة كانت المنة التي قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فمناه عندها وقد جوز أن يكون للعبة الدنيا أي باليت الحياة الدنيا كانت المنة ولم أخلق حيا (ما أغنى عني ماليه) مالى من المال والأرباح على أن ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للإعجاز أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار (هلك عن سلطانيه) أي ملكي وتسلب على الناس أو حجتى التي كنت أحتج بها في الدنيا أو تسلب على القوى والآلات فنجرت عن استعمالها في المعادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لحزنة النار (فقلوه) أي شدوه بالأغلال (ثم المحجم صلوه) أي لاتصلوه الا المحجم وفي النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعامل على الناس (ثم في سلسلتهم) أي ملولها (سبيحون ذراعا فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلقوها على جسده فهو فيها يثا مرهق لا يستطيع حراكا ما وتقدم السلسلة كتقديم المحجم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به وتم تفاوتت ما بين الغل والتصلة وما بينهما وبين السلك في السلسلة الشدة (أنه كان لا يؤمن بالله العظيم) لتعليل بطريق الاستئناف التحقير ووصفه تعالى بالعظم للابتن بأنه المستحق للعظمة تحجب عن نسبها إلى نفسه استحق أعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يبحث على بدل طعامه أو على طعامه فضلا أن يذل من ماله وقيل ذكر الحض للتبليغ على أن تارك الحض بهذه المنزلة الساكنة تترك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المتواخدة قالوا تخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقيع العقاب الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم هنا حميم) أي قريب يحبه ويدفع عنه يجوز أن يكون أوليائه يتحامونه ويقرضونه (ولا طعام الا من غسلين) أي من غسله أهل النار وصدهم غسلين من الغسل (لا يأكلوا من الغلاتين) أصحاب الخطايا من خطي الرجل إذا تمسك ذنب لا من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم المشركون وقرئ: الحاطيون بأبدال الهمة يا وقرئ: بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطلون الحق إلى الباطل ويتعدون حدوده (فلا أقسم) أي أقسم على أن لا مرة لنا أكيدوا ما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيه تعيين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون وما لا تبصرون) كما في سورة الواقعة أي أقسم بالمشاهدات والمفنيات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح والانس والجن والخلق والحائق والتم الظاهرة والباطنة والأول منظم للكل (أنه) أي القرآن (لقول رسول) يلمنه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبي أو جبريل عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تعرضون تارة (قللا



ما تومنون (أي ما قبلنا تومنون) (ولا يقول كائن) كما تدعون ذلك نارة أخرى (قليلًا حائذ كرون) أي تذكروا  
 قليلًا أو زمانًا قليلًا تذكروا على أن الله تعالى لا يفتنكم بشيء من الدنيا ولا بتلك الآيات التي ذكرها لكم مع نبي  
 الشاعرية والتذكير مع نبي الكاهنة لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمرين لا يتكررا إلا مع اختلاف مباينة تلك الكاهنة  
 فإنها تتوقف على تذكر أحوال الصلاة والسلام ومعاني القرآن المشافهة لظرف الكهنة ومعاني أقوالهم وأنت خير بأن ذلك  
 أيضًا مما لا يتوقف على تأمل قطعًا وقرى (يا أيها الذين آمنوا) (تذلل من رب العالمين) (وله على لسان جبريل عليه السلام  
 (بولي تحول علينا بعض الأماني) سمي الامتنان قوله لا لأنه قول متكلف والآمال المتفرقة أقوال يلى تحقيرا لها كما أنها  
 جمع أمهولة من القول كالأحاديث (لا تخذوا منه بالحقين) أي بسببه (تم قطعنا منها لعلهم يحزنوا) أي لئلا يحاط قلبه بضرب  
 نفعه وهو تصدير لاهلاكه بأفقه ما يهمله الملوك من يعضونه عليه وهو أن يأخذ القتال بسببه ويكفحه بالسيف  
 ويضرب عنقه وقيل الجين بمعنى القوة قال تعالى لهم

إذا ملأناه رخصت نجد تلقاها عراة بالجين

(فما تنكر) أي الناس (من آخر عنه) عن القتل أو القتل (حاجرين) دافعين وصف لأحد قاته عام  
 (وأنه) أي وإن القرآن (لذكره لتبين) لأنهم المستفهمون به (وأنما تعلم أن منكم مكدسين) فجاءهم على  
 تكذيبهم (ولم تحسروا على الكافرين) عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين (وأنه لعل اليقين) الذي لا يعم حوله  
 ريب ما (فيسبح باسم ربك العظيم) أي تسبح بذكر اسمه العظيم تزيلا له عن الرضا بالقول عليه وشكرا على  
 ما أوحى إليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة سورة الحاقة حسب الله حسابا يسيرا

سورة المعارج

(مكية وآيات أربع وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سأل سائل) أي دافع (بغضاب واقع) أي استدعاء وطله وهو الضيق الحزن حيث قال النكرا واستهزا  
 أن كان هذا هو الحق من عندك فأعطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بغضاب آثم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا  
 كسفا من السماء وقيل هو الحزن بن النعمان الغهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله  
 عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأعطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله  
 تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعمل عذابهم  
 وقرى سأل وهو أمان من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما من أو من السيلان ويؤيده أنه قرى سأل سئل أي اندفع واد  
 بغضاب واقع وصيغة الماخض للدلالة على تحقق وقوعه أما في الدنيا وهو عذاب يوم يدرфан الضرب قتل يومئذ صبرا  
 وقد مر حال الصبر وأما في الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أي كائن للكافرين  
 أوصلة لواقع أو متعلق يسأل أي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال  
 منه لتقصده بالصعة أو بالعمل أو من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله)  
 متعلق بواقع أو بدافع أي ليس له دافع من جهة تعالى (ذي المعارج) ذي المساعدة التي يصعد فيها الملائكة بالأوامر  
 والنواهي أو هي عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تخرج الملائكة والروح) أي جبريل عليه السلام

أورد بالذكر خبره وقضه وقول الروح خلق من حفظه على الملائكة كما أن الملائكة حفظه على الناس (البه) إلى عرشه  
 تعالى وإلى حيث تخطيطه أمره تعالى وقيل هو من قبل قول إبراهيم عليه السلام أتى ذالعب إلى ربى إلى حيث  
 أمرنى به (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) مما بعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها  
 على سباج التخييل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف  
 سنة من سبي الدنيا وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كقدر خمسين ألف سنة أي  
 يقطعون في يوم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعاقب بواقع وقيل بسأل على تقدير  
 كونه من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته إما لأنه كذلك في الحقيقة أو لشدة على الكفار أو لكثرة ما فيه  
 من الحالات والمعاسيات وأياما كان فذلك في حق الكفار وأما في حق المؤمنين فلا لمخاروى أبو سعيد الجندري رضى  
 الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسى بيده أنه ليخف  
 على المؤمن حتى أنه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى (يا صابر صبرا جميلا) متعلق بسأل  
 لأن السؤال كان عن استهزا وتمت وتكذيب بالوحى وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر  
 واستقطا للتصبر أو يسأل سائل أو سأل سئل فمناهجه العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام (أنهم يرونه)  
 أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعالى في يوم واقع (بعيدا) أي يستبعدونه بطريق الاحالة فذلك  
 يسألون به (وزراه قريبا) هينا في قدرتها غير بعيد علينا ولا معتبر على أن العذاب القرب معتبرا بالنسبة إلى الامكان  
 والجهة لتعليل الامر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء كالمهل) متعلق بقريبا أي يمكن ولا يتعدى ذلك اليوم  
 أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف  
 أو ينك من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود  
 على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما أذهو المعهود بالواقع على  
 الكافرين لا مادعا به الضرب أو أبو جهل أو الغهري فالسؤال بمناه والياء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خيرا وقوله  
 تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق به وقوله  
 تعالى أنهم يرونه بعيدا وراه قريبا لتعليل الامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما  
 يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيت على مهل من الفلوات وقيل دردى الزيت (وتكون  
 الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ أو أن لا يختلف ألوان الجبال منها جدد يضر وحر تختلف ألوانها وغرايب سود  
 فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنقوش إذا طيرته الريح (ولا يسأل حمي حميا) أي لا يسأل قريبا قريبا  
 عن أحواله ولا يكلمه بآلات كل منهم بما يشغله من ذلك وقرى على البناء المفعول أي لا يطلب من حمي حمي أو لا  
 يسأل عنه سائل (يصبرونهم) أي يصبروا الأحمال لا يحملون عليهم وما ينعمهم من التساؤل لا تشاغلهم بحال أنفسهم  
 وقيل ما يعني عنه من مشاهدة الحال كياض الوجه وسواده والأول أدخل في التهويل وجمع الضمير لعموم الجمع  
 وقرى يصبرونهم والجهة استئناف (يود الحزم) أي يمتنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدى من  
 عذاب يومئذ) أي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ (بذينة وصاحبه وأخيه) حكاية لودادتهم ولو في معنى التقي وقيل  
 هي منزلة أن الناصية فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير يود افتدائمينه  
 الخ والجهة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعظمهم قبلة



فضلا أن ينهم بحاله ويسأل عنها وقرئ: يرمض بالفتح على التاء للاضافة الى غير متمكن وبثني عذاب ونصب يوحى  
وانصبا بعد ذل لا في معنى تعذيب (وفضيلته) أي عشرته التي فصل عنهم (التي ترويه) أي نفسه في النسب  
أو عند الشكائد (ومن في الأرض جميعا) من الثقلين والخلائق ومن للقلب (ثم ينجيه) عطف على يقتدى  
أي يود لو يقتدى ثم لو ينجيه الاقتداء وتم الاستعداد للاعلاء يعني ينبغي لو كان هؤلاء جميعا تحت يدهم بذلهم في هذا  
عنه ثم ينجيه ذلك وهيات (كلا) ردع المجرم عن الودادة وتصريح بامتناع الاعلاء الاقتداء وتصدير (انها) اما  
لنار المدلول عليها بذكر العذاب أو هو منهم ترجم عند الخبر الذي هو قوله تعالى (الظلي) وهي على النار متقول من  
الظلي بمعنى اللهب (زراعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواء وهي  
جلدة أو أس وقرئ: زراعة بالرفع على ان يعبر ثان لأن وهو الخبر ولطفي بدل من الضمير أو الضمير للقصبة ولطفي مبتدأ وزراعة  
خبره (ندعو) أي ندعوا ونعصر وقيل ندعو تهلك وقيل ندعو زنايتها (من أدبر) أي عن الحق (وتولى)  
أعرض عن الطاعة (ووجع فاعوى) أي جمع المسال جملة في وعاء وكثرة ولم يؤد كانه وحقوقه وتشاغل به عن  
الدين وزيه فافتاته حرصا وتاملا (ان الانسان خلق هلونا) الملع سرعة الخرج عند من المكروه وسرعة الملع  
عند من الخير وقد عسر أحسن تفسير قوله تعالى (إذا مسه الشر) أي الفقر والمرض ونحوهما (جروعا) أي  
مبالغا في الخرج مكثرا منه (وإذا مسه الخير) أي السعة والصحة (موجعا) مبالغا في الخرج والاحتياج والوصاف  
الثلاثة أحوال مقدرة أو حقيقة لا يتأملها على جبل الانسان عليها إذا الأول طرف لزوعا والثاني شوعا (الانما يصيب)  
استثناء للضعفين بالتعوت الحيلة الآتية من الملهو عين على القضاء الماضية لآتيا فهو منهم عن الاستغراق في طاعة  
الحق والاشفاق على الخلق والايهام بالجرا والخوف من العقوبة وكسر الشيعة وإشراق الأجل على العاجل على خلاف  
القبائح المذكورة الناشئة من الايمان في حب العاجل بقصر النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم  
عنها شاغل (والذين في أموالهم حق معلوم) أي نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تحريا إلى الله تعالى واشفاقا  
على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموقوفة (للسائل) الذي يسأله (والمرتوم) الذي لا يسأله فيطلب  
أنه حتى يجرم (والذين يصدقون يوم الدين) أي بأعمالهم حيث يتصورون أنفسهم في الطاعات الدنية والمالية طمعا  
في المثوبة الآخرة بحيث يستدل بذلك على تصديقهم يوم الجرا (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون  
على أنفسهم مع ملهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنايتها وجل كقولهم تعالى والذين يؤتون ما آتوا  
وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤثنا بأنه لا ينبغي  
لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة (والذين هم لفرعهم حافظون الا على أرواحهم أو ما ملكت أيمانهم)  
فانهم غير ملومين) سلف تفسيره في سورة المؤمن (من أين) أي طلب نفسه (وراء ذلك) وراء ما ذكر  
من الأرواح والمملوكات (فأولئك) المتفنون (هم العادون) المتعدون لحدود الله تعالى (والذين هم لأماناتهم  
وعهدهم راعون) لا يخلون بشئ من حقوقها (والذين هم بشهادتهم قاننون) أي مقبضون لها بالعدل أحيا لحقوق  
الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لآبانه فضلا وقرئ: لأمانتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس  
(والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي راعون شرائعها ويحفظون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير  
ذكر الصلاة وصفتهم بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وأنها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات

لتفريق الاختلاف الصفات منزلة اختلاف الدوات كما في قول من قال

إلى الملك القرم وابن الحمام ريث الكتائب في المردم

إذا ما بان كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حواله له شأن خطير مستعجل لأحكام حقه حقيق بأن يقر له  
موصوف مستقل ولا يجعل شئ منها تنمة للآخر (وأولئك) إشارة إلى الموصوفين مما ذكر من الصفات وما فيه  
من معنى البطمع قرب العهد بالشار اليهم للايقان بملو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره (في جنات)  
أي مستقرون في جنات لا يقادير قدرها ولا يدرك كبرها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات  
متعلق به قدم عليه لمراعاة القواصل أو محض هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كاشين في جنات (فأولئك)  
كفروا قبلك (مهمين) مسرعين نحوكم مادي أعانهم اليك مقبلين بأصاغرهم عليك (عن التين وعن  
النيل عرين) أي فرقا شئ جمع غرة وأصلها غرة من المر وكان كل فرقة تفرق من غير من تعزى إليه الأخرى  
كان المشركون يخلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستنبئون بكلامه عليه الصلاة  
والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فندخلها قبلهم فزلت (أقطع كل امرئ منهم أن يدخل  
جنة نصيب) بلا إيمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارع (انما خلقناهم نسا يعلمون) قبل هو تعاليل الردع  
ولطفي انما خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى

أزمت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ضحوى أن تزارا

وهو تكبير النفس بالإيمان والطاعة فمن يستكملها تلك فهو معز من أن يوا مبرأ الكاملين فمن أن لهم أن يطمعوا  
في دخول الجنة وهم مكبون على التكبر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انما خلقناهم نسا يعلمون من لطفه مدبرة فمن  
أن يتشبهون ويدعون التقدم وبقوة لئلا يخل الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون من لطفه قدرة لا تناسب عالم القدس  
فلم تستكمل الايمان والطاعة ولم تخلق بالاخلاص الملكية لم تستعد لدخولها ولا ينبغي مالى السك من التبعيل  
والأقرب أنه كلام متألف قد سبق تمهيدا لما يبيده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجرا  
واستبدادهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل عليه من الوحي وأدعائهم دخول الجنة بطريق السخرية ويكنى  
بذلهم قوما آخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بيته على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه  
الفا النصيحة في قوله تعالى (فلا أقسم رب المشارق والمغرب) والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من انما خلقناهم نسا  
يعلمون فأقسم رب المشارق والمغرب (انما لقنوني على أن تبدل خبرا منهم) أي يهلكهم بالمرة حسبا تقتضيه  
جناياتهم وبأن يذلهم بحق آخرين ليسوا على حقهم (وما نحن بمسوقين) بمغلوبين أن أراد ذلك لكن مشيئنا المبدية على  
الحكم البالغة انقضت تأخير عقوبتهم (قد هم) غلبهم وشأنهم (يخرجوا) في باطلهم الذي من حكمة ما حكم عنهم  
(وليعلموا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي وعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى  
كما توهه فان قوله تعالى (يوم يخرجون من الأعداء) بدل من يومهم وقرئ: يخرجون على التاء للفعول من الإخراج  
(سراطا) حال من مرفوع يخرجون أي مسرعين (كأنهم إلى نصب) وهو كل مانصب فصيد من دون الله تعالى  
وقرئ: يسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد أيضا (يوفضون) يسرعون (عاشمة أوصارهم) وصفت  
أصاغرهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لآبانه ظهور آثاره فيها (ترهقهم ثلة) تشاهم ثلة شديدة (ذلك) الذي  
ذكر ما سبق فيه من الأحوال العاتلة (اليوم الذي كانوا وعدون) في الدنيا - عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

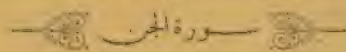






الكل كما ناسما واحدا ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة باكا تفي الكل (و جعل الشمس سراجا) يدل  
خلقة الليل ويصير أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الأمان كما يصير أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون  
إلى إضاءه وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في الجملة (والله أنشأكم من الأرض نباتا) أي أنشأكم منها فاستعبر  
الإنسان لثباته فيكون أول على الحدوث والتكون من الأرض ونباتا أما مصدره فكذلك لا تفك بحذف الزوائد ويسمى  
اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أي أنشأكم من الأرض فنبت نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنشأكم من الأرض  
إنما تأخذتم نباتا فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية العمل اكتشاف في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما مر في قوله  
تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما مثل موسى وقوله تعالى وإن يحسب الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك  
غير فلا راد لفعله (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) حيا عند البعث والحشر (أخرجا)  
مخفقا لأرباب فيه (والله جعل لكم الأرض بساطا) تتفانون عليها تقلكم على بسطكم في بيوتكم وتوسط لكم  
بين الجمل ومفعوله مع أن حقه التأخير لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون الجمل من منافعهم والتشويق إلى المؤخر  
فإن النص عند تأخير ما حقه التقديم لسيا عند كون المقدم ملو كما يكون من المنافع تلي مترتبة له فيتمكن عند  
وروده لما فضل تمكن (لنسلكنكم منها سلاسل) أي طرقا واسعة جمع فتح وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك  
بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتحاد أو بضمير هو حال من سبلا أي كائنه من الأرض ولو تأخر  
لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لظول العهد بحكاية مناجاته لربه أي قال مناجاة له تعالى (رب لهم  
عصوى) أي نوا على نصيبي فيما أمرتهم به مع ما باليت في إرشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يرد ماله  
وولده الاختار) أي واستمروا على اتباعهم الذين أبغضهم مؤلمهم وغرضهم أولادهم وصار ذلك سببا في زيادة  
خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار وفي عصيهم بذلك انتقام بهم إنما اتبعهم لوجههم الحاصلة لهم  
بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا بهم من شبهة مصححة للاحتياج في الجملة وقرئ (وآلهم بالضم) والسكون على  
أنه لغة كالخون أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناه كما أن أفراد في الضمائر الأولى  
باعتبار لفظها (مكرا كبارا) أي كبيرا في العاية وقرئ ما تنصيف والأول بلغ منه وهو أبلغ من التكبر وذلك لاحتسابهم  
في الدين وصددهم للناس عنه وتحرشهم لهم على أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تدرن أهلكم) أي لا تدرن أعيادتها  
على الإطلاق إلى عبادة رب نوح (ولا تدرن ودا ولا سواعا ولا يعوق ولا نسر) أي ولا تدرن عبادة هؤلاء  
خصوصا بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى  
العرب فكان ود لكلب وسواع لهندان ويعوق لمرد و نسر لحير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا  
بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ما نوا فقال الملبس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تظفرون إليهم  
وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم أنهم كانوا يعبدونهم فعدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع  
على صورة امرأة ويعوق على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ مؤدا بضم الواو ويعوقا  
ويعوقا لتناسب وضع صر فيها المعجزة والعلمية (وقد أضلوا) أي الرؤساء (كثيرا) خلفا كثيرا أو الاصنام  
كقوله تعالى رب انهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قوله تعالى رب انهن أضللن  
على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النافية عنه أي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا ووضع  
الظاهر موضع ضميرهم لتسهيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في نفسه فكفر

ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما في قوله تعالى إن الحجر من في ضلال وسمر ويؤيده ما ساقى من دعائه عليه الصلاة  
والسلام (ما خطيتهم) أي من أجل خطيتهم وما يزيد بين الجار والمجرور والتوكيد والتفخيم ومن لم ير ذا يادها  
جعلها نكرة وجعل خطيتهم بدلا منها وقرئ ما خطاياهم وما خطيتهم أي بسبب خطيتهم المعدونة وغيرها من  
خطاياهم (أعزقوا) بالطفوان لا بسبب آخر (فادخلوا ناراً) المراد أمة عذاب القبر فهو عقاب الاغراق وإن  
كانوا في الماء عن الضحك أنهم كانوا يعرفون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتزيله منزلة  
المتعقب لاخر أقيم لاقتربه وتحققه بحالة وتكبر النار أما لتعذيبها ونهولها أو لأنه تعالى أعذ لهم على حسب خطيتهم  
نوعان النار (فلم يعدوا لهم من دون الله أصارا) أي لم يعد أحد منهم واحدا من الأصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة  
من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم ونهيكهم (وقال نوح رب لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا)  
عطف على الظاهر السابق وقوله تعالى ما خطيتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للبيان من أول  
الأمر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصيبهم إلا لأجل خطيتهم التي عدها نوح عليه السلام وأشار  
إلى استحقاقهم للاهلاك لأجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة  
والسلام وبينهم من الأحوال والأحوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة في التي العام يقال  
ما بالدار دار أو ديور كقيام وقبر ما أي حدوثه وقيل الدار أصله ديور قد فعل به ما فعل بأصل سيد  
لأفعال والالكان ديورا (الكان تدرهم) عليها كلاً أو بعضا (يصلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يبدوا إلا  
قاجرا كفارا) أي إلا من يسقى ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكانه اعتداء بما عسى يرد عليه من أن الدعاء  
بالاحتساب مع احتمال أن يكون من أخلاصهم من يؤمن منكروا ما قاله لاستحكام عله بما يكون منهم ومن أعقابهم  
بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم في زمان القصة (وما يغفلوا لوالدي) أي بؤله ملك من متوشلخ وأمة متخايلت  
أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يرد ساما وحام (ولن دخل بيتي) أي منزل وقيل مسجد  
وقيل بيتي (مؤمنا) جهدا القيد خرجت أمراته وأنه كنعان ولكن لم يحرم عليه الصلاة والسلام بخر وجهه إلا بعد  
ما قيل له أنه ليس من أهلك وقد مر تفصيله في سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عطف بالذمة أثر ما خص به من  
يصل به نساء ودينا (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي هلاكا قيل تفرق معهم صدياتهم أيضا لكن لا على وجه العقاب  
لهم بل لتشديد عقاب آياتهم وأصنامهم بإزالة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام  
يهلكون مهلكا واحدا ويصدر من مصادر شي وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله برائتهم فأهلكهم بغير  
عذاب وقيل أعظم الله تعالى أرحام ناسهم وأبليس أصلاب آياتهم قبل الطفوان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم شيء  
حين غرقوا - عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرهم دعوة نوح عليه السلام



(مكية وآياتها ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحى إلى) وقرئ أوحى إلى أصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى إليه فقبلت الواو المضمومة همزة كاعده وأذن  
في وعد وذن (أنه) بالفتح لا تعقل أوحى والضمير الشأن (استمع) أي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد



حلف لئلا ما يصده عليه (نهر من الجن) الثغر ما بين الثلاثة والعشر والجن اجسام غافة خفية يغلب عليهم  
 النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المتفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه  
 عليه الصلاة والسلام لم يشر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوا  
 فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحطاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم اليهم (انما سمعنا  
 قرآنا) كتابا مفروا (عجبا) بديعا ما بينا الكلام البشري في حسن النظم وديقة المعنى وهو مصدر وصف به السامع  
 (يهدى الى الرشاد) الى الحق والصواب (فأما به) أي بذلك القرآن (ولن نترك ربنا أحدا) حسبنا الحق  
 به ما فيه من دلائل التوحيد (وأما تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من اجل المصدرية بأن في أحد عشر  
 موضعا عطف على عمل الجار والمجرور في قسما به كما قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد  
 فلان في معنى أي عظم مكانه أو سلطانه أو غناؤه على أنه مستعار من الجد الذي هو البعث والمعنى وصفه بالاستغناء عن  
 الصاحبة والولد اعظمته أو سلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر ولذا اجل المذكورة عطف على المحكي بعد القول وهو  
 الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج اجل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يغلبه المصنف على عمل  
 الجار والمجرور وفيه اشكال كما ستحيط به غيرا وقوله تعالى (فأما المحدثا صوابا ولا نلما) بيان الحكم تعالى جده وقرئ  
 جدا ربنا على التثنية وجردا بالكسر أي صديق وبيته وحق الحق عن اعتناء الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا  
 القرآن ووجهوا التوحيد والايان ظهر الخطأ فيما اعتقدوه كفرة الجن من تسمية الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد  
 فاستعملوه ونهوه تعالى عنه (وأما كان يقول سلفها) أي ايليس أو مرة الجن (على الله عطفها) أي قولها  
 شطط أي بعد عن القصد وعجاويزه للعداوة هو شطط في غصه لغرض بعده عن الحق وهو سنة الصاحبة والولد اليه  
 تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باختيار له في نفسه فليهم كانوا عالين بقول سلفهم من قبل أيضا باختيار  
 كونه شططا كما قيل وصدقنا أن ما كان يقول سلفها في حقه تعالى كان شططا وأما تعقيب قوله تعالى (وأما مثلنا  
 أن لن نقول الا للجن والجن على الله كذبا) فغير ظاهر وهو اعتقادهم عن تقديم لسفهم أي كنا نقول أنه لن  
 يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذا مصدر مؤكد لنقول لانه نوع من القول أو وصف لمصدره  
 المنعوق أي قول لا كذبا أي مكذوبا فيه وقرئ ان نقول بحذف إحدى التامين فكذلك مصدر مؤكده لان الكذب  
 هو النقول (وأما كان رجال من الانس يعرذون رجال من الجن) كان الرجل من العرب اذا أمس في واد فعر  
 وخاف على نفسه يقول أعرذ سيد هذا الوادي من سقمهم ويزيد الجن وكبرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا  
 سدا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فولمهم) أي زاد الرجل العاقلون الجن (رحقا) أي تكبرا وضنوا أو  
 فزاد الجن العاقلين غيبا بأن أضلهم حتى استغاثوا بهم (وأنتهم ظنوا) أي الانس (كان ظنهم) أي الجن على أنه  
 كلام بعضهم لبعض (أن أنزلهم الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كان ظنهم أي الكفرة الخ فتكون هذه الآية  
 وما قبلها من جملة الكلام للموسى به والأقرب أي كذا على كل تقدير عطف على أنه استمع الانس لاجراجهما تحت  
 ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى (وأما السبا) وما بعده من اجل المصدرية فإنا ينبغي أن تكون  
 معطوفة على ذلك على أن المرحى عين عبار الجن بطريق الحكاية كما قيل قل أوحى الى كيت وكيت وهذه العبارات أي  
 طلبا بلوغ المنايا أو خبرها والانس مستعار من المن للطلب كالجن يقال لمنه واتمه وتلبسه كطله وامليه ونطلبه  
 (فوجدناها ملئت حرسا) أي حراسا اسم جمع كخدم مفرد للفظ ولعله لثقل (شديدا) قويا وملائكة ينعومهم

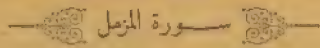
عنها (وشيا) جمع شهاب وهي الشعلة المتقدة من نار الكواكب (وأما كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السبا  
 (مقاعد للسمع) خالق عن الحرس والشهاب أو صالحة لئلا تصدوا الاستماع والسمع متعلق بنقدا أي لاجل السمع أو بمحض  
 هو صفة لمقاعد أي مقاعد كاتبة للسمع (فن يسمع الآن) في مفعد من المقاعد (يحدله شهابا وصدا) أي شهابا  
 راصدا للو لاجله يصعد عن الاستماع بالرحم أو نوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالخرس قبل حدث  
 هذا عند دعوت التي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثر الرجم بعد البعث وزاد زيادة حتى  
 نذره لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا لهذا الامر أراد ما تعال بأهل الارض وذلك قوله (وأما لا ندري  
 أنشأ ربنا الجن في الارض) بحراسة السبا (أم أراد بهم ربهم رشدا) أي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر  
 من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى وإذا أمرت فهو يسفين ونظائره (وأما منا الصالحون) أي الموصوفون  
 بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسب مقتضى الفطرة السليمة لا الى  
 الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أي قوم دون ذلك غلظ الموصوف وهم  
 المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن  
 كما يرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قدا) وأما ظلم بعد استماعه فيصيح بك قوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى  
 الى قوله تعالى وأنا منا المسلمون أي كنا قبل هذا ذوي طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الاحوال أو كانت  
 طرائقنا طرائق قدا أي متفرقة مختلفة جمع قدة من قدا كقطعة من قطع (وأما غشا) أي غلبنا الآن (أن لن  
 نمجركه) أي أن الشأن لن نمجركه كالتين (في الارض) أينا كننا أطفالا (ولن نمجركه ربا) هارين  
 منها الى السبا أو لن نمجركه في الارض أو أدنا أمرا ولن نمجركه من الانطسا (وأما لما سمعنا الهدى) أي القرآن  
 الذي هو الهدى بعينه (أما به) من غير تلميح وتردد (فن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف  
 (عسا) أي عصا في الجزاء (ولا رعا) ولأن ترجمه ذلك أوجرا بحس ولا رعا اذ لم يخش أحدنا حقا ولا  
 رعا ظم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجنب المظالم وقرئ فلا يخشوا الاول  
 أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأما منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائر من طريق الحق الذي  
 هو الايمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) إشارة الى من أسلموا جميع باعتبار المعنى (نحروا) توخوا (رشدا) عطيا  
 يلتمهم الى دار التواب (وأما القاسطون) الجائر من سن الاسلام (فكانوا لهم حطبا) توفيقهم فكانوا قد كفروا  
 الانس (وأن لو استغفروا) أن تخفف من العقوبة واجلة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن  
 لو استقام الجن والانس أو لهما (على الطريقة) التي هي ملة الاسلام (لأستغفروا غفا) أي لو استغفروا عليهم  
 الرزق ونخصص المسألة بالتدقيق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولزعة وجوده بين العرب وقيل لو استقام  
 الجن عن الطريقة المثل أي لو ثبت أوم الحان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم  
 عليه السلام ولم يكفر وبعه ولله في الاسلام لأعنتا عليهم وسما رزقهم (لنفسهم فيه) لنخبرهم كيف يشكروا  
 وقيل معناه لو استقام الجن على طريقهم القديمة ولم يسلبوا باستماع القرآن لو سما عليهم الرزق استدراجا لتوقعهم في  
 في الفتنة ولعذبهم في كفران النعمة (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن معظته أو وجهه (يسلكه)  
 بدخله (عذابا صعدا) أي شاقا صعبا يعلا المذنب وينبذ على أنه مصدر وصف به المباعدة (وأن المساجد لله)  
 عطف على قوله تعالى أنا استمع أي وأوحى الى أن المساجد مخصصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله (فلا تدعوا)



أى لاتعدوا فيها (مع الله أحداً) غيره وقيل المراد بالمساجد المساجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه قبلة المساجد وقيل الأرض كلها لأنها جعلت مسجداً للنبى عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نبى السجود لغیر الله تعالى وقيل أعضاء السجود وقيل السجودات على أنه جمع المصدر الميمى (وأنه) من جملة الموحى أى وأوحى الى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ العبد للاستعارة بما هو مقتضى قيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال من فاعل قام أى يعبدوه وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في سورة الاحقاف (كادوا) أى الجن (يكونون عليه ليذا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً بما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرآنه وافتداه أصحابه به قياماً وركوعاً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده خالفاً للبشر كين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بموضع على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ: ليذا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة وليذا جمع لا بد كساجد وسجد وليذا بضمين جمع ليود كهصور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله أن يظهره على من ناواه (قل انما ادعوا) أى أعبدوا (ربى ولا أشرك به) روى في العبادة (أحداً) فليس ذلك يدع ولا يستنكر يوجب التعجب أو الاطلاق على عدواق وقرئ: قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والأوفق لقوله تعالى (قل انى لأملك لكم ضرا ولا رشداً) كأنه أراد لا أملك لكم ضرا ولا رشداً ولا غيا ولا رشداً فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر (قل انى لن ينجى من الله أحد) ان أرادنى بسوء (ولن أجد من دونه ملتحداً) ملتحداً ومعلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئ من نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئ من غيره وقوله تعالى (الا بلعنا من الله) استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكداً لنى الاستطاعة أو من ملتحداً أى لن أجد من دونه متجا إلا أن أبلغ عنهما أرسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا أبلغ بلاناً من الله والجواب عذوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالته) عطف على بلاناً ومن الله صفته لصلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كما تنافاه تعالى ورسالته التى أرسلنى بها (ومن بعض الله ورسوله) في الامر بالتحديد الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرئ: يفتح الهجزة على خمسة أو جزأه أنه نار جهنم (عالمين فيها) في النار أو في جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبداً) بلا نهاية وقوله تعالى (حتى اذا رأو ما يوعدون) غاية مخدوف يدل عليه الحال من استعصاف الكفار لانصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدته كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأو ما يوعدون من فتن العذاب في الآخرة (فيسجدون) حيث (من أضعف ناصرأ وأقل هدداً) وحمل ما يوعدون على ما رآوه يوم بدر يأباه قوله تعالى (قل انما أدري) أى ما أدري (أقرب ما توعدون أم يحصل له ربي أمداً) فانه ربه لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكاراً له واستهزاء به فبقي على أنه كان له لعمالة وأما وقته فما أدري متى يكون (عالم الغيب) بالرغم قيل هو يدل من ربي أو بيان له وبأياه الفاء في قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحد) اذ يكون النظم حينئذ أم يحصل له عالم الغيب أمداً فلا يظهر عليه أحد وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا مخدوف أى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية وإلغاء لترتيب عدم الظهور على تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه اطلاعا تاماً ينكشف به جليلة الحال انكشافاً تاماً موجبا لعين اليقين أحداً من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أى

الارسلوا ارتضاه لظهوره على بعض غيوبه المتعلقة برسائه كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً اما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزائها المترتبة عليها في الآخر قوماً تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملة ما يقام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى ياتى بها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجين من الغيوب التى من جملة ما يقام الساعة فلا يظهر عليه أحد أبداً على أن بيان وقته محل للحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم حصول مرتبة مامن تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لاحت من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلقه رصداً) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفية أى فانه يسلك من جميع جوانب الرسول عليه السلام عند اظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسائله وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلنوا رسالات ربهم) متعلق يسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن مخدوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى أراد اظهاره المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفرادهم وضمير أبلغوا اما للرصد فالعننى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختلاف والتخليط علماً مستتباً للجزء وهو أن عمله مروجوا حاصل بالفعل كما في قوله تعالى حتى تعلم المجاهدون والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وإيراده عليه تعالى لإباز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحق عليهما والتحذير عن التفریط فيهما وأما من ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد في الضميرين السابقين باعتبار اظفار فالفنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أنهم كما هم من غير اختلاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باعتبار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جى: بها لتحقيق استثنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلقه ليرتب عليه عله تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعاً (وأحصى كل شئ) بما كان وما سيكون (عدداً) أى فرداً فرداً وهو تجميع مقبول من المفعول به لقوله تعالى ونحرا الأرض عيوناً والاصل أحصى عدد كل شئ وقيل هو حال أى معدوداً محصوراً أو مصدر بمعنى احصاء وأما ما كان فثابته بيان أن عله تعالى بالاشياء ليس على وجه كل اجمالى بل على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدرها على حصرها اجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لان أصل الاحصاء أن الحاسب اذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصة يحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فيبعض من السداد . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمد وكذب به عتق رقية





(مكية وآياتها تسع عشرة أو عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المزمل) أي المزمل من زميل بآياه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاء وقد قرئ على الأصل وقرئ المزمل من زملة مبنيا للفعول ومبنيا للفاعل قيل خرط به النبي عليه الصلاة والسلام تهجيئا لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا بهمة أمر ولا يقينه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشعر للعبادة والوجود إلى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جثت فرقا أول ما أتته جبريل عليهما السلام وبادره ترعد فقال زملاؤي زملاؤي فخشيت أن عرض له فينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أيها تراب ملاطفة له واشعارا بأنه غير غائب عليه وقيل المعنى يا أيها الذي زميل أمرا عظيما هو أمر النبوة أي حمله والزميل الحمل وازدمله أي احتمله فالعرض للوصف حينئذ للاشعار بعلية للقيام أو لأمريه فإن تحمله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة (تم الليل) أي قم إلى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم حصل وقرئ بضم الميم وفتحها (الاقبلا) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقي بعد الثبوت بدل الكل أي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالتقليل لظهور كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والاذن بفضلته وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الأولى (قليل) أي نقصا قليلا أو مقدارا قليلا بحيث لا ينحط إلى نصف النصف (أو زد عليه) أي زد القيام على النصف المقارن له فالعنى تخييرهم عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا فلأن الحقيقي بالاعتناء الذي ينشأ عنه الأبدال هو الجزء الباقي بعد الثبوت المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه وأما ثانيا فلأن نقص القيام وزادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمخلا ظاهرا اعتراف بأن الحق هو الأول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على الثبات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما نقصان من النصف وزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كما قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو زد منه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول والله أعلم بما في كتابه الجليل (ورتل القرآن) في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على قوة وتدين حروف (ترتلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عددها من قولهم تترتل وتزل إذا كان مفلجا (اناسلق عليك) أي سنوحى إليك وإيشار الالتقاء عليه لقوله تعالى (قولا تقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجللة اعترض بين الأمر

وتعليقه لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه تقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل على المتأمل فيه لانتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل في الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقفه عن ابن عباس رضي الله عنهما كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربده له جسيده وعن عائشة رضي الله تعالى عنها رأيته يزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وأن جبينه ليرفض عرقا (إن ناشئة الليل) أي إن النفس التي تنشأ من مضجعتها إلى العبادة أي تنهض من نسا من مكانه إذا نهض أو أن قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعاقبة أو أن العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث أو أن ساعات الليل فاتها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الأولى من نشأ إذا ابتدأ (هي أشد وطأ) أي هي خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطأ أي أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها أن أريد بها النفس أو يواطئ فيها قلب القاسم لسانه أن أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد مواطفة لما يراد من الخشوع والاخلاص (وأقوم قولا) وأسند مقالا وأثبت قرأة لحضور القلب وهذا الأصوات (إن لك في النهار سجا طويلا) أي تقليا وتصرفا في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تنزع للعبادة ففعلك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبغا أي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبغ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقرأة قرآن ودراسة علم (وتقبل إليه) أي وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك لا يتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصاعدة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق مما سواه قيل (تقبلا) مكان تقبلا مع ما فيه من رعاية القواصل (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره (لا اله الا هو) وقرئ بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى (فانقذه كيلا) لترتيب الأمر وموجبه على اختصاص الألوهية والربوبية به تعالى (واصبر على ما يقولون) عملا بخبر فيه من الخرافات (واجرهم همرا جبيلا) بأن تحانيهم وتداريهم ولا تكاشهم وتكل أمورهم الدريهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذري والمكذبين) أي دعني وأياهم وكل أمرهم إلى فاني أكفيهم (أولى النعمة) أبواب النعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا قليلا (انزلدينا أنكالا) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر أي أن لدينا أمورا مضادة لتنعيمهم (وجعينا وطعنا ما غصة) ينشأ في الخلق ولا يكاد يساغ كالضريع والرقوم (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معدم ومرصد وقوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) أي تضطرب وتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعاقبه لدينا وقيل متعلق بمحضره وصفه لعذابا أي عذابا واقعا يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلاتها وارتفاعها (كسبابا) رمل اجتماعه كأنه فعل بمعنى مقبول (مبلا) منور من هيل هبلا إذا تروى وسيل (انارسلنا اليكم) يا أهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بأصدركم من الكفر والبصيان (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه (فعضى فرعون الرسول) الذي أرسلناه إليه وعمل الكفاف النصب على أنها صفة لصدره عذوف أي أنا أرسلنا اليكم رسولا فصبيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم إرسالنا كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذنا وبلا) خارج من التشبيه جى به للتبعية على أنه سيحرق بهولا محاقا بأولئك لاجلته والويل الثقيل الغليظ من قولهم كلا وويل أي وخيم لا يستمر أثقله والويل العصا الضخمة (فكيف تقنون) أي كيف تقنن أنفسكم (إن كفرتم)



أى يقبض على الكفر (يوما) أى عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وخطاه ما فيه من الدواهي (شيئا) شيوعا جمع أشيب أما حقيقة أو تشبها وأصله أن المصوم والأجزاء إذا تعلقا على المزملة ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذلك (السبا منظر) أى مشق وقرئ متظفر أى متشفق والتذكير لاجرا أنه على موصوف مذكر أى شئ متظفر عبر عنها بذلك للتشبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسما ولم يبق منها إلا ما يبر عنه بالشئ وقيل لتأويل السبا بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات الشغل والبال في قوله تعالى (به) مثلها في فطرت العود بالقدم (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف إلى فاعله أو اليوم وهو مضاف إلى مفعوله (أن عده) إشارة إلى الآيات المخطوبة على القوارع المذكورة (تذكروا) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) بالتقرب إليه بالإيمان والطاعة فإنه المنهاج الموصل إلى مرضاته (أن يهلك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أى أقل منها استيعار له الأدنى لما أن المسافة بين الشيتين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز (ونصفه وثلث) بالنسب عطف على أدنى فترنا بالجر عطف على ثلثي الليل (وطائفة من الذين همك) أى ويقوم معك طائفة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ ونا يقدر عليه موجب الاختصاص فطما كما عبر عنه قوله تعالى (علم أن لن نحصد) أى علم أن الشأن أن تقدروا على تقدير الأوقات وإن تستطيعوا اضطط الساعات أبدا (فأجاب) بالترخيص في ترك القيام المقدور ومع التبعة حكم في تركه (فأقرؤا ما تيسر من القرآن) فخلصوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالفراغ كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجيد واجبا على التخيير المذكور فصر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلاة الحسن وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قراءة آية من القرآن في ليلة لم يجاهد وقيل من قراءة آية كتب من القانتين وقيل تحسين آية (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون في الأرض) يسافرون فيها للتجارة ينتفون من فضل الله (وهو الرخ) وقد عمق ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) وإذا كان الأمر كاذرا وتماضت الدواعي إلى الترخيص (فأقرؤا ما تيسر منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلوة) أى المفروضة (وأتوا الزكاة) الواجبة وقيل هي زكاة الفطر إذ لم يكن يمكنه زكاة ومن صبرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مديبا (وأفرضوا الله قرضا حسنا) أراده بالانعامات في سبيل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأفضلها للفقراء (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان ما ذكر وما لم يذكر (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذي تخرجه إلى الوصية عند الموت وخيرا إلى مفعول تعدوا وهو تأكيد أو فصل وإن لم يقع يتصرفين فإن أصل من في حكم المعرفة ولذلك ينتج من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخير (واستغفروا الله) في كافة أحوالكم فإن الإنسان قلما يحلو من تحريط (أن الله غفور رحيم) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه المس في الدنيا والآخرة

## سورة المدثر

(مكية وآيات وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها المدثر) أى المدثر وهو لا يلبس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذى على الجسد قيل هي أول سورة نزلت . روى عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فتوديت يا محمد أنك رسول الله فطرت عن يميني ويساري ثم أريأ فطرت فوق فاذا به قاعد على عرش بين السبا والأرض يعنى الملك الذى ناداه فرجعت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى ذرونى فزول جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ إلى قوله تعالى ما لم يعلم لحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلى شواق الجبال فأنادى جبريل عليه السلام وقال أنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال دثرونى وصبروا على ما بلرأ فزول جبريل فقال يا أيها المدثر وقيل سمع من قرش ما كرهه فأنتم فتعلى ثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع النذارم وإن أسمعوه وأذو وقيل كان نائما متدبرا وقيل المراد للمدثر لباس النبوة والمعارف الإلهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الأمر العظيم ونصب به وفى حرف أى المدثر بالياء المدثر على الأصل (ثم) أى من مضجعتك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أى الأصل الانذار وأحدته وقيل أنذر فومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتلك الأقرين أو جميع الناس حسبا بنى عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا أو نذيرا (وربك فكبر) واختص ربك بالكبر وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويرى أنه لا نزل لرسوله فأنذره أكبر فكبر خديجة وفرضت وأيقنت أنه الوحي وقد جعل على تكبير الصلاة والفاء معنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شئ حدث فلا تدع تكبيره أو لدلالة على أن المقصود الأولى من الأمر بالقيام أن يكبره ويذكره من الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تدرجه عما لا يليق بعبادته (وثيابك فطهر) ما ليس بظاهر فانه واجب في الصلاة وأولى وأجب في غيرها وذلك بصلاتها وحفظها عن التجاسات وغسلها بعد تطهرها وتنقيتها أيضا فإن طولها يؤدى إلى جر الذبول على الفلذولت وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المسمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس بما يستفاد من الأفعال ويستخرج من الأحوال يقال فلان طاهر الذليل والأردان إذا وصفوه بالنقا من العاصب ومنداس الأخلاق (والرجز فاهجر) أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى إليه من الماتم وقرئ بكسر الراء وهما لثان كالأدكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثرا أى رابعا لما تعطيه كثيرا أو ما باللكثير على أنه ينهى عن الاستغفار وهو أن يب شيئا وهو يطعم أن يعوض من الموهوب به أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغفر بناب من هت فأنسى أما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الأخلاق وأحسن الآداب والتزويده للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو أبدا لا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنمن المن الذى في قوله تعالى منا ولا أدنى لأن من بمن بما يعطى يستكثره ويتعد به وقرئ بالنصب باضدادا مع ابتداء عملها كقول من قال ألا هذا الجارى أحضر الوضى وقد قرئ بإثباتها ويجوز في قراءة الرفع أن يحذف أن ويعطى عملها كما يروى أحضر الوضى بالرفع (وربك) أى لوجهه تعالى أولامره (فأصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء القرآن (فاذا نقر في الناقور) أى نطق في الصور وهو فاعل من



النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصير على أذانهم فين أديهم يوم هائل بلقون فيه عاقبة أذانهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامر في إذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿فذلك يومئذ عسير على الكافرين﴾ فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البدمع قرب العهد بالشار إليه اللذان يبدد منزلة في الهول والفضاعة وعمله الرفع على الابتداء ويومئذ يدل منه معنى على الفتح لاحتماله غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذا التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى ﴿غير يسير﴾ تأكيده لسهرة عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلاف في أن المراد به يوم النسخة الأولى والثانية والحق أنها الثانية أذهى التي يخص عسرها بالكافرين وأما النسخة الأولى فحكها الذي هو الاصطاق يوم البر والفاجر على أنها غصصة بمن كان حياعته وقوعها وقد جافى الأخبار أن في الصور نقبا بعدد الأرواح كلها وأنها تجتمع في تلك النقوب في النسخة الثانية فتخرج عند النسخ من كل نقب روح إلى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حيا بأذن الله تعالى ﴿ذرف ومن خلقت وحيدا﴾ حال أما من الياء أي ذرفي وحدي معه فإني أكفيك في الانتقام منه أو من التاء أي خلقتني وحدي لم يشر كني في خلقه أحد أو من العائنه المحذوف أي ومن خلقتني وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تكبره وبلقبه وصرف له عن الغرض الذي يؤمنه من مدحه إلى جنة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من آية لأنه كان زنيا كما حرأ وحيدا في الثرارة ﴿وجعلت له مالا عدودا﴾ مبسوطة كثيرا أو عدا بالياء من مد النهر ومنه نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا يقطع ثماره صيفا وشتا وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة آلاف دينار وقال الثوري أيضا ألف ألف دينار ﴿وبتين شهورا﴾ حضورا معه بمكة يستمع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فوّر نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا في الأندية والمخاض لمواجهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بتين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجل الوليد بن الوليد وعامة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعامة ﴿ومعدت له تمهيدا﴾ وبسطت له الرئاسة والجاه العريض حتى لقب رجاعة قريش ﴿ثم يطعم أن أريد﴾ على ما أوتي وهو استبعاد واستنكار لطعمه وحرصه أن لا يمد على ما أوفى سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليهم كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل أنه كان يقول إن كان محمد صادقا فسا خلقت الجنة إلا لي ﴿كلا﴾ رده وزجره عن طعمه الفارع وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى ﴿أنه كان لا ياتنا عنيدا﴾ تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوفى ما أوفى استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك ﴿سأرقه صعودا﴾ سأغشيه بدل ما يطعمه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يليق من العذاب الصوب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا ﴿انه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده آياته تعالى أي فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقوله ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتجيه قريش قاتله الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء

به أو حكاية لما كرروهم من قولهم قتل كيف قدر تكبرا بهم وبالعجبهم بتقديره واستغفاهم لقوله ومعنى قولهم قتل الله ما أشجعهم وأخزاه الله هما أشعره الأشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقيا بأن يدعو عليه سادس بذلك. روى أن الوليد قال لي عزوم والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن إن له خلوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمشر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلم وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ففقد عنده حزينا وكلبه بما أحياه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا يجنون قبل رأيتموه يخفق ويقولون أنه كاهن قبل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر قبل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب قبل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله ولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر بأثره عن أهل بابل فأرجم النادى فرحا وتفرقا معجبين بقوله متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للبالغة وتم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيها بعد على أصلها من التراخي الزماني ﴿ثم نظر﴾ أي في القرآن مرة بعد مرة ﴿ثم عسى﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه مطلقا ولم يدرك ما يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه ﴿وبسر﴾ اتباع لعيس ﴿ثم أدير﴾ عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واستكبر﴾ عن أتباعه ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾ أي يروى وتعلم والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تعلم وتلبث وقوله تعالى ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ تأكيده لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرقه صعودا ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي أي شيء أعطيت ما سقر على أن ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لأنها المقيدة لما قصد إفادته من التوبيخ والتفطيع وسقر مبتدأ أي أي شيء هي في وصفها لما مر مرارا من أن ما قد يطلب بها الوصف وإن كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى ﴿لاتبقي ولا تذر﴾ بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذلك أي لا تبقى شيئا يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تدره هالك حتى يعاد أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة ﴿لواحة للبشر﴾ مغيرة لأعلى الجمل مسودة لها قيل تلقح الجمل لفحة فتدعه أشد سودا من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ وقريء الواحة بالنصب على الاختصاص للتوبيخ ﴿عليها تسعة عشر﴾ أي ملكا أو صنفا أو صنفا أو نفسا من الملائكة يكون أمرها ويتسلطون على أهلها وقريء يسكنون عين عشر حذرهم تولى الحركات فيها وفي حكم اسم واحد وقريء تسعة عشر جمع عشر مثل يمين وأمين ﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أي المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها ﴿إلا ملائكة﴾ ليخالفوا جيش المدينين فلا يروا لهم ولا يستروا لهم والهم ولا هم أقوى الخلق وأقربهم من الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدهم بأسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرى بهم في النار ويرى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كاذة الجعفي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فأكفوني أتم اثنين فنزلت أي ما جعلناهم رجلا من جنسكم ﴿وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا﴾ أي ما جعلنا عددهم إلا العدد الذي تسبب لاقتنائهم وهو التسعة عشر فغير بالأثر عن المؤثر تنبها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الأمر بل جعله في القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق اقتنائهم



باعتقادهما واستعدادهم لتولي هذا العدد القليل التعذيب أكثر الثقلين واستهوانهم به حسبا ذكر وعليه يدور ماسياتي  
من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا انخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية في النظر  
والعمل بسبب القوى الحيوانية الثلاث عشرة والطبيعة السبع أو أن جهنم سبع درجات ستعذب بها الأصناف الكفرة  
كل صنف يمدح بترك الاعتقاد والافتقار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أو وصف  
يتولاه واحدة لعصاة الأمة يمدحون بها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد أو أن الساجات أربع وعشرون  
نحلة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف إلى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يتولاهما الزمانية  
(ليستفيق الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالمعمل على المعنى المذكور أي ليكنسوا اليقين بربوبته عليه الصلاة  
والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أي يزداد إيمانهم  
كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتعذيبهم أنه كذلك أو فيه بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بما رأوا من  
(ولا يرتاب أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان وتلي لما قد يعترض  
المستيقن من شبهة ما واثقنا من نظر المؤمنين في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للفتنة  
على بيان التيقن حالاً فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مغلون لما ينافيه من المجود ومن المؤمنين مقارن لما  
يقتضيه من الإيمان وكما يتجسس والتعير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالوصول والصلة الفعلية المذمومة عن الحدود  
للإيمان بآياتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك أو غشاق  
فيكون اخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون على التكذيب (عماذا أراد الله  
بهذا مثلاً) أي أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استعده حسباً أنه مثل مصروب  
وأفراد فوطهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فقههم للاعتداد باستقلاله في الشاعة (كذلك يقول الله من يشاء)  
ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الاستقلال والهداية وعلى السكاف في الأصل النصب على أنها حقة لمصدر محذوف  
وأصل التقدير يقول الله من يشاء (ويجدي من يشاء) استقلالاً وهداية كآيتين مثل ما ذكر من الاستقلال والهداية  
لحذف المصدر وأهم وصفه مقامه ثم ضم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاستقلال وتلك الهداية يقول الله  
من يشاء استقلاله لعرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته  
لعرف اختياره عند مشاهدته تلك الآيات إلى جانب الهدى لا استقلالاً وهداية أدنى منهما (وما يعلم جنود ربك)  
أي مجموع خلقه التي من جنده الملائكة المذكورون (الاهو) إذ لا سبيل لأحد إلى حصر المكتسبات والوقوف على  
حقاتها وصفاتها ولو اجتمعوا فضلاً عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وما هي) أي سفر أو عدة  
حركاتها أو الآيات الناطقة بأحوالها (الاذكري للشر) الا تذكرة لهم (كلا) رجع لما أنكرها وأنكر وني لأن  
يكون لهم نذر (والقمر والليل إذا أدبر) وقرى إذا دبر بمعنى أدبر كقيل بمعنى أقبل ومتطوفاً صاروا كأمس الدابر  
وقيل هو من در الليل البار إذا خلقه (والصبح إذا أسفر) أي أضأ وانكشف (إنها لأحدى الكبر) جواب  
للقسم أو تعليل لكلا القسمين معترض للتوكيد والكثير جمع الكبير جعلت ألف التانيث كتابها فكما جمعت قلة على  
قل جمعت ضلي عليها ونظيرها القواصم أي جمع القاصم كأنها جمع قاصمة أي لأحدى البلايا لأحدى الدواهي الكبر  
على معنى أن البلايا الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها (نذير للشر) نذير أي لأحدى  
الكبر انذاراً أو سالماً مما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة وقرى نذير بالرفع على أنه خبر بمدحير لأن أوليتها محذوف

(ولم يشأ منكم أن يخدم أو يتأخر) بدل من للبشر أي تدبروا لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فبيده الله تعالى أو لم  
يشأ ذلك فبطله وقيل لمن شاء غير وأن يقدم أو يتأخر حسباً فيكون في معنى قوله تعالى لم يشأ فليؤمن ومن شاء فليكفر  
(كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالمدينة بمعنى الستم لاصفة  
والأقبل رهن لأن فعلاً بمعنى مفعول لا بدحله الثاني (إلا أصحاب اليمين) قائمتهم ما كسبوا رقابهم (أحسنوا من أعمالهم  
كما يفعل الرحمن وهو بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل هم الأطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسن وقيل الذين  
كانوا من بين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعفون كتبهم بأيمانهم (في جنات) لا يكتسب كتبها ولا يدرك  
وصفها وهو خير لمثلها عذوب والجنة استئناف ورفع جواباً عن سؤال نشأ عما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل  
ما بالهم قبل هم في جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضمير في قوله تعالى (يتسألون) وقيل ظرف للتسأل  
وليس المراد يسألونهم أن يسأل بعضهم بعضاً على أن يكون كل واحد منهم سائلاً ومسؤولاً مما بل صدم والسؤال عنهم  
بجود عن وقوعه عليهم فإن صفة التفاضل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه  
مما بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً كما في قولك تراسى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر لكنهما  
قد تجرد عن المعنى الثاني وبغضبها الدلالة على الأول فقط فيذكر الفعل حينئذ مفعولاً كما في قولك زاموا الحلال فمعنى  
يتسألون (عن الجحيم) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى (ما سألكمكم  
في سفر) مقدر يقول من حال من فاعل يسألون أي يسألونهم قائلين أي متى أدخلكم فيها تأمل ودع عنك ما تكلف  
فهو للتكليفون (قالوا) أي الجحيمون يجيبون لسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك تعلم  
المستكين) على معنى استمرار نبي الأعلام لا على نبي استمرار الأعلام كما مر مراراً وفيه دلالة على أن الكفار غافلون  
بالفروع في حق المواخنة (وكنا غرض مع الخاضعين) أي شرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا تكذب  
يوم الدين) أي يوم الجزاء أضافوا إلى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والأحوال ما لا غنى له لأنه أدهاها وأمرها وأنهم  
ملا سوء وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنابهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتخصيصها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك  
كله مكذبين يوم الدين وليس أن كون تكذيبهم بمقارنا لسائر جناباتهم المعدودة مستمرا إلى آخر عمرهم حسباً لفظية  
قولهم (حتى أتانا اليقين) أي الموت ومقدماته (لما تنفخهم شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعاً والفاء في  
قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لتزييف انكار اعتراضهم عن القرآن بقدر سبب على ما قبلها من موجبات  
الاجمال عليه والاتقاط به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية  
وعن متعلقة به أي ماذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاونه موجبات  
الاجمال عليه وتأخذ الدواهي إلى الإيمان به وقوله تعالى (كانهم جمر مستنقرة) حال من المستكين في معرضين  
بطريق التداخل أي مشبهين بحجر نائرة (فرت من سورة) أي من أسد سورة من القصر وهو القصر والغنية وقيل  
هي جماعة الرماة الذين تصدقوا بشيها في أعراسهم عن القرآن واستباح ما فيه من المواضع وشراهم عنه بحصر جدت  
في نهارها مما أفرغها وفيه من دمهم وتجهيز عالم مالا غنى وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً  
منسورة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكتبون ذلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم  
أن يؤتى قرطيس للشر وتقرأ وأنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن تبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب  
من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها بالبايعات كما قالوا لن تؤمن لريقك حتى تؤخذ علينا كتاباً



تقرؤه وقرئ مصحفاة مشفرة يسكون الحاء والتون (كلا) ردد على من تلك الجرائم (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يمرضون عن التذكرة لا لامتاع آياتها الصنف (كلا) ردد عن اعراضهم (انه) أي القرآن (تذكرة) وأي تذكرة (فن شاء) أن يذره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المقصود من ظاهر قوله تعالى فن شاء ذكره اذ لا تأثير باشيئة العبد واراذه في أفعاله وقوله تعالى (الا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أهم العال أو من أهم الأحوال أي وما يذكرون بيلة من العال أو في حال من الأحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب التثنية وقرئ بها مشددا (هو أهل التقوى) أي حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع (وأهل المغفرة) حقيق بأن يعفو لمن آمن به وأطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة

## سورة القيامة

(مكية وآياتها تسع وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم يوم القيامة) ادعاه لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها تركيد القسم قالوا أنها صفة مثلية قوله تعالى للآل يعلم أهل الكتاب وقيل هي للنفى لكن لا نفى نفس الاقسام بل نفى ما يفي به من عظم العظام المقسم به وتفصيله كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظم باقسان بسحق اعظامه فانه حقيقيا أكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن للنفي نفى الاقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفى ورد للكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البحث فقيل لا أي ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم يوم القيامة كقولك لا والله أن البعث حق وأيا ما كان في الاقسام على تحقق البحث يوم القيامة من الجزالة لا مزيد عليه وقدر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها عن التقوى فيه طرف من البراعة التي في القسم السابق أو بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة للآمنة للنفس الأمانة وقيل بالجنس لما روي أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفسية ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم أزد وان عملت شرا قالت ليني كنت عصرت ولا تخيني حمزة فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدار الاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة للمسيبة فكيف من الكافر والمندرج تحت المجلس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم بقوله تعالى (يأحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه) وهو ليمس والمراد بالإنسان الجنس والحمة لا مكارا الواقع واستقبحه وأن عظمته من الثقلية وحسب الشأن الذي هو اسما محذوف أي أحسب أن الشأن لن يجمع عظامه فان ذلك حساب باطل فانضمها بعد تشبهها ورجوعها عما يورثها غلظا بالتراب وبمناسبتها الرباع وطيرتها في أطوار الأرض والفتا في البحار وقيل ان عدوين أني ريمة خيرا لأخس من شريق وعما اللذان كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول لغيرها اللهم اكفني حاربي السوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصعدك أو يجمع الله هذه العظام (علي) أي يجمعها حال كونها (قادرين على أن نسوي بناته) أي

يجمع سلاماته ونعم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرهما ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوي أصابعها إلى هي أطرافه وآخر ما يرم به خلقه وقرئ قادرين (بل يريد الإنسان ليفخر بأعلمه) عطف على أحسب اما على أنه استنباهم مثله أحسب من التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب اتقل إليه عن الاستنباه أي بل يريد ليذوم على لجوره فيما بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه (يسأل أبا يوم القيامة) أي متى يكون استعادا أو استنرا (فأنا بريق البصر) أي تخير فرعا من بريق الرجل اذا نظر إلى البرق فدمع بصره وقرئ ففتح الراء وهي لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ باق أي انفتح وانفج (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) بأن يطلعها الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهب الضوء وقيل بجمعا أسودين مكررين كأنهما ثوران غصيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الإنسان يومئذ) أي يوم اذ تقع هذه الامور (أين المخرج) أي المخرج أيا ما تنمو وقرئ بالكسر أي موضع القرا وقد جرد أن يكون هو أيضا مصدرا للمرجع (كلا) ردد من طلب المخرجه (لا وذر) لا لمجاستار من الجبل وقيل كل حالاتها إلى وتخلصت به هو وذر (إلى ريك يومئذ المستقر) أي إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (يأيا الإنسان يومئذ) أي يخبر كل امرئ برا كان أو فاجرا عند وزن الأعمال (بما قدم) أي عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيجاب بالاول وبما قبل بالثاني (وأخر) أي لم يعمل خيرا كان أو شرا فيجاب بالاول وبما قبل بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من حسنة أو سيئة ففعل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما أخر غلظه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (يل الإنسان على نفسه بصيرة) أي حجة بيته على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يحبر عنه كلمة على وما سأل من الجنة الحالبة وحفت بالنصرة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التأمل للبالغة ومعنى بل التفرق أي بدأ الإنسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو أني معاذرة) أي ولو جازة بكل معذرة يسكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة أو من حرقوع بليا أي هو بصيرة على نفسه تشديد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو بيا بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة قلنا كبر اسم جمع للمعذرة وقيل هو جمع معذار وهو الشرائع ولو أدرى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراة ولم يصبر إلى أن ينصبا مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يغفلت من فامر عليه الصلاة والسلام بأن يستصحب له ملقيا إليه قلبه وسمعه حتى يقضي إليه الوحي ثم يفقهه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه قبل (لا تحرك به) أي القرآن (أسانك) عند الفاء الوحي (لتعمل به) أي تأخذه على عتقه فافقه أن يغفلت منك (إن علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) أي آيات قرآنه في أسانك (فأنا قرآنه) أي أتمنا قرآنه عليك بلسان جبريل عليه السلام وأستاذ القراة إلى نون العظمة للبالغة في إيجاب التأني (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له ولا ترسله (ثم إن علينا بيانه) أي بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه (كلا) ردد على الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له في التأني أكد ذلك بقوله تعالى (بل تخبون العاجلة وتندرون الآخرة) على نعمم الخطاب لكل أي بل أنتم يا أي آدم لما خلقتم من محل وجلبتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تخبون العاجلة وتندرون الآخرة وقيل كلا ردد الإنسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في







« رأيت نعميا وملكاً كبيراً » أى هنيئاً واسعاً وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكة مسيرة ألف عام يرى أخصاه كما يرى أذنائه وقيل لا زواله وقيل اذا أرادوا شيئاً كان وقيل يعلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم « عليهم ثياب سندس خضر » قيل عليهم طرف على أنه خير مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجللة صفة أخرى لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حبيبهم أى يطوف عليهم ولدان عالياً للسطوف عليهم ثياب الخ أو حبيبهم لؤلؤاً مثنو را عالياً لهم ثياب الخ وقرى عليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلمون من لباسهم ثياب سندس وقرى خضر بالجر محلاً على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس « واستبرق » بالرفع عطفاً على ثياب وقرى برفع الاول وجر الثانى وقرى بالعكس وقرى بجرهما وقرى واستبرق بوصل الحمزة والفتح على أنه استعمل من البريق جعل علماً لهذا النوع من الثياب « وحلوا أساور من فضة » عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لا مكان الجمع والمعاقبة والتبعض فان حل أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلهذا تعالى بفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حلياً وأنواراً تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عليهم بأضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذال للمخدومين « وسقاهم ربه شراباً طهوراً » هو نوع آخر يفوق النوعين السابقين كما يرشد إليه استناد سقيه إلى رب العالمين وصفه بالطهورية فانه يظهر شارباً عن دس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ماسوى الحق فيترجى لطاعة جماله ملتذاً ببقائه باقياً ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار « أن هذا » على اضمار القول أى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فزون الكرامات « كان لكم جزاء » بمقابلة أعمالكم الحسنة « وكان سعيكم مشكوراً » مرجعاً مقبولاً مقابل بالثواب « انما نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً » أى مفزاً منجماً لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان « فاصبر لحكم ربك » بتأخير نصرته على الكفار فان له عاقبة حميدة « ولا تلعبنهم أمساً أو كفوراً » أى كل واحد من مرتكب الأثم الداعى لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه وأول الدلالة على أنها سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما فلا بد أن يكون النهى عن الاطاعة فى الأثم والكفر فيما ليس بأثم ولا كفر وقيل الأثم عتبة فانه كان ركاباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غالباً فى الكفر شديد الشكبة فى العتو « واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً » وداوم على ذكره فى جميع الاوقات أودم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتقل بهما « ومن الليل فاسجد له » وبعض الليل فضل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص « وسبحه ليلاً طويلاً » وتجدله تعظماً من الليل طويلاً « ان هؤلاء » الكفرة « يحبون العاجلة » وينهمكون فى لذاتها الفانية « ويدعون وراءهم » أى أمامهم لا يسمعون أو يبدون وراهم ظهورهم « يوماً قليلاً » لا يعبأون به ووصفه بالقلل تشبيه شدته وهو لا يتقبل شئ فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه « نحن خلقناهم » لاغيرنا « وشددنا أسرهم » أى أحكنا ربط مفاسلهم بالأعصاب « واذنا شتاً بدلنا أمثالهم » بعد اهلاكم « تبدلنا » بديلاً لا ريب فيه هو البعث كما ينفى عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم من يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذ للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية « ان هذه تذكرة » اشارة الى السورة أو الآيات القرية « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً » أى فمن شاء أن يتخذ الى تعالى سبيلاً أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذها أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعفها وقوله تعالى « وما تشاؤون الا أن يشاء الله » تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم

غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدر على تحصيله فى وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشية العبد الا فى الكسب وانما التأثير والخلق لمشية الله عز وجل وقرى يشاؤون بالياء وقرى الا ما يشاء الله وقوله تعالى « ان الله عليم حكيم » بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأمله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه عليه وتقتضيه حكته وقوله تعالى « يدخل من يشاء » فى رحمته « بيان لأحكام ومشية المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يقضى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة « والظالمين » وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر « أعد لهم عذاباً بالياً » أى متناهياً فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسير لهذا المضمهر وقرى بالرفع على الابتداء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى الجنة وحريراً

### سورة والمرسلات

(مكية وآياتها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والتائرات نشرات فالفارقات فرقا فالملقيات ذكراً » اقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسالين بأوامره فعصفن فى مضيئ عصف الرياح مسارعة فى الامثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهم فى الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع فى الاقطار أو نشرن النفوس الموق بالكفر والجهل بما أوحى بفرق بين الحق والباطل فألقين ذكراً الى الانبياء « عذراً » للمحقين « أو نذراً » للباطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالتقاء لايدان بكونها غاية للالتقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بأن كلام الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بين ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالتقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام برباع عذاب أرسلين فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرق بينه كقوله تعالى ويجعله كفاً أو بسحاب نشرن الموات ففرق كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرق بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكراً اما عذراً للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لأنار رحمة تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذاراً للذين يكفرونها وينسبونها الى الآنواء واستاد القائلين لكونهم سبياً فى حصولها اذا شكرت النعمة فيمن أو كفرت أو اقسامها بآيات القرآن المرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الارض ومغاربها وفرق بين الحق والباطل فألقين ذكراً الحق فى أكناف العالمين والعرف اما تفيض النكر واتصابه على العلة أى أرسائنا للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف الانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس واتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا عا الاساءة ومن أنذر اذا خوف واتصابه على البدلية من ذكر أو على العلية وقرئاً بالتثنية « ان ما توعدون لواقع » جواب للقسى أى ان الذى توعدون من عصى القيامة كائن لا محالة « فاذا التجرم طمست » محيت وعسقت أو ذهب



بنورها ﴿واذا السحاب فرجت﴾ صعدت وفتحت فكانت أبوابا ﴿واذا الجبال نسفت﴾ جعلت كالجب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انسفت الشيء إذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة ﴿واذا الرسل أقتت﴾ أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أنهم عند مجيئه وحضوره إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الأصل وبالتخفيف فيها ﴿لاي يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى وإذا الرسل أقتت أو حال من مرفوع أقتت أي يقال لا ي يوم آخرت الأمور المتعلقة بالرسول والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجب من هوله وقوله تعالى ﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلاق ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ما مبتدأ أدراك خبره أي أي شيء جعلك داريا ما هو موضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تظليل وتوبيخ على أن ماخير ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بدعيا هائلا لا بقادر قدره ولا بكنهته كنهه كما يفيد خبره لا لبيان كون أمر بدعي من الأمور يوم الفصل كما يفيد عكسه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ أي في ذلك اليوم المائل وويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدليه إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للدعوى عليه ويومئذ ظرفه أوصفته ﴿المهلك الأولين﴾ كفوم نوح وعاد وهود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح التاء من هلك بمعنى أهلكه ﴿ثم تبعهم الآخرون﴾ بالرفع على أنهم نحن تبعهم الآخرون من نظرناهم السالكين لتسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم ستبعهم وقرئ تبعهم بالجرم عطفًا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكًا من المذكورين كفوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الفعل القطع ﴿نفل المجرمين﴾ أي ستناجارية على ذلك ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم أذهلناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله تعالى وأنبأته وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا ﴿الم تخلقكم﴾ أي ألم تقدركم ﴿من مامين﴾ أي من نطفة قدرة مينة ﴿لجفائهم في قرار مكين﴾ هو الرحم ﴿إلى قدر معلوم﴾ إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر ﴿فقدروا﴾ أي قدرناه وقد قرئ مشددا أو قدسنا على ذلك على أن المراد بالقدر ما يقارن وجود المقدور بالفعل ﴿فهم القادرون﴾ أي نحن ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بقدرتنا على ذلك أو على إعادة ﴿الم نجعل الأرض كفافا﴾ الكفاف اسم ما يكف أي يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضام والجاع لما يضم ويجمع أي ألم نجعلها كفافا تكففت ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها ﴿وأمواتا﴾ غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للبالغة وقيل جمع ذافف كهاتم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تكرار أحياء وأمواتا لأن أحياء الأرض وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابها على الحالة من محذوف أي كفافا تكففتكم أحياء وأمواتا ﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي جبالا لتوابت ﴿شاعات﴾ طوا الشواهي ووصف جمع المذكور بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتذكيرها للتفخيم وللاشعار بأن فيها ما لم يعرف ﴿وأستقينا ما فرأنا﴾ بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بأمان هذه النعم العظيمة ﴿انطلقوا﴾ أي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتفريع انطلقوا ﴿إلى ما كنتم تكذبون﴾ في الدنيا من العذاب ﴿انطلقوا﴾ خصوصا ﴿إلى الظل﴾ أي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحوم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الأمر عن علمهم بموجبه لاضطرارهم إليه طوعا أو كرها ﴿ذي ثلاث شعب﴾ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كاهو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق

ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث أمانا لحجاب النفس عن أنوار القدس والحس والخيال والوهم أو لأن المؤذي إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالقة في الدماغ والقوة الغضبية السبعة التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تنف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لا تخليل﴾ تهكم بهم أو زلزالا وهم لفظ الظل ﴿ولا يغي من اللب﴾ أي غير مغن لهم من حر اللهب شيئا ﴿انهاترى بشر كالفقر﴾ أي كل شره كالفقر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو حجر وحجرة وقرئ كالفقر بفتحين وهي أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالفقر بمعنى القصور كرهن ورنه وقرئ كالفقر جمع قصرة ﴿كأنه جملة﴾ قيل هو جمع جملة والتاء لتأنيث الجمع يقال جملة وجملة وقيل اسم جمع كالحجارة ﴿حفر﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لأن سواد الابل يضرب إلى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال أو جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الجبل العظيم من جبال السفن وفلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون﴾ إشارة إلى وقت دخولهم النار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيئا لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طوبى لهو طوبى ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فغير عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيئا يتفهم فان ذلك كالنطق وقرئ ينصب اليوم أي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون ﴿ولا يؤذن لهم فيعتدون﴾ عطف على يؤذن مستظرف في سلك النفي أي لا يكون لهم إذن واعتذار متعقبه من غير أن يحمل الاعتذار سببا عن الإذن كالنصب ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل﴾ بين الحق والباطل والحق والمبطل ﴿جمعا﴾ خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والأولين﴾ من الامم وهذا تقرير ويان للفصل ﴿فان كان لكم كيد فكيدون﴾ فان جمع من كنتم تقلدوهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقرير لهم على كيدهم للؤمنين في الدنيا واطهار لعجزهم ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث ظهر أن لاجلهم في الخلاص من العذاب ﴿ان المؤمنين﴾ من الكفر والتكذيب ﴿في ظلال وعيون وفواكه ما يشتهون﴾ أي مستقرون في فنون الترفه وأنواع التمتع ﴿كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المؤمنين في الخبر أي مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة ﴿انا كذلك﴾ الجزاء العظيم ﴿نجزي المحسنين﴾ أي في عقابهم وأعمالهم لاجزا أدنى منه ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب الخلد الويل ﴿كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون﴾ مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكريا لهم بحالهم في الدنيا وبما جأوا على أنفسهم من إثارة المتاع القاني عن قريب على التمتع الخلد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم ما له هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطبه المكذبون في الدنيا بعد بيان ما ل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ لزيادة التوبيخ والتفريع ﴿واذا قيل لهم اركعوا﴾ أي أطيعوا الله واخضعوا وتواضعوا له بقول وجهه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿لا يركعون﴾ لا يخضعون ولا يقولون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيفا بالصلاة فقالوا لا نحيي فانها مبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴿ويل يومئذ



للكذابين وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة (فأى حديث بعده) أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على منطبدع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اظلم يؤمنونه وقرئ يؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

### سورة النبا

(مكية وآية أربعون أو إحدى وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) أصله مخذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصد اللفظة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الأصل وما فيها من الإبهام للايذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس الملهودة أى عن أى شئ عظيم الشأن (يتسألون) أى أهل مكة كانوا يتسألون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقة ومساه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله وصف من أوصافه فان ما وإن وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسديات أسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال علم أو طيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتدعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صبيحة التفاعل في الأفعال المتعدية موضوعه لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا مما لكنه يرفع بإسناد الفعل اليه ترجيحاً لجانب فاعليته وبحال مفعوليته على دلالة العقل كما في قولك ترمى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عارياً عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حيث مفعول متعدد كما في المثال المذكور أو واحد كما في قولك ترموا الهلال وقد يمحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شئ يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى فى أى آلاء ربك تتبارى وقوله تعالى (عن النبا العظيم) بيان لشأن المسؤول عنه اثر تفضيحه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان إرادته على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للذية على أنه لاقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليف بأن يعنى بمعرفة ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شئ يتسألون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبا العظيم على مناهج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فمن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمرة حقه أن يقدر بعدها مسارة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمرة مفسر به وأيد ذلك بأنه قرئ عمه والآخر أنه مبنى على اجراء الوصل بحرى الوقت وقيل عن الاولى لتعليل كأنه قيل لم يتسألون عن النبا العظيم وقيل قيل عن الثانية استفهام مضمرة كأنه قيل لم يتسألون عن النبا العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذى هم مختلفون) بعد وصفه بالعظيم تأكيذا لخطره اثر تأكيده وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للقواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون في الاختلاف فيه فنجازم باستحالته يقول ان هي الاحيات الدنيا تموت

وتحيا وماهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين مما ك هؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسائى فقط يحكمون النصارى وقد حل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعلوم بعينه وحله على الاختلاف بالنفى والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفرقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فانه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لاعلى خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما يبنى تنزيه التنزيل عن أمثالهذا ما أدى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان التفاعل والتفاعل صيغتان متاختان كالاستباق والتسابق والاتصال والتناضل الى غير ذلك بحرى في كل منهما ما يحرى في الاخرى لاعلى مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لاحقة في شئ منها حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمؤمنين المذكورين وسيعلمون وعيدهم بطريق الاستئناف وتعليل الردع والسبب التقرب والتأكيذ وليس مفعوله ما يبنى عنه المقام من وقوع ما يتسألون عنه ووقع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى لبيّن لهم الذى يختلفون فيه الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من قنن الدواهي والعقوبات والتعيير عن لقائهم بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والهلاك وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيذ والتشديد وشم للدلالة على أن الوعيد الثانى أبغ وأشد وقيل الاول عند النزوع والثانى في القيامة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء وقرئ سيعلمون بالذات على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لاعلى تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاختلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى (ألن نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبا المتسأل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته اثر مانه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتسأل عنه هو البحث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للترديد والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الازام والتبكيت والمهاد البساط والفرش وقرئ مهادا على تشبيهها بمهاد الصبي وهو ما يمهده لغيره عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفى بل داخل في حكمه فانه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجاً) أصنافاً ذكرا واثقاً ليسكن كل من الصنفين الى الآخر ويتنظم أمر المعاشرة والمعاشر ويتنسى التناسل (وجعلناكم مكسباتاً) أى هو تالانه أحد التوفيقين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يوفىكم بالليل وقوله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعاً عن الاحساس والحركة لراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى فيه يقع النوم غالباً (لباساً) يستتركم بظلامه كما يستتركم اللباس ولعل المراد بهما يستتر به عند







عطفه على بفتح وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق وفري مفتحة التشديد وهو الأنسب بقوله تعالى ﴿فَكَرَّ﴾  
 ابواباً أي كثرت أبوابها المفتحة لتزول الملائكة نزولاً لا غير معتاد حتى صارت فاتها ليست إلا أبواباً مفتحة كقوله  
 تعالى ونجرا الأرض عيوناً كأن كلها عيون متضرقة هو المراد بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَقُ السُّيُوفُ﴾ والغمام وهو الغمام الذي  
 ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في أمرة وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق  
 والمداخل أي تكشط فيفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شيء ﴿وسيرت الجبال﴾ أي في الجوف على هيئة ما بعد قطعها  
 من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب أي تراها وأبى العين ساكنة في  
 أمانها كنهها والحال أنها تمر مر السحاب الذي يسيره الرياح سيرا حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحو من  
 الانحلال لتكاد يبين حركتها وإن كانت في غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال

بارعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب تهلج

وقد أدرج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تحلل الأجزاء وانفاسها كما ينطق به قوله تعالى وتكون  
الجبال كالغمام المنقوش يدل الله تعالى الأرض وبغير هباتها وبغير أجيال على تلك الهيئة المائلة عند حشر الخلائق  
بعد النفخة الثانية ليشاهدوا ما هم بغيرها في الأرض وذلك قوله تعالى ﴿وكانت سرابا﴾ أي صارت بعد تسيرها مثل  
السراب كقوله تعالى ويستحيل بسا فكانت هباء منثورا أي غبارا منتشرا وهي وإن اندثرت وانصدعت عند النفخة  
الأولى لكن تسيرها وتوسيتها الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية بما خلق به قوله تعالى وبما أولئك عن الجبال فقل  
يستغيثون يسعا عدوها فاعلموا صفا لا ترى فيها عرجا ولا أمنا يوئد يعمون الناس وقوله تعالى يوم تبدل الأرض  
غير الأرض والسماوات ويرزق الله الواحد القهار فإن اتباع الداع الذي هو السرا قبل عليه السلام وبروؤ الخلق قد  
تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية ﴿إن جهنم كانت مرصادا﴾ شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أصيب إليه  
اليوم اثنيان موله وجه تقديم بيان حال الكفار على عن البيان من المحدثين الذين يرد فيه كالمضمار الذي  
هو اسم المكان الذي يضم فيه الحبل والمضمار اسم المكان الذي ينج فيه أي أنها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع  
يرصد يرصد فيه عزرة النار الكفار ليدوم فيها ﴿للطاغين﴾ فعلى ضمير هو الماعت مرصدا أي كائنات لظلمهم  
وقوله تعالى ﴿مآبا﴾ بدل من مآب مرجعا يرجعون إليه لا محالة وأما حال من ما تأخضت عليه لكونه نكرة فولو أن خرت  
لسكان صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآب على أنها مرصدا للذين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده  
فإن المضمار من كونه مرصدا للطائفة كونه معنيين بها وقد قيل أنها مرصدا لأهل الجنة يرصد الملائكة  
الذين يستقبلونهم عندها لأن يجازم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصدا صيغة مبالغة من الرصد  
والمعنى أنها عدة في رصد الكفار لتلا يشذ منهم أحد وقرئ أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصدا  
للطاغين ﴿لا يبين فيها﴾ حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ: لبين وقوله تعالى ﴿أحقابا﴾  
ظرف للبشيم أي دورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر أي غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث  
يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون  
ألف سنة وقوله تعالى ﴿لا يدقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميا وغساقا﴾ جملة مبتدئة أخير عنهم بأنهم  
لا يدقون فيها شيئا ما من ردد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يدقون  
فيها حميا وغساقا وقيل البرد الترم وقرئ: غساق بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم ﴿جزاء﴾ أي جوزوا

ذلك جزاء (وفاقا) ذا وفاق لاعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرى (وفاقا على أنه فعال من وقفه كذا أي لاقه (انهم كانوا لا يرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء الذي أودى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم (وكذبوا باثنا) الناطقة بذلك (كذابا) أي تكذبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الكفر وضرن المعاصي وفعال من باب فعل شائع فنيا بين الفصحى وقرى بالخفيف وهو مصدر كذب قال فصديقها وكذبها والمر' يفعه كذابا

وانتصابه اصابه المدلول عليه فكذبوا أي وكذبوا با بآت فكذبوا كذبا واما بنفس كذبوا انتصابه معنى كذبوا  
 فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذبا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أي كذبوا با بآت  
 كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البالغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أي تكذبوا كذبا مفرطا  
 كذبه (وكل شيء) من الانبياء التي من جعلها أعمالهم وانتصابه بمضمر يقره (أحصيناه) أي حفظناه  
 وحفظناه وقرئ بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الاحصاء والكتابة من واد واحد  
 أولفعله المقدر أوحال بمعنى مكتوب في اللوح أو في صحف الحفظه والجله اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا فلن يزيدكم  
 الا عقابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبي عن التشديد في التهديد وإيراد  
 إن المقيدة لكون ترك الإياد من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تباع العقب ما لا يخفى وقد روى  
 عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار (إن للتقين مغانا) شروع في بيان  
 محاسن أحوال المؤمنين اثريان سوء أحوال الكفرة أي أن للذين يتقون الكفر وسائر قباح أعمال الكفرة فوزا وظفرا  
 ببيانهم أوموضع نور وقيل تحاة ضافية أولئك أوموضع تحاة وقوله تعالى (حذائق وأعيان) أي ساميات فيها أنواع  
 الاشجار المشجرة وكروما بدل من مغانا (وكواعب) أي نساء فلكت تدين وهن التواهد (أترابا) أي لدات  
 (وكأنا دهاقا) أي مترعة يقال أدهق الحوض أي ملأه (لا يسمعون فيها) أي في الجنة وقيل في الكأس  
 (لنرا ولا كذبا) أي لا يتطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذبا بالتخفيف أي لا يكذبه أولا يكاذبه  
 (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى أن للتقين مغانا فانه في قوة أن يقال جازى المتقين بمغان جزاء  
 من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام  
 يزيد تشریف لدعلي الله عليه وسلم (عطاء) أي تفضلا واحسانا منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء  
 (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو يوقع فيه من أحديه الشيء إذا كافاه حتى قال  
 حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالمدرك بمعنى المدرك (رب السموات  
 والأرض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للاول وأما كان في ذكر ربوبيته  
 تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذموم وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما  
 أفاده الربوبية العامة من غايه العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة  
 عليه وقرئ يرفعهما ففيل على أنها خبر إن مبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره  
 ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ  
 ثان ولا يملكون خبره والجله خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعاد على رأى من يقول به والأوجه أن يكون  
 كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثاني نعتا للاول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء



والعلاء كما في البداية لما أن المرفوع أو المنسوب مدحا تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعا عنه إعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ: يجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر مبتدأ مضمر وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقا أنفسهم كما ينبغي عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وأكدة وقيل ليس في أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ قبل الروح خالق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح وعجماد قالوا ما منزل من السماء ملك الاوعدة واحد منهم نقلة الغيوى وقيل هم أشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملائكة صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى ﴿لا يتكلمون﴾ وقوله تعالى ﴿الا من أذن له الرحمن وقال صوابا﴾ يدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفائهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربه يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون ليعقولا صوابا أي حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بأذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال فن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا لا يملكون فقد أشبهه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل إلا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أي حقا هو الوحيد وظاهر الرحمن في موضع الإخبار للإيدان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إليه للإيدان ببلوغ درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة وعمله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه ما ياب﴾ فضيحة تنصع عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء واتساف الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربه متعلق بما تقدم عليه اهتماما به ورعاية للقواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة ما بآ أي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الانضواء والابصال كما مر في قوله تعالى من

استطاع إليه سبيلا ﴿انا أنذرناكم﴾ أي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن ﴿عذابا قريبا﴾ هو عذاب الآخرة وقرنه بتحقيق آتيانه حتما ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وإن رأوه بعيدا وسيرا عنه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وبأوله قوله تعالى ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ فإنه ما يدل من عذاب أو ظرف لضمير هو وصف له أي عذابا كأنما يوم ينظر المرء أي يشاهده ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أي شيء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾ ظاهر وضع موضع الضمير لأن ياداه الذايم قبل معنى تنبيه ليكني كنت ترابا في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليكني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبت وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتصص للحيا من القرباء ثم يرددهم أباهم والكافر حاله وقيل الكافر الجليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يسألون سبحانه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده

### سورة النازعات

(مكية وآياتها خمس وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجات سبحا فالسباقيات سبقا فالمدبرات أمرا﴾ أقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الآرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ويجاهدوا وأرواح الكفرة كما قاله على رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وبنسطلونها أي يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجهما ويسبحون في أخرجهما سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبحون بأرواح الكفرة إلى النار وأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يبشروها لأدراك ما أعد لهم من الآلام والذات والمطف مع اتحاد الكل بتنزيل التعابير العنوان منزلة التعابير الذاتية كما في قوله

إلى الملك القرم وابن الهمام وليت الكتائب في المزدحم

للأشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمت الأمور حقيقة بأن يكون على حاله مناطا لاستحقاق موصوفه للجلال والاعظام بالأقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر إليه والفاصل الأخير من اللدلالة على ترتيبها على ما قبلها بغير مهلة كما في قوله

وغرقا مصدر مؤكد بخذف الزوائد أي اغرقا في النزاع حيث تنزعها من أقصى الأجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده فهدا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تفرق وأنصاب نشطا وسبحا سبقا أيضا على المصدرية وأما أمر أفعول المدبرات وتنكيره للبهول والتفخيم ويجوز أن يراد بالساجات وما يبعدها طوائف الملائكة يسبحون في مضيقهم أي يسرعون فيه فيسبحون إلى ما أمر وأباه من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعين فإن



الاقسام بمن يتولى زرع الارواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح يكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لاعتداله وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزاع بأن تقطع ذلك حتى تنشط في أقصى الغرب وتشتط من برج الى برج أي تخرج من نبط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نهط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين موافقت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملاممة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بانفس الغزاة أو أيديهم التي تنزع القسي بأغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي و يسبحون في البر والبحر فيسبحون الى الحرب العدو فيديرون أمرها أو يخيلهم التي تنزع في أعتها نزعا تفرق فيه الأجنة لطول أعتاقها لأنها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبح الى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واستاد التدبير اليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة أي تتحرك حركة شديدة وتزول زلزلة عظيمة كالارض والجال والنفخة الأولى وقبل الراجفة الارض والجال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجال وقوله تعالى ﴿تنبها الرادفة﴾ أي الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أي لتبعث يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتحويل اليوم ببيان كونه موافقا لاهيتين عظيمتين لا يبق عند وقوع الأولى حتى الامات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام وجه اضافته الى الأولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب بأذعكر فتكون الجلة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ أي يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ﴿أبصارها﴾ أي أبصار أصحابها ﴿عاشعة﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر آ لقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات حيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفرغا عنه وجعل الثاني خبرا به مقصود الافادة تحكما بجنا على أن الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأحوّل فجعل أهون الشرين عمدة وأشدّها فضلة عما لا عهد له في الكلام وأيضا تخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه أن يقال تكبير قلوب يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنوع كما قيل وإن لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكبير كما في شر أمر ذناب فان التفتيح كما يكون بالكيفية يكون بالكثرة أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم أذق نفختان واجفة أي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلّة وقال السدي زائلة عن أما كتبها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى ﴿يقولون أنما لردودون في الحافرة﴾ حكاية لما يقول المنكرون للبعث المكذبون بالآيات النافقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسسي وذكر مقدماته الهائلة وما يمرض عند وقوعها القلوب والأبصار أي يقولون اذا قيل لهم أنكم تبشون منكرين له متعجبين منه أنما لردودون بعد موتنا في الحافرة أي في الحالة

الأولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرة أي في طريقته التي جاء فيها فخبرها أي أثر فيها بمشية وتسميتها حافرة مع أنها مخفورة كقوله تعالى في عبشة راضية أي منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهار دصائم على تشبه القابل بالذاعل وقرئ في الحفرة وهي بمعنى المخفورة وقوله تعالى ﴿أنما كنا عظاما نخرة﴾ تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافاة له والعاقل في اذا مضمر يدل عليه مردودون أي أنما كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الأجوف الذي يهر به الريح فيسمع له نخير ﴿قالوا﴾ حكاية لكفر آخرهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايدان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدور عنهم في كافة أوقاتهم حسبا بنبي عنه حكايته بصيغة المضارع أي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروا من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع ﴿تلك اذا كره غاسرة﴾ أي ذات خسران أو غاسرة أصحابها أي ان هتعت فجن اذن غاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى ﴿فانما هي زجرة واحدة﴾ تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكفرة فان مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة أي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبها على كمال اتصالها بها كأنها عنها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى ﴿فاذا هم بالساهرة﴾ حيث يدلان لترتب الكفرة على الزجرة مفاجأة أي فاذا هم أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقب الكفرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي مندها نائمة وقيل لان سالكيها لا ينام خوف الملوك وقيل اسم للجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الساهرة أرض من فنة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حيثئذ وقيل هي أرض يبعدها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ كلام مستأنف وارد لتسليّة رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك ان اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وان اعتبر آياته قيل هذا وهو المتبادر من الانجاز في الاقسام حله عليه الصلاة والسلام على أن يقربا من يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى ﴿اذ ناداه رب بالواد المقدس﴾ ظرف للحدث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما ﴿طوى﴾ بضم الطاء غير منون وقرئ منونا بالكسر منونا وغير منون فن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثر مصدر لتنادى أو المقدس أي ناداه نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى ﴿أذهب الى فرعون﴾ على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء أي ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفردة يدل عليه قراءة عبد الله أن أذهب لان في النداء معنى القول ﴿انه طغى﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به ﴿قل﴾ بعد ما أتته ﴿هل لك﴾ رغبة وتوجه ﴿الى أن تزي﴾ بحذف إحدى التامين من تزي أي تطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزي بالتشديد ﴿وأهديك الى ربك﴾ وأرشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه ﴿فتخشى﴾ اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده



العلماء وجعل الخشية غايته لئلا يملك الامر من خشى الله تعالى اقل منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يغاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزه بالمداواة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقال له قول لا لنا لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى (فأراه الآتية الكبرى) فصبيحة تنصع عن حمل قد طوبت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ما أراه اياها عيب هذا الامر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى أن قال ان كنت جئت بأية فأت بها ان كنت من الصادقين والارادة اما بمعنى التبصير أو التعريف فان العين حين أبصرها عرفها وادعا سحرها بانما كان اراة منه واظهارا للتجلد ونسبها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر الى الظاهر فا أن نسبتها الى نون العظيمة فى قوله تعالى ولقد أرينا آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العاصية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتابع لما أتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آيتية تقوم بيقولن كما مر تفصيله فى سورة طه ولا صاع لعلنا على مجموع معجزاته فان ما عدا الآيتين من الآيات التسميعات ما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على صل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الاعراف ولا ريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مقرب بعد (فكذب) بمضى عليه السلام وسعى معجزته سحرا (وعصى) الله عز وجل بالقرء بعد ما علم صحة الامر وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان الدين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فتنة الباغية لا بارسال بنى اسرائيل من الأسر والقصر فقط (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس (يسعى) أى يجتهد فى معارضة الآتية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضع أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الضبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما أتى العسا انقلب ثيابا أشعر فاغرأفاد بين لحية ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهرم الناس مردحين فأت منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مر فى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلك الا اخذته فأخذه فماد عصا وبأباد أن ذلك كان قبيل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (خثر) أى جمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المداين حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيد أى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) فى الجميع نفسه أو بواسطة المتأدى (فقال أنا ربكم الأعلى) قيل قام فبهم خطيبا فقال تلك العظيمة (فأخذه الله الآخرة والاولى) النكال بمعنى التشكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى يشكل من رآه أو سمعه وبعثه من تعاطى ما يفضى اليه ومعه النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاحراق فى الآخرة والاغراق فى الدنيا وقيل مصدر لاخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والاولى واصله الى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيها لا باعتبار أن ما فيه معنى المنع يكون فهما فان ذلك لا يتصور فى الآخرة بل فى الدنيا فان العقوبة الاخرى تكل من سبها وتحمده من تعاطى ما يؤدى اليها

لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيرى قيل كان بين السكتين أربعون سنة فلاضافة اضافة المسبب الى السبب (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن من شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعركة وقوله تعالى (أأنتم أشد خلقا) خطاب لاهل مكة المتكبرين البعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما هى زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم (أم الساء) أى أم خلق الساء على عظمتها وانفلاتها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدائها كقوله تعالى خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم الساء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الانفصال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكتها) بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلوم مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعد لها متوية ملسا ليس فيها تفاوت ولا فطور أو قسمها بما عمل أنها تم به من السكاك والتدابير وغيرها ما لا يعلم الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان اذا أصلحه (وأغشى ليها) أى جعلها مظلمة يقال غشى الليل وأغشاه الله تعالى كى يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى واذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضا أغشى الليل كما يقال أظلم (وأخرج فجها) أى أبرز نهارها عبر عنه بالضجى لانه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان افاضة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واصله الليل والضجى الى السماء لدوران حدتها على حركتها ويجوز أن تكون اضافة الضجى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضجى لانه وقت قيام سلطانها وكال اشراقها (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومدها لكي أهلها وتقبلهم فى أقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها (أخرج منها ماها) بأن فجر منها عيونا وأجرى أنهارا (ومرعاها) أى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر مسمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لأنها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكتى لاتأتى بمجرد البسط والتمديد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكلى والمشرب حتما وأما لأنها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند السكتيين والاختفاء كما فى قوله تعالى أوجاؤكم حصرت صدورهم (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أريهاها) أى أثبتتها وأثبت بها الارض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسول المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسانته عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرى والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرهما مع تقدم الارسان عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لاراز كمال الاعتناء بأمر المأكلى والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق الساء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة القمر عليه دخان ملئ بقرىها ثم أعاد الدخان وخلق منه السموات وأمسك القمر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كاترا رتقا ففتقناها الآية وقد مر فى سورة رح السجدة أن قوله تعالى قل أنشكركم كفرون بالذى خلق الارض فى يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان الآية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال



الثلاثة على معانيها الظاهرة لأعلى تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطلاق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث في الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليوسة فجعله أرضا واحدة ثم فثقا فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء و يوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويجعل بعدية الدحو عنها على البعدية في الذكر كما هو المعهود في آسنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم قد حذف على شرط التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعين البعدية في الوجود فائدة تأخير في الذكر اما التنبية على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الاشعار بأنه أدخل في الإلزام لأن المذاهب المتخوفة بما في الأرض أكثر وتلقى مصالح الناس بذلك أظهر وأما عليهم بتفاصيل أحوالهم وليس ما روي عن الحسن نصا في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمنزلة من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا إذا حملت كلمة ثم فيها وفيها في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى ﴿منا لكم ولنا نعمكم﴾ اما مفعول له أي فعل ذلك تمعنا لكم ولنا نعمكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتقدير واخراج الماء والمرعى واحلة الهم والى أنعامهم فإن المراد بالرعى ما يعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للثافت وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أي متمكنا بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ما ماعا ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى ﴿فاذا جاءت الطامة الكبرى﴾ أي الداهية العظمى التي تعلم على سائر الطامات أي تغلونها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال المعاد ثم اثنى بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبغي منه لفظ المتاع ﴿يوم يتذكر الانسان ما سعى﴾ قيل هو يدل من اذا جاءت والآخر أنه منصوب بأعنى كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فإن الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تلقفها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته إلى الفعل على رأى الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يساعد مدونا في حقيقة أعماله وقد كان نسبة من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية ﴿وبرزت الجحيم﴾ عطف على جاءت أي أظهرت أظهارا يينا لا ينبغي على أحد ﴿لمن يرى﴾ كما تأن من كان يروى أنه يكشف عنها فتلقى فيراها كل ذي بصير وقرى وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى ﴿فأما من ظنى﴾ الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى

فأما ياتيتكم من هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذي تستدعيه نخامة التنزيل ويقعنه مقام التوبيل أن الجواب المحذوف كانت من عظام الشئون ما لم تسأله العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أي فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان ﴿وأمر الحيوه الدنيا﴾ الغاية التي هي على جناح القوات فانهمك فيها مع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة والأبدية بالآيمان والطاعة ﴿فإن الجحيم﴾ التي ذكر شأنها ﴿هي المأوى﴾ أي هي مأواه واللام سادة مسددة للاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما في قولك غص الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية في النضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والظلمان ﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴿وتبين النفس عن الهوى﴾ عن الميل إلى بحلم الجيلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوعامة عاقبتها ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ له لا غيرها وقيل نزلت الآية في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد وروى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفًا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حال من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى معنى عن العائد وقوله تعالى فأما من ظنى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسياله بحسب أعماله إلى القسمين المذكورين ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ متى ارساها أي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى وبقيتها ويكونها وقيل أيان متهاها ومستقرها كما أن مرعى السفينة حيث تنتهي إليه وتستقر فيه وقوله تعالى ﴿فم أنت من ذكرها﴾ انكار ورد لسؤال المشركين عنها أي في أي شيء أنت من أن تذكرهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حنى عنها أي ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها في شيء لأن ذلك فرع عليك به وأنى لك ذلك وهو عما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصد التعليل فإن ذكرها لا يوجب الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل في انكار أسوالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطان السؤال أي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكرها أي ارسالك وأنت خاتم الانبياء المبعوث في نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب بحسبهم هذه المرتبة من العلم فمضى قوله تعالى ﴿إلى ربك منتهاها﴾ على هذا الوجه إليه تعالى يرجع منتهى عليها أي عليها بكنها وتفاصيل أمرها وقت وقوعها لا إلى أحد غيرهما وإنما وظيفتهم أن يعملوا باقتراحها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمشكك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فمتأه إليه تعالى انتباه عليها ليس لأحد منه شيء ما كانتا من كان فلا شيء يسألونك عنها وقوله تعالى ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ على الوجه الأول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكرها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام في ذلك الشأن فإن انكار كونه عليه الصلاة والسلام في شيء من ذكرها هو بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأنجز ذلك ببيان أن المنى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لم يتبين وقتها حاسبا كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فإلهي إنما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الاشكال بما أمرت به من بيان اقتربا وتفصيل ما فيها من فنون الاحوال كما تحيط به تخبرا لاتعين وقتها الذي لم يفرض اليك فالهم يسألونك عما



ليس من وظائفك بيان وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكرها بيان أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيئ الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين أن كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الأصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المتفجع به وقوله تعالى (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا غشية أو سحابة) اما تقرير وتأكيده لما ينبي عنه الانذار من سرعة مجيئ المنذر به لاسيما على الوجه الثاني أي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا غشية يوم واحد أو سحابة فلما ترك اليوم أضيف ضحاها الى غشيته واما رد لما أديجوه في سؤلهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وإن كان على تيج الاستعزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعد بها الا غشية أو سحابة واعتبار كون البعث في الدنيا أو في القبر ولا يقتضيه المقام وانما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعد تحقيقا للانذار وردا لاستعجالهم والجللة على الاول حال من الموصول فانه على قدر يرى الاضافة وعصمها مفعول محذوف كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول في يحترمون أي يحترمون مشيئين من لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا أن البعث هناك في الأحوال الظاهرة من الزي والحياة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قبل تنذرهم مشيئين يوم يرونها في الاعتقاد من لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مسانعة لاجل لئلا يظن ان الله عليه وسلم قرأ سورة والناس مات كأنهم حبيب الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

### سورة عبس

(مكية وآيات إحدى وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس وتولى أن جاءه الأعمى) روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة القهري وأم مكتوم اسم أم أبيه أي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوه إلى الاسلام مرجا أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرني وعلني بما عليك الله تعالى وكر ذلك وهو لا يعلم تشاغل عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهه ويقول اذا رآه مرجا بمن عاتقني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للبلابة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرايين أي لأن جاءه الأعمى والتعرض لعنوا عمه اما لتجديده عذره في الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والابذان باستحقاقه بالرفق والراقة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات في قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فان المشافهة أدخل في تشديد العتاب أي وأي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بأن له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائته مؤذن بأنه تعالى يدبره ذلك أي لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوصافه والأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه

الصلاة والسلام للثبته على أن الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلا وقوله تعالى (أو يذكر) عطف على يزكي داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى (فتنفعه الذكري) بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر أي أو يتذكر فتنفعه موعظك ان لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالله في انك طمعت في أن يتزكى أو يذكر فتقربه الذكري إلى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أي عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن (فأنت له تصدى) أي تصدى وتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرئ تصدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك إلى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه (وما عليك أن لا يزكى) وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عن أسلم والجللة حال من ضمير تصدى وقيل ما استغنى به للانكار أي شيء عليك في أن لا يتزكى وما له التفي أيضا (وأما من جاءك يسعى) أي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أي الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار في أتيانك وقيل يخشى السكوة اذ لم يكن معه قائد والجللة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهي) تشاغل يقال لهي عنه وتلهي وتلهي أي تلهي شأن الصناديد في تقديم ضميرهم عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أي مثلك خصوصا لا ينبغي أن تصدى للمستغنى ويتلهي الفقير الطالب للخير وتقدم له وعنه للتعرض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونها روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا) ردد له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعه اليه من الإيمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا في الاهتمام بأمره متبالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشه وقوله تعالى (انها تذكرة) أي موعظة يجب أن يعظ بها ويعمل بموجبها لتعليل الردع عما ذكر بيان علوية القرآن العظيم الذي استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فمن شاء ذكره) أي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره فالضمير ان للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة والاولى السابقة والثاني للذكرة والتذكير لانها في معنى الذكرة والوعظ وليس بذلك فان السورة والآيات وان كانت متصفة بما سياتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما أتى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتي من الدعاء والتعجب من كفره المفرط ليزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخطب خطبا يقضى منه العجب فأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (في صحف) متاع بمضمر هو صفة لذكرة وما بينهما اعتراض جى به للترغيب فيها والحث على حفظها أي كائنة في صحف مستنسخة من الوح أو خبر ثان لان (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أي في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مسايس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أي كنية من الملائكة يتسخون الكتب من الروح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقي



من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراءة لقرائهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة باللائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباه متعلقة بمطهرة قال الفصيح لما لم يحسبها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يحسبها وقال القرطبي إن المراد بما في قوله تعالى لا يحسبها إلا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة (كرام) عند الله عز وجل أو متعطين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم (بررة) أقبيا وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى بطيعه وقيل صادقين من يبر في يمينه (قتل الإنسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به أبا من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نموه الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وأما الجنس باعتبار اتصافه ولا مثاله من أفراد لا باعتبار جميع أفراد فيه مع قصر منه وتقارب قطريه من الإنبا عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى (من أى شئ خلقه) شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل ما فاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقيقها بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نقطة خلقه) تحذير لما من أى شئ حقير مبدئ خلقه من نقطة مدرة خلقه (تقدره) فبدأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال وأقدره أطوارا إلى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن يتكسر أو يسر له سيل الخير والشر ومكن من السلوك فيما وتقرض السيل باللام دون الإضافة للأشعار بمصومه (ثم أماته فأقبره) أى جملة ذا قبر يوارى فيه تكرمه له ولم يدعه مطروحا على وجه الأرض جزا للسابع والطير كآثار الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الامامة من النعم لأنها وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية والنعم المقيم (ثم إذا شا أنشره) أى إذا شا أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية وفي تعليق الانتشار بمشيتته تعالى إيدان بأن وغير متعين بل هو تابع لما قرئ أنشره (كلا) ردع للإنسان عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام إلى هذه النهاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقشادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراد كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم التقي لا على نفي العموم أما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفرادهم وقد أسند إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظالم كفا للأشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وأما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلى دون السلب الكلى فالنقيض لما يقض جميع أفراد ما أمره بل أشل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعم الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا وهذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به (فلينظر الإنسان إلى طعامه) شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بجدوته أى فلينظر إلى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (أنا صبنا الماء صبا) أى الغيث بدل اشتغال من طعامه لأن الماء

سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ أنا على الاستئناف وقرئ أى بالامالة أى كيف صبنا إلى آخره أى صبنا صبا عجبا (ثم شققنا الأرض) أى بالنبات (شققا) بديعا لانتقا بما يشققها من النبات صفرا وكبرا وشكلا وهيئة وحل شققها على ما بالكراب يحمل أسناده إلى نون العظمة من قبيل أسناد الفعل إلى سببه ياباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا) فإن الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الأمطار أصلا ولا بينه وبين أنبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب بين الأمطار وبين الشق بالنبات على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين أنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات ما نبتت من الأرض إلى أن يتكامل النمو وينتقد الحب فإن انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنباته تعالى على وجه بدع خارج عن العادات المعهودة كما ينبغي عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المعنى عليه في حصول تلك النعم غل بالمرام وقوله تعالى (وعبنا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يقيد للمعطوف بجميع ملقيه المعطوف عليه فلاختيار في خلوات العنب عن شق الأرض (وقضيا) أى رطبة سميت بمصدر قضيه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطوعها وتمتدحه نفس القطع (وزيتونا ونخلنا) الكلام فيها وفى أمثالها كما في العنب (وحداثا غلبا) أى عظاما وصف به الحدائق لشكائها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) أى مرغى من أبه إذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تباهى له لأنه متبى للرعى أو فاكهة يابسة توب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سما تطلقى وأى أرض تقانى إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال أتبعوا ماتين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعا لكم ولآئعكم) أما مفعول له أى فعل ذلك تمتعا لكم ولما أشيكم فإن بعض النعم الممدودة طعاما لهم وبعضها علف لهدايتهم واللائفات لتكامل الامتنان وأما مصدر مؤكد لفعله المنصر بحذف الزوائد أى تمتعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى تمتعكم بذلك تمتعتم متاعا أى متعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظة فان ما ذكر من الأفعال الثلاثة في معنى التمتع (فإذا جاءت الصاخة) شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان لفظة فان ما ذكر من الأفعال الثلاثة في معنى التمتع (فإذا جاءت الصاخة) شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصح لها الخلاق أى يصيخون لها من صرخ حديثه إذا صاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصيح الأذان أى تصبى لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صرخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى (يوم يقر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أما منصوب بأعنى تفسير للصاخة أو بدل منها مبنى على الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لا اشتغاله بحال نفسه وأما تحليل ذلك بعلمه بأنهم لا يفتنون عنه شيئا أو بالحذر من مطالبهم بالنباتات فبأباه قوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) فإنه استئناف وارد لبيان سبب القرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به وأما القرار حذرا من مطالبهم أو بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يقر قايل من أخيه هائل ويقر النبي عليه الصلاة والسلام من أمه ويقر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا القرار وكذا ما يروى أن الرجل يقر من أصحابه



وأقر بانه ثلاثا يروى على ما هو عليه من سوء الحال وقرى بعينه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهيم من عناه الأمر إذا أمه أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه إذا قصد كإقيل وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانضمامهم الى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية ذهبا فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها فى حيز التوزيع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضىته متبلة من أسفر الصبح إذا أضأ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما أغبرت فى سبيل الله ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعم المقيم والبهجة الدائمة ﴿وجوه يومئذ عليها غيرة﴾ أى غبار وكدورة ﴿ترعها﴾ أى تملوها وتنشأها ﴿قرة﴾ أى سواد وظلمة ﴿أولئك﴾ إشارة الى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجاتهم فى سوء الحال أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره ﴿م الكفرة الفجرة﴾ الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى السواد وجوههم القيرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تكويعس جأ يوم القيامة وجهه ضاحك مستبشر

### سورة التکویر

(مكية وآياتها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إذا الشمس كورت﴾ أى كُتبت من كورت العامة إذا لفتها على أن المراد بذلك إمارتها وإزالتها من مقرها فإن التوب إذا أريد رفعة بلفظ لغوي يعطى ونحوه قوله تعالى يوم نقول ليا ألقوا手中ها المنيص في الآفاق المنتشر في الأضفار على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم زوال الملزوم أو أنقبت عن فلان كما وصفت النجوم بالانكدار من طمعه فكوره إذا ألقاه على الأرض وعن أبي صالح كورت تكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش ومداء الثرى كسب على الإدارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه عاقل لفعل مضمر بفسره المذكور وعند البعض على الابتداء ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أى انقضت وقيل تأثرت وتساقتطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم تنادى بملقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فإذا مات من فى السموات ومن فى الأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطاس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراهن عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ أى عن أما كتبها بالرجفة الحاصلة لاف الجوفان ذلك بعد النفخة الثانية ﴿وإذا العشار﴾ جمع عشار وهى الناقة التى أقي على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع تمام السنة وهى أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم ﴿عطلت﴾ تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحاب فان العرب تشبهوا بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات قرأ وتعليلها عدم إظهارها وقرى عطلت بالتخفيف ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ أى جمعت من كل جانب وقيل بشت للقصاص قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لى آدم وإحباب بصورته كالطاوس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد ﴿وإذا البحار سجرت﴾ أى أجمت أو ملئت بتغيير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التور إذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذب بآهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرى سجرت

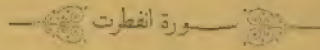
بالتخفيف ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ أى قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكنائها أو بعملها وأنفوس المؤمنين بالخير ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿وإذا الموءودة﴾ أى المدفونة حية وكانت العرب تشد البناث مخافة الأملأى أو لحوق العار بهم من أجهان قبل كان الرجل منهم إذا ولدته بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقبها فيها وييل عليها التراب وقيل كانت الحامل إذا أقربت حفرته حفرة فتمسخت على رأس الحفرة فإذا ولدت بتارمت بها وإن ولدت ابنا حبسته ﴿سئلت بأى ذنب قتلت﴾ توجيه السؤال اليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوانتها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تكبيته كما فى قوله تعالى أنت قتلت للناس اتخذونى وأمن الهين وقرى سئلت أى خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام إخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية ﴿وإذا الصحف نشرت﴾ أى تحف الأعمال فانها تطوى عند الموت وتشر عند الحساب . عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقال أم سبلة فكيف بالنساء فقال شغل الناس بألم سبلة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخرد وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن ربيعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وققع صحيفة الكافر فى يده فى جهنم وحجم أى مكتوب فيها ذلك وهى تحف غير محف الأعمال ﴿وإذا السماء كشطت﴾ قطعت وأزيلت كما يكشط الأهاب عن الذبيحة والنظام عن الشئ المستوره وقرى قطعت واعتقاب الكلف والقاف غير عزي كالكفور والقافور ﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أى أوقدت أيقادا شديدا قيل سحرها غضب الله عز وجل وخطا بآبى آدم وقرى سعرت بالتخفيف ﴿وإذا الجنة أزلقت﴾ أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلقت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيها بين التفخيتين وهن من أول السورة الى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى ﴿عزلت نفس ما أحضرت﴾ جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد متدبسع مافى سابقا وسباقا معطلف عليها من الحاصل مبدؤه النفخة الأولى ومتبناه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا يجمع أنها تعلم ما تعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المبدد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف لأنه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روافده نسب عليها بذلك الى زمان وقرع كلها تهويلا للخطب وتفطيلها للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها أما حضور محامتها كما يعرب عنه نشرها وأما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة فى هذه النشأة تصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهريه يمتناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفية مخصوصة وهيات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آية الذهب والفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك ألا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللين كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الحسن وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأياما كان فاستاد احتضارها الى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس



عاملت من خير محضرا الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكانت أحضرتها في الموقف ومعنى عليها حيث أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لها وتكثير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس وألبعض منها للايمان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولو جئنا بعبارة تدل على خلافه ولزم من أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبير بما الذي أشير إلى بعض بدائع شئونه المثبتة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يمسك عنه ويمثله بقوله تعالى ربما يؤذونكم فلو كانوا مسلمين ويقول من قال قد أترك القرن مصفرا أنامله . وبه ولد من قال من عثر على عدد فراس فأسر عندي وعنده المقاتب فاصد بذلك القاذي في تكثير فرسانه وإظهار برأيه من التزبد وأنه من يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزبد فمن لوازم النظر الجليل الآن الكلام المتكسر عنه فيما ذكر من الأمثلة بما قيل الإفراط والتأدي فيه فإنه في الأول كثيرا ما يورد وفي الثاني كثيرا ما أترك وفي الثالث كثير من الفرس وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب المكثرة وقد قصد بعكس ما ذكر من التأدي في التكثير حسبا فكل ما فيها نحن فيه الكلام الذي عكس عنه علت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكس المبالغة والتأدي فيه وإنما الذي يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فأمثل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه إذا علت حيث نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها عناية أن تكون هي تلك التي علت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك تستمد على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فأنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا يتقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يحتجب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قاطعي الوجود كثير الوقوع « فلا أقسم بالجنس » أي الكواكب الرواجع من خسر إذا تأخر وهي ما عدا النيران من مداري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى « الجوار الكس » لأنها تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فتنسبها وجوها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كس الوحش إذا دخل كنانة وهو البيت الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تنحس بالنهار فتعجب عن العيون وتسكن بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنفها « والليل إذا عسعس » أي أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الاختداد وكذلك سمع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج حتى إذا أصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليها وعسسا

وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى أقبال ظلامه أو فقه لقوله تعالى « والصبح إذا نفث » لأنه أول انهار وقيل ادباره أقرب من نفس الصبح ومعناه أن الصبح إذا أقبل يقبل بإقباله وروح ونسيم فجعل ذلك نفساله مجازا ليقيل نفس الصبح « أنه » أي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة « لقول رسول كريم » هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل « ذي قوة » شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة « إذا طاعة الله تعالى وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف » عند ذي العرش مكين « ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندنا كرام وتشرى لا عندية مكان « مطاع » فيها بين ملائكته المقرين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رآيه « ثم آمين » على الرضى ثم ظرف

لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم نظيها لوصف الآمنة وتفضيلها على سائر الأوصاف « وما صاحبكم » هو رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينجون » كما نبهت الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتأويل بأحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خيرا وعلمهم بزهاته عليه السلام بحسنه اليه بالكلية وقد استدله على فضل جبريل عليه السلام للتبليغ بين وصفيهما وهو ضعيف إذا المقصود به قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام إنما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به حجة لا تعداد فضائلها والموازنة بينهما « وأقدر الله » أي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام « بالآفاق المبين » بطلع الشمس الأعلى « وما هو » أي رسول الله صلى الله عليه وسلم « على العيب » على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب « نصن » أي يتخلل لا يتخلل بالوحي ولا يغصق التبليغ والتعليم وقرئ نصن أي ينهم من الظلمة وهي البهمة « وما هو » أي يقول شيطان الرجيم « أي قول بعض المسترقة للسمع وهو في قولهم أنه كناية وسحر « فإن تذهبون » استغلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والعلم لترتيب ما بعد على ما قبل من ظهوره وحسنه وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الحادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب « أن هو » ما هو « الأذكار المعلن » موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى « لم شأتمكم » بدل من المعلن بأعانة الحار وقوله تعالى « أن يستقيم » مفعول لما أي لمن شأتمكم الاستقامة بحسب الحق وملازمة الصواب وإبداله من المعلن لأنهم المستقيمون بالتذكير « وما شأتم » أي الاستقامة مشبهة مستقيمة لها في وقت من الأوقات « إلا أن يشاء الله » أي لا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة أي المستقيمة للاستقامة قال معيتكم لا تستقيم بدون مشيئة الله تعالى لها « رب العالمين » مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر أعاده الله أن يفرضه حين تشر حقيقته



(بكية وآيات عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

« إذا السماء انفطرت » أي انشقت انزول الملائكة كقوله تعالى « يوم تشرق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلا » وقوله تعالى « وقطعت السماء فانتقلت أبوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس « وإذا السماء انشقت » أي تساقطت متفرقة « وإذا البحار فجرت » فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار مجرى واحدا وروى أن الأرض تشق الماء بعد امتلاء البحار فصار مستوية وهو معنى التفسير عند الحسن رضي الله عنه وقيل إن مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا جرت تفرقت وذهبت وقرئ « فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبني للفعل أيضا بمعنى يمتحن الفجر ونظرا إلى قوله تعالى لا يخافن « وإذا القبور بعثرت » أي قلب ترابها وأخرج موتاهم ونظيره يجر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع « را » ضمت إليهما وقوله تعالى « علت نفس ما قدمت وأخرت » جواب إذا لكن لا على أنها تعمله عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الأولى ومثناه الفصل بين الخلائق لأزمنة متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتحويل مافي حيزها من الدواهي والكلام فيه كالفرد من تفصيله في نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا



ما قدم من مصيبة وأخر من عافية وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لو ربه وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره بمعنى عليها جهاد عليها التفصيل حسياً ذكر خيار مراراً (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) أي أي شيء غدعك وجراك على عصىه وقد علمت ما بين يديك من الداهي الشاة والعراقيل الطامة وما سيكون حيثك من مشاهدة أعمالك كلها والتمتع من أموان كرمه تعالى للآذان أنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لا غتراره حسبها بغويه الشيطان و يقول له أقبل ما شئت فإن ربك كريم قد غفل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتحتة باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الأقوال على الإيمان والطاعة والاحتجاب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حلك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافة وقوله تعالى (والذي خلقك ضواك فذلك) حصة ثانية مقررة للرؤية مينة للكرم غنية على أن من قدر على ذلك بدأ قدر عليه إعادة والتسوية جعل الأعضاء سليمة سوية معدة لما فيها وعدلها عدل بعضها بعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صر فيها عن خلقه غير ملائمة لها وفري فذلك بالتشديد أي صورك معدلة متناسبة الخلق من غير تفاوت فيه (في أي صورة ما شاء ربك) أي ركبك في أي صورة شاءها من الصور المختلفة وما مريدة وقلة صفة لصورة أي ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور السبعة الحسة فتقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وانما لم يطفأ الحلة على ما قبلها لأنها بيان لذلك (كلام) رجع عن الاختيار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى (ال تكذبون بالدين) الحراب عن حجة مفردة يسلق اليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأتم لارتدعون عن ذلك بل تجتثون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبصت رأساً أو بدين الاسلام الذي هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجه بعضكم عليكم وارتدوني لكم بل تكذبون الخ وقال الفقهاء ليس الامر كما تقولون من أنه لا يمدح ولا ينسب ثم قيل أن لا يتبين هذا البيان بل تكذبون بدين الله وقوله تعالى (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة لطلان تكذبيهم وتحقق ما يكذبون به أي تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم (كراما) لدينا (كاتبين) ها (يعلمون ما تعملون) من الأفعال قليلا وكثيرا ويضبطونه تقيرا ويحفظون التجاروا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تضييق لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلال الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (ان الابرار لي نسيم وان النجار لي جهنم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تكثير النعم والجحيم من التعظيم والتبوير بل ما لا ينحس وقوله تعالى (يصلونها) أما صفة لجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ من تبويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقبل يفسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به (ومام عنها تعابرين) طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام اليقين من مراراً من أن الحلة الاسمية المنفية قد مراد بها استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما قبله من الدوام والنيات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكيفية بل كانوا يجهلون صومها في قهرهم حسباً قال النبي عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفرة النيران وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) ثم ما أدراك ما يوم الدين) تضييق لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تضييق وتبويل الامر بعد تبويل بيان أنه خارج عن دائرة الخلق على أي صورة تصوره فهو فوقها وكيفية تخيلوه فهو أعظم من ذلك وأعظم أي رأى تبي جعلك دار ما يوم الدين على أن ما الاستغماية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيوه بل ما من أن مدار

الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مناهة افادة المول والفقامة ضاهو ما لا يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في المول والقطاعة لمساخر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وإن كانت موضوعية لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما قد يقال في الجواب كاتب أو طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاحتياط تأكيده لوله وعلمته تعالى (يوم لا تعلمك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ايهامه ويان خرج وجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادراهم مشعر بالوعد الكريم بالادراك قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى ما أدراك الله أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاختصاصه لا غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا يعلمك فيه نفس من النفوس نفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ أو منصوب باعتبار ذكر كأنه قيل بعد تعظيم أمر يوم الدين وتوضيحه عليه الصلاة والسلام إلى معرفته أذكر يوم لا تعلمك نفس الخ فانه يدريك ما هو وقيل بإخبار يدان ونسب بذلك فانه عار عن الاداء ما يفيد ما قبله كما أن اداله من يوم الدين على نفي الرق كذلك بل الحق حيث لا يقع على أنه غير مبتدا محذوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانعام كتب الله تعالى له بعد كل فطرة من السما وبعد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

## سورة المطففين

(يختلف فيها وآيات وتلاوت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قيل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو وادى جهنم يهوى فيه الكفار أربعين خروفا قيل أن يبلغ قعره وقيل وأياما كان فهو سندا وإن كان لكره لوقوعه في موقع الدناء والتطفيف اليخس في الكيل والوزن لأن ما يخس شيء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أعلاها من أحب الناس كيلا فقلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بالي جينة ومنه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت يباعهم المباداة والملاسة والمخاطرة فقلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس خمس ما تقصونم العبد الاسلط الله عليهم عدوم وما حكموا بمس ما أزال الله الاتفاقهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا قسا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الامعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا تمعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى (الذين اذا اكثالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي اذا اكثالوا من الناس مكيلهم بحكم الشر ونحوه يأخذونه وأقرا وتبدل كلمة على بين لتخصيص الاكثال بمعنى الاستيلاء أو للإشارة الى أنه اكثال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي تضمنته كلمة اذا لاختلاف بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وأقرا من غير قص بل مجرد الأخذ الوافي بالحق حسباً أرادوا بأني وجه تيسر من وجوه الخيل وكانوا يفعلونه بكيس المكيل ونحوه المكيل والاحتياط في مثله وما قبل من أن ذلك للدلالة على أن اكثالهم لما لهم على الناس لمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لا كيثالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشر ونحوه مع أنه الشارع فيما بينهم يقتضي أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وإقيا من غير قص اذ هو المشايد منه عند الامتلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا لدمهم والدعاء عليهم



وحمل ما لهم عليهم على معنى ما يكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يحصى نفعا فان اعتبار كون المكمل لهم حالا كان أو ما لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتميا وهكذا حال ما نقل عن القراء من أن من وعي تعقبات في هذا الموضع لا يحق عليه فاذا قال اكملت عليك فكانه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكملت منك فكذلك استوفيت منك فأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة يستوفون ويكون تقديمها على الفعل لا فائدة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلق الفعل به غير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيفسد بتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الإعراب أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاتحاد الوافي بما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يفسد بتقديم الجار والمجرور وقصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه من الضمير البار في قوله تعالى وإذا كالوهم أو زوهم) للناس أي إذا كالوهم أو زوهم لم يبيع وعوه (يخسرون) أي يفتقدون بذلك خسر الميزان وأخسر مختلف الجار وأصل العمل كافي قوله ولقد جئتكم كافيا وسافلا أي جئتكم كافيا وجعل البار وما كيد المستمكن بما لا يليق عن الفائز بل ولعل ذكر الكيل والوزن في هذا الموضع لا يقتصر على الإكثار في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا حاكمين من الاحتمال عند الاتزان فكذلكهم عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في صورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (الأنظار) أولئك أنهم مجرمون استئنافا لبيان ما قبله من التلطف والتعجب من اجترأهم عليه أو لك الشارة إلى المطففين ووجه موضع ضميرهم للأشعار بملأها الحكم الذي هو وصفهم قال الأشار إلى التي مترجمة لمن حيث تصافه بوصفه وأما الضمير فلا يرمض لوصفه ولا يبدان بأنهم يشارون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكل امتياز بأن يكون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية وما فيه من معنى البعد للأشعار بعد درجته في الشرارة والفساد أي ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع المائل أنهم يبعوثون (اليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه وعاسيون فيه على مقدار الذرة والخرقة فلن من يظن ذلك وإن كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يجاسر على أمثال هاتيك القبيات فكيف بمن يثقته وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي لحكمه وقضائه منصوب بأخبار أعني وقيل بمبعوثين أو مرفوع المحل خبرا مبتدأ مضمير أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته إلى الفعل وإن كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين ويؤيد الأخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجب وإيراد الظان ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتقادم الأثم في التلطف وأمثاله ما لا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التلطف والغفلة عن البحث والحساب وقوله تعالى (إن كتاب الفجار لفي سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداد بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من التلطف منقول من وصف حكاهم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم أو لانه مطروح فاقيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته فالمعنى أن كتاب الفجار الذين من جهنم المطففون أي ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم في ذلك الكتاب المدون فيه فيأثم أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لمراده أي هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أي مسطور بين الكتابة أو معلوم يعلم من أنه أنه لا يخبر فيه وقبل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يومئذ

للمكذبين) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (الذين يكذبون يوم الدين) أما مجرور على أنه صفة دامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم (وما يكذب به إلا كل معتد) أي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه عن الإعادة مع مشاهدته للبدن (أنهم) أي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات الثابتة الباقية وحملته على انكارها (إذا تلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله وأعراضه عن الحق الذي لا يحيد عنه (أساطير الأولين) أي هي حكايات الأولين قال السكلي المراد بالمعتدى الإنمى هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر ابن الحرث وقيل عام لكلا من اتصف بالأوصاف المذكورة وقرئ (إذا تلى) بتذكير الفعل وقرئ (إذا تلى) على الاستفهام الانكاري (كلا) ردع للمعتدى الإنمى عن ذلك القول الباطل وتكذيب فيه وقوله تعالى (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم إلى الغفلة تلك العظيمة أي ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرأة خال ذلك بينهم وبين معرفة الحق قال قال صلى الله عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنبا حصل في قلبه نكت سودا حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والربن الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أي رسخ فيه وقرئ (بادغام اللام في الراء) (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (أنهم عن ربهم يومئذ محجوبون) فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تقييل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أي داخلوا النار وهم لراخي الرتبة فان صلي الجحيم أشد من الأهانة والرحمان من الرحمة والكرامة (ثم يقال) لهم توبعوا وتقرعوا من جهة الزبانية (هذا الذي كنتم به تكذبون) فذوقوا عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر أو زجر وقوله تعالى (إن كتاب الأبرار لفي علين) استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعده بيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيدهم على وجوب الارتداد وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحوا الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلوس بذلك اما لانه سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى (وما أدراك ما علين كتاب مرقوم) كما مر في نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة أخرى لكتاب أي يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (إن الأبرار لفي نعم) شروع في بيان محاسن أحوالهم إثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار (على الأرائك) أي على الأسرة في المجال ولا يكاد تطاق الأريكة على السرير عند ما اعتد كونه في الحجلة (ينظرون) أي إلى ما شأوا وما أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة إلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك (تعرف في وجوههم نضرة النعم) أي بهجة النعم وماه وروثه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيدان بأن ما لهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية ربه دونها (يسقون من رحيق) شراب خالص لا غش فيه (مختوم ختامه مسك) أي مختوم أو أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكل نفاسة وقيل ختامه مسك أي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرهما أي يتختم به ويقطع (وفي ذلك) إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب لما بعده وإلى ما ذكر من أحلامهم وما فيه من معنى البعد أما للاشعار بعلوم رتبته وبعد



منزله أو لكونه في الجنة أي في ذلك خاصة دون غيره ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لئلا هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس وأصله من النفس لغزتها قال الواحدي نقتضت الشيء أنفسه تنافس والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوي وأصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريد لكل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يقض به ﴿ومزاجه من تسليم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفسه أي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسليم على أن من يأنس أو تبعيضه أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسليم علم لعين بعينها سميت به أما لأنها أرفع شراب في الجنة وأما لأنها تأتيم من فوق. روي أنها تجري في الهواء متسمة فتصب في أوانيهم ﴿عينا﴾ نصب على الاختصاص وجوز أن يكون حالا من تسليم مع كونه جامداً لا تصافه بقوله تعالى ﴿يشرب بها المقربون﴾ فأنهم يشربونها صرافاً وتمزج لسائر أهل الجنة قالوا من ردة أو بمعنى من وقوله تعالى ﴿إن الذين أجروا﴾ الخ حكاه لبعض قبائع مشركي قريش جئ بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الأبرار في الجنة ﴿كانوا﴾ في الدنيا ﴿من الذين آمنوا يضحكون﴾ أي يستهزئون بفقرائهم كهمار وصيب وغياب بلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقدم الجار والمجرور وأما للقصر اشعاراً بنهاية شناعة ما فعلوا أي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى ﴿أفي الله شك أو لمرأاة القواصل﴾ وإذا مررنا أي فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أي بالمشركين وهم في أنديةهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً ﴿يتغامزون﴾ أي يغمر بعضهم بعضاً ويشربون بأعينهم ﴿وإذا اقبلوا﴾ من مجالسهم ﴿إلى أهلهم اقبلوا فكبير﴾ مائتين بد فرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا يفعلون ذلك بمراى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرى فأكبر قيل هما بمعنى وقيل فكبير أشرب وقيل فرحين وفاكبر متفكبين وقيل ناعمين وقيل عازحين ﴿وإذا رآهم﴾ أي كانوا ﴿لضالون﴾ أي نسبو المسلمين من رآهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التاكيد ﴿وما أرسلوا عليهم﴾ على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من وأقوالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أسرارهم ويبسئون على أعمالهم ويشهدون برسولهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجتروا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهة تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جهة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكاراً لصددهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وأما قيل عليهم قتلا له بالمعنى كما في قوله حلف ليعملن لا بالعبرة كما في قوله حلف لافعلن ﴿فالיום الذين آمنوا﴾ أي المعبودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ أي من المعبودين وهو الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين رؤيتهم أذلاً مغلولين قد غشيم فتون الموان والصفار بعد العزة والكبر وهتهم ألوان العذاب بعد التمتع والترفة وتقدم الجار والمجرور ولقصر تحققة المقابلة أي فالיום هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى ﴿على الأرائك ينظرون﴾ حال من فاعل يضحكون أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم وبأيادهم قوله تعالى ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ فإنه صريح في أن ضحك المؤمنين منهم جزءاً لصحبتهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمساواة في الثوب والابواب المجازاة وقرئ بادغام اللام في الثالث . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

## سورة الانشقاق

(مكية وآياتها خمس وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿إذا السحاب انشقت﴾ أي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السحاب بالغمام وعن علي رضي الله عنه تشقق من الجرة ﴿وأذنت لربها﴾ أي واستمعت أي اتقادت وأذنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت أرادته بانشقاقها انقياداً للأمور المطوع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إليها للاشعار بعلة الحكيم وهذه الجملة وتفسيرها الآية بمنزلة قوله تعالى أتبنا طائفتين في الانبأ عن كون ما نسب إلى السحاب والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف ﴿وحقت﴾ أي جعلت حقيقة بالاستعاضة والافتقار لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى اتقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة قاله بآية التي يتأق لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور خلق الجملة أن تكون اعتراضاً مقررراً لما قبلها لا معطوفة عليه ﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعاً صاففاً لا ترى فيها عرجاً ولا أمناً أو زبدت سعة وبسطت من مده بمعنى أمده أي زاده ﴿وألق ما فيها﴾ أي رمت ما في جوفها من الموق والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض أنقلاها ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها ﴿وأذنت لربها﴾ في الالتقاء والتخليل ﴿وحقت﴾ أي وهي حقيقة بذلك أي شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانية وتكرر كلمة أذع مع اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السحاب والأرض وقوعاً في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مره فيها مر ﴿يا أيها الإنسان انك كاذب إلى ربك كدحاً﴾ أي جاهد ويجد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالح في ذلك فإن الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه ﴿فلاقه﴾ أي فلاق له عقيب ذلك لا حالة من غير صارف يلو بك عنه وقوله تعالى ﴿فأما من أوتي كتابه يمينه فسوف يخاصب حساباً يسيراً﴾ الخ قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فأما يأتينكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا أيها الإنسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتحويل والايحاء إلى قصور العبارة عن بيانه أول التحويل على دلالة ما مر في سورة التكويد والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا أيها الإنسان الخ تقديره لاق الإنسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فلاقه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الإنسان الخ باضمار القول ومعنى يسيراً سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنها ﴿ويقلب إلى أهله مسروراً﴾ أي عشرين المؤمنين وأربع المؤمنين مبتهجا بحاله فأثلاً هاوياً أقرؤا كتابه وقيل إلى أهله في الجنة من الجور والغفلة ﴿وأما من أوتي كتابه وراه ظهراً﴾ أي يؤتاه بشأله من وراه ظهراً قيل ثقل بمناء إلى عنقه ويجعل شأله وراه ظهراً فيؤتى كتابه بشأله وقيل تقطع يده اليسرى من وراه ظهراً ﴿فسوف يدعو ثوراً﴾ أي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه ياتثوره تعال فأنه وإنك وأقوله ذلك ﴿ويصلي سعيراً﴾ أي يدخلها وقرئ يصلي كقوله تعالى وتصلية جميع وقرئ يصلي كما في قوله تعالى وتصلية جهنم ﴿أنه كان في أهله﴾ فيما بين أهله وعشيرته في الدنيا ﴿مسروراً﴾ متراً بطراً مستبشراً كد يدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور



الآخرة ولا يفكرون في العواقب ولم يكن حزيناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمقربين والجليلة استئناف لسان  
علة ما قبلها وقوله تعالى ﴿انه ظن أن لن يمحو﴾ تعليل لسوره في الدنيا أي ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيباً للمعاد  
وأن عقفة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مقعولي الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف ﴿بلى﴾ إيجاب لما بعدلن  
وقوله تعالى ﴿ان ربه كان به بصيراً﴾ تحقيق وتعليل له أي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وأعماله الموجبة  
للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً وقيل نزلت الآيات في أن سلة بن  
عبد الأشد وأخيه الأسود ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ هي الحرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض  
الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع وضم يقال وسقه  
فانسق واستوسق أي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل وياوى الى مكانه من الدواب وغيرها ﴿والقمر اذا  
انسق﴾ أي اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ أي لتلاقي حالاً بعد حال كل واحدة منها  
طافية لا اختفا في الشدة والظلمة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفى للركوب المتجني عن الاعتلال والمعنى  
لتركين أحوال بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودهاها  
وقرى لتركين بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرى بكسر الباء  
على خطاب النفس ليركبن بالياء أي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً أي طبقاً مجاوزاً لطبق  
أحوال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى  
﴿سالم لا يذنون﴾ لتركبن ما بعدها من الانكار والتعجب تلي ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأحوالها الموجبة  
للايمان والسجود أي اذا كان حالهم يوم القيامة كذا ذكر فأى شئ لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أى شئ يمنعهم من  
الايمان مع تعاظمه وجبانه وقوله تعالى ﴿واذا قرى عليهم القرآن لا يسجدون﴾ جملة شرطية محملا بالنصب على  
الحالية نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي  
عليه الصلاة والسلام ذات يوم واستجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقرئش تصفق فوق رؤسهم وتصفر  
فزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس في المفصل سجدة  
وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها  
وعن أنس رضى الله عنه صلى خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة ﴿بل  
الذين كفروا يكذبون﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأحوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك  
لا يحضرون عند تلاوته ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ بما يقضرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر  
والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون في صغفهم من أعمال سوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا  
﴿فيشرهم بعذاب أليم﴾ لان عليه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتا ﴿الا الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات﴾ استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك  
وقوله تعالى ﴿لهم أجر غير ممنون﴾ أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من اتفاء  
العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاده  
الله تعالى أن يعطيه كتابه وراة ظهره

## سورة البروج

(مكية وآياتها ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والسما ذات البروج﴾ هي البروج الاثنا عشر شهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل  
القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور  
﴿واليوم الموعود﴾ أى يوم القيامة ﴿وشاهد ومشهود﴾ أى ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه  
من العجائب وتذكيرهما للابهام في الرصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها أو للبالغة في الكثرة وقيل الشاهد  
محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمه لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا لئلا يحل  
أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل  
الأيام والليالي ويؤادى وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل في شهيد فاعتنى فلو  
غابت شمس لم تدر كنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿يقتل أصحاب  
الأخدود﴾ قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل قتل كما في قول من قال

حلفت لها بالله حلفه فاجر لئلا موافان من حديث ولاصال

وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فاجلة خبرية والأظهر أنها دعائية الله على الجواب كأنه قيل أقدم بهذه الأشياء أنهم  
أى كفار مكة ما عوفون كما لن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبرهم  
على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم  
ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم  
أحقاً بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرى قتل بالشد يد والأخدود الحد في الأرض وهو الشق ونحوها بناء ومعنى  
الحق والأخقوق . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما يعلمه السحر  
وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ  
حجراً فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكاه والأبرص  
ويشقى من الأدواء وعنى جليس الملك فأبراه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فقتلته فدفعه فدل  
على الغلام فدفعه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمشار وأن الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من  
ذروته فدعا فرجف بالقوم فظاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكشفت بهم السيف فغرقوا  
ونجا فقال للملك لست بقائلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب  
الغلام ثم ترميني به فرماه فوق في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس أما يرب الغلام فقتل للملك نزل بك  
ما كنت تحذر فأمر بأخايد في أفواه السلك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها  
صبي فتقاسعت فقال الصبي يا أماه اصبري فانك على الحق فاقتمعت وقيل قال لها قعي ولا تناققي باهي الاغمضة فصبرت  
قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي  
رضي الله عنه أن بعض ملوك الجوس وقع على أخته وهو سكران فلما سحاه ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تحطب



بأناس فتقول ان الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله قد حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له اسبط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالآخاديد وايقاد النار وطرح من أفي فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع الى تحران رجل عن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بخنود من حمر ثغيرهم بين النار واليهودية فأبوأ فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الآخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا (النار) بدل اشتغال من الأخدود (ذات الوقود) وصف لها بناية العظم وارتفاع اللب وكثرة ما يوجب من الحطب وأبدان الناس وقرى الوقود بالضم وقوله تعالى (اذم عليها قوم) ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدن حولها في مكان مشرف عليهما من حافات الأخدود كما في قوله (وبات على النار الندى والمحاق) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود أي يشهد به ضمير لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعي النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجارية لما ألقيت في النار وهي قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سلمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حلاقه تعالى ولم يعذب الحريق (وما تفعلوا منهم) أي ما أنكرتوا منهم وما عابوا (الا أن يؤمنوا بالله العزيز الخبير) استثناء مفصّل عن رايهم مما يعاب ويذكر بالسكينة على منهاج قوله

ولا عيب فيهم غير أن ضيقهم تلام بنسبنا الآية والوطن

وصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحيدا منما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) للاشعار بنطاق إيمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء شيد) وعدلهم ووعيد شديد لعذبتهم فإن عليه تعالى بجميع الأشياء التي من جعلها أعمال الفريقتين يستدعي توفير جزاء كل منها حتا (ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات) أي محضوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الأخدود خاصة والمقتولين المطر حوون في الأخدود واما الذين باؤم في ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون في جنتهم دخولا أوليا (هم لم يتوبوا) أي عن كفرهم وقتلهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) جملة وقعت خبرا لأن أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن والفاء تتضمن المتدا معنى الشرط ولا ضمير في نسخه بان وإن خالف الأخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهي نار أخرى عظيمة بسبب قتلهم للمؤمنين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الإطلاق من المقتولين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الأنهار) ان أريد بالجنات الاشجار تجري ان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتعلة عليها فالتحية باعتبار جزئها الظاهر فإن أشجارها سائرة لاحتاحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا (ذلك) إشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتناقص فيه المتنافسون فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لالذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتا واما الى ما يفيد قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأما كما نفا فيه من معنى البعد للآنيان بملو درجته وبعد منزله في الفضل والشرف

ومخلة الرقع على الابتداء خبره ما بعده أي ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بخلافها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجارية والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه اليهم شديد (ان هو يبدى ويبيد) أي هو يبدى الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما فقيه من بد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدى البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذوالعرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أي ذو السلطنة القاهرة وقرى ذي العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرى بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ويجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعاله غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (هل أناك حديث الجرد) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بآدميهم ما صدر عنهم من الفادى في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والتكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم قد ذكر قولك بشؤون الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) اضراب عن ما نلتهم لهم وبيان لكوتهم أشد منهم في الكفر والظلمة كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جناتهم مجرد عدم التذكر والاعطاء بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لأنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكون ما نطق به قرآننا من عذابه تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من وراءهم محيط) تشيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أي ليس الامر قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرى قرآن مجيد بالاضافة أي قرآن رب مجيد (في لوح محفوظ) أي من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرى محفوظ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرى في لوح وهو الهواء أي مافوق السماء السابعة الذي فيه الروح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرة تكون في الدنيا عشر حسنات

### سورة الطارق

(مكية وآها سبع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسما والطارق) الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطرقا اذا جاء ليلا قال المساوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل مظاهر بالدليل كأننا



ما كان ثم أشيع في التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال

طرق الخيال ولا كلية مدلج سدا بأرجانا ولم يترج

والمراد ههنا الكوكب البادي بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معبود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما الطارق﴾ تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبية على أن رخصة ربه بحيث لا ينالها أدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاول مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبا بين في نظائره أي وأي شيء أعليك ما الطارق وقوله تعالى ﴿النجم الثاقب﴾ خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضي في الغاية كأنه يتقرب للظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به إما الجنس فإن لكل كوكب ضوؤه ناقبا لاجالة وإما كوكب معبود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد في إرادته عند الاقمام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الإشارة إلى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلاق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله مالا يخفى وقوله تعالى ﴿إن كل نفس لسا عليها حافظ﴾ جواب القسم وما بينهما اعتراض جى بما ذكر من تأكيد عقامة المقسم به المستمع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما معنى إلا أي ما كل نفس الا عليها حافظ مبرهن رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وفان الله على كل شيء رقيب ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرى لما عطفه على أن ان عطفه من الثقله واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما من بدنة أي أن الشأن كل نفس لعلها حافظ والثاء في قوله تعالى ﴿فلينظر الانسان من خلق﴾ للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس لها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر في مبدأ فطرته حتى التفكير حتى يتضح له أن من قدر على انشاءه من مواد لم تسم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويحذره ولا يعل على حافظه ما يرديه وقوله تعالى ﴿خاق من ماء دافق﴾ استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل من خلق فقيل خلق من ماء دافق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائتين في الرحم كما ينبت عتقوله تعالى ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ أي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها قالوا ان الخلقة تتولد من فضل المضمم الرابع وتفصل عن جميع الاعضاء حتى تستدل أن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عرق وملتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة تازل إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرى الصلب بفتح حين والصلب بضم حين وفيه لغة أربعة هي صالب ﴿أنه﴾ الضمير للخلاق تعالى فان قوله خلق يدل عليه أي أن ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر ﴿على رجعه﴾ أي على اعادته بعد موته ﴿لقادر﴾ لبين القدرة ﴿يوم تبلى السرائر﴾ أي تعرف ويتضح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه ﴿فقاله﴾ أي للانسان ﴿من قوة﴾ في نفسه يتمتع بها ﴿ولا ناصر﴾ يتصر به ﴿والسواء ذات الرجوع﴾ أي المطر سمي رجعا لما أن العرب كانوا يرمعون أن السحاب

يحمل الماء من بخار الارض ثم يرجعه إلى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سمىه أو با أو لأن الله تعالى يرجعه حينئذينا ﴿والارض ذات الصدع﴾ هو ما تصدع عنه الارض من النبات أو مصدر من المني للفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما في أنفسهما من شواهد وهو السر في التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجوع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبا ذكر في مواقع من التنزيل لاني تشققها بالعيون ﴿أنه﴾ أي القرآن الذي من جلته ما نفي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاذته ﴿لقول فصل﴾ أي فاصل بين الحق والباطل مباليغ في ذلك كأنه نفس الفصل ﴿وما هو بالخرل﴾ ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة ﴿أنهم﴾ أي أهل مكة ﴿يكدبون﴾ في ابطال أمره واطفائه نوره ﴿كيدا﴾ حسبان في تدبيرهم ﴿وأكد كيدا﴾ أي أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿فبيل الكافرين﴾ أي لا تشغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم الهلاك أولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدهم قطعا وقوله تعالى ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وقوله تعالى ﴿رويدا﴾ اما مصدر مؤبد لاني الدوام أو دعت لمصدره المحذوف أي أمهلهم امهالا رويدا أي قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو في الاصل تصغير رويد بالضم وأنشد كأنها مثل تمثي على رويد أي على مهل وقيل تصغير ارواد مصدر أرود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران لونه اسم فصل نحو رويدا رويدا وكونه حالان نحو سار القوم رويدا أي متعجلين وفي إيراد البدل بصيغة لا تحتمل التثنية وتقيد رويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكئين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى يمدد كل نعيم في السماء عشر حسنة والله أعلم

### سورة الأعلى

(مكية وآياتها تسع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أي زده اسمه عز وجل عن الاحاد فيه بالتأويلات الزائفة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركها فيه وعن ذكره لأعلى وجه الاعظام والاجلال والأعلى اما صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرى سبحان ربى الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت ﴿الذى خلق فسوى﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومتصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أي خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأق كالله ويتسنى معاشه وقوله تعالى ﴿والذى قدر﴾ اما صفة أخرى للرب كالمرصود الاول أو معطوف عليه وكذا حال ما بعده قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها ﴿فهدى﴾ أي فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبئ له لطعا أو اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وازال الآيات ولتتبع أحوال النباتات



والحيوانات رأيت كل منها ما تحار فيه العقول يروى أن الألفي إذا بلغت ألف سنة عيت وقد ألهما الله تعالى أن  
 تمسح عنها بورق الرزاز يا نوح الغض يرد إليها بصرها فربما كانت عند عرض العبي لها في برية بينها وبين الرف مسافة  
 طويلة فتطوها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرزاز يا نوح لا تخطأ فتجثع عنها بورقها وترجع باصرة باذن الله  
 عز وجل ويروى أن النحاس لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قبض الله له طائرا قدر غذائه  
 من ذلك فإذا رآه النحاس يفتح فيه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا  
 يطبق عليه النحاس فيه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان من حيث الجسمية ومن حيث الجبرانية لاسيا  
 من حيث الانسانية فما لا يحيط به تلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير (والذي أخرج المرحى) أى  
 أثبت ما يرعه الدواب غضا طر يارب (فعله) بعد ذلك (غنا أحوى) أى درينا أسود وقيل أحوى حال من  
 المرحى أى أخرجه أحوى من شدة الخضره والرى فعله غنا بعد ذلك وقوله تعالى (ستترك فلا تنسى) بيان  
 لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم إريان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه الصلاة  
 والسلام لتلقى الحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين  
 اما لتأكيد (واما لأن المراد اقراء ما أوحى الله إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو عند كرم باستمرار الوحي في  
 ضمن الوعد بالاقراء أى ستترك ما نوحى إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بالهام  
 القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أى لاتدرى ما الكتاب وما القرآن ليكون ذلك آية أخرى لك  
 مع ما في تضاعيف ما تقرأه من الآيات البينات من حيث الانجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نبي والألف  
 مراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فأخبرنا السيل وقوله تعالى (الاماشا الله) استلزامه من أم المفاعيل أى لاتنسى مما  
 تقرأه شيئاً من الاشياء الاماشا الله أن تنساه أبداً بان نسخ تلاوته والاتفات الى الاسم الجليل ثم يعلما به والايذان بدوران  
 المشيئة على عنوان الالهية المستتعة لساير الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه  
 الصلاة والسلام أسقط آية في قرآنه في الصلاة فحسب أني أنها نسخت فأنه قال عليه الصلاة والسلام نسيان نبي  
 النسيان رأساً فان القلة قد تستعمل في النسيان فالمراد بالنسيان حيث النسيان بالكلية اذ هو المنفى رأساً لما قد ينسى ثم يذكر  
 (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جعلها ما أوحى إليك فينسى ما يشاء  
 انساه ويبقى محفوظاً ما يشاء ابقاه لما ينط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك اليسرى) عطف على نعتك  
 كما ينبغي عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض واراد لما ذكر من التعليل وتعليل اليسرى به عليه الصلاة والسلام  
 مع أن السائق تعليله بالامور المستغرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسرلى امرى للايذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام  
 من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة  
 والسلام اعلموا فكل ميسر لما خلق له أى توفقت توفيقاً مستمرا الطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً  
 وتعلماً وهداه وهداية فيدرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس  
 الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فذكر ان نعمت  
 الذكري) أى فذكر الناس حسناً يسرناك له بما يوحى إليك واهدهم الى مافى تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت  
 تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان  
 يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد محبود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم

الا كفرا وعناداً فأمر عليه الصلاة والسلام بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً من  
 يرجى منه التذكير ولا يتعب نفسه في تذكر من لا يورثه التذكير الا اعتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله  
 تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم المذكرين واخبار عن حالهم  
 واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك لو عظم الخط المكسب ان سمعوا منك قصدا الى أنه  
 مما لا يكون والاول نسب لقوله تعالى (سذكر من يخشى) أى سذكر من يذكر من شأنه أن يخشى الله تعالى حق  
 خشية أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير وتفكير في أمر ما ذكر به فيقف على حقيقة قيامه به وقيل ان  
 بمعنى اذ كما في قوله تعالى وأنتم الاعوان ان كنتم مؤمنين أى اذكتم وقيل هي بمعنى ما أى فذكر ما نعمت الذكري فانها  
 لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير ان نعمت الذكري وان لم تنفع لقلوبكم تعالى سرايل تقيم الحمر  
 قاله الفراء والنحاس والمحراني والرهراوى (ويستحي) أى الذكري (الاشقى) من الكفرة لتوغلهم في عدوة  
 النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة  
 السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام (اناركم هذه جز من  
 سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يخشى) حياة تنفعه وتم للتراخي في مراتب الشدة  
 لان التردد بين الموت والحياة أقطع من الصلابة (قد أفلح) أى نجح من المكروه وظفر بما يرجوه (من تركي)  
 أى تظفر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاطيه بالذكري أو تكثرت من التقوى والخشية من الزكاة وهو الفاء وقيل  
 تظفر للصلاة وقيل تركي تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكري في الآخرة  
 يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها ويتظفره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصل) أقام الصلوات  
 الحسن كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصي وقيل تركي أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم  
 ربه أى كبره يوم العيد فصي أى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضطراب عن مقدر ينشأ الى الكلام كأنه  
 قيل اثرين ما يؤدى الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما  
 للكفرة فالمراد باثارة الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالسكينة كما في قوله تعالى ان الذين  
 لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية أول الكل فالمراد باثارة ما هو أهم مما ذكر وما لا يخلو عنه  
 الانسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادئ والاتفات على الاول لتشديد التوبيخ  
 وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة وتشديد العتاب في حق المسلمين وقرى يؤثرون باليام وقوله تعالى (والآخرة خير  
 وأبقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما  
 أن نصيباً مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة العائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان يتكدر  
 نعم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (ان هذا) إشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من  
 تركي وقيل الى ما في السورة جميعاً (لقى الصحف الأولى) أى ثابت فيها معناه (صحف ابراهيم وموسى) بدل  
 من الصحف الاولى وفي ابراهيم وصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى روى أن جميع  
 ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى  
 ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والقرآن . عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل الله تعالى على ابراهيم وموسى



## سورة الغاشية

(مكية وآيات ست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان الآية قال قطرب أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب عما في حيزه والتشويق إلى استماعه والاشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيا الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تشقى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم ينسف العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتشقى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سري من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناظر بأحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ إلى قوله تعالى مبتوتة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهة عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثا فاف هو فقيل وجوه يومئذ أي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن آتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتكررها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى ﴿عامة ناصبة﴾ خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أي تعمل أعمالا شاقة تعذب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار وهادما وقيل عملت في الدنيا أعمال سوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجرى عليها في الآخرة وقوله تعالى ﴿تصلى﴾ أي تدخل ﴿نارا حامية﴾ أي متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع قبل جمعها صفة له ولا ريب في أن صلى النار وما قبله من الخضوع والعمل والنصب أمور متساوية في الانتساب إلى الوجوه معرفة وجهالة جعل بعضها عنانا للوضوح قيدا مفرغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكما تحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها ﴿تسقى من عين آية﴾ أي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن ﴿ليس لهم طعام الا من ضريع﴾ بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع بيبس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضر عيون عنده ويذون ويضر عيون إلى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار الزقوم والغسلان الآخرين ﴿لا يسمعون ولا يغنى من جوع﴾ أي ليس من شأنه الاستماع والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضره ونهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعبود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المعلوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرها عند استقرارهما في المدة ويستفيد منهما قوة وسمتا عند انهماضهما بل جوعهم عبارة عن اضطرابهم عند اضطراب النار في

أحشائهم إلى ادخال شيء كثيف بماؤها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق إلى معلوم ما أو التذاد به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة قهيات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرابهم عند أكل الضريع والنهاية في بطونهم إلى شيء مانع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاد بشرية أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطربهم إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطربهم إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعائهم وتكثر الجوع للتحقير أي لا يغنى من جوع ما وتأخير نفي الاغناء منه لرعاية القواصل والتوصل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين اذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الايمان ضرورة استلزام نفي الاغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كررنا لتأكيد النفي وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لانه أدخل في ترويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار ما يزيد المحسكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وانما لم تعطف عليها ايدانا بكال تباين مضموبيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم أو متعنة ﴿لسعيا راضية﴾ أي لعبها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته ﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المحل أو عالية المقدار ﴿لا تسع﴾ أي أنت أو الوجوه ﴿فيها لاغية﴾ لقوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذا كار وحكم وقرى لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والثاء ورفع لاغية ﴿فيها عين جارية﴾ أي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علست نفس ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ رفعة السلك أو المقدار ﴿وأكواب﴾ جمع كوب وهو اناه لا عروة له ﴿موضوعة﴾ أي بين أيديهم ﴿ومبارق﴾ ومائد جمع عروة بالفتح والضم ﴿مصفوفة﴾ بعضها إلى بعض ﴿وزابن﴾ أي بسط فاخرة جمع زرية ﴿مبشوة﴾ أي مبسوطة ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت﴾ استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتغال من الابل أي يشكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون إلى الابل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقه سائر أنواع الحيوانات في عظم جنتها وشدة قوتها وعجيب هيأتها اللاتفة بتأني ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنور بالآوقار الثقيلة وجر الانتقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صيرها إلى الجوع والعطش حتى إن أطعامها اتبع العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورحيها الكل ما ييسر من شوك ونسج وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والبهوض حيث يستعملها في ذلك كيف يشاء ويتكادها بقطارها كل صغير وكبير ﴿والى السبا﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار ﴿كيف رفعت﴾ رفا سحبق المدى بلا عمد ولا مساك بحيث لا يتاله الفهم والادراك ﴿والى الجبال﴾ التي يزلون في أقطارها ويتفتنون بياها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد ﴿والى الأرض﴾ التي يضربون فيها وتقلبون عليها ﴿كيف سطحت﴾ سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرى ﴿سطحت مشددا﴾ وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور وليرجعوا عنهم عليهم من



الانكار والنفور ويسمعوا النداء ويستعدوا للقائه بالايمن والطاعة والفاء في قوله تعالى ﴿فذكر﴾ لتزيين الامر بالتذكير على ما يلي. عنه الانكار السابق من عدم النظر الى ما قصر على التذكير ولا تلحق عليهم ولا يهلكونهم لا ينظرون ولا يفتكرون وقوله تعالى ﴿انما أنت مذكر﴾ لتعليل للأمر وقوله تعالى ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ تخيير له وتحقيق لمعنى الانذار أي لست بمسيطر عليهم بخبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بحمار وقرئ بالسجن على الأصل وبالشام وقرئ بفتح الشاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم شتم ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى ﴿الا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع أي لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية والقهر ﴿فيعدية المذنب الاكبر﴾ الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أي ذكر الامن انقطع ملمحك من ايمانه وتولى فاستحق المذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وبمعنى الاول أنه قرئ الا على التثنية وقوله تعالى ﴿ان البنا اياهم﴾ لتعليل لتعذيبه تعالى بالمعذاب الاكبر أي ان البنا اياهم بل هو شوالع لا ال أحد سوانا لا استقلال ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده بانتهاز معنى من كان ان اراد فيها سبق باعتبار لفظها وقرئ اياهم على افعال مصدر فعل من الايات أو فعل من أوب كفسار من فسر ثم قيل اياها كدبر الذي رواه ثم قلت الواو فأنقضت الياء الاولى في الثانية ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ في المحشر لا على غيرها وتم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين اياهم وحسابهم لا بين كون اياهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانها امران مستتران وفي تصدير المحتجين بآب وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الاثام عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا ينبغي. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاشية بحسب الله تعالى حسابا يسيرا

### سورة الفجر

(مكية وآياتها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا نفَس وقيل المراد به صلاته ﴿وليل عشرين﴾ من عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو العشر الاواخر من رمضان وتكثيرها للتفخيم وقرئ وليل عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام ﴿والشفع والوتر﴾ أي الاثنية كلها شفعا ووترها أو شفعا مفردة الليل ووترها وقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما يوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت بهذا الاقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ تكسر الواو وهما لغتان كالخير والحير وقيل الوتر بالفتح في العسود والكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر الشاء ﴿والليل اذا يسر﴾ أي بمعنى كقوله تعالى والليل اذا دبر والليل اذا عسس والتفيد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وهو النعمة أو يسر في من قولهم صلى المقام أي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ بآياتها على الاطلاق ومحدثها في الوقت خاصة وقرئ يسر بالتسوية فآقرئ والفجر والوتر وهو التسوية الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق ﴿هل في ذلك قسم﴾ الخ تحقيق وتقرير لفظة شأن المقسم بها وتكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند آرباب العقول وتنبه على أن الاقسام بها أمر معتد به خلق بأن يؤكده به الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها أو بما كان فيها من معنى البعد للامان بعلوم ودية المشار

اليه وبعد منزلة في الشرف والفضل أي هل فيها ذكر من الاشياء قسم أي مقسم به ﴿لدى حجر﴾ براه حقيقة بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أثبت هذه الطريقة حضا للخلق وايدانا بظهور الامر أو هل في اقسام تلك الاشياء اقسام لدى حجر مقبول عنده يمتد به ويعمل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه حجر صاحبه أي يمتد من التهاوت فيما لا يقبض كما هي عقلا ونسبة لأنه يعقل وبني وحصاد ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفرأ يقال له لؤو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعلمين كما يلي عنه قوله تعالى ﴿المر تر كيف فعل ربك عاد﴾ الخ طائفة استشهدا ببعده عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأخراهم المشار كين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يسمون كانه قيل ألم تعلم عسا بقينا كيف عذب ربك عاد وظانهم فيعذب هؤلاء ايضا لا شتر اكهم لجا به جبه من الكفر والمعاصي والمراد عاد أو لا عاد بن عوض بن ارم ابن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام حوا باسم ابيهم كاسم بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوا لهم عاد الاولى ولاد اخرهم عاد الاخرة قال محمد بن علي بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ﴿ارم﴾ عطف بيان لعاد لا لبيان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف أي سيط ارم أو أهل ارم على ما قيل من أن ارم اسم بلدتهم أو ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراء بالاشارة وأيا ما كان فاستغ صرغها التعريف والتأنيث وقرئ ارم بالسكان الاختصاف كما قرئ يورقكم ﴿ذات العباد﴾ صفة لارم أي ذات الدود الطوال على تشبيه قائمتهم بالاعمدية ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان ملويا أو ذات الحيام والاعمدية حيث كانوا يدو بين أهل عمد وذات البناء الرفع أو ذات الاساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العباد بضافة ارم الى ذات العباد والارم العلم أي بعد أهل اعلام ذات العباد على أنها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العباد أي جعلها الله تعالى رميا بدل من قل ربك وقيل هي جملة دعائه اترعت من الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد اثنان شديد وشداد فلما قهر اثم مات شديد وخلف الامر لشداد فلما ولد له ماوكها فسمع يذكر الجنة فقال أبن مثلها فبن ارم في بعض صحارى عدن في ثمانية سنين وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطيرها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والأنهار المفردة ولما عم باؤها سار إليها بأهل تلكه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة يمك الله تعالى عليهم صبيحة من النسي فهاكوا وعن عبد الله بن قلاية أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مسافة وبلغ خربة معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال هي ارم ذات العباد وسيدحها رجل من المسلمين في زمانك أخر اشترى صبي على حاجه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم انتقت الى ابن قلاية فقال هذا والله ذلك الرجل ﴿التي لم يخلق مثلا في البلاد﴾ صفة أخرى لارم أي لم يخلق مثله في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منه أربعائة ذراع وكان يأبى الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحن فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى ﴿وتمود﴾ عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدم نمود أخى جديس وهما اثنان من ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عواما العارية يسكنون الحجر بين الحجاز وتوبك وكانوا يعدون الانعام كعاد ﴿الذين جاءوا الصخر بالواد﴾ أي أفضلوا صخر الجبال فاختلوا فيها يوتوا نحوها من الصخر كقوله تعالى وتحنون من الجبال يوتوا قيل هم أول من تحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعة مائة مدينة كلها من الحجارة ﴿وهي من في الآواتاد﴾ وصف بذلك كثرة



جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالآلات (الذين طغوا في البلاد) أما يجوز على أنه صفة للذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم كذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل أنزالاً شديداً على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيت مافعله من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فتون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعطى في الآخرة بمنزلة السوط عند السفوف والتعبير عن أنزاله بالصب للإيدان بكثرة واستمراره وتتابعه عبارة عن أراقه شيء مانع أو جار يحراه في السيلان كالرمل والجوب وفراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القليل باعتبار تشبيهه في زواله المتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المنسوب وقيل السوط خاط الشيء بضمة بعض فالعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصب وبالشدّة أيضاً لأن السوط يطلق على كل منها لغة فلا حاجة حينئذ تشبيهه بالمنسوب إلى اعتبار تكرار تعلقته بالمعذب كما في المعنى الأول فإن كل واحد من هذه المعاني ما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله واليدان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام بسببهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما يلي (غما تخرجهم عن أمنهم إلى روية مع الاضاعة إلى خبره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما فيها اعتراض والمحصاة المكنى الذي يترقب فيه الرصد مفعول من رصده كالطرائد من وقت وهذا تمثيل لأوصافه تعالى بالعصاة وأهلها فلو تونه وقوله تعالى (فأما الإنسان) الخ متصل بما قبله كما قيل أنه تعالى يصدر مرقية أحوال عباده وعجزاتهم وأعمالهم حين أوتوا فأما الإنسان فلا يهيم ذلك وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذا قلنا (إذا ما ابتلاه به) أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فإن الأكرام والتعظيم من الابتلاء (فيقول ربني أكرمني) أي فضلي بما أعطاني من المال والجاه حسبا كنت استحقته ولا يخاطر به أنه فضل تفضل به عليه ليولوه أشكر أم يكفر وهو خير للبدا الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فإما الإنسان فيقول ربني أكرمني وقت ابتلائه بالانعام وإنما تقدمه الإيدان من أول الأمر بأن الأكرام والتعظيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي (وأما إذا ما ابتلاه) أي وأما هو إذا ما ابتلاه به (فقد ربه عليه رزقه) حسبا تقتضيه المبينة على الحكم البالغة (فيقول ربني أهانني) ولا يخاطر به أنه ذلك ليلو له أصبح أرم يجرع مع أنه ليس من الأهانة في شيء بل التقدير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى خسرانها وقرئ (فقد ربه بالتشديد وقرئ أكرمني وأهاني بأبواب الأيا) وأكرمني وأهاني بكون التوفيق (كلا) ردع الإنسان عن مقاتله المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم يبتله بالغنى لكرامته على ولم يبتله بالفقر لاهوائه على بل ذلك لحض القضاء والقدر وحل الردع والتكذيب أي قوله الأخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليقيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والانتفاضة إلى الخطاب للإيدان باقتضاه ملاحظة جنائته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيذاً للتشجيع والجمع باعتبار معنى الإنسان الذي المراد هو الجنس أي بل لكم أحوال أشد شراً مما ذكر وأدل على نكالكم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤذون ما يباركم فيه من أكرام اليقيم بالمارة به وقرئ لا يكرمون (ولا محاضون) بخذف إحدى التامين من تتحاضون أي لا يحض بعضهم بعضاً (على طعام المسكين) أي على إطعامه وقرئ تتحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والنات (وتأكلون

الثرث) أي الميراث وأصله وراث (أكلوا) أي ذالم أي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان وأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشدة وقرئ ويحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إذا ذكركم الأرض ذكادكا) الخ استئناف جي به بطريق الوعيد تليلا للردع أي إذا ذكركم الأرض ذكا متابعاً حتى انكسر وذهب كل ماعلى وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الذك حط المرتفع باليسط والتسوية فالعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند الضخمة الثانية (وجاء ربك) أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك مما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيته وسيات وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتحويل (والملك صفا صفا) أي مصطفين أو ذوي صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سما فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس (وجي) يومئذ يجيئكم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهم بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تعظيم وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً (يومئذ) بدل من إذا ذكركم والعامل فيها قوله تعالى (يتذكر الإنسان) أي يتذكر ما فرط فيه يتفاديه بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمحابة عنه على أن الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقييحات وتعط وقوله تعالى (وأقوله الذكرى) اعتراض جي به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لمراته عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خير مقدم والذكري مبتدأ وله متعلق بما يتعلق به الخبر أي ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أي وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول باليقني قدمت لحياقي) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول باليقني عملت لأجل حياقي هذه أو وقت حياقي في الدنيا أعمالاً صالحة أنتفع بها اليوم وليس في هذا التقني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمنح قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكسبة إليه فكلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يمتنع أن كان متمكناً منه فربما يؤم من صرف قدرته إلى أحد طرفي الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواه إذا الأمر كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يذنبونه وقرئ القفلان على البناء للمفعول والضمير للإنسان أيضاً وقيل المراد به أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلسل والأغلال مثل وثاقه لتأنيبه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزوروا زواجرى وقوله تعالى (يأبئنا نفس المظلمة) حكاية لأحوال من أطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية أحوال من أطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات تستقر دون معرفته وتستغنى به في وجودها وسائر شئونها عن غيره بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المظلمة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث



لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرئ: يا أيها النفس الآمنة المطلقة أي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعي إلى ربك) أي إلى موعدة أو إلى أمره (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (راضية) عند الله عز وجل (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي الصالحين المختصين في (وادخلي جنتي) معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم فإن الجواهر القدسية كالإيا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ: فادخلي في عبادي وقرئ: في جسد عبادي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي رضي الله عنهما والظاهر المعموم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

### سورة البلد

(مكية وآياتها عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لأقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الإنسان خلق منو بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) أما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حوله به مناطا لأعظامه بالأقسام به أو للثبوت من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمة قد استخوله في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير فيه وهو ما يسلم بنالوا عن شرحيل يحرمون أن يقتلوا بها شيئا ويعدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو تسليط عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى أنك ميت وأنهم ميتون تصنف فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له أحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي وإن تحل لأحد بعدى ولم تحل لي الساعة من نهار فلا يعدد شجرها ولا يفتل خلها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الاذخر فانه لقيونا وقيونا ويوتنا فقال عليه الصلاة والسلام إلا الاذخر (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم وبقره تعالى (وما ولد) اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبا بنو عنه المعلوم عليه فانه حرم إبراهيم ومنشأ اسمعيل ومقط رأس رسول الله عليهم الصلوة والسلام والتعظيم عنهما بما دون من التفضيم والتعظيم كتذكير والدوايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وإيماء إلى أنه متحقق في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل إلا أن التفضيم المستفاد من كلمة مالا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي تب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعه وما وراى يقال كبد الرجل كبد إذا وجدت كبد وأصله كبد إذا أصاب كبد ثم اتسع فيه

حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبت بمعنى أهلكه وهو تسليط لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى (أحسب) لبعضهم الذي كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم ما يكابد كالولد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كادة الجحى وكان شديد القوة معترا بوقته وكان يسقط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيقطع قطعاً ولا تزال قدماه أي أيقظ هذا القوى المارء المتضعف للؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) أن تخففة من أن واسمها الذي هو ضمير الشأن مخدوف أي أحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلك ما لا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكاد ويدعونها مسالي ومفاخر (أحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يباليه عنه ولا يحاز به عليه (ألم نجعل له عينين) يصريهما (ولسانا) يترجم به عن ضارته (وشفتين) يستترهما فانه يستعين بهما على التطق والاكل والترب وغيرها (وهديناه النجدين) أي طريق الخير والشر أو الدين وأصل النجد المكان المرتفع (فلا اقتصر العقبة) أي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أي أي شيء أعليك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك ربة) أي هو اعتناق ربة (أو اطعام في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة (يتيما ذامقربة) أي قرابة (أو مسكينا ذامقربة) أي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور وحسن دخول لا على الماضي فانها لا تنكاد تقع الا مكررة اذا المعنى فلافك ربة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمقربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ: فك ربة أو أطعم على الابدال من اقتصر (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المؤمنين بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان ورفعة محله لاشتراط جميع الأعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالرحمة) بالرحمة على عباده وبموجبات رحمة من الحيرات (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشارة إليه للإيذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل أي أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب المينة) أي المؤمنين أو المؤمنين (والذين كفروا آياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو القرآن (هم أصحاب المشأمة) أي الشال أو الشؤم (عليهم نار موصدة) مطبقة من أصدت الباب اذا أطبقته وأغلقتة وقرئ: موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لأقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

### سورة الشمس

(مكية وآياتها خمس عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والشمس وضحاها) أي ضوئها اذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاه بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد يتصف (والقمر اذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل اذا تلا طلوعها وطلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكال النور (والنهار اذا جلاها) أي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها لا تبسطه ولا جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وان لم يحرها ذكر العلم بها (والليل اذا يشأها) أي الشمس فيغطي



ضوءها أو الأفاق أو الأرض وحيث كانت الروايات العاطفة نواب للو أو الأولى القسبة القائمة مقام الفعل والامسادة  
صدها معا في قولك أقسم بالله حقيق أن يصان عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالد  
(والسبا وما بناها) أي ومن بناها وإثارة ماعلى من لارادة الوصفية تفخيا كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها  
وجعلها مصدرة بحمل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى (والأرض وما طحاها) أي يطها من كل جانب  
كدحاها (ونفس وما سواها) أي انشأها وأبدعها مستمدة لكالاتها والتشكيك للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه  
السلام أو التشكيك وهو الأنسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أي أنهيها بأبها وعبرها حالها من الحسن  
والفحش وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيها شئت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل (قد أفلح من زكاهها)  
أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام  
وتكرير تد في قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لارازكال الاعتناء بتحقيق مضمونه والاذان بتعلق القسم به  
أيضا أصالة أي خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل مسمى دس كقتضى ونقض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى  
فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستيراد وانما الجواب ما حذف تمويلا على دلالة قوله تعالى (كذبتم ثم  
بغضواها) عليه كأنه قيل ليدمدن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود  
لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الأول استئناف وأردت تقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى  
بالفتح الطغيان والباله السبية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظنني بجرته على الله تعالى أو صلتك كذب  
أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرى بطلوها بضم الطاء وهو  
أيضا مصدر كالرجعى (أذا نبئت أشقاها) منصوب بكذب أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف  
أوهو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعل التفصيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث  
ونضلل شقاوتهم على من عداهم لباشرتهم العقرب مع اشتراك الكل في الرضا به (فقال لهم) أي ثمود (رسول الله) أي صالح  
عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة بذنا بوجوب طاعته وبياناً لثبته عنهم وتماديهم في الطغيان وهو السرف إضافة  
الناقة إلى الله تعالى في قوله تعالى (ناقة الله) أي ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تدودوها عن نوبتها (فكذبوه)  
أي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوا فإخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للأشقيين ولا يلائمه ذكر  
سقياها (فغمروها) أي الأشقي والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قادة بلننا أنهم يعقرها حتى تابعه  
ضميرهم وكبرهم وأنهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس (قد مدد عليهم ربهم)  
فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مددمة إذا ألبسها الشعر (بذنبهم) بسبب ذنبهم المحكي والتعريض  
بذلك مع دلالة الفا عليه للانداز بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) أي الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد  
من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها في الهلاك (ولا يخاف عقباها) أي عاقبتها وتبعاتها بخفاف  
سائر الحافقين من الملوك فبقى بعض الأبقا وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا لا يحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله  
وان كان من شأنه الخوف والوالوالحال أو للاستئناف وقرى فلا يخاف وقرى ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

## سورة الليل

(مكية وآياتها إحدى وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل إذا يغشى) أي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا يشأها أو النهار أو كل ما يوريه بظلامه (والنهار  
إذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والأنثى) أي والقادر العظيم  
القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرى والذكر والأنثى وقرى والذي  
خلق الذكر والأنثى وقيل ما مصدرية (إن سيحك لشيء) جواب القسم وشئ جمع شئيت أي إن مفاعيلك لأشئت  
مختلفة وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لأحكامها أي  
فأما من أعطى حقوق ماله واتقى عارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالكلمة  
الحسنى وهي كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالثوبة الحسنى وهي الجنة (فسيبسه لليسرى)  
فسيبته للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباده من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وأجرها (وأما  
من بخل) أي بماله فلم ينفله في سبيل الخير (واستغنى) أي زهد فيها عنده تعالى كأنه مستغن عنه فمفقه أو استغنى  
بشعرات الدنيا عن نعم الآخرة (وكذب بالحسنى) أي ما ذكر من المعاني المتلازمة (فسيبسه لليسرى) أي  
للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختيارها ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن  
كلامهما أدنى رتبة مما بعدهما في استنباع التيسير لليسرى والتيسير لليسرى لا يذنبان كلامهما أصل في ذكر لاثمة  
لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول إعطاء الطاعة والثاني البخل بما أمر به مع  
كونه خلاف الظاهر بأباه قوله تعالى (وما يغنى عنه) أي ولا يغنى أو أي شيء يغنى عنه (ماله) الذي يبخل به  
(إذا تردى) أي ذلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أو تردى في الحفرة إذا قبر أو تردى في عرجهم (إن علينا  
للهدى) استئناف مقرر لمسا قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خافنا الخلق للعبادة أن نبين  
لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك  
كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعاً  
(وان لنا للآخرة والأولى) أي التصرف الكلي فيما كيفما نشاء ففعل فيها ما نشاء من الأفعال التي من جعلها  
ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير لليسرى وقيل إن لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرننا ترككم الاعتدال بهدانا  
(فأنذرتكم نارا تنطفى) بحذف إحدى التامين من تنطفى أي تطلب وقرى على الأصل (لا يصلاها) صلياً لازماً  
(الآلأشقي) الالكافر فإن الفاسق لا يصلاها صلياً لازماً وقد صرح به قوله تعالى (الذي كذب وتولى) أي  
كذب بالحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها) أي سيبعد عنها (الآتقى) المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي  
فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أوصلها الأبدى وأما من دونه من يتق الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التعبد  
وذلك لا يستلزم صلياً بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق (الذي يؤتى ماله) يعطيه ويصرفه في وجوه الخير  
والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) ما يبدل من يؤتى داخل في حكم الصلة لأجل أنه أو في حين النصب على أنه حال من  
ضمير يؤتى أي يظلم أن يكون عند الله تعالى زاكياً نامياً لا يريد به رياء ولا سمعة (وما لأحد عنده من نعمة تجزي)



استأناف مقرر لكون إثباته للتركي خالصا لوجه الله تعالى أي ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ  
فقصديا بما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى ﴿الابتغاء وجهه ربه الأعلى﴾ استأناف منقطع من نعمة وقرى بالرفع على  
البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلة أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا لأن المعنى لا يؤق  
ماله الابتغاء وجه ربه للمكافأة نعمة والآيات نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة  
كان يؤذيهم المشركون فأعقبهم ولذلك قالوا المراد بالاشترى أبو جهل أو أمة بن خلف وقدر وى عطاف والضحاك عن  
ابن عباس رضي الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد قربه النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد  
يعني الله تعالى يتجيك ثم قال لأبي بكر رضي الله عنه ان بلالا يذب في الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف  
الى منزله فأخذ رطلا من ذهب ووضه الى أمة بن خلف فقال له أبتعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون  
ما عتقه أبو بكر الا ليد كان له عنده فنزلت وقوله تعالى ﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم ضمير أى والله لسوف  
يرضى وهو وعد كريم ينبل جميع ما يتبعه على أكمل الوجوه وأجملها ان ذنبه يتحقق الرضا وقرى رضى مبنيا للمفعول من  
الارضاء - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر  
ويسره اليسر

— سورة والضحي —

(مكية وآياتها احدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقامة لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وأتى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة ياتنا (والليل) أى جنس الليل (وإذا سجد) أى سكن أهلها أو ركذ ظلامه من سجد البحر سجوا إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة العراج وقوله تعالى (ماودعك ربك) جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أى مازك (وما تلى) أى وما أبغض وحذف المفعول اما للاختصاص به بذكره من قبل أو للقصد أن نقي صدور الفعل عنه تعالى بالكيفية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لما تركه الاستثناء كما في سورة الكهف أول جزه ساتلاما فقال المشركون أن نحمده ودعه ربه وقلاه فزلزل ردا عليهم وتبشير بالعليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمتروكة كاشع به بإيراد اسم الرب المنهي عن التزيين والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والتمنى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا يشره عليه الصلاة والسلام بأن ماسيوتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (وللاخرة خير لك من الأولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أقر عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وإن كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض الفادحة في تخشية الأحكام مع أنه عند ما أعده عليه الصلاة والسلام في الآخرة من سبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجلع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وأعلام مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من

الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة الى الطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أي لنهاية أمرك خير من بدايته لانزال تزايد قوته وتضاعف رفعة وقوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدين ان كمال النفس وعلوم والاولين والآخرين وظهور الأمر واعلا الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية ففضو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغازيها ولما ادخله من الكرامات التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضي الله عنهما عن شدة مهاجرت قاله عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف قصر من لواؤ أيضا ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لثأ كيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره والانت سوف يعطيك الخ لا للقسمة لأنها لا تدخل على المضارع الاعم النون المؤكدة وجبها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كان لا محالة وان تراخي الحكمة وقيل هي للقسمة وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأ كيد قد استثنى النجاة منها صورتين احدهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهد الآية وكقوله والله لسا أعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالي الله تحشرون وقال أبو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك ان زيدا لقاسم هي بل التي في قولك لاقوم من ونايت سوف عن احدي نوني التأ كيد فكأنه قيل وليعطيتك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى ﴿لم يحبك يثا فآوى﴾ تعبد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهزمة لانكار النفي وتقرير النفي على أبلغ وجهه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم وبقيا مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادقة وبقيا حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أبواؤه وقرى فآوى وهو اما من أواه بمعنى أواه أو من أبوى لماذا رحمه وقوله تعالى ﴿ووجدك ضالاً﴾ عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفي بل داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك بينما فآوى ووجدك فاعلان الشرائع التي لا تهدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فضاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمِعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تعجزوا فان محمدربا لا يخذه ولا يضعه وان محمدأبواي تهامة عندشجر السمر فار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يذب بالاعصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليلة عند باب مكة حين قطعت وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن ابليس أخذ برما ناقة في ليلة طالبا فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفض ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند ورده الى القافلة ﴿فهدى﴾ فهدا الى ما نهج الشرائع المطلوبة في تضاعف ما أوحى اليك من الكتاب المبين وعلبك ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك ﴿ووجدك عائلاً﴾ أي فقيرا وقرى عيلا وقرى عديما ﴿فأنشأ﴾ فأنشأك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما آفا عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تقليه على ماله وقال مجاهد لا تحقر وقرى فلا تكبر أي فلا تمس في وجهه ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ فلا تنجر ولا تفاظل له القول بل رده ردا جيلا قال ابراهيم بن آدم نعم اليوم السؤال يحولون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يحيى الى باب



أحكم فيقول أتبعثون إلى أهلكم بشي وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ يشكرها وأشاعتها وأظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التي من جعلها النعم المدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى أنك كنت يتبها وضالاً وعائلاً فأثرك الله تعالى وهذا ما أغناك فهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك فتمطف على القيم فأوه وترحم على السائل وتفقد بجم وفك ولا تجرده عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معطفاً بنعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبها هداية الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحي جعله الله تعالى فيمن يرضى محمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل قيم وسائل

### سورة ألم نشرح

(مكية وآيات ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس وغزواً لسرائرها من العلوم والأدراكات والمسلكات والآراءات وغيرها عن بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليلها بالكالات الانسية أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والإفادة فصار صدك الملازمة بالعلائق الجمالية عن اقتباس أنوار المسلكات الروحية وما عاكفك التعالي بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه ففصله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أعمد فخرج جبرائيل بما سيطر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانتكاري عن انتفائه للإيدان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلي وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيدان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصلحه مسارعة إلى ادخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتكمن عنده وقت وروده ففضل تمكن وقوله تعالى ﴿ووضعتناك﴾ عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحت صدرك ووضعتنا الخ وعنتك متعلق بوضعتنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه محل يتجاوب أطراف النظم الكريم أي حططنا عنك عبك الثقل ﴿الذي أنقض ظرك﴾ أي حله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام بما كان ثقل عليه وبخفه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على أسلام المعاندين من قومه وتلفه ووضعه عنه مغفرته وتعامي الشرائع وتمييد عذره بعد أن باغ وبالع وقرى وحططنا وحللنا مكان وضعتنا وقرى وحللنا عنك وقرى ﴿ورفضناك﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والأقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملأته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ تقرير لما قبله ووعد

كريم بتيسير كل عسر له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكأن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمته مع أشعار بقاية سرعة مجيئ اليسر كأنه مقارن للعسر ﴿إن مع العسر يسراً﴾ تكرر لنا كيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كشواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحة إن للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام إن يغلب عسر يسرين فإن المعرفة إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معبوداً أو جنساً وأما المنكر فيجتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالاولى ﴿فاذا فرغت﴾ أي من التبليغ وقيل من الغزو ﴿فانصب﴾ فاجتهد في العبادة واتعب شكر لما أولئك من النعم السالفة ووعدها من الآلاء الآتية وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ﴿والى ربك﴾ وحده ﴿فارغب﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إسماعك لا غيره وقرى فرغب أي فرغب الناس إلى طلب ما عذره . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاني وأنا مقم فخرج عني

### سورة والتين

(مكية وقبل مدينة وآيات ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والتين والزيتون﴾ هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالأقسام بهما لاختصاصهما بخواص جبلية فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاً لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع بلين الطبع ويحلل البلغم ويظهر السكيتين ويزيل ما في المشانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد التكبد والطحال وروى أبو ذر رضي الله عنه أنه أهدى للنبي عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لا تحببه كلوا فلو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فأنها تقطع البواسير وتفتح من الثقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكبة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادنيه فيها لكني به فضلاً وشجرة تهي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعه يقول هو سواكي وسواك الأنبياء قبي وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبأ التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان ومهدار والزيتون جبال الشام لانهما منبأتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس رضي الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تمصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والسكبي ﴿وطور سينين﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا علبان للموضع الذي



هوفيه ولذلك أضيف اليهما وسيتون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والافرار على الياء وتحريك التون بالحركات الاعرابية (وهذا البلد الامين) أي الامن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول من أمته لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي أمن وجه الاقام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الانسان) أي جنس الانسان (في أحسن تقويم) أي كأننا في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقسوة والارادة والتسكلم والسبح والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي من أعمودجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبني عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان لنفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به متعلق التمييز والتصرف تستعمله كيف شئت فإذا أرادت فعلا من الافعال الحسية تعلقها مافي القلب من الروح الحيواني الذي هو أعدل الارواح وأضفاها وأقرها منها وأقواما مناسبة الى علم المجرذات القاهر وحانيا وهو يلقبه بواسطة مافي الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى الحركية للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعده والقربة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه مفرغ عن كونه داخلا في العالم أو خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة مراتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونه بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخه للعالم الاكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددنا أسفل سافلين) أي جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين وقيل رددناه الى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نمره تنكسه في الخلق وأياما كان أسفل سافلين أما حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محدوف أي رددناه مكانا أسفل سافلين والاول أظهر وفري أسفل السافلين وقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أي لكن الذين كانوا صالحين من الهرم (فلهم أجر غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل هو ضمهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيد الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والمخاطب في قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين) للرسول عليه الصلاة والسلام أي فأي شيء يكذبك دلالة أو نطقا بالبراء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما معنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت أي فما يملكك كاذبا بسبب الدين وانكاره بهذه الدلائل والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فأي شيء يعطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيبه أي الانسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي أليس الذي فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتديرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه

من العذاب. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين. وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العلق أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

## سورة العلق

(مكية وآياتها تسع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرأ) أي ما يوحى اليك فإن الأمر بالقراءة يقتضى المقرؤ قطعا وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يصل بالأمر حتما سواء كانت السورة أول ما نزل أولا والأقرب أن هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى أي مبتدئا به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقرؤ والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترتيب والتبليغ الى الكمال اللاتق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمال البشرية بنزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذي خلق) لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبه على أن من قدر على خلق الانسان على ماهو عليه من الحياة وما يقبها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم أي الذي أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شيء وقوله تعالى (خلق الانسان) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الاول أيضا خلق الانسان وقصد بتجريد عن المفعول الاجرام ثم التفسير وما لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق) أي دم جامد ليان قال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخره من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع بناء على أن الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكور من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وقيل قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولا ليستشهد عليه السلام به على تمكنه ته الى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى (اقرأ) أي اقل ما أمرت به تأكيداً للايجاب وتمهيدا لما يقبها من قوله تعالى (وربك الأكرم) الخ فانه كلام مستأنف وارد لازحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارئ يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أي فقيل له وربك الذي أمرتك بالقراءة مبتدئا باسمه الأكرم الذي علم بالقلم أي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكل علم القارئ بواسطة القلم ويعلم به وقوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) بدل اشتغال من علم بالقلم أي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخصية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول أولا وإيراده بعنوان عدم المعرفة ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال ربه والاشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه



وان لم يسبق ذكره للبالة في الزجر وقوله تعالى (ان الانسان ليطغى) أي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه يات  
للدروع والمردوع عنه قبل هذا الى آخر السورة نزل في أجيال بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى (ان رآه استغنى)  
مفعول له أي يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساع كون فاعله  
ومفعوله ضميرى واحد كما في علمتى وان جوزه بعضهم في الرقبة البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله  
عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا اسودان وتعليل طغيانه برقوته لا بنفس الاستغناء كما  
ينهى عنه قوله تعالى ولو يسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض للايدان بأن قدار طغيانه زعمه الفاسد. وروى أن أبا  
جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتزع من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها  
فتعطى فذعن ديننا وتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا  
بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى (ان الى ربك الرجعى)  
تهديد للطاغي وتذليل له من عاقبة الطغيان والانتفاء للتقيد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبرئى  
وتقديم الجار والمجرور وعليه لقصره عليه أي ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموث والبعث لالى غيره استقلال ولا  
اشتراكا فاسترى حيث عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) تقييح وتضييق حاله وتعجب  
منها وايدان بأنها من الشناعة والغربة بحيث يجب أن يراها كل من يتأق منه الرؤية ويقضى منها العجب. وروى أن أبا  
جبل قال في ملا من طاعة قريش ان رأيت محمدا يصلى لأطأ عنقه فراه عليه السلام في الصلاة فجاءه ثم نكص على  
عقبه فقالوا مالك قال ان بينى وبينه لحدقا من نار وهولا وأجته فزلت ولفظ العبد وتكريره لتضييقه عليه السلام  
واستعظام النبي وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما في قوله تعالى (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر  
بالتقوى) وما في قوله تعالى (أرأيت ان كذب وتولى) فضاية معناه أخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن  
المرتضى أجرى الاستنباط عنها مجرى الاستخبار عن متلقها والخطاب لكل من صالح للخطاب ونظم الامر والتكذيب  
والتولى في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورهما عن الفاعل  
فان ذلك ليس في حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التي هي كونها أمرا بالتقوى وتكذبا وتوليا كما في قوله تعالى قل  
أرأيت ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم  
إشارة يشاره اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لأرأيت لا يكون الا جملة  
استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرني ذلك التامى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو أمرا بالتقوى  
فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما تقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى)  
أي يطلع على أحواله فيجازه بها حتى اجتأ على ما فصل وانما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة  
بالجواب مصدرية باستخبار مستأنف ولم ينظا في سلك الشرط الاول لمعطفهما على كان للايدان باستقلالهما بالموقع في  
نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى  
الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى  
آخر مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في  
المؤمنين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك التامى على طريقة سد بدتقيا  
ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان أمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان

على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما تقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هدها وضلاله  
فيجازه على حسب ذلك فأمال وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلى والمعنى عن الهدى أمر بالتقوى والتامى  
مكذوب متول فما عجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الحصان يخاطب هذا مرة  
والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى أمرا بالتقوى أنتهاء وقيل هو أمية  
ابن خلف كان ينهى سلسان عن الصلاة (كلا) ردع للتامى العين وخسوء له واللام في قوله تعالى (لئن لم ينته)  
موصلة للقسم أي والله ان لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنفسعا بالناسية) لناخذن بناسيته ولنسجنته بها الى النار  
والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرى لنفسعن بالنون المشددة وقرى لاسفعن وكتبته في المصحف  
بالالف على حكم الوقف والا كسفا بلام العهد عن الاضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة)  
بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعركة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما على  
الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاستناد المجازى وهما صاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية  
كاذبة خاطئة (فليدع ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون. روى أن أبا  
جبل مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنك فأغظله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني  
وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فأنزلت (ستدع الزبانية) ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحد زبنة كغفيرة من  
الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كاسى وأصلها زباني فقل زبانية بتوحيش التاء عن الياء والمراد  
ملائكة العذاب وعن النبي عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع بعد ردع وزجرا ثم زجر  
(لا تطعه) أي دم على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به  
(واقرب) وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد. عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر كما تمم قرأ المفصل كله

## سورة القدر

(مختلف فيها وآياها آخر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أنزلناه في ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المعنية عن التصريح  
به كأنه سائر في جميع الاذهان واستناد انزاله الى تون العظمة المنى عن كمال العناية به وتضييق وقت انزاله بقوله تعالى  
(وما أدراك ماليلة القدر) لمسا فيه من الدلالة على أن علوقها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها  
الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فانه بيان اجمالى لاشانها اثر تشويق عليه السلام  
الى درابها فان ذلك مغرب عن الردع بادراها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من  
تأكيد التضييق مالا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى الساء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح  
المحفوظ الى الساء الدنيا وأملا جبريل عليه السلام على السقرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام بنحو ما في ثلاث وعشرين  
سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضله كما في قول عمر رضي الله عنه  
خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا أحقر في نفسى من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير



حيث السورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياى الكثيرية رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم أو لخطرها وشرها على سائر الليالي وتخصيص الألف بالذكر اما لتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر فمجبب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الخاوى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أسجوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي عليه السلام أعمار الأمم كافة فاستقصى أعمار أمته يخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما يبلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة من أدم كذا خيرا من ملككم ما وقوله تعالى ﴿نزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبن على مخاطبة فضلها على تلك المدة المخطوطة وقد سبق في سورة التبا ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لإبراهيم الملائكة الاثنا عشرة اللية التي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سبأ الى الارض أو الى السبا الدنيا ﴿بأذن ربهم﴾ متعلق بنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين بأذن ربهم أى بأمره ﴿من كل أمر﴾ أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرى من كل امرى أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا ساءوا عليه ﴿سلام﴾ أى ماهى الاسلام أى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير وأما في غير ما فيقضى سلامة وبلا أو ماهى الاسلام لكثرة ما يسلون فيها على المؤمنين ﴿حتى مطلع الفجر﴾ أى وقت طلوعه وقرى بالكسر على أنه مصدر كالمخرج أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بنزل على أنها غاية الحكم النزل أى لمكثهم في محل نزولهم أو نفس تنزلهم بأن لا يقطع نزولهم فوجاهه دفع الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام يتألى أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمتدا مقتضى في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

### سورة لم يكن

(يختلف فيها وآياتها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ أى اليهود والنصارى وإبراهيم بذلك العتوان للاشعار بعله ما نسب اليهم من الودع باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وإبراهيم الصلة فعلا لأن كفرهم حادث بعد أنبيائهم ﴿والمشركين﴾ أى عبدة الاصنام وقرى والمشركون عطفا على الموصول ﴿منفكين﴾ أى عما كانوا عليه من الودع باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الودع من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظلم زمان نبي يخرج تصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فقلعه قد وقع من تأخيرهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا وصحته بما شاهدوا من نصرته على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يفترونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء

عن الشيء أن يرايه بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه إشارة الى كمال وكادة وعدمه أى لم يكونوا مفارقين للودع المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ التى كانوا قد جعلوا آياتها ميقانا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقانا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعير عن آياتها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تلتوا الشياطين أى تلت وقوله تعالى ﴿رسول﴾ يدل من البينة عبرته عليه السلام بابينة الايذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدا فأفاده اثبتون من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى ﴿يتلو﴾ صفة أخرى له أحوال من الضمير في متعلق الجار ﴿صحفا مطهرة﴾ أى منزهة عن الباطل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يحسه غير المعاهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى ﴿فيها كتب قيمة﴾ صفة لصحفا أو حال من ضمير ما في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتضاه على الفاعلة ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ الخ كلام موصوف غاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغلغل جاراتهم بيان أن ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لا شتبا ما فى الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار والكلفة وهو السر في وصفهم بآيات الكتاب المنى عن كمال تمسكهم من طاعة والاحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام والأخبار التى من جعلها نعت التي عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للثمانين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على رأى المذكور في حكم فريق واحد غير عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالافتراق اعتبارا لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وايذانا بأن انفكاكهم عن رأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى ﴿الا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ استثناء مفرغ من أهم الاوقات أى وما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجية الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جليلة لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى ﴿وما أمروا الا ليعبدوا الله﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبج ما قبلها أى والحال أنهم ما أمروا وما أمروا في كتابهم الا لاجل أن يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أى الا بأن يعبدوا الله وبعضه قراءة الآن يعبدوا الله ﴿عخلصين له الدين﴾ أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين ﴿حنفاء﴾ مائلين عن جميع العقائد الزائفة الى الاسلام ﴿ويقيموا الصلوة﴾ يؤتوا الزكوة أى أن يديها ما في شرعهم من الصلاة والزكاة لا مظاهر وان أريد ما في شرعنا فعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شرعنا لم يجمع أحكامها التى هما من جعلها ﴿وذلك﴾ إشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلاة وآيات الزكاة ما في معنى البعد للاشعار ببعده وبعده من قوله ﴿دين القيمة﴾ أى دين الملة القيمة وقرى الدين القيمة على تأويل الدين الملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا يتفكرون عن دينهم الى مبعثه وبعده أن يتفكروا عنه حيثئذ ويتفكروا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ بيان لاختلافهم الوعد وتمسكهم الأمر يجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسيا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أفك عما أنافى حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن متفكرا عن



الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خير بأن هذا إنما يسمى بعد الدنيا والتي على تقدير أن يراد بالفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال الفرق عن الحق مستازم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا ففهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا قائل (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة ويراد الجملة الاسمية الايذان بتحقيق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن اما على تنزيل ملا يستهم لما يوجبها منزلة ملا يستهم لها واما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار لأنها ظهرت في هذه الشأنة بصور عرضية وستخلص في الشأنة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحطة بالكافرين في سورة الاعراف (خالدين فيها) حال من المستكن في الجحيم واشترائه الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عقابهم في الكيفية فان جهنم درجات وعذابها ألوان (أولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبايح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بنساية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعد المذكورون (هم شر البرية) شر الخليفة أي أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لحاودهم في النار أو شرهم مقاماً ومصيراً فيكون تأكيداً لفظاً على حالهم وقرى بالهمز على الأصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحسن أحوال المؤمنين اثر بيان حال الكفرة جرياً على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) وقرى بخيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد (جراؤهم) بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) ان أريد بالجنات الأشجار المثمرة الأغصان كما هو الظاهر بخبر ان الأنهار من تحتها ظاهر وان أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأما ما كان فالمراد جريانها بغير أخلود (خالدين فيها أبداً) متعدين بفنون النعم الجسدية والوحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منجوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقيدها بالاضافة وبما يزيد بها نعيماً وتأيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا ينبغي (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوها من المآرب ناصيتها وأتيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أي ما ذكر من الجزاء والرضوان (لم يخش ربهم) فان الخشية التي هي من خصائص العبادات بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكالات العلمية والعملية المستتعبة للعبادة الدينية والدينية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المسالكية والترية للاشعار بعلّة الخشية والتحذير من الاغترار بالترية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساً ومقيلاً

## سورة الزلزلة

(تختلف فيها وآياتها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا زلزلت الأرض) أي حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً (زلزالها) أي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهية المبينة على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراه أو زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره أو زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرى بفتح الزاء وهو اسم وليس في الآية فصلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضاً مصدر كالوسواس والجرجار والقلقل وذلك عند النسخة الثانية لقوله عز وجل (وأخرجت الأرض أنفاسها) أي ما في جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واطهار الأرض في موقع الاضمار بادة التقرير أو للايحاء الى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن اخراج الانفال حال بعض أجزائها (وقال الانسان) أي كل فرد من أفرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويهرمهم من الداهية العسمة (زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال) وأخرجت ما فيها من الانفال استعظاما لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سيرت الجبال في الجحيم وصيرت هباءً وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمناً بالبعث والآخر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من اذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيها ويجوز أن يكون اذا منتصباً بمضمر أي يوم اذ زلزلت الأرض تحدثت الخلق أخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها وأخرج أنفاسها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها وقرى تنبي أخبارها وقرى تنبي من الانبياء (بأن ربك أوحى لها) أي تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالبناء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها (يومئذ) أي يوم اذ يقع ما ذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتاً) متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدر عن الموقف أشتاتاً ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) أي أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرى ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا وقرى يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فمضى روية ما يعادها من خير وشر اما مشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة بالعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر مغفورة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يردّه قوله تعالى وقمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً واما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بفقر صفات المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثباته بجميع حسناته وبحسب حسانات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمراد عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً الا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسنة محسرة ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم







كالصوف الملون بالألوان المختلفة المتدوف في تفرق أجراتها وتطيرها في الجو حيا نطق به قوله تعالى وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وظلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيأتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الماثلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينفها ربي نفا فيذرهما قاعا صفصفا لا ترى فيها عرجا ولا أمنا يومئذ يتبعون الداعي وتوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى ﴿فأما من قلنت هوازيت﴾ الخ بيان إجمالي لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازن اما جمع الموزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعشى والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل ان الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لما في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤقن بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فن ترجحت مقادير حسنة ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي ذات رضا أو مرضية ﴿وأما من خفت موازينه﴾ بأن لم يكن له حصة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته ﴿فأه﴾ أي فأواه ﴿هاوية﴾ هي من أساء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهوائها . روى أن أهل النار تروى فيها سبعين خريفاً وقيل أنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والأول هو الموافق لقوله تعالى ﴿وما أدراك ماهيه نار حامية﴾ فانه تقرير لها بعد إبهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعبودة للتفخيم والتحويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القاري محذفاً وقيل حقه أن لا يدرج لثلاثا يسقطها الإدراج لانها ثابتة في المصحف وقد أجزئ إثباتها مع الوصل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة نقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة

## سورة التكاثر

(مختلف فيها وآيات ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ألم أكنم التكاثر﴾ أي شغلتم التغالب في الكثرة والتفاخر بها . روى أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عن ربا وأعظم نفرا فكثروا بنوعيد مناف فقال بنو سهم ان البغي اثنا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموال فكثروا بنوهم والمعنى أنكم تكاثرتُم بالأحياء (حتى زرتهم المقابر) أي حتى إذا استوعبت عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموال فتعبر عن بلوغهم ذكر الموت

بزيارة القبور تكم بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يقتخرون بذلك وقيل المعنى ألم أكنم التكاثر بالأموال والأولاد إلا أن ممت وقبر تم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهكم من السعي لآخر أكنم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرى ألم أكنم على الاستغناء التقريري ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظمه مقصورا على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة ﴿سوف تعلمون﴾ سوف تغتلبون ﴿سو﴾ مغبة ما أتم عليه إذا عايقت عاقبته ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور ﴿كلا سوف تعلمون علم اليقين﴾ أي لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كملكم ما تستيقنونوه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه خذف الجواب التحويل وقوله تعالى ﴿لترزون الحميم﴾ جواب قسم مضر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروا بعد إبهامه تفخييا ﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأيتهم من مكان بعيد والثانية إذا ردها أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة ﴿عين اليقين﴾ أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعم﴾ أي عن النعم الذي ألمكم الالتذاب به عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همه على استيفاء لذات ولم يعش إلا لياكل الطيب ولباس اللين ويقطع أوقاته باللبو والطرب لا يعيا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقها فأما من تمتع بعملة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كما قرأ ألف آية

## سورة العصر

(نصكية وآيات ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والعصر﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبرة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة ﴿إن الإنسان لني خسر﴾ أي خسران في متاجرهم ومساعيمهم وصرف أعمارهم في مبالغهم والتعريف للجنس والتكثير للمعظم ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فاتهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الحسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الراتحات فيالحا من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكليفهم لأنفسهم وقوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق﴾ الخ بيان لتكليفهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لحسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كنيه ورسله في كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالعصر﴾ أي عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجيلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها إذاؤها وعلى ما يلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لا يراى كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل وتركه بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا بظواهرها وباطنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر



## سورة الحمزة

(مكية وآيات تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل حمزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه تكرة لأنه دعاه عليهم بالملك أو بشدة الشر والهمز الكسر كالحزم واللمز الطعن كاللهر شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فملة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل حمزة لمزة يسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويستزأ به وقيل زلت في الاخض بن شريق فانه كان ضاريا بالغية والوقعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنبه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم (الذي جمع مالا) يدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتضخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعنده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد واقر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخذه) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يقيه حيا والاضمار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمه ومناه الاماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمه يحسب أن المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تمر يضى بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأتمم الذي أخذه صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بخالد ولا يمحطد وروى أن الاخض كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (ليبدن) جواب قسم مقدور والجملة استئناف مبين لعل الزعم أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة (في الحطمة) أى في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقي فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) تهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تناها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هي نار الله (الموقدة) بأمر الله عن سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها مالا يزيد عليه (التي تطلع على الأقدار) أى تلوأوساط القلوب وتنشأها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد أظلف ما في الجسد وأشدّه تألما بأذى يسه أو لانه محل العقائد الزائفة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته (في عمد ممددة) امحال من الضمير المحرور في عليهم أى كائنين في عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص أو خير مبتدأ مضمرة أى هم في عمد أوصفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة في عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الابواب العمدة استيقانا في استيقان اللهم أخرجنا منها ياخير مستجار وقرئ عمد بضمين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحمزة أعتله الله تعالى عشر حسنات بعدد من استبزأ بمحمد وأصحابه

## سورة الفيل

(مكية وآيات خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية عليه أى ألم تعلم علما صريحا متاخما للشهادة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعابنة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا ينفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتبريل الحادثة والاينان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فان ذلك من الازهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي عليه الصلاة والسلام وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقتلها ليلا فاغضبته ذلك وقيل أجبت رفة من العرب نارا فحملها الريح فأحرقها فخلف ليهن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيله اسمه محمود وكان قويا عظيما واثناعشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المنفى خرج اليه عبدالمطلب وعرض عليه تلك أموال تامة ليرجع فأبى وعيا بجيشه وقدم الفيل فكان كلبا وجوهوا إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجوهوا إلى اليمن أو إلى غيرهم من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيرا سودا وقيل خضرا وقيل يضامع كل طائر حجر في مقارعه وحجر أن في رجله أكبر من العدة وأصغر من الخصلة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق وفيل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرا به وماتت حتى انصدع صدره عن قائمه وانفلت وزيره أبو يسوم وطائر يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتتها عليه الحجر غر ميتا بين يديه وقيل إن أبرهة أخذ لعبدالمطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما أراد أبرهة عظم في عينه وكان رجلا وسما جسيا وقيل هذا سيد قرش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السبل والوحوش في رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على سباط وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشر فكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه الهالك عنه ذود أخذت لك فقال عبدالمطلب أنار بالابل وإن للبيت رباحية ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قرش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذهو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هي نجدة ولا تنامة فأرسل حلقة الباب ثم أطلق مع أصحابه ينظرون ما ذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائره أعين مقدمين يستطمان وقرئ ألم تر يسكون الزلا للجد في اظهار أثر الجازم وقوله تعالى (الم يجعل كيدهم في تضليل) الخ بيان اجمالى لما فعله الله تعالى بهم والهمزة لتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل وابطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أى طوائف وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مثل عابيد وشماطيل ولا واحد لها (ترميمهم بحجارة) صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالنذ كبر لأن الطير اسم جمع تأتيه باعتبار



المعنى (من سجل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واستفاد من الاسجال وهو الاسال (جعلهم كعصف ما كول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه في صغرا منه أو كتب أكله الدواب ورائه أشير اليه بأول أحواله . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسح والله أعلم

### سورة قريش

(مكية وآيات أربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا يلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لساثر نعمه فليعبدوه لهذا النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من أهلاك أصحاب القيل لا يلاف الخ وقيل تقديره انجبا لا يلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى جعلهم كعصف ما كول ويؤيداهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الجبهة ليسمع الناس بذلك فينبهوا لهم زيادة تهييب ويحترمهم فضل احترام حتى ينظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يهتري عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان رحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتأرون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا تعرض لهم والناس بين متخطف ومنوب والايلاف من قولك آلفت المكان ايلافا إذا ألفتته وقرى لا لاف قريش أي مؤالفتهم وقيل يقال ألفتته الفاء والافا وقرى لا لاف قريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتنظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا أكسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الأول ورحلة مقبول لا يلافهم وأفرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول أولا وابدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرى ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرى رحلة بالضم وهي الجهة التي رحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيها بواسطة كونهم من جيرانه (من جوع) شديد كانوا فيه قبلها وقيل أريد به القحط الذي أكلوا فيه الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب القيل أو خوف التخطف في بلدهم وصارهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

### سورة الماعون

(مختلف فيها وآيات سبع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سبق له الكلام والتعجب منه والخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرى أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع اليتيم) جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجراء أو بالاسلام أن لم تعرفه أو أن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويؤجره زجرا قبيحا ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلّة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصيا لبيته فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شديدا وقيل أبو سفيان نحر جزورا فساله بئيم لما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرى يدع اليتيم أي يتركه ويخفوه (ولا يحض) أي أهله وغيرهم من المؤسرين (على طعام المسكين) وإذا كان حال من تركه حدث غيره على ما ذكر فساظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى (قويل) الخ اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل (للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مباليين بها (الذين هم يرامون) أي يرون الناس أعمالهم ليروم الشاء عليها (ويعتصمون الماعون) أي الزكاة أو ما يتعارف عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وأما لترتيب الصلاة عليهم بالويل على ما ذكر من قباحتهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك إلى بيان أن لهم قباحة أخرى غير ما ذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له إن كان للزكاة مؤديا

### سورة الكوثر

(مكية وآيات ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أنا أعطيك) وقرى أعطيتك (الكوثر) أي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين والرياسة العامة المستتمة لسعادة الدنيا والدين فوعلى من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى في صفته أنه أحلى من العسل وأشدّ يابضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظلم من شرب منه أبدا أول وارديه فقرا المهاجرين الدسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المعتمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تملجج في صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قرأ الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبيرة فأناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وآتياعه أو علمه أمته أو القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى (فضل لربك) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن أعطاه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيا أحدا من العالمين مستوجب للمأمورية أي استيجاب أي قدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أدا لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويع خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية



هي صلاة الفجر يجمع والنحر يبنى وقيل صلاة العبد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع العين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه في التكبير إلى تحفه هو المروى عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبال القبلة بنحره وهو قول الفراء والكلبي وأبي الاحوص **(إن شئت)** أي بفضلك كما تمنى كان **(هو الأبر)** الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حن ذكراً وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وأما فضلك إلى يوم القيامة فذلك في الآخرة مالا يتدرج تحت البيان وقيل نزل في العاص بن وائل وأما ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر فقد الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعد كل قرآن قرأه العباد في يوم النحر

— سورة الكافرون —

(مكية وآيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

**(قل يا أيها الكافرون)** هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأق منهم الإيمان أبداً. روى أن رجلاً من عباده قرئ قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصه فلك ونعبد الهك فنزلت فقدا إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قریش فقام على رؤسهم فقرأ عليهم فأبوا **(لا أعبد ما تعبدون)** أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في معنى الاستقبال كأن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبون معنى من عبادة الهكم **(ولا أنتم عابدون ما أعبد)** أي ولا أنتم عابدون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى **(ولا أنا عابد ما عبدتم)** أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعبد منى عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى منى في الإسلام **(ولا أنتم عابدون ما أعبد)** أي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لني العبادة حالاً كما أن الأولين لغيبها استقبالاً وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى وإثارة ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمتته وقيل إن ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الأوليان بمعنى الذي والاخران مصدرتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد تأكيداً كيدلله المذكور أو لا وقوله تعالى **(لكم دينكم)** تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي أن قوله تعالى **(ولدي دين)** تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذي هو الاشرار مقصور على الحصول لكم لا يتجاوز به إلى الحصول لي أيضاً كما تطلبون فيه فلا تعلقوا به أما نيك الفارغة فان ذلك من المحالات وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز به إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهكم أو استلأى ايأها ولأن ما وعدتموه عين الاشرار وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلنا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى أني نبي مبعوث اليكم لا ادعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك فامل عن النبي صلى الله عليه وسلم من

قرأ سورة الكافرون فكانت قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك وتغافى من الفزع الأكبر

— سورة النصر —

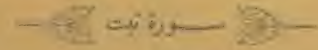
(مدنية وآيات ثلاث)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

**(إذا جاء نصر الله)** أي اعانتته تعالى واطهاره إياك على عدوك **(والفتح)** أي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان فتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجي سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتيسيع والحد والتجوير عن حصول النصر والفتح بالمجي لا لايدان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنها على جناح الوصل إليه عليه السلام عن قريب. روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه لا أكثر وقيل في أيام التشريق يبنى في حجة الوداع فكلما إذا حينئذ باعتبار أن بعض ما في حيزها أعنى رؤية دخول الناس إلى غير منقضى بعد وكان فتح مكة لعشر مئين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وسجن دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنهم من رقابهم عتوة وكانوا له فيا ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج إلى هوازن **(ورأيت الناس)** أي أبصرتهم أو علمتهم **(يدخلون في دين الله)** أي ملة الاسلام التي لا دين يضاف إليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى **(أفواجا)** حال من فاعل يدخلون أي يدخلون فيه جماعات كشيبة كاهل مكة والعتاتف والذين وهو وزن وسائر قبائل العرب وكانوا قبيل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً والذين اثنين. روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب القيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرئ فتح الله والنصر وقرئ يدخلون على البناء للمفعول **(فسبح بحمد ربك)** فقل سبحان الله حامداً له أو فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمة المحترم واحده على جميل صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا بأحداث التعجب لما ذكر فانه إنما يناسب حالة الفتح أو فادكره مسبحاً حامداً يادة في عبادته والشاء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات أو فزعه عما يقوله الغلبة حامداً له على أن صدق وعده أو فأن على الله تعالى بصفات الجلال حامداً له على صفات الاكرام **(واستغفره)** حضياً لنفسك واستقصاراً لعملك واستظماماً لحقوق الله تعالى واستندراكاً لما فرط منك من ترك الأولى. عن عائشة رضي الله عنها أنه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وعنه عليه السلام أني لا استغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها التي عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعت إليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم عليه السلام بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علماً كثيراً ولعل ذلك



للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبد الله خير الله تعالى بين الدنيا وبين الآخرة فاختار لقاء الله تعالى فلم أبو بكر رضي الله عنه فقال قد نيك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعت الى نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك أول أهل لحوقاني وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته (انه كان تواباً) منذ خلق المكلفين أى مبالغاً في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقفاً للقبول . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة



(مكية وآياتها خمس)

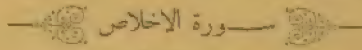
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) أي هلك (يبدأ في الحب) هو عبد العزيز بن عبد المطلب وابن أخته التاب على الهلاك واستناده الى يديه لمساو وروى أنه لما نزل وأنذر عشر تلك الأقرين في رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفاو جمع آثار به فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك الهذا دعونا وأخذ حجراً ليرمي به عليه السلام به (وتب) أي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جنته كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال

جزاني جسداه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاوي بات وقد فعل

ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزلزل غالباً بالأيدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكنيته ولا تشابه بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرى أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرى أي لهب بسكون الهاء (وما أغنى عنه ماله وما كسب) أي لم ينفع عنه حين حل به التياب على أن ما نافية أو أي شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والتأنيج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الحديث الذي هو كيد في عداوة النبي عليه الصلاة والسلام أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى وقد مننا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفترس منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد غاب مرجاه وما حصل ما تمناه فأفترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كابان من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعدوقة بدر لسع ليل فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قریش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثاً حتى أتته ثم استأجروا بعض السودان فاحتلموه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن (يسئلي) بفتح الباء وقرى بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعد وتشديد العاقبة سيدخل الى الجنة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة (نارا ذات لهب) أي نارا عظيمة ذات اشتغال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصاً في أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين التيقنين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لنفسه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عليه الصلاة

والسلام اجمالاً لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن في سبيل لمكان الفصل بالمفعول وهي أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فنثرها بالليل في طريق الذي عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطاء الحرير وقيل كانت تمشي بالقيمة ويقال لمن يمشي بالتسائم ويقصد بين الناس يحمل الحطب بينهم أي يوقد بينهم النار (حالة الخطب) بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالة بناء على أن الاضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة ما لها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة غلبها فغيرت بالنخل فالنصب حيث دل على الشتم حتى وقرى بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرى حالة للخطب بالتثنية نصبا ورضا وقرى مريته بالتصغير للتخفيف (في جديها جبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وجبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير يسئلي وجبل فاعل كما ذكر والمسد ما يقتل من الحيات فتلا شديداً من ليف المقل وقيل من أي ليف كان وقيل من لحاشج باليمن وقد يكون من جلود الابل وأورها والمعنى في عتقها جبل من مسد من الحيات وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وترتبطها في جديها كما يفعل الخطايون تخديساً بحالها وتصويرها بصورة بعض الخطايات من المواهر لتمنع من ذلك ويتمنع بعضهما وهما في بيت العز والشرف قال مرة الحمداني كانت أم جميل تأتي كل يوم بأهله من حسك من فطر حبا على طريق المسلمين فيبئنها ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فبذنها الملك من خلفها فاختنقت بجبلها . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبي لهب في دار واحدة



(تختلف فيها وآياتها أربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايدان بأنه من الشهادة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبغي عنه اسمه الذي أصله القصد أطلق على المعقول مبالغة وعمله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الربط لأنها عين الشأن الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حينها مع ما فيها من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه بما يفسره ويرى بل ايمانه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وحرمة أحد مبدلتمن الواو وأصله وحدا كبره كما يلزم من التثنية ويراد به العموم كما في قوله تعالى فا منكم من أحد عنه حاجزين وما في قوله عليه السلام ما أحتل الغنائم لأحد سود الرأس غيركم فانها أصلية وقال مكي أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الثمان لأن همزة تشبه الألف خذفت احدهما تخفيفاً وقال ثعلب ان أحداً لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحدواثان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اخص به تعالى أو هو لما سئل عنه أي الذي سألتهم عنه هو الله اذ روى أن قریشاً قالوا صف لنا ربك الذي تدعوننا اليه وانسبه فزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ مخذوف وقرى هو الله أحد بغير قل وقرى الله أحد بغير قل هو وقرى قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فصل بمعنى



مفعول من صمد اليه اذا قصده أي هو السيد المصمود اليه في الخواص المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لمنهم بصديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بأن من لم يتصفه بذلك فهو معزول من استحقاق الألوهية وتعزية الجملة عن العاطف لأنها كالتأنيذ الملاوي بين أولي الألوهية عز وجل المستتعية لكافة نعمت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتزكيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صديته المقتضية لاستغنائه الذائق عما سواه واقتدار جميع المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقا للحق وإرشادا لهم الى سنته الواضحة ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل ﴿لم يلد﴾ تنصيصا على إبطال زعم المفتزين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النبي على صيغة الماضي أي لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانس شيء يمكن أن يكون له من جنسه صاحبة قيتودا كما اتفق به قوله تعالى أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ﴿ولم يولد﴾ أي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا لاحقا والتصریح به مع كونهم معتزلين بضمونه لتعريف ما قبله وتحقيقه بالإشارة الى أنها متلازمان اذ المعبود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستفقدون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خيرا لا صلوا يكون كفوا حالا من أحد وليس بذلك وأما تأخير اسم كان فدراسة القواعد ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل المعجمة وضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولا نطوئ السورة الكريمة مع تقارب نظريتها على اشتات المعارف الالهية والرد على من ألد فيها ورد في الحديث النبوي أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصاص ومن عدلها بكانه اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد أي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفته صفاته التي نطق بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قبيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

## سورة الفلق

(يختلف فيها وآياتها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الفلق الصبح كالفرق لأنه يفتلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فارت كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عبوده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منها وغير ذلك وفي تعليق العياض باسم الرب المضاف الى الفلق المنبى عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرق عدة كرمية بأعادة العالم ما يعود منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجدة والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الاشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل من العائد ما يحتاجه كإقبال فلا اذ لا ريب للعائد في

قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها ﴿من شر ما خلق﴾ أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطباع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تتم الانسان وغيره بما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لإضافة الرب الى الفلق فقد تأتى عن الحق بمراحل وإضافة الشر اليه لا اختصاصه بعالم الخلق المؤسس على اهتزاز المواد المتباينة وتفاعل كيميائياتها المتضادة المستتعبة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير عرض منه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ﴿ومن شر غاسق﴾ تنصيصا به من الشرور بالذكر مع اندراجها فيها قبله لإفادة فساس الحاجة الى الاستعاذة من كثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعادة أي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انضباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعا وإضافة الشر الى الليل للملازمة له بحدوثه فيه وتكريره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه وتقبيده بقوله تعالى ﴿اذا وقب﴾ أي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه أكثر والحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخنى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ وقوبه دخوله في الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضو الشمس وقوبه الحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشغل السحرة بالبحر المورث للشر بعض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا وقوبه سفيوطها لانها اذا سقطت كثرت الأمراض والطواغين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجموه ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ أي ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط ويتغنن عليها والتفت التفتيح مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير ألف وتعر فيها امال العهد أو الاذيان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضن فيه وتنحصر فيه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فأعطاهم اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفعها في بئر اريس فرض التي عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبن سحرة وهم سحره فأرسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والوزير وعمارا رضى الله عنهما فزحرا ماء البئر فكانت نقاعة الحناء ثم فزعوا راعوة البئر وهي الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعهما وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجأوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كأنما أشعل من عقال فقالوا يا رسول الله أفلا تقتل الحبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافاني الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شرا قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبي عليه الصلاة والسلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيئا هو الله تعالى فيغضب لله وينقم وقيل المراد بالفتك في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تلين العقدة بفتك الريق ليسهل حلها ﴿ومن شر حاسد اذا حسد﴾ أي اذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الاضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقيد بذلك لما نضر الحسد قبله بما يحق بالحاسد لا غير . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى



## سورة الناس

( مختلف فيها وآيات )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

( قل أعوذ ) وقرئ في السورتين بحذف الحذرة ونقل حركتها الى اللام ( برب الناس ) أي مالك أمورهم ومربيهم بأفاعة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ( ملك الناس ) عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى أيام ليست بطريق تربية سائر الملوك لما تحت أيديهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وهكذا قوله تعالى ( الله الناس ) فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياساتهم والتولي لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المختصة للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم أحياء وإماتة وإيجادا وإعدادا وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوبيته وألوهيته للإرشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالأعادة فإن توسل العائد بربه وانتسابه اليه تعالى بالربوبية والملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من أفراد من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلالة الوعد الكريم بالأعادة لا محالة لان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم في التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرر المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالإضافة ( من شر الوسواس ) هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي كالزوال بمعنى الزوال أو المصدر في الكسر والمراد بالشيطان سمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوهوسة ( الخناس ) الذي عادته أن يخنس أي يتأخر اذا ذكر الإنسان ربه ( الذي يوسوس في صدور الناس ) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الوصول اما الجرح على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم ( من الجنة والناس ) بيان للذي يوسوس على أنه ضار بأن جيء وانسى كما قال عز وجل شياطين الانس والجن أو متعلق بيوسوس أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق على الجن أيضا حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناولوه وأسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره

## خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة والإرشاد وهاذي الغواة الى سنن الرشاد يا رب البرية مالك الرقاب عليك توكلى واليك متاب أنت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المسأومين عن غوائل ريب المنون وألتجئ الى حرزك الحرير وآوى الى ركنك العزيز وأسألك من خزان برك المخزون في مكان من شرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من أمور الدنيا والدين وأعوذ بك من فنون الفتن والشروخ لاسيا الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فأعذني بجابتك وأعني بعنايتك وأفض علي من شوارق الأنوار الربانية وبوارق الآثار السبحانية ما يخلصني من العوائق الظلمانية ويخرجني من العلائق الجسائية وهدب نفسي الآية من دنس الطبايع والاخلق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشرار ليستعد للعبور على سائر الانس ويتأهل للحضور في حظائر القدس وثبتني على مناهج الحق والهدى وأرشدني الى مسالك البر والتق واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك وأشرف أياهي يوم لقاءك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرفي مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق طائفة من المتقين لتفسير كتابه المجيد وأطلعهم على لطائف أسرارہ لجأوا في كشف أستاره بكل قول سديد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بهر الفصحاء بعبارة الساحرة وسحر البلغاء بمحاسن أساليه الباهرة وعلى آله الذين أوردتهم مناهل فضله فأرواهم وأحياه الذين تقدموا بفضل محبته على من سواهم (أما بعد) فان نفائس الكنوز لا تحصل في يد كل قاصد كما أن أقمار دائرة المشتري لا تتبين الا لكل حاذق راصد وان منظار العقول الى ادراك فضائل الرجال هو ما يظهر على أيديهم من فضائل الاعمال هذا وقد فاق أولئك السادة العاملين وتقدم على حملة أبواب النباهة الكاملين حضرة ذلك الشريف الحسيني العلوي المتجلي بكل خلق جميل نبوي السيد محمد محمد عبد اللطيف الخطيب فانه قد جاء في أعماله بالعجيب وما فوق العجيب

ومما بذل في تصحيحه غاية الجهود وآتمه فكان عنوانا على اتصافه بتلك الفضائل الجمة طبع التفسير المسمى بإرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ألا وهو تفسير قاضي القضاة العلامة أبي السعود المحيط بأسرار المعاني الذي أنسانا بيلاغته ذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني ومن ذكر معه السكاكي فقد أخطأ وما عرف وبرهن على أنه لم يدرك التفاوت في مراتب الشرف ولعمري ان هذا التفسير لاحق التفسير بالمطالعة وأولاهما بتكرار النظر فيه وكثرة المراجعة فجزى الله حضرة السيد أحسن الجزاء على ما أبداه ووقفه للبشارة على خدمة الشرع الشريف وحفظه وأيقاه

حسن محمد المسعودي

المدرس بالقسم العالي للازهر

١١ صفر سنة ١٣٤٨ هـ

١٨ يولييه سنة ١٩٢٩ م

القاهرة في يوم الخميس



صحيفة

- ٢ (سورة المؤمن)
- ٧ تفسير قوله تعالى (أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض)
- ١٠ تفسير قوله تعالى (و يا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك بهما ليس لي به علم)
- ١٣ تفسير قوله تعالى (قل اني نهييت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جئني بالبينات من ربي)
- ١٦ (سورة السجدة)
- ٢٢ تفسير قوله تعالى (وقضنا لهم قرنا فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس)
- ٢٦ (الجزء الخامس والعشرون)
- ٢٦ تفسير قوله تعالى (اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه)
- ٢٨ (سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى)
- ٣١ تفسير قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى)
- ٣٦ تفسير قوله تعالى (ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره)
- ٣٩ (سورة الزخرف)
- ٤٤ تفسير قوله تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل)
- ٤٨ تفسير قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)
- ٥١ (سورة الدخان)
- ٥٦ (سورة الجاثية)
- ٥٩ تفسير قوله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعقلون)
- ٦٢ (الجزء السادس والعشرون)
- ٦٢ (سورة الاحقاف)
- ٦٧ تفسير قوله تعالى (واذكرا عا عاد اذ أنذر قومهم بالاحقاف وقد خلت النذر من بين أيديهم ومن خلفه)
- ٧١ (سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال)
- ٧٤ تفسير قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه)
- ٧٩ (سورة الفتح)
- ٨٣ تفسير قوله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم)
- ٨٧ (سورة الحجرات)
- ٩٣ (سورة ق)
- ١٠٠ (سورة النازيات)





صحيفة

- ١٠٢ — الجزء السابع والعشرون —  
 (سورة الطور) ١٠٥  
 (سورة النجم) ١٠٩  
 (سورة القمر) ١١٧  
 (سورة الرحمن) ١٢٢  
 (سورة الواقعة) ١٢٨  
 (سورة الحديد) ١٢٥  
 ١٣٨ تفسير قوله تعالى (ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل)  
 ١٤٣ — الجزء الثامن والعشرون —  
 (سورة المجادلة) ١٤٣  
 (سورة الحشر) ١٤٩  
 (سورة المتحة) ١٥٥  
 (سورة الصف) ١٥٩  
 (سورة الجمعة) ١٦٢  
 (سورة المنافقون) ١٦٤  
 (سورة التغابن) ١٦٧  
 (سورة الطلاق) ١٧٠  
 (سورة التحريم) ١٧٣  
 ١٧٦ — الجزء التاسع والعشرون —  
 (سورة الملك) ١٧٦  
 (سورة الن) ١٨٣  
 (سورة الحاقة) ١٨٨  
 (سورة المعارج) ١٩٢  
 (سورة نوح عليه السلام) ١٩٦  
 (سورة الجن) ١٩٩  
 (سورة المزمل) ٢٠٤  
 (سورة المدثر) ٢٠٧  
 (سورة القيامة) ٢١٢  
 (سورة الانسان) ٢١٥

صحيفة

- (سورة المرسلات) ٢١٩  
 — الجزء الثلاثون —  
 (سورة النبأ) ٢٢٢  
 (سورة النازعات) ٢٢٩  
 (سورة عبس) ٢٣٦  
 (سورة التكويد) ٢٤٠  
 (سورة انفطرت) ٢٤٣  
 (سورة المطففين) ٢٤٥  
 (سورة الانشقاق) ٢٤٩  
 (سورة البروج) ٢٥١  
 (سورة الطارق) ٢٥٣  
 (سورة الاعلى) ٢٥٥  
 (سورة الغاشية) ٢٥٨  
 (سورة الفجر) ٢٦٠  
 (سورة البلد) ٢٦٤  
 (سورة الشمس) ٢٦٥  
 (سورة الليل) ٢٦٧  
 (سورة الضحى) ٢٦٨  
 (سورة ألم نشرح) ٢٧٠  
 (سورة التين) ٢٧١  
 (سورة العلق) ٢٧٣  
 (سورة القدر) ٢٧٥  
 (سورة لم يكن) ٢٧٦  
 (سورة الزلزلة) ٢٧٩  
 (سورة العاديات) ٢٨٠  
 (سورة القارعة) ٢٨١  
 (سورة الشكاثر) ٢٨٢  
 (سورة العصر) ٢٨٣  
 (سورة الهمة) ٢٨٤  
 (سورة القيل) ٢٨٥



صحيفة

- ٢٨٦ (سورة قريش)  
٢٨٦ (سورة الماعون)  
٢٨٧ (سورة الكوثر)  
٢٨٨ (سورة الكافرون)  
٢٨٩ (سورة النصر)  
٢٩٠ (سورة تبت)  
٢٩١ (سورة الاخلاص)  
٢٩٢ (سورة الفلق)  
٢٩٤ (سورة الناس)

(تم فهرس الجزء الخامس من تفسير العلامة أبي السعود)





